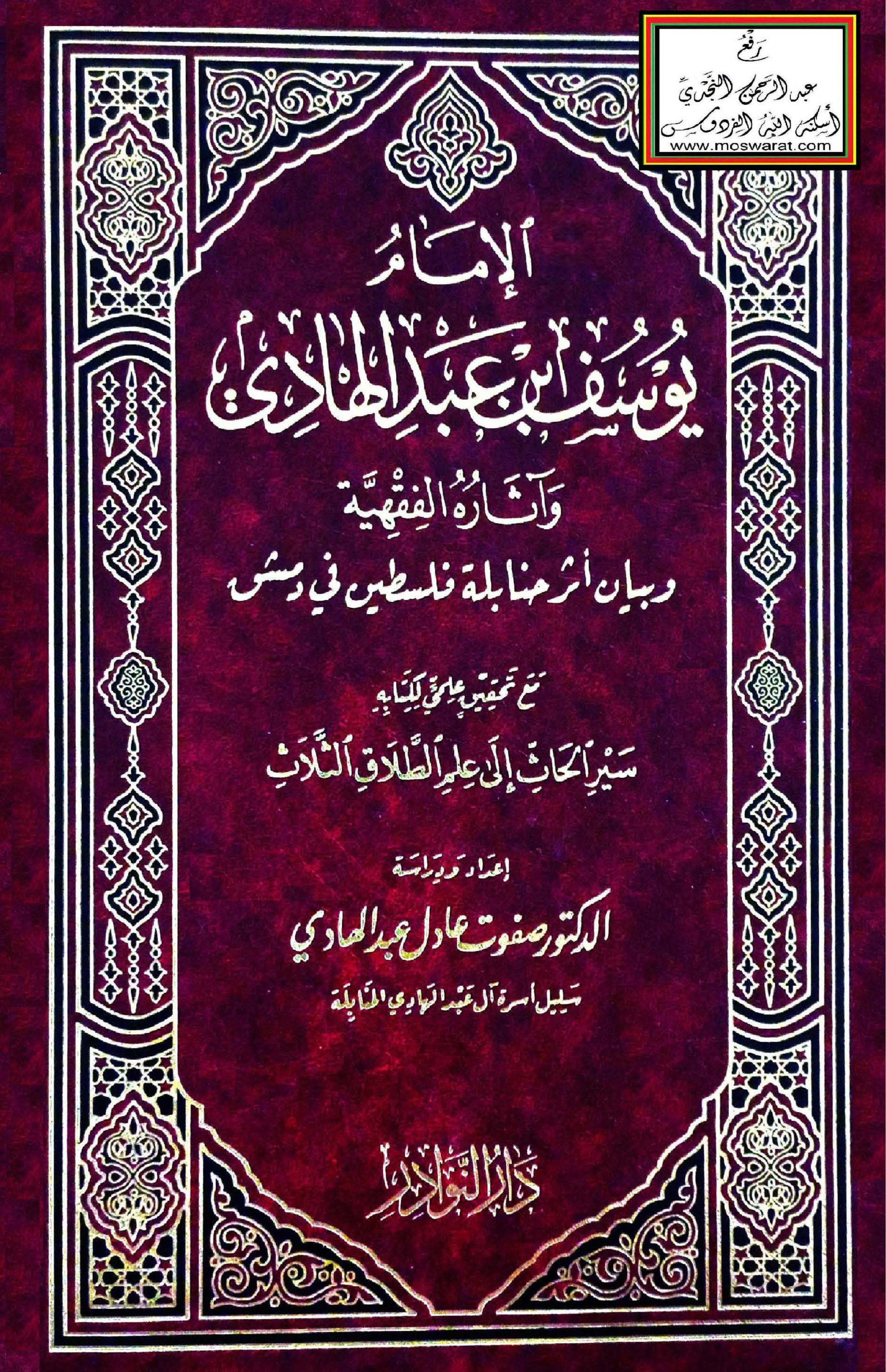
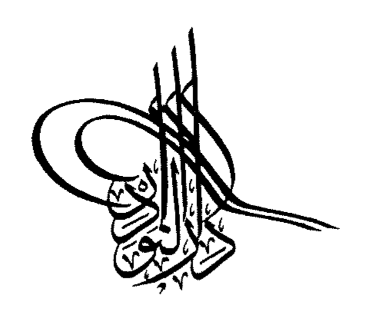

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الإمام
يوسف ابن عبد الهادي
وآثاره الفقهية
وبيان أثر حنابلة فلسطين في دمشق
مع تحقيق علمي لكتابه
سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث
إعداد ودراسة
الدكتور صفوت عادل عبد الهادي
سليل أسرة آل عبد الهادي الحنابلة
دار النوادر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإمام

يوسف بن عبد الهادي

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



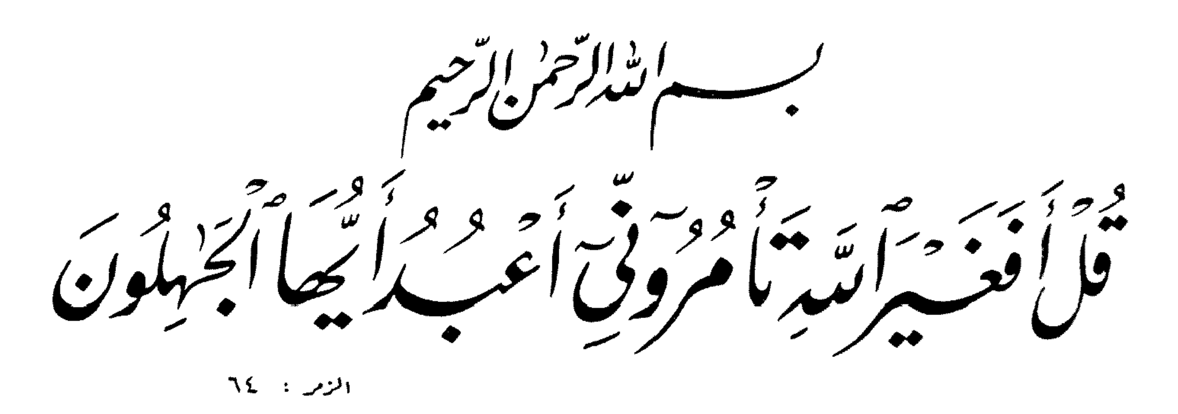
للطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوزِيع
سُورِيَّة - دِمَشق - ص.ب ٣٤٣٠٦ - بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٨٠
www.daralnawader.com

الإمام
يوسف بن عبد الهادي
الدمشقي الحنبلي
وآثاره الفقهية
وبيان أثر حنابلة فلسطين في دمشق

مع تحقيق علمي لكتابه
سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث

إعداد ودراسة
الدكتور صفوت عادل عبد الهادي
سليل أسرة آل عبد الهادي الحنابلة

دار النوادر


بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ
الزمر : ٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم المَعَاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فعندما أكرمني الله بالتشرف بدراسة العلوم الشرعية وجدتُ عدداً من الأعلام المشهورين في دمشق لم يكتب عنهم، وبقيتُ كتبهم المخطوطة على الرفوف محفوظة في المكتبات الوطنية العامرة.

ومن هؤلاء الأعلام البارزين **الإمام يوسف بن عبد الهادي**، الذي كان له الأثر الكبير والإنتاج العظيم والآثار العديدة التي لا يزال معظمها مخطوطاً، ولم ينل حظه من الدراسة والبحث والشهرة.

ورأيت من واجبي ـ وقد تشرفت بالنسب إليه ـ أن أقوم بهذا الواجب، وأقدم هذه الخدمة للمسلمين جميعاً، فاخترت رسالتي للماجستير بعنوان:

«الإمام ابن عبد الهادي وآثاره الفقهية»

وأجهدت نفسي في قراءة كتبه ومخطوطاته، وتتبع الدراسات التي كانت منشورة عنه وعن كتبه، وقد سعدت من النتائج التي توصلت إليها، واستفدت من الدراسة المعمقة لحياته وكتبه.

وبهذه المناسبة وجدت أن أثر الحنابلة كان عظيماً في دمشق وبلاد الشام، ولكنه صار مغموراً في عصرنا الحاضر، فوجدت لزاماً علي أن أُميط اللثام عن رحلة المقادسة إلى دمشق، وبيان آثارهم العلمية، ورسالتهم الحضارية.

*** أهمية البحث:**

تظهر أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

١ـ دراسة حياة أحد العلماء الأعلام، وتجديد سيرته، وبيان فضله، والعمل على التأسّي به[١].

٢ـ علمه الواسع، وبحثه وتآليفه، قال الدكتور أسعد طلس في مقدمة كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي:

«قلَّ من عني في الأعصر الأخيرة بالتدقيق والبحث، فإن العلماء ـ في هذا العصر ـ كان ينصرف أحدُهم إلى صنف من العلم، فيدرسه، ويؤلف فيه، فيختصر كتاباً لمؤلف سابق، أو يشرحه، أو يضع عليه الحواشي والتقارير، ولا كذلك كان ابن عبد الهادي؛ فقد ثقف علوم عصره كلها، وكان مَعْلمة إسلامية حية تُعنى بالتعليم والكتابة والتأليف، ولا أدلَّ على ذلك من إلقاء نظرة على ما أبقى لنا الدهر من مؤلفاته الكثيرة.

ولقد تتبعت الموجود منها في دار الكتب الظاهرية، فإذا هو نيف وخمسون كتاباً في صنوف العلم، فقرأتها قراءة أولية، وكتبت ملخصاً لكل كتاب.

وقد صنّفت هذه الكتب إلى أصناف هي:

أ ـ في الوعظ والتصوف.

ب ـ التوحيد والجدل.

---

(١) «ابن كثير الدمشقي»، للأستاذ الدكتور محمد الزحيلي ـ المقدمة ـ (ص٨).

ج ـ الحديث وعلومه.

د ـ الفقه والفتاوى.

هـ ـ التاريخ والتراجم.

و ـ الموضوعات العامة، أو «كتب المشاركات» كما كانوا يسمونها.

ز ـ الأدب والطُّرف وما إليهما.

ح ـ الطب»[1].

٣ـ إلقاء الضوء على المخطوطات التي كانت في دمشق في ذلك العصر من خلال مكتبة الإمام يوسف بن عبد الهادي، قال الدكتور أسعد طلس في مقدمة «ثمار المقاصد»: «كان يوسف عالماً وذكياً وميسوراً، وهذه الصفات الثلاث ما اجتمعت في شخص إلاّ اقتنى الكتب وانتقاها، وزيَّن بيته بها، يجد في ذلك لذة ومتعة، وكذلك كان ابن عبد الهادي، فقد جمع العلم والذكاء واليسار، فجمع طائفة نفيسة من الكتب متحرياً جيد النسخ وأنفسها مما كتبه العلماء، يعرف هذا من يلقي نظرة على كتاب «وقفه الثمين» الذين سجل فيه أسماء موقوفاته الخطية على المدرسة العمرية، وهو لا يزال محفوظاً في الظاهرية ـ ورقمه ١٩ آداب ـ فإن فيه أسماء طائفة كثيرة من الكتب بخط الحافظ الذهبي، وابن القيم، وابن الجوزي، وابن حجر، وشيخ الإسلام زكريا، وابن رجب، والجراعي، وغيرهم، وفي هذا الفهرست نحو من (٥٠) أو (٦٠) رسالة وكتاباً لابن القيم، ولابن الجوزي، أكثرها مجهول.

ويحوي هذا السجل نحواً من (٦٠٠) كتاب، كلها ليوسف بن عبد الهادي؛ فقد كان يوسف كثير التأليف محباً للكتابة»[2].

---

(١) مقدمة «ثمار المقاصد» (ص١٨ـ١٩).
(٢) مقدمة «ثمار المقاصد» (ص١٥ـ١٦).

وقال عنه الشيخ الشطي: «.. وقد وقف جميع كتبه على المدرسة العمرية، وهي يومئذ آلاف مؤلفة، وصنّف لها فهرستاً في مجلدة»[1].

قال في مقدمة «ثمار المقاصد»: «وهذه الفهرست قيّمة جداً، وحَرِيّة بالنشر؛ لما تضمنته من ذكر كثير من المخطوطات التي كانت في دمشق في ذلك العصر»[2].

٤ـ التعرف من خلال هذا البحث على شيوخه وشيخاته، وكبار علماء دمشق في هذا العصر، وكذلك تلاميذه؛ كابن طولون الحنفي، وله كتاب في مناقب شيخه سماه «الهادي في مناقب يوسف بن عبد الهادي»، ومن تلامذته المحدِّث نجم الدين حسن الماتاني، وهو أحد رواة الحديث المسلسل بالحنابلة، والذي يقال له: سلسلة الذهب، ولا يوجد حديث عندهم أصح منه.

٥ـ إضافة إلى فهرست كتب يوسف بن عبد الهادي، فقد ألَّف «معجم الكتب» ذكر فيه الكتب التي تخص الفقه الحنبلي، أو رجاله، أو تاريخه، ومن هنا كانت لهذا المعجم أهميته الكبرى كمرجع حيوي يهم كل المهتمين بالفقه الحنبلي، وتاريخ المذاهب الفقهية بوجه عام.

كما يهم الكتاب كل من يبحث في الرجال وتاريخهم، ويبحث عن الترجمة لهم، والوصول إلى مؤلفاتهم المجهولة، أو غير المشهورة، وما تحتويه هذه المؤلفات من مضامين وموضوعات.

٦ـ يظهر هذا البحث أهمية هجرة بني قدامة والأسر المتصلة بهم، وعلماء الحنابلة إلى دمشق، وأثرهم في هذه المدينة.

فقد كان لهجرتهم أثر مدني عظيم، وهو تأسيس مدينة كبيرة إلى جانب

---

(١) «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨٦).

(٢) «مقدمة ثمار المقاصد» (ص١٦) في الحاشية.

مدينة دمشق لا تزال تحتفظ باسم مؤسسيها الصالحين «الصالحية».

كذلك أسهموا في تلك العصور في تعليم المرأة حتى ظهرت منهم عدة نساء عالمات.

وأثّروا أيضاً في علم الحديث، ويعدون من «فطاحل» هذا العلم، وانتشرت في عهدهم دور الحديث في الصالحية ودمشق، ومن مشاهيرهم الحافظ ضياء الدين المقدسي الذي أنشأ داراً للحديث في الصالحية، وجعل لها مكتبة من أعظم مكتبات عصره، ومن مؤلفاته: «المختارة» التي فضّلها العلماء على «مستدرك الحاكم».

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان في مقدمة «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»: «وإن المرء ليعجب حين تغدو الصالحية مدينة عظيمة في نحو ثلث قرن، وهذا يرجع إلى أمرين:

١ـ رقي الجماعة المهاجرة.

٢ـ رقي الحكومة التي كانت في ذلك العصر.

فقد شاهدنا في عصرنا هذا عدة هجرات إلى دمشق لم تؤثر فيها أي أثر يستحق الذكر، فكانت هجرة الأكراد، ثم الكريديين، والألبان، والشركس، والأرمن، والحجازيين أهل المدينة إلى دمشق، وكل هؤلاء لم يؤثروا أي أثر في تاريخ دمشق، أو عمرانها، أو حياتها الاجتماعية.

أما بنو قدامة فقد كان لهجرتهم إلى دمشق أثر مدني عظيم: أسسوا مدينة كبيرة إلى جانب مدينة دمشق ما تزال تحتفظ باسم مؤسسيها الصالحين «الصالحية»...»[1].

٧ـ يلقي هذا البحث الضوء على حقبة تاريخية مليئة بالأحداث من تاريخ

---

(١) «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» محمد بن طولون الصالحي، تحقيق محمد أحمد دهمان، (١/ ٩) ـ المقدمة ـ.

المسلمين، والأثر العلمي في هذه الحقبة بتأثير الحنابلة والمهاجرين من بني قدامة.

٨ـ وأُقدّم في الباب الأخير من هذا البحث دراسة لبعض كتب يوسف بن عبد الهادي في الفقه المقارن، نحو كتاب «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام»، ورسالة «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»، ونظراً لأهمية هذه الرسالة، سأفرد الفصل الأخير من الباب الثالث لتحقيقها، وذلك لأهميتها في وقتنا الحاضر، فلقد حصلت بعد جهد جهيد على نسخة منها مطبوعة عام (١٩٥٢م).

*** أسباب اختياري لهذا البحث:**

١ـ تعتبر هذه الدراسة الأولى عن ابن عبد الهادي، عدا مقدمة «ثمار المقاصد» للدكتور أسعد طلس، ودراسة للدكتور صلاح الخيمي في مجلة معهد المخطوطات العربية، مع وعده بنشر دراسة وافية عن حياة ومؤلفات ابن عبد الهادي في كتاب حينما تواتيه الفرصة، وأرجو له أن يفي بوعده ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٢ـ عدم معرفة الناس وكثير من العلماء وطلاب الدراسات العليا بابن عبد الهادي، على الرغم من كثرة تآليفه، ووفور علمه، رحمه الله.

قال الدكتور أسعد طلس في مقدمة «ثمار المقاصد»، وتحت عنوان «مقارنة بين ابن عبد الهادي وبين الجلال السيوطي»:

«يشبه ابن عبد الهادي معاصره جلال الدين السيوطي من وجوه شتى... وبعد، فقد تشابه السيوطي وابن عبد الهادي تشابهاً جدّ قوي، ولكن السيوطي انتشر خبره وعم ذكره بطبع آثاره وإحياء المصريين لها، ولا كذلك ابن عبد الهادي؛ فقد غمره التاريخ، وطمست آثاره، وجهله

الناس، على الرغم من كثرة تآليفه، ووفور علمه، رحمه الله»[1].

وقال الدكتور صلاح الخيمي في «مجلة معهد المخطوطات العربية»:

«هذا أقل القليل من الكثير الكثير مما اطّلع عليه وقرأه شيخنا الجليل المفكر يوسف بن عبد الهادي، لهذا أستطيع أن أقول: بأن يوسف يشابه جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) من وجوه شتى؛ فقد تشابها في غزارة الإنتاج وكثرته، وتشابها في مناحي التأليف والجمع، فكلاهما عُني بأكثر الفنون والعلوم الشائعة في عصره، وبخاصة علوم الحديث والفقه والقرآن والنحو والتصوف والتاريخ والطب، وغير ذلك. . ولكن السيوطي وجد من يعتني به، وينشر آثاره، ولذلك فقد عمّ ذكره، وانتشر خبره، وعرفه الناس في الشرق وفي الغرب، أما يوسف بن عبد الهادي، فقد غمره التاريخ، وجهله الناس؛ لسوء خطه، وسوء حظه، على الرغم من كثرة تآليفه، ووفرة علمه»[2].

٣ـ وإن من أهم أسباب اختياري لهذا البحث هو عدم ذكر مدارس دمشق ومكتباتها من قبل علماء بلاد الشام وأساتذة جامعاتها عند التأليف عن الحياة العلمية في مصر والشام على عصر سلاطين المماليك؛ إذ يكتفون بذكر مدارس مصر ومكتباتها، مع العلم أن أعظم مدارس ومكتبات ذلك العصر كانت في دمشق، حتى إن علماء مصر أنفسهم كانوا يشدون رحالهم إليها، منها على سبيل المثال «المدرسة العمرية» التي كان التدريس فيها على المذاهب الأربعة، وبهذه المدرسة عدة خزائن للكتب الموقوفة من عدة أناس، أعظمها كتب السيد الحسيني، ومنها كتب الشيخ قوام الدين

---

(١) مقدمة «ثمار المقاصد» (ص١٧ـ١٨).

(٢) «مجلة معهد المخطوطات العربية»، المجلد (٢٦)، الجزء (٢). رمضان (١٤٠٢هـ) صفر (١٤٠٣هـ) يوليو / ديسمبر (١٩٨٢م)، الكويت.

الحنفي، ومنها كتب الشمس البانياسي، ومنها كتب شيخنا المحدِّث جمال الدين يوسف بن عبد الهادي، ومنها كتب شهاب الدين بن منصور، وغيرهم، وفي هذه الكتب مصحف بخط الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان: «هذه المدرسة لا تزال تحتفظ بهيئتها في الطابق الأرضي، وقد تهدمت بقية الطوابق التي فيها.

وتعتبر هذه المدرسة أعظم مدرسة في دمشق، وأقدم مدرسة في الصالحية، وأول بناية أُنشئت فيها، وهي الآن بحالة سيئة جداً، وحوالي سنة (١٩٤٢م) أجرى المهندس الأثري المسيو إيكوشار بعض الترميمات والتدعيمات لأقسام منها كانت آخذة في الانهيار، وفي سنة (١٩٤٥م) جمع النائب فخري البارودي (٦٥٠٠) ليرة سورية من أهل الخير، ورمم من هذه المدرسة اثنتين وعشرين غرفة جعلها صالحة للسكن ليُسْكِنَ فيها الأحداث المتشردين، ويسكنها بعض المهاجرين من إسكندرونة، ولا تزال عيون الجهل متجهة نحوها تريد القضاء عليها وإعدامها من الوجود»[١].

أخبرني الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي قال: «المدرسة العمرية التي تقوم وزارة الأوقاف بإعمارها وبنائها وتجديدها، وإنشاء مركز البحوث الإسلامية فيها، وقد وضع السيد وزير الأوقاف، ومدير الآثار، ومحافظ دمشق حجرَ الأساس لهذه المدرسة العتيدة»[٢].

ومن المدارس الكبرى أيضاً «الضيائية المحمدية»، ويقال لها: «دار السنة» بسفح جبل قاسيون شرقي الجامع المظفري، وهي من دور

---

(١) «القلائد الجوهرية» (ص٢٧٣ـ٢٧٤)، في الحاشية.

(٢) الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي في (١٠/٧/١٤١٦هـ الموافق ٢/١٢/١٩٩٥م) عند عرض خطة البحث عليه.

الحديث، وبانيها هو الحافظ الضياء المقدسي، وجعل لها مكتبة من أعظم مكتبات عصره.

قال الجمال يوسف بن عبد الهادي: «وكان بهذه المدرسة كتب الدنيا والأجزاء الحديثية، حتى يقال: إنه كان فيها خط الأئمة الأربعة، حتى يقال: إنه كان فيها التوراة والإنجيل، وكانت مضبوطة الحال أيام خَزَنَتها بني المحبّ، وبعدهم صارت إلى القاضي ناصر الدين بن زريق الذي قال عنه ابن حجر: «إنه ما رأى في بلاد الشام من يستحق اسم الحافظ غيره»، وكان في أيام القاضي علاء الدين بن مفلح، فاحتاج القاضي علاء الدين إلى كتاب «الخلاف» للقاضي أبي يعلى، فقالوا له: لا يوجد إلاّ في الضيائية، فأرسل يطلبه، فجمعه في قفتين، وأرسله له.

قالوا: فمن ثم انفرط أمرها، وطمع الناس فيها، ثم لما جاء تمرلنك وذهب، زاد انفراط حالها، فجاء ابن حجر، وأخذ منها عدة أحمال، ثم جاء الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين، فأخذ منها، ثم جاء الحافظ قطب الدين الخيضري، فأخذ، ثم إن القاضي ناصر الدين بن زريق الثاني استوعب أحاسن ما فيها، وقد سعيت أنا والشيخ موسى الكناني في عود نحو ألفي جزء إليها»[1].

قال الأستاذ أحمد دهمان: «اضمحل أمر هذه المدرسة قبل مئة عام من عصرنا، فأخذت كتبها، ووضعت في المدرسة العمرية، ثم اضمحل أمر العمرية بعد ذلك، وأخذ النظار يتصرفون في المدارس والمكتبات تصرفَ السفهاء، فجمعت خزائن كتب المدارس، وأُلِّفَ منها المكتبة الظاهرية، وهي الآن تحوي عدداً كبيراً من الكتب القيمة وقف المدرسة الضيائية،

---

(١) «القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٨)، تلخيص تاريخ الصالحية لابن كنان (ص٣٧ـ٣٨).

وعليها خطوط العلماء، وخاصة خط الضياء المقدسي»[1].

ولقد سجل النعيمي في كتابه القيّم «الدارس في تاريخ المدارس» عدد المدارس في دمشق المحروسة فقط، فجمع فيها تاريخ دور القرآن (١/ ٧)، ودور الحديث (١/ ١٩)، ودور القرآن والحديث معاً (١/ ١٢٣)، وبلغت مدارس الحديث وحدها حوالي عشرين مدرسة، ثم عرض النعيمي مدارس الشافعية (١/ ١٢٩)، وكانت حوالي ٦٠ مدرسة (١٢٩ـ٤٧٢)، ومدارس الحنفية حوالي ٥٣ مدرسة (١/ ٤٧٣ـ٦٥٠)، ومدارس المالكية أربع، ومدارس الحنابلة إحدى عشرة مدرسة (٢/ ٣) وما بعدها، بالإضافة إلى التدريس في الجوامع والزوايا والربُط والتكايا.

فهذه نبذه عن مدارس دمشق في عصر المماليك، فلماذا هذا التعتيم الإعلامي يا علماء دمشق؟

٤ـ لم يشمل التعتيم الإعلامي المدارس والمكتبات فقط، بل شمل الأسر العلمية الحنبلية التي ظلت تمد العالم الإسلامي بعلمائها على مدى قرون طويلة، منهم بنو قدامة وفرعهم آل عبد الهادي، وأسرة مفلح، وسرور، والمرداوي، وغيرهم.

٥ـ العناية بكتب ابن عبد الهادي، ومخطوطاته، وإظهارها للناس، وإبراز إحدى رسائله كنموذج عنها، وهي رسالة «سير الحاثّ إلى علم الطلاق الثلاث».

٦ـ دور ابن عبد الهادي الفقهي وآراؤه، واجتهاداته، وموقفه من أحداث عصره، وأثره الفقهي في تلامذته وطلابه.

وأخيراً، فإن الأسباب كثيرة، وشرحها يطول، أكتفي بهذا القدر، توكلت على الله، والله الموفق، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٨) في الحاشية.

* **خطة البحث :**

لقد تناولت هذا البحث في تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة :

التمهيد : وفيه إجمال القول عن أثر الحنابلة في دمشق .

الباب الأول : في الحديث عن عصر الإمام يوسف بن عبد الهادي، وذلك من خلال تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : المماليك .

الفصل الأول : الأوضاع السياسية في عصره .

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية في عصره .

الفصل الثالث : الأحوال العلمية والثقافية في عصره .

الباب الثاني : وهو مخصص للتعريف بالإمام يوسف بن عبد الهادي، وينطوي على خمسة فصول :

الفصل الأول : في سيرته الذاتية لتحقيق القول في اسمه ونسبه وأصله، وتاريخ مولده ومكانه، وأسرته، وأزواجه، وذريته .

الفصل الثاني : في نشأة ابن عبد الهادي، وتكوينه العلمي .

الفصل الثالث : في أعمال ابن عبد الهادي، ونشاطه العلمي .

الفصل الرابع : تلاميذ الإمام يوسف بن عبد الهادي، وإنتاجه .

الفصل الخامس : صفات ابن عبد الهادي، ووفاته، والثناء عليه .

الباب الثالث : في بعض آثار ابن عبد الهادي الفقهية، وفيه تمهيد وفصلان .

التمهيد : وفيه نظرة عامة على إسهامات ابن عبد الهادي في علم الفقه من خلال بعض ما تبقّى من مؤلفاته .

الفصل الأول: دراسة بعض مؤلفات ابن عبد الهادي الفقهية.

الفصل الثاني: تحقيق كتاب «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث» لابن عبد الهادي.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وخلاصته.

هذا ولابد في ختام هذه المقدمة من أن أسوق شكري الفائق وتقديري لفضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي ـ حفظه الله، ونفعنا به ـ على صبره وحلمه، وعلى تفضله مشكوراً بقبوله الإشراف على هذه الرسالة.

كما أشكر المناقِشَيْن لها الأستاذ الدكتور مصطفى البغا، والأستاذ محمد خير هيكل.

وأخص بمزيد من الشكر جميع العاملين في «مكتبة الأسد الوطنية العامرة»؛ لتوفيرهم كافة التسهيلات التي ساعدتني على إنجاز هذا البحث.

ولا يفوتني في الختام أن أشكر «جامعة أم درمان»، و«كلية الدعوة الإسلامية» على ما تقومان به من جهود في نشر العلم وخدمة الدين الحنيف.

لأولئك جميعاً، ولسائر أهل الفضل عليّ، أقدم هذه البطاقة، والله من وراء القصد.

وأسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعله في صحيفة أعمالي، وأن يتقبله مني عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني ويرضى عني، إنه سميع قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين.

صفوت عادل عفيف عبد الهادي

دمشق في ١٩/ محرم/ ١٤١٨ هـ

الموافق لـ ٢٥/ أيار/ ١٩٩٧م

تمهيد

أثر الحنابلة في دمشق

شهدت بغداد منذ القرن الثاني للهجرة نشاطاً فكرياً واسعاً دلّ على نضوج العقلية الإسلامية، فقد قامت في الناس مذاهب، وانبرت فيهم أئمة مجتهدون اعترف لهم الجمهور بالزعامة، يترسم خطاهم، ويعمل بمقتضى آرائهم، حتى إنه ليجعلها بمثابة نصوص الكتاب والسنة لا يجوز له أن يتعداها.

والذي منحهم هذا الامتياز الأسباب الآتية[1]:

١ـ أن مجموع آرائهم دوِّن، ولم يكن ذلك لأحد من السلف الصالح.

٢ـ أنه قام لهم تلاميذ قاموا بنشر أقوالهم، والدفاع عنها، والانتصار لها.

٣ـ ميل الجمهور لأن يكون على علم بما ينتحله القاضي من المذهب حتى لا تكون حريته في الرأي مظنة لاتباع الهوى في القضاء، ولا يكون ذلك إلاّ إذا كان له مذهب مدوَّن، ومن هؤلاء الفقهاء الذين دونت مذاهبهم، وكان لهم أتباع بالأمصار المختلفة الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

---

(١) «تاريخ التشريع الإسلامي»، لمحمد الخضري بك، (ص٢٢٩).

* الإمام أحمد بن حنبل[1]:

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي، صاحب المذهب، وأحد الأئمة الأربعة، إمام المحدثين، وناصر السنة، ولد ببغداد سنة (١٦٤هـ)، ونشأ بها، رحل في طلب العلم، وصحب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وكان الإمام الشافعي يجله ويثني عليه.

وله صفات ومناقب كثيرة نص عليها العلماء، منها: ما قاله حرملة بن يحيى[2]: «سمعت الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول: خرجت من بغداد، وما خلَّفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل»[3].

وقال الربيع بن سليمان[4]: «قال لنا الشافعي: أحمد إمام في ثمان

---

(١) للتوسع في ترجمة الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٤)، «تاريخ بغداد» (٤١٢)، «الشذرات» (٢/ ٩٦)، «تذكرة الحفّاظ» (٢/ ٤٣١)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٧)... وغيرها.

(٢) هو حرملة بن يحيى بن عمران، أبو حفص التجيبي، صاحب الشافعي، صدوق، من الحادية عشرة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٤٣هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٨٩)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٦٠)، و«التقريب» (ص١٥٦).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨)، «مناقب الإمام أحمد» (ص١٠٧)، «النعت الأكمل» (ص٣٢)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٢)، «وفيات الأعيان» (١/ ٦٤)، «التاج المكلل» (ص٢٤).

(٤) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي، أبو محمد المصري المؤذن، صاحب الشافعي، ثقة من الحادية عشرة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٧٠هـ).
«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٦٥)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٤٦، =

خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة»[1].

وقال الربيع أيضاً: «قال الشافعي: من أبغض أحمد بن حنبل، فهو كافر، فقلت: تطلق عليه اسم الكفر؟! فقال: نعم، من أبغض أحمد بن حنبل، عاند السنة، ومن عاند السنة، قصد الصحابة، ومن قصد الصحابة، أبغض النبي ﷺ، ومن أبغض النبي ﷺ، كفر بالله العظيم»[2].

ودخل الشافعي يوماً على أحمد بن حنبل، فقال: «يا أبا عبد الله! كنت اليوم مع أهل العراق في مسألة كذا، فلو كان معي حديث عن رسول الله ﷺ؟ فدفع إليه أحمد ثلاثة أحاديث، فقال له: جزاك الله خيراً»[3].

وقال الشافعي لأحمد يوماً: «أنتم أعلم بالحديث والرجال، فإذا كان الحديث الصحيح، فأعلموني، إن شاء يكون كوفياً، أو شاء شامياً، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً»[4].

قال في «طبقات الحنابلة»: «وهذا من دين الشافعي حيث سلم العلم لأهله»[5].

وقال المزني[6]: «أبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم

= «البداية والنهاية» (١١/ ٥٢).

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٥)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨).

(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٣).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق (١/ ٦).

(٥) المرجع السابق (١/ ٦)، «ابن حنبل» لأبي زهرة (ص٨٠).

(٦) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني، أبو إبراهيم، صاحب الشافعي، كان=

الدار، وعلي يوم صفين، وأحمد بن حنبل يوم المحنة»[1].

وقال أبو زرعة الرازي[2]: «حزرنا حفظ أحمد بن حنبل بالمذاكرة على سبع مئة ألف حديث»، وفي لفظ آخر قال أبو زرعة: «كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكَرْتُهُ، فأخذت عليه الأبواب»[3].

وعن أبي زرعة أيضاً: «حزرت كتب أحمد يوماً، فبلغت اثني عشر حمْلاً وعدْلاً، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان، ولا في بطنه حدثنا فلان، وكل ذلك كان يُحْفَظُ من ظهر قلبه»[4].

ولما عكف العلماء على المنطق والفلسفة يطبقونها على الفقه والحديث، وقام السلطان من ورائهم يريدهم على اتباع المقاييس الجديدة في النظر والبحث، أنف[5] ابن حنبل أن يسير في الركب، أو يطيع

= زاهداً عابداً، وله العديد من التصانيف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٦٤هـ).
«طبقات الشافعية» للسبكي (١/ ٢٣٨)، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٢)، «الشذرات» (٢/ ١٤٨).

(١) «النعت الأكمل» (ص٣٢)، «مناقب الإمام أحمد» (ص١٢٣)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٢).

(٢) هو عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ، أبو زرعة الرازي، إمام حافظ ثقة مشهور، من الحادية عشرة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٦٤هـ).
«طبقات الحنابلة» (١/ ٩٩)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٢٦)، «التقريب» (ص٣٧٣).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ٦)، «النعت الأكمل» (ص٣٢)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٩)، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٥٧)، «التاج المكلل» (ص٢٤).

(٤) «النعت الأكمل» (ص٣٢)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٠).

(٥) استنكف واستكبر.

السلطان، فرأى في خلق القرآن خروجاً على السنة؛ لأن الرسول ﷺ لم يحدث فيه، والصحابة لم تتطرق إليه، ولا سبيل عنده إلى قول لم يقله الرسول ﷺ، ولم تَرْوِهِ الصحابة.

ووقف الرجل عند عقيدته مجاهداً، لم يَنِ ولم يفتُرْ، فلقي العذاب والسجن والاضطهاد، ولبث مع ذلك حيث هو، لم تتأثر نفسه بما أصاب جسده[(١)].

وأما زهده ـ رحمه الله ـ وورعُه، وتقلله من الدنيا، فقد سارت بأخباره الركبان، أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها، وعرضت عليه الأموال، وفرضت عليه الأحوال، وهو يردُّ ذلك بتعفف وتعلُّل وتقلُّل، ويقول: «أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء»، ويقول: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وأيام قلائل»[(٢)].

وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٤١هـ)، وكان عدد المصلين عليه ما يقارب (١,٣٠٠,٠٠٠) سوى من كان في السفن والماء[(٣)].

ولنقتصر هنا على هذه النبذة من مناقبه ـ رحمه الله ـ فإن ترجمته أفردها الأئمة الحفَّاظ بالتأليف، وسلكوا بها صنوفاً من التصنيف، رحمه الله تعالى، ونفعنا والمسلمين ببركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة، وحشرنا في زمرته تحت لواء سيد المرسلين إلى الجنان العلية. آمين.

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» ـ المقدمة ـ (ص١٠).

(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٠)، «النعت الأكمل» (ص٣٧)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٥٥) وما بعدها، «ابن حنبل» لأبي زهرة (ص٨٢) وما بعدها، «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٢٤٤).

(٣) «النعت الأكمل» (ص٣٧ـ٣٨)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٧)، «وفيات الأعيان» (١/ ٦٥)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٢) وما بعدها، «التاج المكلل» (ص٢٥).

* **الحنابلة:**

وقف الناس على سيرة الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ، وعرفوا محنته، فأكبروا فيه الورع والزهد، واجتمعت القلوب على محبته، فقسوا على أنفسهم وعلى الناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، يستوي عندهم في ذلك الصغير والكبير، والسلطان والعامة، فأراقوا الخمور، وهاجموا الدور المشبوهة، وضربوا المغنيات، وحطموا آلات اللَّهو والطرب، فوصفهم الناس بالشدة، حتى وصفوا كل من يتشدد في معاملته بأنه «حنبلي»، وإلى هذا أشار ابن الأثير في حوادث سنة (٣٢٣هـ):

«وفيها عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم، وصاروا يكبسون دور القواد والعامة، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها، وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، ومشى الرجال مع النساء والصبيان، فإذا رأوا ذلك، سألوه عن الذي معه: من هو؟ فأخبرهم، وإلاّ ضربوه، وحملوه إلى صاحب الشرطة، وشهدوا عليه بالفاحشة، فأرهجوا بغداد»[١].

وفي سنة (٤٦٤هـ) قال في «الطبقات»: «اجتمع الشريف أبو جعفر[٢]، ومعه الحنابلة في جامع القصر، وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي[٣]

---

(١) «الكامل في التاريخ» (٨/ ٣٠٧).

(٢) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن موسى، وينتهي نسبه إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم، إمام الحنابلة في عصره، وكان عالماً زاهداً، وله العديد من المصنفات. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٤٧٠هـ).
انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٣٧)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ١٠٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٧) وما بعدها.

(٣) هو إبراهيم بن علي الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق صاحب «المهذب»، =

وأصحابه، وطلبوا من الدولة قلع المواخير، وتتبع المفسدين والمفسدات، وكُبست الدور، وأريقت الأنبذة، ووُعدوا بقلع المواخير، ومُكاتبة عضد الدولة برفعها، والتقدم بضرب الدراهم التي يُتعامل بها، فلم يقنع الشريف ولا أبو اسحق بهذا الوعد، وبقي الشريف مدة طويلة متعتباً مهاجراً لهم»[١].

وقد حدَّثنا المؤرخون؛ كابن الأثير، وابن الجوزي، وابن كثير، وغيرهم عّما كان من همة ونشاط الحنابلة، وجدالهم في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدخلوا على الخلفاء والسلاطين والوزراء ينبهون ويعتبون ويحتجون على إثم ظهر، أو فاحشة أُقترفت، فكأنهم نصبوا أنفسهم لحماية الدين، ورعاية الأخلاق وتقويم السلطان[٢].

ويصفهم شيخ الإسلام ابن عقيل[٣] بقوله: «هم قوم خشن، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجدّ، وقلّ عندهم الهزل، وغربت نفوسهم عن المراءاة، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات، وتمسكوا بالظاهر؛ تحرجاً عن التأويل، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة، فلم يدققوا في العلوم الغامضة، بل دققوا في الورع،

= الفقيه الشافعي الأصولي العالم العامل العابد، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٤٧٦هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٥٢)، «طبقات الشافعية» (٤/ ٢١٥)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٢٤).

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ١٨).

(٢) المرجع السابق (ص١٠ـ١١).

(٣) هو علي بن عقيل بن أحمد البغدادي، المقرىء، الفقيه، المحدِّث، حافظ وقته، الأصولي، الواعظ المتكلم، أبو الوفاء، أحد الأئمة الأعلام وشيخ الإسلام، وله العديد من التصانيف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٥٣١هـ).
انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٥٩)، «الكامل في التاريخ» (١٠/ ٥٦١)، «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٣).

وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها، من خشية باريها، ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً[1]، إنما غلبت عليهم الشناعة؛ لإيمانهم بظواهر الرأي والأخبار، من غير تأويل ولا إنكار، والله يعلم أنني لا أعتقد في الإسلام طائفة محقة، خالية من البدع، سوى من سلك هذا الطريق»[2].

وكان يقول: «هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه؛ لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم، تولّى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم، فأما أصحاب أحمد، فإنه قلّ فيهم من تعلق بطرف من العلم إلاّ ويخرجه ذلك إلى التعبد والزهد؛ لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم»[3].

ولعل ما ذكرناه بعض الذي أثار خصومهم في الغضب منهم، والتحامل عليهم؛ إرضاء للسلطان طوراً، وطمعاً في المال طوراً آخر، أو حرباً للمذهب أحياناً، فدبروا لإخفاء شهرتهم، ومقاومة حِدَّتهم، فأغفلوا ذكرهم في الكتب، وتناسَوا كتبهم في المصادر، وحاربوهم حرباً لا هوادة فيها.

لهذا جهل المعاصرون مالا يصح أن يغفل من سيرتهم؛ لأن فيها ما يكمل صورة الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية والاقتصادية، فقد شغلوا حقبة طويلة من العصور الإسلامية، وملؤوا العراق والشام جدالاً وهمّة ونشاطاً وعلماً، وقد وصل إلينا من ذلك كله جوامع أقاموها، ومدارس شيدوها، وكتب ألّفوها[4].

---

(١) ولا تعطيلاً.

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ١٥٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٥٧).

(٤) المرجع السابق ـ المقدمة ـ (ص١١).

أما أصول مذهب أحمد، فهي قريبة من مبدأ الشافعي، فيعتمد على الاجتهاد والاستنباط عن القرآن والسنة، والإجماع، وفتوى الصحابي، والقياس، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، ولم يؤلف الإمام أحمد كتباً في الفقه، وإنما أخذ أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته «مسائل الإمام أحمد»، لكنه صنف في الحديث كتابه الكبير «المسند»[(١)].

*** الحنابلة في بلاد الشام ومصر:**

لقد تأخر ظهور المذهب الحنبلي في بلاد الشام حتى منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً، فقد قدم إلى القدس شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي المقدسي الحنبلي[(٢)]، ونشر مذهب الإمام أحمد في القدس وما حولها من المدن والقرى، ثم أقام بدمشق، ونشر المذهب فيها، وممن التقى بأبي الفرج وأخذ عنه المذهب قُدامةُ بن مقدام بن نصر المقدسي، وهو الجد الأعلى لبني قدامة الذي حملت الأسرة اسمه.

قال شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة[(٣)]: «لما قدم الشيخ أبو الفرج

---

(١) «مرجع العلوم الإسلامية» للدكتور محمد الزحيلي (ص٣٧٠).

(٢) هو عبد الواحد بن محمد الشيرازي، أبو الفرج، المعروف بالمقدسي، الفقيه الزاهد الواعظ، صاحب التصانيف، وإليه يعود الفضل في نشر المذهب الحنبلي في بلاد الشام، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٤٨٦هـ).
انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤٨)، «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (١/ ٢٩٧)، «العبر» (٢/ ٣٥٢).

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر، الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي العمري العدوي القرشي، شيخ الإسلام أبو محمد، صاحب «المغني» وغيره، وهو غني عن التعريف. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٢٠هـ).

إلى بيت المقدس، تسامع الناس به، فزاروه من أقطار تلك البلاد، قال: فقال جدي قدامة لأخيه: تعال نمشي إلى زيارة هذا الشيخ لعله يدعو لنا، قال: فزاروه، فتقدم إليه قدامة، فقال له: يا سيدي! ادع لي أن يرزقني الله حفظ القرآن، قال: فدعا له بذلك، وأخوه لم يسأله شيئاً، فبقي على حاله، وحفظ قدامة القرآن»[1]، وقال الموفق: «كلُّنا في بركات الشيخ أبي الفرج»[2]، وقال ابن رجب[3]: «وانتشر الخير منهم ببركات دعوة الشيخ أبي الفرج[4]».

ولم يشتهر المذهب الحنبلي في بلاد الشام إلاّ في منتصف القرن السادس الهجري، وذلك بعد هجرة بني قُدامة إلى دمشق.

وأما في مصر، فقد تأخر ظهور المذهب الحنبلي فيها إلى أواخر القرن السادس الهجري، شأنه شأن المذاهب الثلاثة الأخرى، وعن سبب ذلك التأخر يقول الإمام السيوطي[5]: «هم بالديار المصرية قليل جداً، ولم

= انظر: «الذيل على الروضتين» (ص١٣٩)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٦٥)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١١٧)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٣).

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٧١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٧١).

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين وجمال الدين، أبو الفرج البغدادي ثم الدمشقي، الشهير بابن رجب الحنبلي، شيخ الإسلام، وأحد الأعلام، صاحب التصانيف، وهو غني عن التعريف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٧٩٥هـ).
انظر: «إنباء الغمر» (٣/ ١٧٥)، «الدرر» (٤/ ١٣٨)، «الدارس» (٢/ ٦٠)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٧١).

(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٧١).

(٥) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن همام الدين، المصري، الشافعي، جلال الدين، أبو الفضل السيوطي صاحب التصانيف، وهو غني عن التعريف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩١١هـ). =

أسمع بخبرهم فيها إلاّ في القرن السابع وما بعده، وذلك أن الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ كان في القرن الثالث، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلاّ في القرن الرابع، وفي هذا القرن ملكت العبيديون مصر، وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلاً ونفياً وتشريداً، وأقاموا مذهب الرفض والتشيع، ولم يزالوا فيها إلى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب، وأول إمام من الحنابلة قَدِمَ مصر الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجمّاعيلي المقدسي[1] صاحب «العمدة»، وقد مرت ترجمته في الحفّاظ»[2].

وعليه، فقد انتقل المذهب الحنبلي إلى دمشق ومصر من الأرض المقدسة فلسطين، وقد كان لبني قُدامة أثر كبير في نقل المذهب إلى دمشق عندما هاجروا إليها أواسط القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) فارّين بدينهم من الفرنجة، ملبين «دعوة الجهاد» التي أطلقها عماد الدين زنكي ومن بعدِه ابنُه نور الدين محمود.

= انظر: «الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٦)، «الضوء اللامع» (٤/ ٦٥)، «شذرات الذهب» (٨/ ٥١).

(١) هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن جعفر، تقي الدين، أمير المؤمنين في الحديث، وحافظ وقته ومحدِّثه، أبو محمد المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب التصانيف، منها: «الكمال في الرجال» وغيره، كان كثير العبادة، ورعاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ثقة، ثبتاً، حسن التصنيف، وقد جمع فضائله عدد من الأئمة الكبار، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٠٠هـ)، ودفن بالقرافة بمصر.
انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٣٨)، «تذكرة الحفّاظ» (٤/ ١٣٧٢)، «الذيل على الروضتين» (ص٤٦)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٤٣)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥ـ٣٤)، وغيرهم.

(٢) «حسن المحاضرة» (١/ ٤٨٠).

* **تحرير دمشق:**

شهدت منطقة الشرق العربي أواخر العصر الفاطمي تحولاً خطيراً نتيجة لنجاح الصليبيين في الاستقرار في قلب تلك المنطقة، وعجز الفاطميين عن فهم طبيعة ذلك الخطر في الوقت المناسب؛ فقد فشلت الدولة الفاطمية في صدِّ هذا الخطر، وفي حماية البلاد الواقعة تحت سيطرتها، لا، بل فشلت في حماية نفسها[1].

وزاد الموقف سوءاً ـ خاصة في بلاد الشام والعراق ـ تفكك دولة السلاجقة إلى وحدات سياسية صغيرة أطلق عليها اسم أتابكيات، ومن أبرز تلك الأتابكيات أتابكيةُ دمشق، ومؤسسُها ظهر الدين طغتكين (٥٢٢هـ)، وانتهت على يد آل زنكي سنة (٥٤٩هـ)[2]، وأتابكية الموصل، ومؤسسها عماد الدين زنكي (٥٤١هـ)، وانتهت هذه الدولة على يد المغول[3].

على أن نجاح الصليبيين في تأسيس إمارات لهم في الرّها وإنطاكية وطرابلس، فضلاً عن مملكة بيت المقدس، أدّى إلى رد فعل عنيف في العالم الإسلامي، مما دفع عماد الدين زنكي إلى القيام «بحركة جهاد» واسعة ضد الصليبيين، وسرعان ما اتضح أن نجاح حركة الجهاد الإسلامية لا يتحقق إلاّ في ظل جبهة إسلامية متحدة، توحد بين القوى الإسلامية المبعثرة بين الفرات والنيل، يكون باستطاعتها الصمود في وجه الخطر الصليبي، وكانت هذه الفكرة ـ فكرة الجبهة الإسلامية المتحدة ـ هي المحرك الأول الذي جعل نور الدين زنكي يتجه ببصره إلى دمشق ثم مصر[4].

---

(١) «مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك» (ص٩).

(٢) «الدولة العباسية» للخضري بك (ص٥١٣).

(٣) المرجع السابق (ص٥١٤ـ٥١٥).

(٤) «مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك» (ص١١) وما بعدها.

وفي صَفَر سنة (٥٤٩هـ) أخذ نور الدين دمشق من مجير الدين أبق بن محمد بن طغتكين[١]، ولم ينفع الأخير استنجاده بالصليبيين.

وبهذا وضع نور الدين حداً لأطماع الصليبيين في دمشق، بعد أن كان لهم على أهلها قطيعة من المال كل سنة، حتى إنَّ نوابهم كانوا يستعرضون من بدمشق من الرقيق، فمن أحب المقام تركوه، ومن أراد العودة إلى وطنه أخذوه قهراً[٢]، وكل ذلك كان ثمناً لحفاظ ابن طغتكين على عرشه.

كان استيلاء نور الدين الشهيد على دمشق نقطة تحول في التاريخ الإسلامي؛ فقد تم له إنجاز المرحلة الأولى من فكرة الجبهة الإسلامية المتحدة، وأصبحت دمشق نواة لدولة إسلامية فتية قوية، كان لها الفضل في القضاء على الدولة الفاطمية التي كانت مصدراً من مصادر الفرقة في العالم الإسلامي، ومن ثم إيقاف الخطر الصليبي وإضعافه ثم تحجيمه، تمهيداً للقضاء عليه من قِبَل مماليك هذه الدولة في تلك الحقبة من الزمن، كذلك أضحت دمشق وحدها ملاذاً لمن أراد الفرار بدينه والهجرة إلى الله، ومركز استقطاب لكثير من علماء المسلمين، وبالجملة فقد صارت دمشق أرضاً واسعة للهجرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]. وقال ـ عز وجل ـ: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

ومن بين الذين قصدوا دمشق فارين بدينهم من الصليبيين، مهاجرين

---

(١) انظر: «العبر» (٤/ ٥٣١)، «الروضتين» (١/ ٩٤)، «الكامل في التاريخ» (١١/ ١٩٧)، «عيون الروضتين» لأبي شامة (١/ ٢٣٦)، «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» (١/ ١٢٦)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «العبر» (٤/ ١٣٥)، «الروضتين (١/ ٩٤ـ٩٦)، «عيون الروضتين» لأبي شامة (١/ ٢٣٦)، «مفرج الكروب» (١/ ١٢٦).

إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، مجموعةٌ من الأسر الفلسطينية الحنبلية يرأسها كبير قرية جَمّاعيل[١] وفقيهُها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة ـ رحمه الله تعالى[٢] ـ.

*** الهجرة المباركة:**

بنو قدامة أسرة عربية قرشية عمرية عدوية، كان لها أثرها الواضح في تاريخ الفكر الإسلامي على مر العصور، سواء بكثرة من ظهر فيها من

---

(١) جَمّاعيل أو جَمّاعين: بالفتح، وتشديد الميم وألف، وعين مهملة مكسورة، وياء ساكنة، ولام، والأصح بالنون: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين، منها كان الحافظ عبد الغني المقدسي، والإمام موفق الدين بن قدامة وأهلهم، وهي وقف عليهم، لوقفها عليهم قصة، انتسبوا جميعاً إلى بيت المقدس لقرب جماعيل منها، ولأن نابلس وأعمالها جميعاً من مضافات بيت المقدس، وبينهما مسيرة يوم واحد، وسميت «جماعيل» لكثرة من ظهر فيها من علماء، ولشهرتها نسبت إليها مجموعة القرى المجاورة باسم «الجماعينات» في قضاء نابلس.
انظر: «معجم البلدان» (٣/ ١٥٩ـ١٦٠)، «مراصد الاطلاع» (١/ ٣٤٥)، «لب الألباب» (١/ ٢١١)، «معجم بلدان فلسطين» (ص٢٦٨ـ٢٦٩).

(٢) هو أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي أبو العباس، الشيخ الإمام، المعتقد المحدِّث القدوة باني الصالحية، ولد بجماعيل سنة (٤٩١هـ)، رحل واشتغل بالعلم، وانتفع الناس به، وكان زاهداً صالحاً عابداً قانتاً لله، صاحب جد وصدق وحرص على الخير، له أحوال وعبادات ومجاهدات وصاحب كرامات، قرأ في رمضان (٥٦٠هـ) ختمة، وكان عليه مهابة عظيمة، لا يراه أحد إلا قبل يده، وقد حدث وروى، روى عنه ولداه أبو عمر والموفق، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٥٥٨هـ)، ودفن بالسفح.
ونظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٢ـ٦١)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٣٦٤، ٦/ ٢٠١)، «الشذرات» (٤/ ١٨٢)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٧٣)، «الوافي بالوفيات» (٨/ ٨٣)، «الدارس» (٢/ ٧٨).

العلماء، أو باستمرار نشاطها العلمي عدة قرون[1].

انتقلت هذه الأسرة من المدينة المنورة مع البطون العربية التي نزلت الأرض المقدسة فلسطين أيام الفتح الإسلامي، واتخذت فلسطين مقراً لها[2].

الجد الأعلى الذي حملت الأسرة اسمه هو: قدامة بن مقدام بن نصر بن فتح الذي ينتهي نسبة إلى سالم بن عبد الله بن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -، وسيأتي تفصيل انتسابهم إلى حضرة الفاروق عند ترجمة الإمام يوسف بن عبد الهادي - إن شاء الله تعالى -.

وفي سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) هاجر الشيخ أحمد بن قدامة إلى دمشق؛ لاستيلاء الصليبيين على الأرض المقدسة[3]، وكانت دمشق قد صارت منذ سنتين فقط لنور الدين محمود بن زنكي، وقد رافق الشيخ في الهجرة بعضُ أقربائه، ونزلوا بمسجد أبي صالح الذي بظاهر باب شرقي[4]، وفور وصوله

---

(١) «الموسوعة الفلسطينية» (٣/ ٤٠٥).

(٢) «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» - المقدمة - (ص١٠).

(٣) انظر تفاصيل هجرتهم في: «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٤-٨٣)، «والمروج السندسية تلخيص الصالحية» (ص٢-١١)، وجميع مصادر ترجمة الشيخ أحمد بن قدامة وولديه أبي عمر والموفق، كذلك ترجمة الشيخ عبد الغني المقدسي، وغيرهم.

(٤) أبو صالح: هو مفلح بن عبد الله المقدسي صاحب هذا المسجد، كان من الصوفية المعروفين، زاهداً عابداً، له كرامات وأحوال، توفي - رحمه الله - سنة (٥٣٠هـ)، وهذا المسجد الذي نزله الصالحون المقادسة عند هجرتهم إلى دمشق، فاستوخم عليهم، ومات منهم كثير، وداخله قبر يعرف بالشيخ صالح ينذر له أهل البساتين والقرى التي حوله، وعلى مقربة منه في بستان الجذماء حجرة ينزل إليها بدرج فيها قبور، يقول العوام عنها: إنها قبور بنات نور الدين محمود بن زنكي، قال الأستاذ محمد دهمان: «والراجح أنها قبور الذين توفوا من بني قدامة». =

كتب الشيخ إلى ولده أبي عمر محمد[1] يأمرهم والبقية بالهجرة، وأنه ما بقي يرجع إلى تحت أيدي الكفار أبداً، ويقول فيه[2]: «ما أقول إلاّ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فلحقت به أسرته وسائر الأقرباء، وقد لحق بهم فيما بعد كثيرون من جمّاعين والقرى المحيطة بها «الجمّاعينات»، وانتسبوا جميعاً إلى القدس؛ لأنها الأشهَر[3].

= انظر: «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٥_٢٥٠_٢٥١)، «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي (ص١٠٨)، «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ٧٩، ٢٦٣)، «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» (ص٤)، «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» لابن شداد (ص١٣٦_١٣٧)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢١٦_٢١٧).

(١) هو الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، أبو عمر الكبير، والد قاضي القضاة شمس الدين، وأخو موفق الدين، ولد بجماعيل سنة (٥٢٨هـ)، من الأولياء المشهورين، قانتاً لله، فاضلاً، عالماً، زاهداً، أجمعوا على جلالته ودينه وتقواه ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ، وله كرامات ومكاشفات ومناقب، لعله لا يوجد في تراجم الأولياء مثلها، وذكر جماعة أن الشيخ أبا عمر قطب، وهو إمام الوقت، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٠٧هـ) عن ثمانين سنة، وكان آخر كلامه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ودفن بتربته بالسفح.
انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٧٠)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٥)، «العبر» (٥/ ٢٥)، «الذيل على الروضتين» (ص٧١)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٠١)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٢_٦١)، «غربال الزمان» (ص٤٩١)، وغيرها، وقد أسهبنا قليلاً في ترجمته؛ لصلته بالمدرسة العمرية، وأثره الخالد في نشر المذهب الحنبلي بدمشق.

(٢) «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٨_٦٩)، «المروج السندسية» (ص٣_٤).

(٣) «معجم البلدان» لياقوت الحموي [(٣/ ١٥٩_١٦٠)].

وضاق المسجد بالمهاجرين، وكثرت عليهم المصاعب والأمراض المميتة، فصعد الشيخ أحمد إلى جبل قاسيون، وبنى الدير المبارك «جامع الحنابلة»[1] ونزل هو وآله وأصهاره بسفح جبل قاسيون، وبهم سميت هذه البقعة بالصالحية؛ لصلاحهم[2].

توفي الشيخ أحمد بن قدامة بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ بعد أن تخلّى عن أمور الدنيا وهمومها[3]، فكان المرجع في مصالح المهاجرين المقادسة ابنه الشيخ أبو عمر الكبير محمد باني جامعة ذلك العصر «المدرسة الشيخية العمرية المباركة»[4]، وهو الذي بنى مجد الجماعة، ورسم لها خط الحياة العلمية التي ظلت عليه في القرون التالية.

---

(١) جامع الحنابلة المبارك: أول مباني الصالحية، شرع في بنائه الشيخ أحمد بن قدامة، وأتمه ولده أبو عمر بمساعدة أهل الخير من سلاطين وعامة، وله فضيلة، يقال: إنه الذي يقيم بعد خراب البيت، وله أربع نسب:
١ـ الجامع المظفري: نسبة للسلطان المظفر، فإنه الذي صرف على تكميل عمارته.
٢ـ جامع الجبل: لأنه في مصاعده.
٣ـ جامع الحنابلة: لأنه مختص بهم في الوقف.
٤ـ جامع الصالحين، كما كان يقال في الدير: دير الصالحين، ودير المقادسة، ودير الحنابلة، وهذا المسجد قائم إلى الآن.
«القلائد الجوهرية» (١/ ٨٠ـ٨٤، ٩٥، ٢٥٣) وغيرها، «المروج السندسية في تاريخ الصالحية» (ص٨١ـ٨٩)، «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي (١٤٩، ١٥٢ـ١٥٣، ١٦٠ـ١٦١، ٢٠٩)، «الدارس في تاريخ المدارس» ٢/ ٣٣٥ـ٣٣٧)، «الأعلاق الخطيرة» (ص٨٦)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٤٠، ١٥٨) «مختصر تنبيه الطالب» (ص٢٣٠ـ٢٣١).

(٢) سيأتي توثيق ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٣) «الذيل على الروضتين» (ص٧١)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٧).

(٤) سيأتي ذكر المدرسة العمرية ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقد ظلت هذه الهجرة قائمة على مر العصور، وهكذا انتقل بالتدريج مجتمع قروي كامل من تلك البقاع الفلسطينية إلى سفح جبل قاسيون بدمشق، وتحول من المجتمع الزراعي إلى النشاط العلمي.

من جهة أخرى اجتذب آل قدامة بحركتهم العلمية النشيطة وسمعتهم الدينية علماء الحنابلة من حرّان، وبغداد، ونابلس، وبعلبك وغيرها إلى دمشق، فهاجروا إليها، وشاركوا في نشاطات المركز الحنبلي الصالحي، وذيوع شهرة دمشق العلمية[١].

وبعد أن قدّمنا نبذة موجزة عن ابن حنبل والحنابلة، وانتقال المذهب الحنبلي إلى الأرض المقدسة، ثم تحرير دمشق من قبل نور الدين زنكي، فهجرة المقادسة الحنابلة إلى دمشق، نشرع في مقصودنا، وهو ذكر بعض آثار المقادسة الحنابلة في دمشق.

* * *

نشاط المقادسة الحنابلة الحضاري والعلمي

مما لا شك فيه أن هجرة بني قدامة ومن ارتبط بهم من الأسر العلمية وعلماء الحنابلة قد تركت في حياة دمشق العلمية والاجتماعية وفي تاريخ القرون التي عاشوها آثارها الواضحة[٢]، نذكر منها:

الأثر الأول: تأسيسهم مدينة «الصالحية»:

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: «أما بنو قدامة، فقد كان

---

(١) «الموسوعة الفلسطينية» (٣/ ٥٠٣).

(٢) إن أول من أشار إلى آثار بني قدامة الحضارية والعلمية في دمشق هو الأستاذ المغفور له المرحوم محمد أحمد دهمان في مقدمة «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» لابن طولون الصالحي، وعليه اقتضى التنويه.

لهجرتهم إلى دمشق أثر مدني عظيم، أسسوا مدينة كبيرة إلى جانب مدينة دمشق ما تزال تحتفظ باسم مؤسسيها الصالحين «الصالحية»[١].

وقال الدكتور صلاح محمد الخيمي: «الصالحية: أحد أحياء دمشق، ويوجد على سفح جبل قاسيون، وقد بناها المقادسة في القرن السادس الهجري، فيها مدارس ومساجد كثيرة، كالمدرسة العمرية، والجامع المظفري»[٢].

وقال أبو شامة والذهبي: «بهم سميت الصالحية؛ لصلاحهم، وكان الشيخ أبو عمر يورّي ذلك عنهم ويقول: إنما هي نسبة إلى مسجد أبي صالح؛ لأننا نزلنا فيه أولاً، لا أننا من الصالحين»[٣].

قال ابن كثير، وتبعه النعيمي، وابن رجب، وابن عبد الهادي، وابن طولون، كلّ بسنده ومن طرق مختلفة إلى الشيخ أبي عمر، قال:

«هاجرنا من بلادنا، فنزلنا بمسجد أبي صالح بباب شرقي، فأقمنا به مدة، ثم انتقلنا إلى الجبل، فقال الناس: الصالحية الصالحية، نسبونا إلى مسجد أبي صالح، لا أننا صالحون، وهذا من باب التواضع من الشيخ - رحمه الله تعالى -»[٤].

---

(١) «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» - المقدمة - (١/ ٩).

(٢) «رسائل دمشقية» للإمام يوسف بن عبد الهادي (ص٦٢) في الحاشية.

(٣) انظر: «الذيل على الروضتين» (ص٧١)، «تاريخ الإسلام» الذهبي، الطبقة (٦١/ ٢٥٧)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٧، ٧١) «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٦)، «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» (ص١٧).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٧، ٧١)، «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ٧٩)، «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٥٢)، «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» (ص١٥-١٦)، «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٧)، «الذيل على الروضتين» (ص٧١)، «تاريخ الإسلام الطبقة» (٦١/ ٢٥٧).

وقال أبو الفرج بن الحنبلي[1]: «أنزلهم والدي في مسجد أبي صالح، فاستوخم المسجد عليهم، فمات منهم في شهر واحد قريب من أربعين نفساً، فأشار عليهم والدي بالانتقال إلى الجبل حيث هم الآن، فانتقلوا إليه، وكان رأياً مباركاً، وبنوا فيه المنازل، وقيل لها: الصالحية بهم؛ لصلاحهم»[2].

في أصل وضع الصالحية:

أجمع المؤرِّخون وبلا خلاف أن الصالحية إسلامية محدثة، وسبب وضعها هجرة بني قدامة من جماعيل في فلسطين إلى دمشق[3].

قال ابن طولون: «اعلم أن الصالحية إسلامية محدثة في آخر قرن الخمس مئة، وكان سبب وضعها مهاجرة أولاد قدامة المقادسة ـ رحمهم الله ـ من تلك البلاد إلى دمشق من جور الفرنج»[4].

وقال ابن كنان: «اعلم أن الصالحية إسلامية، كان وضعها في رأس

---

(١) هو الإمام عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب ناصح الدين بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي، وهم ينتسبون إلى سعد بن عبادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ، رحل واشتغل وحدَّث ووعظ ودرّس، وحضر فتح بيت المقدس، وله العديد من المصنفات، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٣٤هـ)، ودفن بالسفح.
انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٩٣)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٦٨)، «الذيل على الروضتين» (ص١٦٤)، «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٥٤، ٢٣/ ٦)، «الأعلاق الخطيرة» (ص٢٥٧)، وغيرها.

(٢) «القلائد الجوهرية» (١/ ٩٦)، «المروج السندسية تلخيص تاريخ الصالحية» (ص١٦ـ١٧)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٢).

(٣) انظر جميع مصادر ترجمة الشيخ أحمد بن قدامة وولديه أبي عمر والموفق، كذا ترجمة الشيخ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور، وغيرها.

(٤) «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» (١/ ٦٦).

الخمس مئة، وسببها مهاجرة المقادسة حين استيلاء الفرنج»[(١)].

وقال العلموي[(٢)] بعد أن ذكر هجرتهم وصعودهم إلى الجبل وبناءهم الصالحية: «قلت: انظر سبب التسمية بالصالحية، فعلى هذا هي إسلامية، لكن سراباتها ـ أي: آبارها ـ قد تكون قديمة للمدارات والبساتين والحواكير، والله أعلم بحقيقة ذلك»[(٣)].

قال الضياء[(٤)]: «سمعت خالي الإمام الزاهد أبا عمر بن أحمد بن قدامة ـ نوّر الله ضريحه ـ يقول: ما أذكر جدي عمري إلاّ وهو يذكر الهجرة، وما كان يجبره أن يهاجر»[(٥)].

وقال الضياء: «وسألت خالي الإمام الرباني أبا عمر عن هجرتهم إلى

---

(١) «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» (ص٢).

(٢) صاحب كتاب «تنبيه الطالب»، و«إرشاد الدارس»، عبد الباسط العلموي.

(٣) «مختصر تنبيه الطالب» (ص١٢٨).

(٤) هو ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي الحنبلي، الإمام العالم العامل، الحافظ الحجة، محدِّث الشام وشيخ السنة، وأحد الأعلام، رحل وصنف، وصحح وليّن وجرّح وعدّل، وكان المرجوع إليه في هذا الشأن، كان جبلاً، ثقةً، ديناً، زاهداً، ورعاً، وشهرته تغني عن الإطناب، من تصانيفه كتاب «الأحكام»، و«الأحاديث المختارة»، وقد فضلها الأئمة على «صحيح» الحاكم، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٤٣هـ)، ودفن بالسفح.
انظر: «تذكرة الحفّاظ» (٤/ ١٤٠٥)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٣٦)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٩٣)، «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ١٢٦)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٣٥٤)، «الوافي بالوفيات» (٤/ ٦٥)، «العبر» (٥/ ١٧٩)، «الشذرات» (٥/ ٢٢٤)، وغيرها.

(٥) «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٧)، «المروج السندسية» (ص٣).

دمشق في أي سنة كانت ؟ فقال: كانت في سنة إحدى وخمسين وخمس مئة»[١].

وفي تلك السنة هاجر الشيخ أحمد بن قدامة بأهله، ونزلوا بمسجد أبي صالح، وأخذ يؤم في الناس، ويقرأ السبع، وكان المتوكلَ على وقف المسجد بنو الحنبلي، فخاف بنو الحنبلي أن يأخذ المقادسة الوقف، وخاصموا الشيخ، وأسمعوه ما يكره، ثم مضوا يستعْدُون السلطان عليهم، ولكن السلطان نور الدين الشهيد ـ رحمه الله ـ سلَّم الوقف والمسجد للمهاجرين المقادسة؛ لعلمه بصلاحهم وتقواهم، ولما تسلموا الوقف، وصار بأيديهم، ضاق صدر الشيخ أحمد من ذلك، وأطلق كلمته المشهورة: «ما هاجرت حتى أنافس الناس على دنياهم»[٢]، وصعد الجبل، ثم نزل إلى النهر، فتوضأ وجعل حجراً موضع القبلة، وصلَّى فيه، وقال: «ما هذا إلاّ موضع مبارك»[٣]، ثم شرع في بناء الدير المبارك[٤].

قال الضياء: «قالت لي والدتي: انتقلنا إلى الجبل، وكان الناس لم يكونوا يعرفون والدي إلاّ بعد خروجه إلى الجبل، فكان الناس يأتونه ويزورونه ويهدون إليه، وكان السلطان نور الدين يأتي إلى زيارته، وكنا نحرس الدير من الحرامية»، قال الضياء: «وقد كنت أعرف خوف الناس في الجبل، وأكثر خوفهم كان من أهل وادي التيم، فإنهم كانوا يأخذون الناس ويبيعونهم في بلاد الفرنج، وكان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ أراد أن يكبسهم

---

(١) «القلائد الجوهرية» (١/ ٦٩ـ٧٠)، «المروج السندسية» (ص٤).
(٢) «القلائد الجوهرية» (١/ ٨٠)، «المروج السندسية» (ص٦).
(٣) «القلائد الجوهرية» (١/ ٨١)، «المروج السندسية» (ص٧).
(٤) انظر: المرجعين السابقين، وجميع مصادر ترجمة الشيخ أحمد بن قدامة وولديه، وغيرها.

ويؤدبهم، وكانوا في شوكة ومنعة»[1].

قال ابن طولون: «قال شيخنا الجمال بن المبرد: ثم بنى الشيخ أبو عمر المدرسة كما سنذكرها، ثم بنى الناس في الدير دوراً أُخر، وحفر الشيخ أحمد المصنع الذي يعرف اليوم ببئر الشيخ، ثم كثر البناء واتسع»[2].

وقال ابن كنان: «ثم بنى الشيخ أبو عمر المدرسة، وبنى والده الشيخ أحمد المصنع، ثم كثر البناء واتسع، يعني: بالصالحية، حول المدرسة، حتى بلغ من القبلة حد المدينة، ومن الشرق من جهة برزة إلى عند الميطور، ومن الغرب بقيت بنفسها، ومن الشمال الجبل، قال ابن عبد الهادي في «الأصل»: حتى صارت مدينة، وكل ذلك ببركتهم، وصار بها عدة جوامع، وأكثر من خمس مئة مسجد، ونحو مئة مدرسة، وأكثر من عشر مآذن، وأكثر من عشرة خانات، وأكثر من عشرين حماماً، وعدة أسواق... وغير ذلك مما يذكر في محاله»[3].

وقال الأستاذ عبد القادر الريحاوي: «وبدىء منذ منتصف القرن

---

(١) «القلائد الجوهرية» (١/ ٨٢ـ٨٣)، «المروج السندسية» (ص٨).

(٢) «القلائد الجوهرية» (١/ ٨٤).

(٣) «المروج السندسية» (ص١٠ـ١١)، وللتفصيل في أبنية الصالحية انظر: «القلائد الجوهرية»، «المروج السندسية»، «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي، «الأعلاق الخطيرة»، لابن شداد، «الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي، «مختصر تنبيه الطالب» للعلموي، «خطط الشام» لمحمد كرد علي، «كتاب الإعانات على معرفة الخانات» ليوسف بن عبد الهادي، «مجلة المشرق» لسنة (١٩٣٨م) مجلد (٣٦/ ٦٩ـ٧٠)، «كتاب نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق» ليوسف بن عبد الهادي، «مجلة المشرق» لسنة (١٩٣٩م)، مجلد (٣٧/ ١٨ـ٢٨)، «كتاب عدة العلمات في تعداد الحمامات» ليوسف بن عبد الهادي، «مجلة المشرق» لسنة (١٩٤٣)، مجلد (٤١/ ٤٠٩ـ٤١٨) وغيرها.

السادس بإعمار جبل قاسيون، وإقامة مدينة مستقلة عليه، دعيت «بالصالحية» وأول من سكن بها المهاجرون المقادسة الذين نزحوا إلى دمشق إثر كارثة فلسطين، وسقوط القدس بيد الصليبيين في عام (٤٩٢هـ/ ١٠٨٩م)، وبدؤوا أولاً بإشادة ما يشبه المعسكر، دعي جامع الحنابلة، وذلك أيام نور الدين زنكي، ثم شيدت المدرسة العمرية إلى جواره»[١].

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: «عضد هذه الحركة السلطان نور الدين، ثم الملوك الأيوبيون وخواتينهم، فبنوا عدة مدارس ومساجد جعلت تلك الأرض القاحلة مزدهرة بالعمران، ناضرة بالقصور والأشجار والأزهار، وبحق كان يصح أن تدعى «دمشق الجديدة»، ولكنها دعيت بالصالحية؛ نسبة لأولئك الفلسطينيين الذين عرفوا لعلمهم وتقواهم بالصالحين»[٢].

أما ياقوت، فقد ذكر الصالحية بقوله: «الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصالحين، ويسكنها أيضاً جماعة من الصالحين لا تكاد تخلو منهم، وأكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب الإمام أحمد بن حنبل»[٣].

وتبعه صفي الدين البغدادي حيث قال: «الصالحية: هي قرية كبيرة ذات أسواق، وجامع في سفح جبل قاسيون المشرف على دمشق، وأكثر أهلها ناقلة من نواحي بيت المقدس حنابلة»[٤].

---

(١) «مدينة دمشق، تراثها، ومعالمها التاريخية» (ص٦٦).

(٢) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة ـ (١/ ٨).

(٣) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٣٩٠).

(٤) «مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» (٢/ ٨٣٠).

ثم قال: «(قاسَيون) بالفتح، وسين مهملة، والياء تحتها نقطتان مضمومة، وآخره نون: الجبل المشرف على مدينة دمشق، فيه عدة مغائر[(١)] يُروى فيه أخبار الصالحين، قلت: وهو الآن محلّة كبيرة ممتدة بها تُرب وربط ومدارس، وجامعان يُصلَّى فيهما الجمعة، ومارستان وسوق كبير، أول من سكن به المقادسة الذين هاجروا من بلاد القدس، حين كان ملوكهم الفرنج قبل فتح صلاح الدين، فجاؤوا وسكنوا به، وسكن معهم بعد ذلك ناسٌ كثير تبركاً بهم»[(٢)].

واعتبرت الصالحية في العصر المملوكي مدينة مستقلة، فابن بطوطة الذي زارها سنة (٧٢٦هـ) قال عنها: «هي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه، وفيها مسجد جامع، ومارستان، وبها مدرسة تعرف بمدرسة أبي عمر، وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ»[(٣)].

ويصفها القلقشندي وصفاً رائعاً فيقول: «مدينة (الصالحية): وهي مدينة ممتدة في سفح الجبل بإزاء المدينة في طول مدًى، يشرف على دمشق وغوطتها، ذات بيوت[(٤)] ومدارس، وربط، وأسواق، وبيوت جليلة، وبأعاليها مع ذيل الجبل مقابر دمشق العامة، ولكل من دمشق والصالحية البساتين الأنيقة بتسلسل جداولها، وتَغَنِّي دوحاتها، وبتمايل أغصانها،

---

(١) جمع مغارة.

(٢) المرجع السابق (٣/ ١٠٥٧).

(٣) «رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» (١/ ١١٤ـ١١٥).

(٤) قال المحقق في الحاشية: «لعلها مساجد».
«صبح الأعشى» (٤/ ٩٨).

وتغرُّد أطيارها، وفي بساتين النزهة بها العمائر الضخمة، والجواسق[1] العليّة، والبرك العميقة، والبحيرات الممتدة، تتقابل بها الأواوين والمجالس، وتحفُّ بها الغراس والغصون المطرزة بالسرو الملتف، والحور الممشوق القد، والرياحين المتأرجة الطيب، والفواكه الجنيّة، والثمرات الشهية، والأشياء البديعة التي تغني شهرتها عن الوصف، ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب»[2].

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: «ومن الظاهر أن القلقشندي يساوي بينها وبين دمشق في الوصف وخطارة الشأن، وإن المرء ليعجب حين تغدو الصالحية مدينة عظيمة في نحو ثلث قرن، وهذا يرجع إلى أمرين:

أولاً: رقي الجماعة المهاجرة.

ثانياً: رقي الحكومة التي كانت في ذلك العصر.

فقد شاهدنا في عصرنا هذا عدة هجرات إلى دمشق لم تؤثر فيها أي أثر يستحق الذكر، فكانت هجرة الأكراد ثم الكريديين إلى الصالحية، والألبان والشركس والأرمن والحجازيين أهل المدينة إلى دمشق، وكل هؤلاء لم يؤثروا أي أثر في تاريخ دمشق أو عمرانها أو حياتها الاجتماعية، أما بنو قدامة، فقد كان لهجرتهم إلى دمشق أثر مدني عظيم؛ أسسوا مدينة كبيرة إلى جانب مدينة دمشق ما تزال تحتفظ باسم مؤسسيها الصالحين (الصالحية)»[3].

---

(١) جمع جوسق: وهو القصر الصغير، والقلعة أيضاً.
انظر: «لسان الميزان» (١/ ٣٥)، «مختار الصحاح» (ص١٠٦)، «تاج العروس» (٦/ ٣٠٦).

(٢) «صبح الأعشى» للقلقشندي (٤/ ٩٨).

(٣) «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» ـ المقدمة ـ (١/ ٩).

وفي ذلك يقول العلاّمة ابن قاضي الجبل، وهو بالقاهرة المحروسة ـ رحمه الله تعالى ـ[1]:

الصَّالِحِيَّةُ جَنَّةٌ والصَّالِحُونَ بِهَا أَقَامُوا
فَعَلى الدِّيَارِ وأَهْلِهَا مِنّي التَّحِيَّةُ والسَّلامُ

ولنختم بحثنا الموجز عن الصالحية بالحديث الأول من الأربعين حديثاً المسلسلة بالصوالحة لبيان سلسلة الرواة ومكان ابن عبد الهادي بينهم:

قال ابن طولون: «أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن عبد الهادي الصالحي، أخبرنا أبي: حسن بن عبد الهادي الصالحي، أخبرنا أبي: أحمد بن عبد الهادي الصالحي، أخبرنا أبي: حسن بن عبد الهادي الصالحي، أخبرنا أبي: أحمد بن عبد الهادي الصالحي، أخبرنا الفخر بن البخاري الصالحي، أخبرنا شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة الصالحي، أخبرنا والدي: أبو العباس أحمد بن قدامة الصالحي، وهو أول من عمر الصالحية، أخبرنا رزين بن معاوية بن عمار بمكة، أخبرنا أبو الحسين الفارسي، أخبرنا أبو أحمد الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن مسلم. حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا عاصم ـ وهو ابنُ محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ـ عن أبيه، قال: قال عبدُ الله:

---

(1) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، المقدسي، الشيخ الإمام، وأحد الأعلام، شيخ الحنابلة وقاضي القضاة، شرف الدين المقدسي، وله العديد من المصنفات منها: «الفائق» في الفقه، وغيره، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٧٧١هـ)، ودفن بمقبرة جده.
انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٥٣)، «وفيات السلامي» (٢/ ٣٥٤)، «بدائع الزهور» (١/ ٩٨)، «الذيل التام على دول الإسلام» (٢٤٣)، «الذيل على العبر» لابن العراقي (٢/ ٢٩٤)، «الدرر» (١/ ١٢٩)، «الشذرات» (٦/ ٢١٩).

قال رسولُ الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وإقامةِ الصَّلاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وحَجِّ البَيْتِ، وصَوْمِ رَمَضَانَ»[1].

قال شيخنا[2]: «حديث صحيح متفق عليه، وفيه عدة تسلسلات:

- بالصوالحة.
- وبالأبوة.
- وبالاسم: حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد.
- وبأن الجميع من بني عبد الهادي.
- وبالحنابلة.
- وبأن أصل الكل مقادسة»[3].

الأثر الثاني: ظهور الأسر العلمية:

أدت هجرتهم إلى ظهور الأسر العلمية، ورفد دمشق بعدد لا يحصى من العلماء المقادسة، امتد تأثيرهم في المدى الزماني عدة قرون، وفي المدى المكاني الصالحية ودمشق إلى جميع بلاد الشام والعراق ومصر.

وأبرز تلك الأسر بالإضافة إلى بني قدامة:

١ـ بنو سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الجمّاعيلي المقدسي.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٧)، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس»، ورواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢١)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٢) يعني: الإمام يوسف بن عبد الهادي.

(٣) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٦).

٢ـ بنو عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي.

٣ـ أسرة راجح بن بلال بن هلال المقدسي.

٤ـ أسرة مفلح بن محمد بن مفرج الراميني المقدسي.

٥ـ أسرة ابن مفلح المرداوي، وأُسرٌ أخرى ممن يحملون نسبة المرداوي.

٦ـ أسرة الحجاوي المقدسي.

٧ـ أسرة الشويكي النابلسي.

وأغلب تلك الأسر يرتبطون بآل قدامة بالروابط العائلية المتفاوتة، إضافة إلى أسر أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

ولقد حاولت جاهداً وعلى مدى شهور عديدة إحصاء عدد العلماء المقادسة، ولكنني لم أفلح في ذلك، وذلك للأسباب التالية:

١ـ لكثرتهم ـ رضوان الله عليهم ـ، واستمرار نشاطهم العلمي لعدة قرون من الزمن، فهم بيوت مشيخة ورواية، ما منهم إلاّ اشتغل وحصّل، وفرّع وأصّل، وحفظ وتلا، وترقى وعلا، هذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

٢ـ ضيق المقام.

٣ـ ضيق الوقت، فلقد صرفت أكثر من ثلاثة أشهر في تتبع تراجمهم، ولم أتوصل إلى نتيجة تذكر.

٤ـ السبب الرابع والأهم هو تفرعهم إلى أسر متعددة وتغير ألقابهم، إما لانتسابهم إلى الجد الأقرب؛ خلافاً لما هو مشهور، أو لحملهم لقباً معيناً اشتهروا به، وقد كان هذا شائعاً في تلك العصور.

وفي ذلك يقول ابن عبد الهادي في «تاريخ الصالحية»: «... ثم بعد ذلك عمرت الصالحية، وصار بها بيوت لها ذكرٌ، مثل بيت أولاد الحافظ، وأولاد العماد، وأولاد الشيخ أبي عمر، ثم تفرعوا، مثل: بيت عز الدين، وبيت ناصر الدين، وبيت ابن زريق، وبيت القاضي سليمان، وبيت ابن قاضي الجبل، وبيت شرف الدين، وبيت جمال الدين، وبيت ابن مفلح، وبيت بني عبد الهادي، ثم منهم بيت الكتبي[١]، وبيت المبرد[٢]، ثم بيت ابن المحب، وبيت ابن عبد الدائم الحافظ، وبيت الحافظ عبد الغني المقدسي، وبيت العز، وبيت القاضي حمزة...»[٣].

ويقول الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي في مقدمة «تفسير ابن كثير»: «وهذان النصان اللذان أوردهما الزركلي عن ابن كثير نفسه يصرح فيهما باسمه بأنه إسماعيل بن كثير؛ خلافاً لما هو مشهور (إسماعيل بن عمر بن كثير) هما من باب الانتساب للجد، وقد كان هذا شائعاً في عصره، وممن انتسب لجده أيضاً في ذلك العصر الإمام ابن عبد الهادي (٧٤٤هـ)[٤]، والملقب أيضاً بابن قدامة؛ نسبة لجده الأعلى، بينما اسمه على التحقيق كما أوردته المصادر: (محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة)[٥]».

---

(١) نسبة إلى محمد الكتبي، وهو: الإمام محمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة.
«القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٠).

(٢) بيت المبرد: وهو لقب شيخنا يوسف بن عبد الهادي وأبيه وجده، وسيأتي توثيق ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٣) «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» (ص٦١ـ٦٢).

(٤) ستأتي ترجمته ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير «تفسير ابن كثير» ـ المقدمة ـ (١/ ٥).

واستمر هذا التفرع والتغيير في الألقاب عبر القرون التالية، وعليه أُحيلُ هذه الدراسة إلى رسالة مستقلة، أو إلى أحد مراكز الدراسات الإسلامية.

الأثر الثالث: ذيوع شهرة دمشق العلمية:

أصبح المركز الذي أقامه المهاجرون المقادسة للعلوم الدينية في سفوح دمشق مركز إشعاع روحي واسع يجتذب الكثير من الأساتذة والطلاب على السواء.

فقد اجتذب هؤلاء المهاجرون بحركتهم العلمية النشيطة وسمعتهم الدينية علماء الحنابلة من حرّان وبغداد ونابلس وبعلبك، وغيرها إلى دمشق، فجاؤوها، وشاركوا في نشاطات المركز الحنبلي وذيوع شهرة دمشق العلمية، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من المسندين والحفّاظ والمحدِّثين والفقهاء والقضاة من أصحاب المذاهب الأخرى[(١)].

وفي ذلك يقول الدكتور صلاح الدين المنجد: «كانت الصالحية ـ القائمة على سفوح جبل قاسيون، المطلة على دمشق ـ مثابة علم مذ هاجر إليها المقادسة في القرن السادس الهجري، فراراً بدينهم من الصليبيين، فعجت بالعلماء والفقهاء والمحدِّثين والصالحين، وتناثرت في جنباتها دور الحديث، والمدارس والخوانق والرباطات والزوايا والمساجد والجوامع، وظلت مركزاً علمياً للحنابلة والمحدِّثين رغم ما أصابها، في فترات متباعدة، من مصائب التتار والمغول والمماليك المصريين»[(٢)].

الأثر الرابع:

إنشاؤهم أعظم مدارس ومكتبات ذلك العصر بالإضافة إلى الجوامع والمساجد والزوايا والربط والتكايا:

---

(١) «الموسوعة الفلسطينية» (٣/ ٥٠٥).

(٢) «الأئمة الاثنا عشر» لابن طولون ـ المقدمة ـ (ص١١).

إنه من الغرابة بمكان عدم ذكر مدارس دمشق ومكتباتها من قبل علماء بلاد الشام وأساتذة جامعاتها عند التأليف عن الحياة العلمية في مصر والشام على عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، إذ يكتفون بذكر مدارس مصر ومكتباتها، مع العلم أن أعظم مدارس ومكتبات ذلك العصر كانت في دمشق، حتى إن علماء مصر أنفسهم كانوا يشدون رحالهم إليها.

ولا أريد بحث أسباب تلك الظاهرة في هذا المقام، وأكتفي بقول شاعر الشام صاحب المعالي الأستاذ العلاّمة خليل بك مردم بك عند تقديمه لكتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي، يقول: «حبك للشيء بمقدار ما تعرفه عنه، وتعلمه من خصائصه ومحاسنه، وتطلع عليه من أحواله الماضية والحاضرة، سواء في ذلك الناس والبلدان.

ولعلنا ـ معاشر العرب ـ من أقل الناس معرفة ببلادنا وشؤونها وخططها ووجوه عمرانها، وبما بذل في سبيلها، وبما كانت عليه، وبما صارت إليه، وما عليها من آثار تشهد على ما بلغته من اتساع رقعة العمران، وما قام فيها من معالم الحضارة الفاضلة؛ كالجوامع والمساجد والمدارس والبيمارستانات والقلاع والحصون والقصور والملاجىء ودور الزَّمْنى والحمامات والخانات.

ودمشق ـ في ماضيها ـ مظهر من أجمل مظاهر الحضارة الإسلامية، بما فيها من تلك المعالم والمصانع، وقد تكون كتب السلف المؤلفة في خططها وعمرانها كثيرة، ولكن لم يطبع منها حتى الآن ما يشفي الغُلَّة»[1].

أما السلف الصالح، فقد أفردوا لمعاهد دمشق مؤلفات خاصة، وهي كثيرة جمعوها من كتب التراجم ومن مشاهداتهم، فضبطوا أماكنها خوفاً من

---

(١) «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»، تقديم الكتاب (ص٧).

اندثارها وطمس آثارها، وليبينوا للخلف عناية السلف.

يقول العلاّمة عبد الباسط العلموي (٩٨١هـ): «أما بعد: فلما رأيت غالب أماكن الخير الموقوفة بدمشق الشام اندثرت، وبعضها أخذت الأيام بهجتها، والبقاع انطمست، سنح لي أن أشرع في جمع تراجم تحيي لها ذكراً، وتذيع لطيّ عَرْفها بين الأنام نشراً»[١].

وأما الكتب المعاصرة فلا تكاد تُذكر.

● مدارس دمشق في عصر الأيوبيين والمماليك:

اشتهر سلاطين الأيوبيين بحبهم للعلم والعلماء، فكانوا يجمعون حولهم العلماء، ويشاركونهم أبحاثهم، بل ناظروهم، وسمعوا وحدَّثوا[٢]، وظهر منهم أعلام في مختلف ضروب المعرفة، منهم المؤرِّخ الشهير إسماعيل بن علي عماد الدين أبو الفداء صاحب حماة (٧٤٣هـ)، وهو صاحب كتاب «المختصر في أخبار البشر»، ومنهم الملك أسد الدين بن أيوب، روت عنه عائشة بنت عبد الهادي... وغيرها.

ونستطيع القول بأن أبرز سمات الحياة العلمية في عصر سلاطين الأيوبيين ـ ومن بعدهم سلاطين المماليك ـ هي ظاهرة انتشار المدارس، فقد بلغ عدد المدارس التي أُنشئت من قِبَلِهم، أو بتشجيعهم في دمشق وحدها حوالي (١٥٠) مدرسة، بالإضافة إلى التدريس في الجوامع والمساجد والخوانق والربط والزوايا والتكايا والبيوت.

ويعتبر كتاب «الدارس في تاريخ المدارس» للعلاّمة النعيمي سجلاً قيّماً

---

(١) «الدارس في تاريخ المدارس» (ص٣).

(٢) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ٣٢٩)، «وفيات الأعيان» (١/ ٣١٥)، «السلوك» للمقريزي (١/ ٢٥٨).

لمدارس دمشق في تلك الفترة، وقد عرضها كالآتي:

١ـ دور القرآن الكريم (١/ ٧ـ١٤)، وعددها (٧) مدارس.

٢ـ دور الحديث الشريف (١/ ١٥ـ٩٠)، وعددها (١٦) مدرسة.

٣ـ دور القرآن الكريم والحديث معاً (١/ ٩١ـ٩٥)، وهي (٣) مدارس.

٤ـ مدارس السادة الشافعية (١/ ٩٦ـ٣٦١)، وبلغت (٦٠) مدرسة.

٥ـ مدارس السادة الأحناف (١/ ٣٦٢ـ٥٠٠)، وعددها (٥٢) مدرسة.

٦ـ مدارس السادة المالكية (٢/ ٣ـ٢٢)، وعددها (٤) مدارس.

٧ـ مدارس السادة الحنابلة (٢/ ٢٣ـ٩٩)، وبلغ عددها (١١) مدرسة.

٨ـ مدارس الطب (١/ ١٠٠ ـ ١٠٨)، وعددها (٣) مدارس.

٩ـ التدريس في الجوامع والمساجد والربط والزوايا والخوانق والتكايا، وعددها لا يحصى (٢/ ١٠٩ـ١٧٥) و(٢/ ٢٣٣ـ٣٤٣).

وعليه فقد بلغ مجموع المدارس الجامعة (١٥٦) مدرسة، خرج منها (٦) مدارس أنشئت قبل دخول الأيوبيين إلى دمشق وهي:

١ـ دار القرآن الكريم الرشئية (١/ ٩): أنشأها في حدود سنة (٤٠٠هـ) رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي (ت٤٤٤هـ).

٢ـ المدرسة الصادرية (١/ ٤١٣) للسادة الأحناف: أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله، وهي أول مدرسة للفقه أنشئت بدمشق سنة (٤٩١هـ).

٣ـ المدرسة الطرخانية (١/ ٤٥١)، وهي للسادة الأحناف: أنشأها الحاج ناصر الدولة طرخان.

٤ـ المدرسة المعينية (١/ ٤٥١) للسادة الأحناف أيضاً: أنشأها الأمير معين الدين أنر بن عبد الله الطغتكيني مقدم عسكر دمشق (ت٥٣٦هـ).

٥ـ المدرسة الحنبلية الشريفة (٢/ ٥٠)، وهي للسادة الحنابلة: واقفها شرف الإسلام عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الحنبلي عبد الواحد بن محمد الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي (٥٣٦هـ).

٦ـ المدرسة المسمارية (٢/ ٨٩)، وهي للسادة الحنابلة أيضاً: واقفها الشيخ الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرىء التاجر (٥٤٦هـ).

وبذلك بلغ مجموع المدارس التي أنشئت في دمشق وحدها على عصر الأيوبيين ومماليكهم (١٥٠) مدرسة جامعة، تولى مشيختها أكثر من (٢٥٠٠) شيخ[١]، وخرجت أعداداً هائلة من العلماء في كافة الاختصاصات.

ولعل هذا العدد من المدارس وكبار المدرسين والطلاب يعطينا فكرة واضحة جلية عن مكانة دمشق العلمية.

ويلاحظ أن جميع مدارس السادة الحنابلة بُناتها من العلماء، وليسوا حكاماً أو سلاطين، عدا مدرسة واحدة هي: المدرسة الصاحبة، أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب بجبل الصالحية.

وبما أن كلامنا علىٰ السادة الحنابلة، فسنذكر أهم مدارسهم:

١ـ المدرسة العمرية الشيخية المباركة[٢]:

أول مدرسة وضعت بالصالحية، وثاني مباني الصالحية، بعد جامع

---

(١) إحصاء تقريبي لمن تولى مشيخة مدارس دمشق من كتاب «الدارس في تاريخ المدارس»، ولا شك بأن العدد أكبر من ذلك؛ لأن النعيمي ـ رحمه الله ـ أحصى من تولى مشيخة هذه المدارس فقط، أما المدرسون والمعيدون والعلماء وغيرهم، فلم يذكرهم، كذلك المدارس التي لم يقف على أحد ممن ولي مشيختها.

(٢) انظر: «الأعلاق الخطيرة» لابن شداد (ص٢٥٨)، «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ٧٧ـ٨٧)، «مختصر تنبيه الطالب» (ص١٢٨)، «القلائد الجوهرية» =

الحنابلة، في وسطها نهر يزيد قبلي الجامع، وهي أكبر المدارس بدمشق؛ لأنها مشتملة على (٣٦٠) خلوة، ولم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها، بانيها وواقفها الشيخ أبو عمر الكبير، وهي وقف على القرآن الكريم والفقه، وقد حفظ القرآن فيها أمم لا يحصون، ودرَّس بها أئمة أعلام، منهم شيخنا يوسف بن حسن بن عبد الهادي، وكان درسه يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وهي وقف على السادة الحنابلة، ثم أدخل فيها باقي المذاهب، فشق ذلك على الحنابلة.

قال الإمام يوسف بن عبد الهادي: «وأما أنا، فرأيته حسناً، ولا يسوءني، وأراه خيراً؛ فإن فضل الشيخ كان قاصراً على الحنابلة فقط، فتعدى إليهم وإلى غيرهم»(١).

ـ خزائن كتب العمرية:

كان في هذه المدرسة عدة خزائن للكتب الموقوفة، منها كتب شيخنا ابن عبد الهادي وغيره، وفي هذه الكتب مصحف بخط الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

ومن هذه الخزائن خزانتان: «الشرقية والغربية» للقرآن الكريم، وفي هاتين الخزانتين مصاحف كثيرة.

قال ابن كنان (١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م): «وبقيت فيها خزائن الكتب إلى الآن، ولكن أخذ منها الناظرون من بني حمزة وغيرهم كتباً لا تحصى،

= (٢/ ٢٤٨ـ٢٧٤)، «المروج السندسية» (ص١٠١ـ١١٢)، «خطط الشام» لمحمد كرد علي (٦/ ٩٧)، وغيرها، وانظر: جميع مصادر ترجمة الشيخ أبي عمر بن قدامة من هذا البحث.

(١) «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ٨٤ـ٨٥)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٢٦١)، «المروج السندسية» (ص١٠٧).

والآن باقي نحو ألفي مجلد في أنواع العلوم»[1].

وقال ابن كنان: «أما العمرية، فكتُبُها إلى الآن خزانتان، ولكن أخذ النظام منها كتباً كثيرة»[2].

ـ فضائل العمرية:

ومما ينقل في مآثرها من الفضل، أنها تنفي الخبث، فلا تدع فيها مفسداً إلاّ نفته وأخرجته، وأنه لا يدخلها أحد إلاّ بشفاعة، ولا يخرج منها أحد إلاّ بذنب، ولا تخلو من الصالحين والمتزهدين، والمترددين من الأفاضل من غير قيد، وهي مكان مبارك لا يدخله أحد إلاّ وجد روحانية من عند الله وخشية، والدعاء فيها مجاب، ويقصدها الناس للتبرك، وهي والجامع محل الحفّاظ والمحدِّثين، واجتمع فيهما ما لا يجتمع في غيرهما، ولا يخلوان من ورود الأولياء والعبّاد.

وكان أهلها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على كل أحد، ولهم حرمة قائمة بحيث إنه إذا دخلها غريم لا يدخل أحد من ذوي الشوكة يأخذه، ولو كان نائب السلطنة، وإذا جاء في نهرها قتيل، غسل ودفن من غير مشاورة.

تعرضت العمرية مع الصالحية ودمشق لضربتين قاسيتين أشد القسوة، كانت الأولى ضربة قازان المغولي سنة (٦٩٩هـ) التي نهبت الصالحية: مساجدها ومدارسها وكتبها ورجالها والنساء.

قال العلاّمة يحيى بن أبي بكر العامري اليماني الشافعي (٨٩٣هـ) في حوادث سنة (٦٩٩هـ): «توفي من شيوخ الحديث في دمشق أكثر من مئة

---

(١) «المروج السندسية» (ص١٠٩ـ١١٠).

(٢) المرج السابق (ص٣٨).

نفس، وقتل في الجبل جوعاً وبرداً نحو أربع مئة، وأسر نحو أربعة آلاف، منهم سبعون من ذرية الشيخ أبي عمر»[1]، لكن المدرسة استطاعت أن تعود لسيرتها الأولى في العلم والعطاء.

وكانت الثانية ضربة «تمرلنك» بعد قرن من ذلك سنة (٨٠٣هـ)، وقد دمرت دمشق والصالحية أشنع تدمير مما أدى إلى إضعاف نشاطها لاحقاً.

وقد اضمحل وتهدم غالب خلاويها في عهد الأتراك العثمانيين، ولم يتجدد لها أوقاف إلى سنة (١١٢٣هـ) حتى جدد لها وقفاً الخواجا[2] عبد الحي بن الموقع ـ رحمه الله ـ.

قال الأستاذ محمد كرد علي: «أما الآن، فهي خراب يباب، أكل النظار عليها أوقافها، واستباحوا أخذ خزانة كتبها المهمة»[3].

وقال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: «كتب على الهامش بخط يشبه خط المرحوم الشيخ عبد القادر بدران إن لم يكنه ما يلي: أما الآن، فقد صارت خراباً بلقعاً، تنعق الغربان على جدرانها، وتبكي الأماكن على سكانها:

وبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ إلاّ اليَعافيرُ وإلاّ العِيْسُ

خلت من الكتب والطلاب، وصارت مأوى لكل من ليس له منزل من فقراء الأغراب، فسبحان من يغير ولا يتغير»[4].

---

(١) «غربال الزمان في وفيات الأعيان» (ص٥٧٤)، وانظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٦ـ٨)، وجميع كتب التاريخ، حوادث سنة (٦٩٩هـ).

(٢) الخواجه: هو من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم، وهو لفظ فارسي معناه السيد، «معجم متن اللغة» (٢/ ٣٤٩).

(٣) «خطط الشام» لمحمد كرد علي (٦/ ٩٧).

(٤) «المروج السندسية» (ص١١٢) في الحاشية.

وقال الأستاذ دهمان: «هذه المدرسة لا تزال تحتفظ بهيئتها في الطابق الأرضي، وقد تهدمت بقية الطوابق فيها، وتعتبر هذه المدرسة أعظم مدرسة في دمشق، وأقدم مدرسة في الصالحية، وأول بناية أُنشئت فيها، وهي الآن بحالة سيئة جداً، وحوالي سنة (١٩٤٢م) أجرى المهندس الأثري «إيكوشار» بعض ترميمات وتدعيمات لأقسام منها كانت آخذة في الانهيار، وفي سنة (١٩٤٥م) جمع النائب فخري البارودي (٦٥٠٠) ليرة سورية من أهل الخير، ورمم من هذه المدرسة اثنتين وعشرين غرفة جعلها صالحة للسكن؛ ليسكن فيها الأحداث المتشردون، ويسكنها الآن بعض المهاجرين من إسكندرونة. ولا تزال عيون الجهل متجهة نحوها تريد القضاء عليها وإعدامها من الوجود»[1].

أقول: ولا تزال خراباً حتى تاريخه.

أخبرني الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي قال: «المدرسة العمرية التي تقوم وزارة الأوقاف بإعمارها وبنائها وتجديدها، وإنشاء مركز البحوث الإسلامية فيها، وقد وضع السيد وزير الأوقاف، ومدير الآثار، ومحافظ دمشق حجر الأساس لهذه المدرسة العتيدة»[2]، فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يصلح حالها وحالنا، وأن ترجع إلى سابق عهدها، إنه سميع مجيب.

٢ـ المدرسة الضيائية المحمدية[3]:

ويقال لها: «دار السنة» بسفح جبل قاسيون شرقي جامع الحنابلة.

---

(١) «القلائد الجوهرية» (١/ ٢٧٣ـ٢٧٤).

(٢) الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي في (١٠/ ٧/ ١٤١٦هـ الموافق ٢/ ١٢/ ١٩٩٥م) عند عرض خطة البحث عليه.

(٣) انظر: «الدارس في تاريخ المدارس» ٢/ ١٧ـ٧٦، «الأعلاق الخطيرة» (ص٢٥٨)، «مختصر تنبيه الطالب» (ص١٢٦)، «القلائد الجوهرية» =

بانيها وواقفها الإمام العالم الحافظ الحجة محدِّث الشام شيخ السنة أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الحنبلي صاحب «الأحكام»، و«الأحاديث المختارة»، وهي الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى ما في الصحيحين، خرَّجها من مسموعاته، وقد فضلها العلماء على «مستدرك» الحاكم، وله غير ذلك من الكتب الحسنة، بناها للمحدِّثين والغرباء الواردين، مع الفقر والقلة، وكان يبني منها جانباً، ويصبر إلى أن يجتمع معه ما يبني به، ويعمل فيها بنفسه، ولم يقبل من أحد شيئاً؛ تورعاً، وجعلها دار حديث، وأن يسمع فيها جماعة من الصبيان، وكان مُرتَّباً لها شيخ للحديث، ومدرس للفقه، وجعل لها مكتبة من أعظم مكتبات عصره وقف بها كتبه وأجزاءه.

٣ـ مكتبة الضيائية:

أعظم مكتبات ذلك العصر، فبالإضافة إلى كتب الضياء كانت تضم كتباً لعدد كبير من كبار العلماء.

وقد تعرضت هذه المكتبة للنهب مرات عديدة، كانت الأولى من قبل قازان التتاري، وفي ذلك يقول ابن كثير في حوادث سنة (٦٩٩هـ): «**وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الأسدية، ومسجد خاتون، ودار الحديث الأشرفية بها، واحترق جامع التوبة بالعقيبة، وكان هذا من جهة الكرج والأرمن من النصارى الذين هم من التتار قبّحهم الله.**

وسبوا من أهلها خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، وجاء أكثر الناس إلى رباط

= ١/ ١٣٠ـ١٤٠، «المروج السندسية» (ص٣٧ـ٣٩)، «خطط الشام» (٦/ ٩٧)، وانظر جميع مصادر ترجمة الضياء من هذا البحث.

الحنابلة، فاحتاطت به التتار، فحماه شيخ الشيوخ المذكور، ثم اقتحموا عليه، فسبوا منه خلقاً كثيراً من بنات المشايخ وأولادهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نكب دير الحنابلة في ثاني جمادى الأولى، قتلوا خلقاً كثيراً من الرجال، وأسروا من النساء كثيراً، ونال قاضي القضاة تقي الدين أذى كثير... ويقال: إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريباً من أربع مئة، وأسروا نحو أربعة آلاف أسير، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصري، والضيائية، وخزانة ابن البزوري، وكانت تباع وهي مكتوب عليها الوقفية، وفعلوا بالمِزَّة مثل ما فعلوا بالصالحية كذلك وبغيرها»[1].

ثم تماثلت ورجعت إلى سيرتها الأولى، وقد لخص الإمام يوسف بن عبد الهادي تاريخ هذه المكتبة، قال: «كان بهذه المدرسة كتب الدنيا، والأجزاء الحديثية، حتى يقال: إنه كان فيها خط الأئمة الأربعة، حتى يقال: إنه كان فيها التوراة والإنجيل، وكانت مضبوطة الحال أيام خزنتها بني المُحِبّ[2]، وبعدهم صارت إلى القاضي ناصر الدين بن

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٦) وما بعدها.

(٢) بنو المحب: وهم أكثر من عشرين، كلهم أئمة حفّاظ، زهاد، نبلاء، من أهل العلم والحديث، وهم من أسرة السعدي المقدسية، جدهم هو الحافظ المحدِّث الرحال مفيد الطلبة محب الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي، روى عن كثيرين، وبالغ، وكتب العالي والنازل، وأقام ببغداد في الطلب، روى عنه كثيرون، وعاش (٤٠) سنة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٥٨هـ)، وفي أولاده علم واعتناء بالحديث.
انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٧٥)، «العبر» (٥/ ٢٤٦)، «الشذرات» (٥/ ٢٩٢)، «النجوم الزاهرة» (٧/ ٩١).
ومنهم الحافظ الكبير مسند الدنيا أبو بكر محمد صاحب الرواية المتسعة، الشهير بالمحب الصامت، لقب بذلك لكثرة صمته عن فضول الكلام، وكان يكره أن =

زريق[1]، الذي قال عنه أبو الفضل بن حجر[2]: إنه ما رأى في بلاد الشام من يستحق اسم الحافظ غيره، وكان في أيام القاضي علاء الدين بن مغلي[3]، فاحتاج القاضي علاء الدين إلى كتاب «الخلاف» للقاضي أبي

= يدعى بذلك مع معرفته به واشتهاره، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٧٨٩هـ).
انظر: «ذيل تذكرة الحفّاظ للذهبي» ـ ذيل الحسني ـ (ص٣٦٦)، «الشذرات» (٦/ ٣٠٩)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٣٠).

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن التقي سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر الكبير بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، الإمام القدوة المحدِّث الحافظ ناصر الدين بن زريق، خرَّج ورتَّب «المعجم الأوسط» على الأبواب، و«صحيح ابن حبان»، قال ابن حجر: «استفدت منه كثيراً، وسمع معي على الشيوخ بالصالحية وغيرها، ولم أرَ في دمشق من يستحق اسم الحافظ غيره»، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٠٣هـ)، ولم يبلغ الخمسين، ودفن بالسفح.
انظر: «ذيل تذكرة الحفّاظ» للذهبي ـ ذيل ابن فهد (ص١٩٦) ـ، «إنباء الغمر» (٤/ ٣٢٥)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٤٤)، «الضوء اللامع» (٧/ ٣٠٠ـ٣٠١)، «الشذرات» (٧/ ٣٦).

(٢) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، شيخ الإسلام وأحد الأعلام، وهو غني عن التعريف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٥٢هـ).
انظر: «ذيل تذكرة الحفّاظ» للذهبي ـ ذيل ابن فهد (ص٣٢٦)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٥٤)، «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦).

(٣) هو علي بن محمود بن أبي بكر بن مغلي الحنبلي، أعجوبة الزمان، الحافظ، برع في الفقه والنحو الحديث وغير ذلك، كان محمود السيرة، تولى قضاء حماة وحلب، ثم قاضي القضاة في مصر، وكان إماماً عالماً حافظاً، يحفظ في كل مذهب من المذاهب الأربعة كتاباً، توفي ـ رحمه الله ـ بالقاهرة قاضياً سنة (٨٢٨هـ).
«الجوهر المنضد» (ص٩١)، «الضوء اللامع» (٦/ ٣٤)، «الشذرات» (٧/ ١٨٥)، «إنباء الغمر» (٣/ ٣٥٧).

يعلى[١]، فقالوا له: لا يوجد إلاّ في الضيائية، فأرسل بطلبه منه، فجمعه في قفتين، وأرسله له، قالوا: فمن ثم انفرط أمرها، وطمع الناس فيها، ثم لما جاء «تمرلنك»، وذهب، زاد انفراط حالها، فجاء ابن حجر، وأخذ منها عدة أحمال، ثم جاء الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين[٢]، فأخذ منها، ثم جاء الحافظ قطب الدين الخيضري[٣]، فأخذ، ثم إن القاضي ناصر الدين ابن زريق الثاني[٤] استوعب أحاسن ما فيها، وقد سعيت أنا والشيخ موسى الكناني الحنبلي[٥] في عَوْد نحو ألفي جزء إليها»[٦].

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، ويعرف بابن الفراء، القاضي الكبير، إمام الحنابلة، وعنه انتشر المذهب الحنبلي، له من المصنفات ما يزيد على (٥٥) مؤلفاً، منها: «طبقات الحنابلة» وكتاب «الخلاف»، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٤٥٨هـ).
«المختصر في تاريخ البشر» لأبي الفداء (٢/ ١٩٥)، «الكامل في التاريخ» (١٠/ ١٨)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٩٤)، «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٥٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٨٩)، «الشذرات» (٣/ ٣٠٦).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي، الإمام العلامة الأوحد، الحجة المؤرِّخ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٤٢هـ) بدمشق شهيداً، وهو صاحب «توضيح المشتبه».
انظر: «ذيل تذكرة الحفّاظ» للذهبي ـ ذيل ابن فهد (ص٣١٧)، «الضوء اللامع» (٨/ ١٠٣)، «الشذرات» (٧/ ٢٤٣).

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الله الخيضري، الدمشقي، قاضي الشافعية بالشام، رحل واشتغل، محدِّث حافظ، أصولي، مصنف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٩٤هـ). انظر:
«الضوء اللامع» (٩١٧)، «نظم العقيان» (ص١٦٢)، «قضاة دمشق» (ص١٧٧)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٦٥٤).

(٤) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن عبد الهادي ـ إن شاء الله ـ.

(٥) ستأتي ترجمته في تلاميذ ابن عبد الهادي ـ إن شاء الله ـ.

(٦) «القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٨ـ١٤٠، «المروج السندسية» (ص٣٧ـ٣٨).

وفي القرن الثاني عشر الهجري (النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي) كان أمر هذه المدرسة قد انتهى، ونقل ما تبقى من كتبها إلى المدرسة العمرية، وفي ذلك يقول ابن كنان (١١٥٣هـ ـ ١٧٤٠م): «والآن صارت مسكناً لبعض عوام الهنود، وليس فيها أحد من الطلبة؛ لخراب حارة الحنابلة، وحارة الداودية»[(١)].

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: «اضمحل أمر هذه المدرسة قبل مئة عام من عصرنا، فأخذت كتبها ووضعت في المدرسة العمرية، ثم اضمحل أمر العمرية بعد ذلك، وأخذ النظار يتصرفون في المدارس والمكتبات تصرف السفهاء، فجمعت خزائن كتب المدارس، وأُلف منها **المكتبة الظاهرية**[(٢)]، وهي الآن تحوي عدداً كبيراً من الكتب القيمة وقف المدرسة الضيائية، وعليها خطوط العلماء، وخاصة الضياء المقدسي»[(٣)].

ثم قال: «أصبحت هذه المدرسة داراً تُستغل لصالح **الجامع المظفري** «جامع الحنابلة»، ولم يبق فيها من بنائها القديم **إلاّ قوس إيوانها الشمالي**، رأيته سالماً قبل اثنتي عشرة سنة من عصرنا، **وهي واقعة مقابل جامع** الحنابلة الغربي[(٤)] تماماً، وتدعى الآن **بالضلاعية**»[(٥)].

---

(١) «المروج السندسية» (ص٣٩).

(٢) وهي المكتبة التي كانت تضم جميع المخطوطات في سورية، وتقع شمال الجامع الأموي بدمشق، ولا تزال حتى الآن.

(٣) «القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٨ـ١٣٩) في الحاشية.

(٤) وردت هكذا، ولعله يقصد الشرقي؛ لأن المدرسة تقع شرقي جامع الحنابلة كما تقدم.

(٥) «القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٩ـ١٤٠) في الحاشية.

قال الأستاذ محمد كرد علي: «ولا يعرف عنها شيء»[1].

فهذه نبذة عن مدارس دمشق ومكتباتها في عصر الأيوبيين، التي كان لها أبلغ الأثر في حياة دمشق العلمية، بل في العالم أجمع.

قال الأستاذ دهمان: «وأثروا في دمشق في الثقافة العامة بواسطة المكتبات التي أنشؤوها، فمكتبات أوروبا اليوم تحتوي عدداً كبيراً منها، ولا تزال المكتبة الظاهرية في دمشق مدينة إلى مكتبات مدارس بني قدامة»[2].

أقول: وقد نقلت مخطوطات المكتبة الظاهرية إلى مكتبة الأسد الوطنية؛ حيث يقوم العاملون فيها مشكورين بحفظها والاعتناء بها بأحدث الطرق العلمية.

أما باقي مدارس دمشق وجوامعها ومساجدها وزواياها... إلخ، فيمكن الرجوع بشأنها إلى الكتب المختصة كـ «الدارس في تاريخ المدارس».. وغيره.

وبعد أن انتهينا من بيان أثر الحنابلة في إنشاء المدارس والمكتبات ننتقل إلى بيان باقي الآثار.

الأثر الخامس: اشتهار مذهب الإمام أحمد بن حنبل:

أثرت هجرتهم في مذهب الإمام أحمد؛ مما أدى إلى استمراره واشتهاره وانتشاره، لا في دمشق وحدها فحسب، بل في بلاد الشام ومصر والعراق، بعد أن كان أتباعه قلة، وذلك بواسطة دور العلم التي شيدوها، والكتب التي ألّفوها خاصة في بلورة الفقه الحنبلي التي أصبحت بدورها عمدة المذهب الحنبلي إلى يومنا هذا.

---

(١) «خطط الشام» لمحمد كرد علي (٦/ ٩٧).

(٢) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة ـ (١/ ١١).

لقد ذكرنا أن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ لم يؤلف كتاباً في الفقه، لكن تلامذته نقلوا عنه فقهه رواية ودراية وكتابة، وعن سبب عدم تأليفه ـ رحمه الله ـ كتاباً فقهياً يقول في «الطبقات»: «... إذ كان أصل الفقه كتاب الله وسنة رسوله، وأقوال صحابته، وبعد هذه الثلاثة القياس، ثم قد سُلّم له الثلاث، فالقياس تابع، وإنما لم يكن للمتقدمين من أئمة السنة والدين تصنيف في الفقه، ولا يرون وضع الكتب، ولا الكلام، إنما كانوا يحفظون السنن والآثار، ويجمعون الأخبار، ويفتون بها، فمن نقل عنهم العلم والفقه، كان رواية يتلقاها عنهم، ودراية يتفهمها منهم، ومن دقق النظر وحقق الفكر، شاهد جميع ما ذكرته»[1]، وقد نقل فقه الإمام أحمد أكثر من (١٢٠) نفساً[2]، سميت «رسائل الإمام أحمد»، سجلها الإمام يوسف بن عبد الهادي في «معجم كتبه»، ابتدأها بـ«مسائل أبي الحسن الترمذي»[3]، وأنهاها بـ«مختصر الخرقي»[4] في فقه الإمام أحمد، وهو الكتاب الذي لم يخدم في المذهب مثل ما خدم، ولا اعتني بمثلما اعتني به، وبلغ عدد مسائله (٢٣٠٠) مسألة.

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٦ـ٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٧).

(٣) جمعها عن الإمام أحمد: أحمد بن الحسن بن جندب أبو الحسن الترمذي، وهي مسائل كثيرة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٥٠هـ).
«معجم الكتب» ليوسف بن عبد الهادي (ص١٦)، «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٧ـ٣٨)، «تهذيب التهذيب» (١/ ٢٤)، «المنهج الأحمد» (١/ ١٠٦).

(٤) جامع هذا المختصر هو: عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم الخرقي، نسبة إلى بيع الخرق، وهو غني عن التعريف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٣٤هـ).
انظر: «معجم الكتب»، ليوسف بن عبد الهادي (ص٥٦ـ٥٧)، «طبقات الحنابلة» (٢/ ٧٥ـ١١٨)، ومختصره (ص٣١).

ويعتبر «جامع الخلاّل»[1] أول وأجمع مصنف لعلوم الإمام أحمد عن أصحابه، وقد بلغ نحواً من (٢٠٠) جزء جمعت في عشرين مجلداً.

ولا شك بأن عدم تأليف الإمام أحمد أو أحد تلامذته كتاباً فقهياً قد أثر في المذهب وانتشاره؛ لأن فقهه بقي مشتتاً في مسائل مع أناس عديدين، ولم تجمع إلاّ بعد نصف قرن من وفاته تقريباً، ناهيك عن مقارعة مذاهب راسخة ذات مؤلفات فقهية ضخمة ألّفها أصحاب تلك المذاهب أنفسهم، أو تلامذتهم المباشرون؛ كأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، ومالك، والشافعي ـ رحمهم الله تعالى ـ.

كذلك لم تكن التآليف الفقهية الحنبلية بالدقة والكثرة والشهرة الكافية لاستمرار المذهب، وهذا شيء طبيعي، فكثير من المذاهب بادت، وكانت في شهرة تلك المسائل المبعثرة، إن لم تكن أشهر منها؛ كمذهب الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ، وغيره، ولعل انطلاقة المذهب الحنبلي بدأت مع هجرة المقادسة إلى دمشق، فقد استطاعوا بدراستهم وتآليفهم الفقهية وغيرها النهوض بهذا المذهب والحفاظ على استمراريته وبقائه.

وإذا اعتبرنا الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ صاحب هذا المذهب ومؤسسه، فإننا نقول بأن أبا محمد عبد الله الموفق بن قدامة المقدسي هو المؤسس الثاني للمذهب ومجدده، فقد شرح «مختصر الخرقي» في كتابه «المغني»، فبلغ الأمل في إتمامه عشر مجلدات بخطه، تعب عليه، وأجاد فيه، وهو

---

(١) جامع هذا الكتاب هو: أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال الحنبلي، جمع علوم أحمد، وطلبها، وسافر لأجلها، وصنفها كتباً، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣١١هـ).
انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٢)، ومختصره (ص٣١)، «معجم الكتب» (ص٥٥)، «كشف الظنون» (١/ ٥٧٦).

أبلغ كتاب في المذهب، ذكر فيه فقه المذاهب وأدلتها، وفقه المسلمين كافة، إضافة إلى تصانيف كثيرة حسنة انتفع بها المسلمون عموماً، وأهل المذهب خصوصاً، وانتشرت واشتهرت بحسن قصده وإخلاصه في تصنيفها[١] ومن تصانيفه في الفقه كتاب «العمدة» في الفقه، مجلد صغير، وضعه للمبتدئين، واقتصر فيه على القول المعتمد في المذهب، وشرحه شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، ومنها «الكافي» في الفقه، أربع مجلدات، ذكر فيه من الأدلة مما يؤهل الطلبة العمل بالدليل، ومنها «المقنع» في الفقه، مجلد واحد، وقد أطلق في كثير من مسائله روايتين ليتعلم التلميذ ترجيح الروايات، و«للمقنع» عدة شروح منها:

١ـ «الشافي»: واشتهر باسم «الشرح الكبير» لابن أخي المصنف الشيخ

---

(١) قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ: «ما رأيت في كتب الإسلام في العالم مثل «المحلى» لابن حزم، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين بن قدامة، في جودتهما، وتحقيق ما فيهما، وقال: لم تطب نفسي بالفُتيا حتى صار عندي نسخة المغني.
انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤٠).
وقال الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق». «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٦).
وقال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب «منار الإسلام»: «. . . وإذا يسر الله تعالى لكتاب «المغني» من يطبعه، فأنا أموت آمناً على الفقه الإسلامي أن يموت».
«المغني» ـ المقدمة ـ (١/ ١١).

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام، وأحد الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، توفي ـ رحمه الله ـ في قلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ).
انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٨٧ـ٤٠٨)، «النجوم الزاهرة» (٩/ ٢٧١)، «معجم الكتب» ليوسف عبد الهادي (ص١١٦ـ١٢١).

شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي[1]، وهو أول من قام بشرحه، ومطبوع مع «المغني»، كما طبع مستقلاً.

٢ـ «المطلع على أبواب المقنع»: للشيخ شمس الدين البعلي[2].

٣ـ «كفاية المستقنع لأدلة المقنع» (خ) لأبي المحاسن يوسف بن محمد المقدسي[3].

٤ـ «الانتصار»: للشيخ جمال الدين المرداوي[4].

---

(١) هو شيخ الجبل صاحب «الشرح الكبير»، الشيخ العلاّمة شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي، أول من ولي قضاء الحنابلة في دمشق، فقيه الشام، وقدوة العباد وفريد وقته، من اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه، حدث نحواً من ستين سنة، قال النووي: «هو أجلّ شيوخي»، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٨٢هـ)، ودفن بالسفح عند والده.
«الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٠٤)، «القلائد الجوهرية» (١/ ١٥٧)، «معجم الكتب» ليوسف عبد الهادي (ص١٠٢)، «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٥١).

(٢) شمس الدين البعلي: هو محمد بن أبي الفتح بن أبي المفضل البعلي، الفقيه، المحدِّث، النحوي، اللغوي، أبو عبد الله، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٧٠٩هـ)، وكتابه مطبوع.
انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٥٦)، «معجم الكتب» (ص١٠٥)، «الشذرات» (٦/ ٢٠).

(٣) هو يوسف بن محمد بن التقي عبد الله بن محمد بن محمود، أبو المحاسن جمال الدين المرداوي، الشيخ الإمام العلاّمة قاضي القضاة، كان بعيداً عن المحاباة، لا يركب مع القضاة في عيد ولا محمل، نسبته إلى «مردا» من قرى نابلس، وهو جد بيت ابن مفلح، له «الانتصار» في أحاديث الأحكام، بوبه على أبواب «المقنع»، وغير ذلك، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٧٦٩هـ)، ودفن بالروضة.
«مختصر طبقات الحنابلة» (ص٧١)، «الدرر»، (٤/ ٤٧٠)، «الشذرات» (٦/ ٢١٧)، «الأعلام» (٨/ ٢٥٠).

(٤) هو صاحب الترجمة السابقة.

٥ـ «المبدع»: للشيخ برهان الدين بن مفلح[١]، وهو عمدة في المذهب.

٦ـ «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»: للشيخ علاء الدين المرداوي[٢]، بين فيه الصحيح من المذهب، أربع مجلدات ضخمة، طبع في اثني عشر جزءاً، طبع في مصر، مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٤هـ)، واختصره في كتاب سمّاه:

٧ـ «التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع»، في مجلد مطبوع.

٨ـ «زاد المستقنع»: للشيخ شرف الدين أبي النجا الحجاوي[٣]، وهو مطبوع، وشرحه الشيخ منصور البهوتي[٤] في كتاب سمّاه:

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح بن مفرج، الراميني الأصل، نسبة إلى رامين، قرية في فلسطين، قضاء نابلس، الدمشقي الصالحي، ويعرف بابن مفلح كأسلافه، شيخ الإسلام، وسيد العلماء والحكام، ذو الدين المتين والورع المبين، قاضي القضاة شمس الدين، من بيت علم ورياسة، أفتى ودرس، انتهت إليه رئاسة المذهب، صنف وبرع في الأصول، وهو صاحب «المقصد الأرشد»، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٨٤هـ)، ودفن بالروضة عند أسلافه.
انظر: «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٧٥)، «الدارس» (٢/ ٣٧)، «القلائد الجوهرية» (١/ ١٦١ـ١٦٣)، «الضوء اللامع» (١/ ١٥٢).

(٢) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن عبد الهادي ـ إن شاء الله ـ.

(٣) هو موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي، الإمام العالم العلاّمة الحبر البحر النحرير الفهامة، والمعول عليه في الفقه بالديار الشامية، صاحب المؤلفات، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩٦٨هـ)، ودفن بالسفح.
انظر: «النعت الأكمل» (٨/ ٣٢٧)، «الكواكب السائرة» (٢/ ٢١٥)، «معجم المؤلفين» (١٣/ ٣٤).

(٤) هو منصور بن يوسف بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس، =

٩ـ «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، طبع في دمشق سنة (١٣٠٥هـ) وغيرها من الشروح.

ولقد سجل الإمام يوسف بن عبد الهادي معظم كتب المذهب الفقهية في «معجم كتبه»، فلتراجع هناك[١].

ومن أشهر وأهم هذه الكتب بالإضافة لما ذكرناه[٢]:

١ـ «المحرر في الفقه»: لشيخ الإسلام مجد الدين بن تيمية[٣]، وهو كتاب جيد طبع في مجلدين صغيرين.

٢ـ «الفروع»: للإمام شمس الدين بن مفلح الراميني المقدسي[٤].

= الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، الشهير بالبهوتي المصري، كان إماماً علاّمة في سائر العلوم، فقيهاً متبحراً، أصولياً، مفسراً جبلاً من جبال العلم، وبحراً من بحور الفضائل، صاحب التصانيف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٥١هـ) بالقاهرة، ودفن بالمجاورين.
انظر: «النعت الأكمل» (ص٢١٠ـ٢١٣)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص١١٤ـ١١٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٢٦)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٧٦)، «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٢).

(١) «معجم الكتب» للإمام يوسف بن عبد الهادي، قطعة منه، طبع بالقاهرة، دار ابن سينا «د.ت».

(٢) انظر: «مرجع العلوم الإسلامية» (ص٣٧٠).

(٣) هو عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن تيمية الإمام المقرىء المحدث المفسر الأصولي النحوي أبو البركات شيخ الإسلام، فقيه الوقت، وأحد الأعلام، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٥٣هـ)، ودفن بـ«حرّان».
انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤٩)، «العبر» (٥/ ٢١٢)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٨٥).

(٤) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الراميني المقدسي، الإمام العالم العلامة، أقضى القضاة، شمس الدين، أبو عبد الله، شيخ الإسلام، وأحد =

وهو من أجلّ الكتب وأنفعها وأجمعها للفوائد، وكان يسمى «مكنسة المذهب»، طبع في ستة مجلدات.

٣ـ «الإقناع لطالب الانتفاع»: للعلامة أبي النجا شرف الدين الحجّاوي المقدسي، طبع المطبعة المصرية بالقاهرة سنة (١٣٥١هـ)، وشرحه الشيخ منصور البهوتي في كتاب سماه:

٤ـ «كشاف القناع عن متن الإقناع»: طبع المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة (١٣١٩هـ).

٥ـ «منتهى الإرادات»: للإمام تقي الدين بن النجار الفتوحي[١]، وشرحه الشيخ منصور البهوتي في كتاب:

٦ـ «دقائق أولي النهى لشرح المنتهى»، وهو مطبوع على هامش «كشاف القناع»، طبعة المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة (١٣١٩هـ)، وطبع مستقلاً

= الأعلام، قال ابن القيم: «ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح»، وقال ابن تيمية: «ما أنت ابن مفلح، بل أنت مفلح»، شكرت سيرته وأحكامه، أفتى ودرس وناظر وصنف وأفاد، زاهد عابد، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٦٣هـ)، ودفن بالروضة.

انظر: «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٧٠)، «الدارس» ٢/ ٣٤، «الشذرات» (٦/ ١٩٩).

(١) تقي الدين الفتوحي: هو العالم العلامة الفقيه تقي الدين أبو بكر بن الإمام العالم العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المصري الشهير بابن النجار، ترجمه العارف الشعراني في ذيله على «طبقات الأولياء»، تبحر في العلوم حتى انتهت إليه رئاسة المذهب، توفي ـ رحمه الله ـ في حدود سنة (٩٨٠هـ).

انظر: «النعت الأكمل» (ص١٤١ـ١٤٢)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٩٦ـ٩٧)، «الأعلام» (٦/ ٢٣٣)، «معجم المؤلفين» (٨/ ٢٦).

بتحقيق الشيخ الدكتور عبد الغني عبد الخالق.

٧ـ «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى»: للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي[1]، وهو مطبوع في دمشق سنة (١٣٧٨هـ) في مجلدين.

وغيرها من الكتب الفقهية، وسنأتي على دراسة كتاب «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» لشيخنا يوسف بن عبد الهادي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

أما كتب القواعد الفقهية فأهمها:

١ـ «القواعد النورانية الفقهية»: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبع في القاهرة، مطبعة السنة المحمدية (١٣٩٩هـ).

٢ـ «القواعد الفقهية»: لابن قاضي الجبل شرف الدين أحمد بن الحسن بن قدامة المقدسي، مخطوط في القاهرة رقم (٢٧٥٤)، وعدد أوراقه (١٥٨) ورقة، ناقص الآخر.

٣ـ «القواعد في الفقه الإسلامي»: للحافظ ابن رجب الحنبلي، طبع في دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ).

٤ـ «القواعد الكلية والضوابط الفقهية»: للإمام يوسف بن عبد الهادي،

---

(١) مرعي الكرمي: شيخ الإسلام، أوحد العلماء الأعلام، فريد عصره وزمانه، ووحيد دهره وأوانه، صاحب التآليف العديدة، العلامة بالتحقيق مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي، نسبة إلى طولكرم، ثم المقدسي، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٣٣هـ).
انظر: «خلاصة الأثر» (٤/ ٣٥٨ـ٣٦١)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٢٦)، «النعت الأكمل» (ص١٨٩ـ١٩٦)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص١٠٨ـ١١١)، «معجم المؤلفين» (١٢/ ٢١٨).

مخطوط في المكتبة الظاهرية، مجموع أوله عظيم المنة بنزه الجنة، رقم (٣٢١٦)، ورقمه في مكتبة الأسد الوطنية (٣٤٩٨)، عدد أوراقه (١٦) ورقة من (١٠١ـ١١٦).

وقد انتهيت من نسخه في (١٦) رمضان المبارك (١٤١٦هـ) لتقديم دراسة عنه في هذه الرسالة تمهيداً لتحقيقه، لكني قرأت في حاشية مقدمة «مغني ذوي الأفهام» الطبعة الجديدة لسنة (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) بعناية الأستاذ أشرف عبد المقصود: أن الأستاذ جاسم الدوسري قد قام بتحقيق كتاب بهذا الاسم للمؤلف، فلعله هو، وعليه اقتضى التنويه.

٥ـ «قواعد كلية يترتب عليها مسائل جزئية في جميع الفقه»: أو «خاتمة مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام»: للإمام يوسف بن عبد الهادي: فقد ختم كتابه «مغني ذوي الأفهام» بفصل خاص سرد فيه «٦٦» قاعدة فقهية.

٦ـ «زينة العرائس من الطرف والنفائس»: للإمام يوسف بن عبد الهادي أيضاً، وهو من أهم كتب القواعد الفقهية، مخطوط رقم (٣٢٠٩) ظاهرية (٨٣) ورقة (١ـ٨٣)، أتمه سنة (٨٦٠هـ) بخط المؤلف، وقد أنهيت تحقيقه بحمد الله في (١) رمضان المبارك (١٤١٦هـ)، وسأقوم بتقديم دراسة عنه، وكذلك باقي كتب ابن عبد الهادي الفقهية في هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٧ـ «القواعد الكبرى» و«القواعد الصغرى» و«الرياض النواضر في الأشباه والنظائر» وكلها لنجم الدين الطوفي الحنبلي[1].

---

(١) نجم الدين الطوفي: هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي ثم البغدادي، الفقيه الأصولي، المتفنن، أبو ربيع، سمع الحديث بدمشق، ثم رحل إلى مصر، ثم حج ورجع إلى الشام، له تصانيف كثيرة، منها التي ذكرناها، =

وأما التأليف في صنوف العلوم الدينية الأخرى؛ كأصول الفقه، والحديث، والعقيدة، والتراجم، فهي كثيرة، ولا مجال لذكرها في هذه العجالة، هذا وقد أصاب مصنفات الحنابلة الفقهية وغيرها ما أصاب أصحاب هذا المذهب من محن وظلم؛ إذ لا يزال أغلبها بين مخطوط أو مفقود، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

ثم حظيت هذه الكتب بالرعاية والطباعة ونشر العديد منها في قطر والإمارات والسعودية.

وكان نتيجة نشاط هؤلاء المقادسة أن انتشر المذهب من صالحية دمشق إلى كافة الديار الإسلامية، لكنه تراجع أمام المذاهب الأخرى، وخاصة المذهب الحنفي إبان الحكم العثماني.

ومن دمشق انطلق المذهب إلى البلاد النجدية منذ أكثر من ١٥٠ عاماً، ولا يخفى عليك ما يقوم به الحنابلة هناك من خدمة للحجيج، وإقامة المراكز الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

قال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ في سياق حديثه عن بني قدامة: «... وقد قاموا يؤدون رسالة هذا المذهب في دمشق وضواحيها حتى انتقل منها إلى البلاد النجدية منذ أكثر من مئة عام، وإذا كان الحنابلة انقرضوا من جميع البلاد الإسلامية عدا نجد، فإنهم لا يزالون يؤلفون كتلة صغيرة في دمشق، وبعض القرى حولها، وفي جبل نابلس موطن هؤلاء المقادسة الصالحين»[1].

= توفي في مدينة الخليل سنة (٧١٦هـ).

انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٦٦ـ٣٧٠)، «هدية العارفين» (٥/ ٤٠)، «كشف الظنون» (١/ ٩٣٨)، «المدخل» (ص٢٣٦).

(١) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة ـ (١/ ١٠).

وفي هذا الشأن يقول الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: «وينتشر المذهب الحنبلي في بعض القرى السورية، وكان له نشاط ومجد قديماً في الصالحية، وفي القدس الشريف، وكثير من ريف فلسطين، وله مدارسه الكثيرة في دمشق، لكن مخطوطاته قليلة لا تتناسب مع نشاط علمائه ومدارسه، ولعل كثيراً منها قد احترق»[1].

الأثر السادس: في نهضة المرأة العلمية:

أدت هجرة بني قدامة إلى ثورة ثقافية ـ إن صحت التسمية ـ في العالم الإسلامي، مركزها صالحية دمشق، ولم تشمل الرجال فقط، بل شملت المرأة المسلمة عامة، ونساء الحنابلة خاصة.

فقد أحضروهن على كبار الحفّاظ والمحدِّثين والفقهاء في الثانية من أعمارهن، فسمعن وحفظن وتفردن وتفقهن، واستأثرن بسيادة العلماء المطلقة، وأخذ عنهن الأئمة، ولاسيما الرحالة، فأكثروا، وأجزن لهم.

قال الأستاذ دهمان ـ رحمه الله ـ في سياق حديثه عن أثر هجرة بني قدامة إلى دمشق: «وأثّروا أيضاً في نهضة المرأة العلمية، فقد أحضروها حلقات العلم ومجالس الحديث، فنشأ في الصالحية ثم بدمشق حركة نسائية ثقافية كان جل العالمات من الحنابلة»[2].

أقول: ودليله متوفر للجميع في كتب التراجم[3].

ومن جهة أخرى فقد اتصفن بالزهد والصلاح والخير والفضيلة وسهولة الإسماع، ولين الجانب، ولُقب بعضهن برحلة الدنيا، وأسند أهل الأرض،

---

(١) «مرجع العلوم الإسلامية» (ص٣٧٠).

(٢) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة ـ (١/ ١٠).

(٣) انظر: «أعلام النساء» لكحالة، وغيره من كتب التراجم.

وغيرها من الألقاب، رحمهن الله تعالى، ونِعمَ الشيخات نشأن في بيوت مشيخة ورواية، إضافة إلى انتساب معظمهن إلى الفاروق - رضي الله تعالى عنه -، وإلى كبار الصحابة، تزوجن من العلماء، وأنجبن وأنشأن أجيالاً من الأئمة الزهاد، والعلماء العاملين، إضافة إلى أعمالهن الطاهرة.

إنهن ظاهرة فريدة من نوعها، جديرة بالدراسة، وتدل على عقول مسلمة متفتحة نيِّرة، وعلى وجود مناخ علمي صحي نقي في تلك العصور التي وُصفت ظلماً من قبل بعض المتعصبين بالجمود والتقليد المحض، مع أن العكس هو الصحيح، ولو كانت هذه الظاهرة عند غير المسلمين، لجعلوها تاريخاً لنهضتهم، وخير مثال على تلك العقول المتحررة والمناخ الصحي نجده عند صاحب رسالتنا الإمام يوسف بن عبد الهادي، فمعظم كتبه ومروياته الموجودة في المكتبة الظاهرية عليها إجازات بخطه لنسائه وبناته وأولاده، حتى إن الدكتور أسعد طلس[١] - رحمه الله -، وهو من المعاصرين أصحاب الفكر المتحرر، وعضو المعهد الفرنسي، أظهر استغرابه من تلك الإجازات، ففي وصفه لمخطوط «التوعد بالرجم والسياط لفاعل اللوط» للإمام يوسف عبد الهادي، ورقمه (٣٢١٥) ظاهرية، قال: «وهو كتاب جمع فيه أحكام هذا الأمر، وأحوال المرد والمخنثين، أتمه في

---

(١) هو محمد أسعد طلس، نشأ وتلقى علومه الثانوية بحلب، ثم بكلية الآداب بجامعة القاهرة، رحل إلى فرنسا، وحصل على إجازة الدكتوراه في الآداب، ثم انتدب للعمل في المعهد الفرنسي بدمشق، ثم انتدب إلى وزارة الخارجية، ودرَّس في كلية الآداب في العراق، ثم عاد إلى دمشق وعين مديراً لمؤسسة اللاجئين الفلسطينيين، وقد حقق ونشر عدداً من المخطوطات العربية منها: «ثمار المقاصد» لابن عبد الهادي، وتوفي - رحمه الله - سنة (١٩٥٩م) عن خمسين عاماً.
«معجم المؤلفين» (٣/ ١٢٧).

(١٠ صفر سنة ٨٩٢هـ)، ومن الغريب أن عليه إجازة بخطه لأولاده، وأمهم بلبل، وابنته عائشة»[١].

نعم إنه أمر يدعو إلى الاستغراب، ولكن مرمى نظر صاحبه قد كان أمام قافلته بمسافات لا تدركها أبصارهم، حتى تصل العصور بالأجيال إلى مرمى ذلك النظر، فإذا هو البصر الجديد والفهم الرشيد.

لقد سبق الحنابلة زمانهم، فقد بلغهم من الآثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما لم تجده عند غيرهم، وهذا ما دعا بعض العلماء المعاصرين إلىٰ وصف اجتهادات الحنابلة بأنها سوابق خطيرة تدعو للإعجاب، وجديرة بالخلود، وفي ذلك يقول العلامة مصطفى الزرقا ـ رحمه الله ـ: «وهذا الاجتهاد الحنبلي وما على أساسه وغراره في فهم نصوص الشريعة حول مبدأ سلطان الإرادة العقدية لا يقتضي منه إعجاب المتأمل، وهو الاجتهاد الجدير بالخلود، فهو في باب العقود والشروط كالأفق الفسيح واسع محدود، ولكن حدوده هي الطبيعة نفسها!! ولا سيما إذا عرفنا أن مبدأ سلطان الإرادة الذي قرره الاجتهاد الحنبلي منذ اثني عشر قرناً، استنباطاً من نصوص الشريعة الإسلامية الخصيبة، وأصولها المحكمة الواضحة، لم تكن لتعرفه أو تفهمه الشرائع العالمية والفقه الروماني، ولم تنتبه إليه الأفكار التشريعية والاجتماعية في أوروبا إلاّ منذ قرنين كما سنرى، مع أن الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب ـ رضي الله تعالى عنه ـ معدود من فقهاء مدرسة الحديث، لا من مدرسة الرأي»[٢].

هذا وقد أصاب المرأة الحنبلية ما أصاب رجالهم من ظلم وتعتيم إعلامي من قبل المعاصرين؛ لتعصبهم، مع أنهم يتملصون من صفة

---

(١) «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ـ المقدمة ـ (ص٣١).

(٢) «المدخل الفقهي العام» (١/ ٤٨٥ـ٤٨٦).

التعصب، فقد نشأ جيلنا على ثقافة إسلامية خالية من النساء المسلمات تقريباً، لا علم لنا إلاّ ببعض نساء الرسول ﷺ وبناته، وبعض الصحابيات، ومنذ ذلك التاريخ وإلى الآن وعلى مدى أربعة عشر قرناً لم يتحفنا الإعلام الإسلامي إلاّ بامرأة واحدة، ألا وهي رابعة العدوية، وساعة علم خير من سبعين ألف سنة عبادة.

والسؤال: ألا يوجد في أمة محمد ﷺ امرأة سوى رابعة ؟ أعتقد أنه آن الأوان أن ننحو بالإعلام الإسلامي منحى جديداً، وهو إبراز ما هو موجود بالفعل عندنا من أعلام الرجال والنساء على حد سواء.

إن أمة تعد بالمليارات، وعلى مدى أربعة عشر قرناً، لم تنجب سوى هذا العدد الذي لا يتعدى أصابع اليد من أعلام النساء، «لا تستحق العيش بين الأمم»، ومصيرها الاضمحلال، وإن من أسقط عصوراً كاملة من الازدهار العلمي، فمن باب أولى أن يسقط نساء الحنابلة من حسابه، ومن لم يسقط تلك العصور، أسقط النساء.

إن الكتب التي ترجمت لكبار الحفّاظ والأئمة الأعلام هي نفسها التي ترجمت لهؤلاء النساء الشيخات الحافظات، فإذا أسقطناهن، فقد أسقطنا الرجال أيضاً، فهن شيخاتهم.

وكنموذج على مشيختهن وأخذ كبار الأئمة الحفّاظ عنهن، ذكر الأستاذ محمد دهمان ـ رحمه الله ـ في مقدمة «القلائد الجوهرية» أنه: «في دار الكتب الظاهرية رقم (٢٤٨) من علم الحديث ورقة رقم (٣٩) من الجزء العاشر من «أسنى المقاصد وأعذب الموارد» من مشيخة الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد فخر الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد[1]،

---

(١) الفخر بن البخاري: مسند الدنيا، الإمام المحدث علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور الأنصاري السعدي المقدسي=

تخريج العبد الفقير علي بن بلبان المقدسي (٦٨٤هـ)، يعد فيها خمساً وعشرين شيخة»[١]، ذكر منهن الأستاذ دهمان أربع شيخات، وقمت بدوري بالرجوع إلى المخطوط، وأكملت عدتهن إلى تمام الخامسة والعشرين شيخة، ورقم المخطوطة في الظاهرية (١٠٣٩) ابتداء من الورقة (٣٧) وإلى الورقة (٤٩)، وأوله بعد البسملة ذكر ما تيسر جمعه من مشيخة النساء سماعاً وإجازة:

الشيخة الأولى[٢]: أخبرتنا الشيخة الصالحة ست الكتبة نعمة بنة أبي الحسن علي بن أبي يحيى بن علي بن محمد بن الطراح قراءة عليها وأنا أسمع . . .

الشيخة الثانية[٣]: أخبرتنا أم الفضل زينب بنت الفقيه إبراهيم بن

= الصالحي الشهير بابن البخاري، ابن القاضي المحدِّث الإمام شمس الدين أبي العباس البخاري، عرف بذلك لتفقهه ببخارى، وتحصيله بها من العلوم ما أظهره بالشام، ولد سنة (٥٩٦هـ)، وسمع من خلق كثير، وكان عالماً جيد الإصغاء لما يقرأ عليه، وطال عمره حتى كان يدعى رحلة الشام، وانجفل الناس إليه من الأقطار طلباً لعلو الإسناد، خرج له كثيرون منهم الحافظ المزي، وأفرد له شيخنا الحافظ يوسف بن عبد الهادي ترجمة في مؤلف لخصها ابن طولون، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٩٠هـ)، ودفن بالسفح.

انظر: «الشذرات» (٥/ ٤١٤)، «العبر» (٣/ ٣٧٣)، «البداية والنهاية» (١٣/ ٣٤٣).

(١) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة ـ (١/ ١١) في الحاشية.

(٢) ست الكتبة: (٥١٨ـ٦٠٤هـ)، وانظر: «أعلام النساء» (٥/ ١٨٢)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٣٤) «الشذرات» (٥/ ١٢)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ١٩٥)، «العبر» (٥/ ١٠).

(٣) أم الفضل: (٦١٠هـ)، انظر: «أعلام النساء» (٢/ ٤٥)، «الشذرات» (٥/ ٤٢)، «تاريخ الإسلام» للذهبي الطبقة (٦١/ ٣٢٥ـ٣٢٦)، «العبر» (٥/ ٣٥).

محمد بن أحمد بن إسماعيل القيسي بقراءة عمي الحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ـ رحمة الله عليها ـ وأنا أسمع في شعبان سنة اثنتين وست مئة . . .

الشيخة الثالثة[١] : أخبرتنا أم أحمد رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي قراءة عليها وأنا أسمع في يوم الثلاثاء خامس شعبان من سنة أربع عشرة وست مئة . . .

الشيخة الرابعة[٢] : أخبرتنا خالة أبي الشيخةُ الصالحة الزاهدة العابدة أم محمد رابعة بنت الشيخ الزاهد أبي العباس أحمد بن محمد بن قدامة قراءة عليها وأنا أسمع . . .

الشيخة الخامسة[٣] : أخبرتنا ست الفقهاء بنة أبي الحسن علي بن سلامة بدارتها قراءة عليها وأنا أسمع في يوم الخميس عاشر شوال سنة ست عشرة وست مئة بمصر . . .

الشيخة السادسة[٤] : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم أحمد آمنة بنة الشيخ الإمام الرباني العلامة قدوة المسلمين أبي عمر بن أحمد بن قدامة المقدسي قراءة عليها وأنا أسمع في شهر شعبان سنة أربع عشرة وست مئة .

الشيخة السابعة[٥] : أخبرتنا أم هانىء عفيفة بنت أحمد بن

---

(١) أم أحمد رقية : (٥٣٦ـ٦٢١هـ)، انظر : «أعلام النساء» (١/ ٤٥٣)، «القلائد الجوهرية» (٣/ ٦٩ـ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٣).

(٢) أم محمد رابعة : (٥٤٤ـ٦٢٠هـ). انظر : «أعلام النساء» (١/ ٤٣٠)، «تاريخ الإسلام للذهبي» الطبقة (٦٢/ ٤٣١)، الترجمة رقم (٦٦١)، «القلائد الجوهرية» (١/ ٧٢، ٨٢).

(٣) ست الفقهاء : لم أعثر على ترجمة لها في الكتب المتوفرة.

(٤) أم أحمد آمنة : (٥٥٥ـ٦٣١هـ). ، انظر : «أعلام النساء» (١/ ٦١).

(٥) أم هانىء عفيفة : (٥١٠ـ٦٠٦هـ)، انظر : «أعلام النساء» (٣/ ٢٩٩ـ٣٠٠)، =

عبد القادر بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الفارفانية إجازة قالت: أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية قراءة عليها وأنا أسمع...

الشيخة الثامنة[1]: أخبرتنا الشيخة عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفي إجازة قالت...

الشيخة العاشرة[2]: أخبرتنا الشيخة درة بنت عثمان بن أبي نصر بن التستري الحلاوي إجازة...

الشيخة الحادية عشرة[3]: أخبرتنا أم الفخر جمعة بنت الشيخ أبي سعد بن أبي نصر بن أبي سعد بن محمد بن سليم إجازة...

الشيخة الثانية عشرة[4]: أخبرتنا تقية بنت إبراهيم بن سفيان بن منده إجازة...

الشيخة الثالثة عشرة[5]: أخبرتنا أم ليلى تقية بنت أبي سعيد بن جعفر بن أبي نصر عبد الواحد بن محمد الأصبهانية إجازة...

الشيخة الرابعة عشرة[6]: أخبرتنا زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن السعدي إجازة...

= «الشذرات» (٥/ ١٩)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٨١)، «العبر» (٥/ ١٧).

(١) أم حبيبة عائشة: (٦٠٧هـ)، انظر: «أعلام النساء» (٣/ ٣٨٢)، «الشذرات» (٥/ ٤٢)، «العبر» (٥/ ٢٦)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٣)، «الإعلام بوفيات الأعلام» (ص٢٥١).

(٢) درة: (٦٠٤هـ)، انظر: «أعلام النساء» ١/ ٤٠٨.

(٣) أم الفخر جمعة، انظر: «أعلام النساء» (١/ ٢٠٦).

(٤) تقية بنت مندة، انظر: «أعلام النساء» (١/ ١٧٣).

(٥) أم ليلى تقية، انظر: «أعلام النساء» (١/ ١٧٤).

(٦) زينب السعدي: (٥٢٤ـ٦١٥)، انظر: «أعلام النساء» (٢/ ٧٥)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٨٥)، «الشذرات» (٣/ ٦٥)، «العبر» (٥/ ٥٦).

الشيخة الخامسة عشرة[1]: أخبرتنا الشيخة أم الرضى حُمّيرا بنت إبراهيم بن سفيان بن مندة إجازة قالت . . .

الشيخة السادسة عشرة[2]: أخبرتنا الشيخة الصالحة عزيزة بنت أبي الحسن علي بن أبي يحيى بن علي الطراح إجازة، وأختها ست الكتبة نعمة قراءة عليها وأنا أسمع أنا جدتها . . .

الشيخة السابعة عشرة[3]: أخبرتنا أسماء بنت إبراهيم بن سفيان إجازة قالت . . .

الشيخة الثامنة عشرة[4]: أخبرتنا أم الضياء قمر ستي بنت أبي الفتح عبد الرزاق بن عبد الله الحسن باذي إجازة . . .

الشيخة التاسعة عشرة[5]: أخبرتنا أم الحسن فاطمة بنت الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد إجازة قالت . . .

الشيخة العشرون[6]: أخبرتنا فاختة بنت الحافظ أبي العلاء الهمذاني إجازة . . .

الشيخة الحادية والعشرون[7]: أخبرتنا عاتكة بنت الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل العطار إجازة قالت . . .

---

(١) أم الرضى حمير، انظر: «أعلام النساء» (١/ ٣٠٢).

(٢) عزيزة بنت علي (٦٠٠هـ)، انظر: «أعلام النساء» (١/ ٢٨٢).

(٣) أسماء بنت إبراهيم، انظر: «أعلام النساء» (١/ ٤٣).

(٤) قمر ستي، حدثت سنة (٥٣١هـ)، انظر: «أعلام النساء» (٤/ ٢٢٠).

(٥) أم الحسن فاطمة، انظر: «أعلام النساء» (٤/ ٤٠).

(٦) فاختة، انظر: «أعلام النساء» (٤/ ١٧).

(٧) عاتكة، انظر: «أعلام النساء» (٣/ ٢٠١)، «الوافي بالوفيات» (١٦/ ٥٦١).

الشيخة الثانية والعشرون(١): أخبرتنا الشيخة ستيتا بنت الحافظ معمر بن عبد الواحد بن الفاخر إجازة . . .

الشيخة الثالثة والعشرون(٢): أخبرتنا ست الحجرة بنت أبي غالب محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن السكن إجازة قالت . . .

الشيخة الرابعة والعشرون(٣): أخبرتنا أم الفضل لبابة بنت المبارك بنت هبة الله بن بكري إجازة قالت . . .

الشيخة الخامسة والعشرون(٤): أخبرتنا الشيخة أم الحسن فاطمة بنت أبي الفائز عبد الله بن أحمد بن الطوير إجازة . . .

* إن كتب التاريخ والتراجم تعج بأعلام النساء المسلمات، وأحبُّ أن أنوه بأن اللواتي لم يترجم لهن، أو ذكرن دون ترجمة، أكثر بكثير من المذكورات، وذلك لوجود تراجمهن في مخطوطات لم تحقق بعد، أو في مخطوطات مفقودة وليست في متناول اليد، وبما أن هذا التمهيد لا يتسع للكثير، وبما أن موضوعنا يتعلق بالحنابلة وأثرهم في دمشق، وبما أننا لا نستطيع أن نميز بين واحدة وأخرى في العلم والصفات والأثر، ولتقديم فكرة عن حياتهن، وعلمهن وأثرهن أقوم بتقديم نماذج بسيطة لعلها تفي بالغرض، ومنهن:

١ـ الشيخة الصالحة المباركة العابدة المسندة العفيفة الحرة عائشة بنت

---

(١) ستيتا: لم أعثر على ترجمة لها في الكتب المتوفرة.

(٢) ست الحجرة، «توفيت في أوائل القرن السابع تقريباً»، انظر: «أعلام النساء» (٢/ ١٥٣).

(٣) أم الفضل لبابة، انظر: «أعلام النساء» (٤/ ٢٧٥).

(٤) أم الحسن فاطمة، انظر: «أعلام النساء» (٤/ ٦٧).

عيسى بن عبد الله بن أحمد بن محمد، أم أحمد بنت المجد بن شيخ الإسلام موفق الدين المقدسية الصالحية.

أجاز لها أبو القاسم بن الحرستاني، وسمعت من أبيها وجدها، وتفردت بأجزاء، وحدَّث عنها ابن الخباز في حياتها، وسمع منها ابن النابلسي، والمحب، والذهبي، توفيت ـ رحمها الله تعالى ـ في تاسع شعبان سنة (٦٩٧هـ)، ودفنت بالسفح(١).

٢ـ الشيخة خديجة بنت التقي محمد بن محمود بن عبد المنعم المقدسية الصالحية، وهي ابنة الزاهدة حبيبة بنت الشيخ أبي عمر الكبير.

كانت امرأة صالحة مباركة، عابدة، خيرة، كثيرة التلاوة، مسنِدة، من خير نساء الدنيا، روت عن الزبيدي، والأربلي، وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ في تاسع عشر جمادى الأولى سنة (٦٩٩هـ)، ودفنت بالسفح(٢).

٣ـ زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي شكر المقدسي، الشيخة الصالحة المعمرة، الرحلة، أم محمد المقدسية الصالحية.

سمعت من ابن اللتي، وجعفر الهمذاني، تفردت في وقتها بأجزاء «كالثقفيات» و«مسندي عبد والدارمي» وارتحل إليها الطلبة، وحدثت بدمشق ومصر والمدينة المنورة والقدس، وكانت تقيم مع ولدها، وكان مهندساً، وهي والدة الشيخ محمد بن أحمد القصاص، مولدها سنة

---

(١) «ذيل وفيات الأعيان» (٣/ ١٨١)، «الشذرات» (٥/ ٤٣٨)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٦٤)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٢٧)، أعلام النساء (٣/ ٨٤)، «الأعلام» (٣/ ٢٤١).

(٢) «ذيل وفيات الأعيان» (١/ ٢٦٣)، «العبر» (٥/ ٣٩٧)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٢٣)، «أعلام النساء» (١/ ٣٤٣).

(٦٤٥هـ)، وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ سنة (٧٢٢هـ) بالقدس[١].

٤ـ مسندة الشام، أم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية الصالحية المعروفة ببنت الكمال، المرأة الصالحة العذراء، وصاحبة الأحاديث المشهورة في الآفاق «موافقات زينب بنت الكمال»، ولدت سنة (٦٤٦هـ)، وأحضرت في سنة (٦٤٨هـ) على الزاهدة حبيبة بنة الشيخ أبي عمر، وسمعت من محمد بن عبد الهادي، والد عائشة وفاطمة الآتيتين، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي، وإبراهيم بن خليل، وخطيب مردا، وأبي الفهم اليلداني، وأحمد بن عبد الدائم، وسبط بن الجوزي، وجماعة، وأجاز لها كثيرون من بغداد، وماردين، وحلب، وحران، والإسكندرية، والقاهرة، والشام، قال الذهبي: «تفردت بقدر وقر بعير من الأجزاء بالإجازة، وكانت دينة، خيرة، روت الكثير، وتزاحم عليها الطلبة، وقرؤوا عليها الكتب الكبار، وكانت لطيفة الأخلاق، طويلة الروح، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، وكانت قانعة، متعففة، كريمة النفس، طيبة الخلق، وأصيبت عينها برمد في صغرها، ولم تتزوج قط، وماتت في تاسع عشرة جمادى الأولى سنة (٧٤٠هـ)، وقد جاوزت التسعين، ونزل الناس بموتها درجة في شيء كثير من الحديث حمل بعير، وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعة بالإجازة»[٢].

وقال ابن رافع السلامي: «وكانت صالحة عابدة كثيرة الصلاة والصيام وفعل الخير، وحدثت بالكتب الكبار، وكانت سهلة في التسميع، محبة لأهل الحديث، كريمة النفس، وطال عمرها، وتفردت بغالب إجازتها،

---

(١) «من ذيول العبر ـ ذيل الذهبي» (ص١٢٦)، «الوافي بالوفيات» (٥/ ٦٦ـ٦٧)، «الدرر» (٢/ ١١٠)، «النجوم الزاهرة» (٩/ ٢٥٨).
(٢) «من ذيول العبر ـ ذيل الذهبي» (ص٢١٣)، «الدرر» (٢/ ٢٠٩ـ٢١٠).

وانتفع بها، وخرج لها، حَضَرْتُ الصلاة عليها ودفنها»[1].

وقال الصفدي: «أجازت لي سنة (٧٢٩هـ) بدمشق»[2] ـ رحمها الله[3] ـ.

٥ـ ست العرب بنت محمد بن الشيخ فخر الدين أحمد بن عبد الواحد الشهير جدها بابن البخاري، المقدسية الصالحية، الشيخة، الصالحة، المسندة المكثرة.

حضرت على جدها فأكثرت، وانتشر عنها حديث كثير، وسمع عليها الأئمة والرَّحَّالون، منهم الحفّاظ: العراقي، ووالده، والهيثمي، والمقرىء شهاب الدين بن رجب والد عبد الرحمن صاحب «الذيل»، وطال عمرها، وانتفع بها.

توفيت ـ رحمها الله تعالى ـ ليلة الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة (٧٦٧هـ)، وصُلِّي عليها عقيب الظهر بجامع الحنابلة، ودفنت بالسفح[4].

٦ـ فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، أم يوسف المقدسية ثم الصالحية، الزاهدة العابدة، الصالحة، الخيرة، وهي أخت عائشة الآتية، وكان أبوها محتسب الصالحية، وهو عم الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، أسمعت الكثير على

---

(١) «وفيات ابن رافع السلامي» (١/ ٣١٦ـ٣١٨).

(٢) «الوافي بالوفيات» (١٥/ ٦٨).

(٣) «من ذيول العبر ـ ذيل الذهبي» (ص٢١٣)، «الدرر» (٢/ ٢٠٩ـ٢١٠)، «الوافي بالوفيات» (١/ ٦٨)، «الشذرات» (٦/ ١٢٦)، «فهرس الفهارس» (١/ ٤٦٠)، «أعلام النساء» (٢/ ٤٦ـ٥٠).

(٤) «الذيل على العبر» للحافظ العراقي (١/ ١٩٩)، «الدزر» ٢/ ٢٢٠، «وفيات ابن رافع السلامي» (٢/ ٣٠٤)، (٦/ ٢٠٨)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٢٢٤).

الحجار، وابن أبي التائب، وجماعة، وأجاز لها كثيرون من دمشق، ومصر، وحلب، وحمص، وحدثت بالكثير، وأكثر عنها الحافظ ابن حجر وغيره من الفضلاء، قال ابن حجر: «قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية، ونِعْمَ الشيخة كانت»[1].

وأجازت لأبي الفتح العثماني وغيره، وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ في شعبان سنة (٨٠٣هـ) بالصالحية أيام حصر تمرلنك لها، أو رحيله عنها، وقد جاوزت الثمانين[2].

٧ـ الشيخة عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام، شمس قلائد الإسناد، وملحقة الأحفاد بالأجداد، أسند أهل الأرض، ورحلة الدنيا، الزاهدة، العابدة، المباركة، الخيرة، أم محمد القرشي العمري المقدسي الصالحي، مسندة الدنيا، وسيدة المحدِّثين في عصرها، مولدها في الساعة الرابعة من يوم الجمعة سابع عشر من رمضان سنة (٧٢٣هـ)، روت عن الحجار وغيره «صحيح البخاري» بالسماع، وتفردت بذلك، وسمعت «صحيح مسلم» على جماعة من أصحاب أبي العباس بن عبد الدائم؛ كالقاضي شرف الدين عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي، وعلى عبد القادر بن الملوك «السيرة الهشامية»، وعلى والدها محمد بن عبد الهادي، وعبد الله بن الحسين بن أبي التائب، وأبي بكر بن الرضى، والشهاب الجزري، وعائشة بنت المسلم، وخلق، وهي آخر من

---

(١) «إنباء الغمر» (٤/ ٣١٤).

(٢) «إنباء الغمر» (٤/ ٣١٤)، «الدرر» (٤/ ٣١٣ـ٣١٤)، «الضوء اللامع» (١٢/ ١٠٣)، «شذرات الذهب» (٧/ ٣٣)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٣٩٩)، «أعلام النساء» (٤/ ١٣٣).

حدث عن ست الفقهاء بنت الواسطي، وزينب بنت الكمال، وزينب بنت يحيى بن عبد السلام بالإسماع والإجازة، وقد أجاز لها خلق كثير غير هؤلاء جمعهم الحافظ نجم الدين في «كراسته» مع من سمعت عليه، ورتبها على حروف الهجاء، منهم: البرهان بن الفركاح، وابن الزراد، والشهاب الجعبري، وهي آخر من حدث عن هؤلاء أيضاً بالسماع والإجازة، وأجاز لها أيضاً إسماعيل بن عمر الحموي، ويحيى بن فضل الله، وأبو الحسن البندنيجي، وعبد الله بن محمد بن يوسف، والشرف البارزي، وإبراهيم بن صالح العجمي، وآخرون، وهي مكثرة شيوخاً وسماعاً، وهي آخر من حدث بـ«صحيح البخاري» عن الحجار سماعاً.

وحدثت بالكثير من مسموعاتها، وعُمِّرت حتى تفردت عن جل شيوخها بالسماع والإجازة في سائر الآفاق، وروت الكثير، وأخذ عنها الأئمة، ولاسيما الرحالة، فأكثروا، وكانت سهلة في الإسماع، لينة الجانب، روى عنها الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كتباً عديدة كـ«صحيح البخاري»، وأجازت لأولاده: زين الدين خاتون، ورابعة، ومحمد، وقرىء عليها الحديث المسلسل بالأولية، ومن «مسند الدارمي»، وأجازت لأبي الفتح العثماني من مروياتها.

قال السخاوي: «حدثنا عنها خلق، والرواة عنها الآن بالإجازة كثيرون، وأما بالسماع ففي الشام، بل والخطيب ابن أبي عمر الحنبلي سمع منها بعض «ذم الكلام» للهروي، وممن أكثر عنها شيخنا ـ يعني: ابن حجر ـ وذكرها في معجمه»[1].

توفيت ـ رحمها الله تعالى ـ قبيل العصر يوم الأربعاء رابع جمادى الأولى سنة (٨١٦هـ)، وصلي عليها صبيحة يوم الخميس بجامع الحنابلة

---

(١) «الضوء اللامع» (١٢/ ٨١).

بسفح جبل قاسيون، ودفنت ببريد العفيف إسحاق الآمدي فوق الروضة، وكانت جنازتها حافلة، ونزل الناس بموتها درجة في جميع الآفاق.

ومن العجب العجاب أن ست الوزراء بنت عمر بن الأسعد بن المنجا التنوخية كانت آخر من حدث من النساء في الدنيا عن ابن الزبيدي، وماتت سنة (٧١٦هـ)، وعائشة هذه ضاهتها في وفاتها سنة (٨١٦هـ)، وزادت عليها بأنه لم يبق من الرجال أيضاً من سمع من الحجار رفيق ست الوزراء في الدنيا غيرها، وبين وفاتهما مئة سنة سواء[١].

الأثر السابع: أثرهم في علم الحديث:

أثرت هجرة المقادسة في علم الحديث، وظلوا أكثر من (٤٠٠) عام يعدون من «فطاحل» هذا العلم رجالاً ونساءً.

ارتحلوا وجمعوا وصنفوا، ثم تمركزوا في صالحيتهم، وأنشؤوا دوراً للحديث، قصدها الأئمة والطلبة، فوفروا الجهد والوقت، وعليه أضحت «صالحية بني قدامة» مركزاً للحديث، وإليها ينسب المحدِّثون، ودليله العدد الهائل من الحفّاظ والمسندين والمحدِّثين رجالاً ونساءً فيمن كان من أهل الصالحية ومن ورد منهم إليها.

وفي ذلك يقول ابن طولون: «أما المحدثون منها، فلا يحصون كثرة؛ فإنها لم تزل منذ عمرت معدن الحديث، وإليها ينسب المحدِّثون، وخصوصاً المسندون منهم»[٢].

---

(١) انظر: «إنباء الغمر» (٧/ ١٣٢ـ١٣٣)، «الضوء اللامع» (١٢/ ٨١)، «الشذرات» (٧/ ١٢٠)، «فهرس الفهارس» (٢/ ٨٦٤)، «وذيل الدرر» (ص٤١٥)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٣٩٩).

(٢) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٣٨٧).

وقال أيضاً: «ولا شك أن الصالحية منذ عمرت إلى اليوم معدن الحديث، وإليها ينسب المحدِّثون، ويتقصدون الرحلة إليها، وكذلك الحفّاظ»(١).

وقال الأستاذ دهمان ـ رحمه الله ـ في سياق حديثه عن بني قدامة: «وأثروا أيضاً في علم الحديث، وظلوا نحو مئة عام يعدون من «فطاحل» علماء الحديث، وانتشرت في عصرهم دور الحديث في الصالحية ودمشق، وأدخلوا على هذا العلم اتجاهات جديدة كان لها أثر كبير في تنسيق علوم الحديث، وتصنيف أبحاثه المتعددة، ومن مشاهيرهم الحافظ ضياء الدين المقدسي الذي أنشأ داراً للحديث في الصالحية، وجعل لها مكتبة من أعظم مكتبات عصره، ومن مؤلفاته «المختارة» التي فضّلها العلماء على «مستدرك الحاكم»»(٢).

ويقول شيخنا الإمام يوسف بن عبد الهادي في حديثه عن جامع الحنابلة والمدرسة العمرية: «وهما محل الحفّاظ والمحدِّثين، واجتمع فيهما ما لا يجتمع في غيرهما، ولا يخلوان من ورود الأولياء والعباد»(٣).

ويقول الدكتور صلاح الدين المنجد: «كانت الصالحية مثابة علم مذ هاجر إليها المقادسة في القرن السادس الهجري فراراً بدينهم من الصليبيين، فعجت بالعلماء والفقهاء والمحدِّثين والصالحين، وتناثرت في جنباتها دور الحديث والمدارس... وظلت مركزاً علمياً للحنابلة والمحدثين»(٤).

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥١١).

(٢) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة ـ (١/ ١٠).

(٣) «المروج السندسية» (ص٨١).

(٤) «الأئمة الاثنا عشر» ـ المقدمة ـ (ص١١)، وانظر: (ص٣٥) من هذا البحث.

أما تآليفهم في علم الحديث، فلا تعد ولا تحصى:

ومن أشهرها «المختارة» للضياء المقدسي، التي فضلها العلماء على «مستدرك الحاكم».

قال الكتاني: («الأحاديث الجياد المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما» في ستة وثمانين جزءاً، ولم يكملْ، التزم فيه الصحة، وذكر فيه أحاديث لم يُسبق إلى تصحيحها، وقد سلم له فيه إلاّ أحاديث يسيرة جداً تعقبت عليه، وذكر ابن تيمية والزركشي في «تخريج الرافعي»: أن تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم، وأنه قريب من تصحيح الترمذي وابن حبان، وذكر ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» نحوه)[١].

ومنها: «الأحكام على أبواب الفقه»[٢] ويقع في ستة أجزاء للحافظ عبد الغني المقدسي الذي قال عنه الإمام الحافظ أبو إسحق إبراهيم بن محمد العراقي[٣]: «ما رأيت الحديث في الشام كله، إلاّ ببركة الحافظ عبد الغني، فإنني كل من سألته يقول: أول ما سمعت عليه، وهو الذي حرضني»[٤].

---

(١) «الرسالة المستطرفة» (ص٢٤).

(٢) ذكره ابن رجب وغيره، انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٩).

(٣) الحافظ المتقن العالم، تقي الدين أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن العراقي الصريفيني الحنبلي نزيل دمشق، ولد سنة (٥٨١هـ)، وعني بالحديث، ورحل، روى عنه الضياء المقدسي وغيره، وكان حافظاً ثقة صالحاً، إماماً ثبتاً صدوقاً، توفي بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ سنة (٦٤١هـ).
انظر: «تذكرة الحفّاظ» للذهبي (٤/ ١٤٣٣)، «طبقات الحفّاظ» للسيوطي (ص٥٠٠)، «العبر» (٥/ ١٦٧)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٢٧).

(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠).

وكتاب «عمدة الأحكام عن سيد الأنام»[1] للشيخ عبد الغني أيضاً، ويقع في ثلاثة أجزاء عز نظيرها، وقد شرحه الحافظ شيخ الإسلام ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) في كتابه «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»، وهو مطبوع في مجلدين في المطبعة المنيرية بدمشق، وشرحه أيضاً أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المالكي (٧٨١هـ) في خمس مجلدات سماه: «تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام»[2]، وشرحه أيضاً الإمام سراج الدين ابن الملقن الشافعي (٨٠٤هـ)، وسماه بـ«الإعلام» وهو من أحسن مصنفاته[3]، وشرحه الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) وسماه: «عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام» مجلدان[4]، وشرحه كثيرون غيرهم.

ومنها: كتاب «الأحكام الكبرى»[5] للشيخ مجد الدين عبد السلام بن تيمية (٦٥٣هـ) في عدة مجلدات، واختصره في «المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ»[6]، وقد طبع المختصر بالهند عدة طبعات، وفي المكتبة التجارية بمصر في مجلدين صغيرين بتحقيق محمد حامد الفقي عام (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، وتقوم بتصويره مؤخراً دار المعرفة في بيروت، وقد اعتنى بشرحه كثير من العلماء، فشرحه العلّامة المحقق شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (٧٤٤هـ)، وشرحه العلّامة سراج الدين عمر بن علي الملقن الشافعي (٨٠٤هـ)، ولكنه لم يتمه، وشرحه أيضاً

---

(١) «كشف الظنون» (٢/ ١١٦٤)، «الرسالة المستطرفة» (ص١٨٠).

(٢) المصدران السابقان.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) ذكره ابن رجب وغيره، انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٥٢).

(٦) المصدر السابق، وذكره الكتاني في «الرسالة المستطرفة» (ص١٨٠).

القاضي العلاّمة أبو العباس أحمد بن الحسن بن قدامة (ابن قاضي الجبل ٧٧١هـ)، ولم يتمه أيضاً، وشرحه القاضي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، وسمّى شرحه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»، وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات في ثمانية أجزاء، وهو مشهور ومتداول.

ومنها: كتاب «المحرر في أحاديث الأحكام»[١] للإمام شمس الدين بن أحمد بن عبد الهادي (٧٤٤هـ)، وقد ذكر البعض أنه مختصر من كتاب «الإلمام» لابن دقيق العيد، وهذا ليس صحيحاً، والصحيح أنه كتاب آخر للمؤلف اسمه «حواشي على كتاب الإلمام»[٢]، وليس هذا الكتاب، ودليله في منهج المؤلف، يقول: «فهذا مختصر يشتمل على جملة من الأحاديث النبوية في الأحكام الشرعية، انتخبته من كتب الأئمة المشهورين، والحفّاظ المعتمدين؛ كـ«مسند» الإمام أحمد بن حنبل، و«صحيحي» البخاري ومسلم، و«سنن» أبي داود وابن ماجه، والنسائي، و«جامع» أبي عيسى الترمذي، و«صحيح» أبي بكر بن خزيمة، و«كتاب الأنواع والتقاسيم» لأبي حاتم بن حبان، وكتاب «المستدرك» للحاكم أبي عبد الله النيسابوري، و«السنن الكبرى» للبيهقي، وغيرهم. من الكتب المشهورة...»[٣]، ومن الملاحظ أنه لم يذكر أنه اختصره من «الإلمام»، بل ولم يأت على ذكره، ويمتاز هذا الكتاب عن سائر كتب الأحكام بالجمع لأشتات الحديث الواحد في موضعه، ويذكر كل من تكلم فيه، وهذا ما جعل كتابه مصدراً لكثير من

---

(١) طبع هذا الكتاب في المكتبة التجارية الكبرى بمصر، وطبع أيضاً في دار المعرفة سنة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) بتحقيق د. يوسف المرعشلي، ومحمد سمارة، وجمال الذهبي.

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٣٩).

(٣) «المحرر في الحديث» (١/ ٧٩).

الأئمة، ممن عاصره وأتى بعده، فهذا عصريه الإمام الزيلعي يكثر من النقل عنه في كتابه «نصب الراية»، كما يذكر أقواله في تصحيح الأحاديث وتصنيفها الحافظ ابن حجر في تصانيفه[1].

ومن الكتب المهمة جداً كتاب «الكمال في أسماء الرجال» للحافظ عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ) أيضاً، وهو أشهر وأقدم ما وصلنا من الكتب التي جمعت تراجم الكتب الستة، قال عنه الحافظ ابن حجر: «من أجلّ المصنفات في معرفة حملة الآثار وصفاً، وأعظم المؤلفات في بصائر ذوي الألباب وقعاً»[2].

ولقي هذا الكتاب عناية من العلماء لم يلقها غيره من التهذيب، والتعليق والاختصار، ومن أشهرها[3]:

١ـ «تهذيب الكمال» للمِزّي (٧٤٢هـ)، وطبع في مؤسسة الرسالة سنة (١٤١٥هـ).

٢ـ «إكمال تهذيب الكمال» للمِزِّي أيضاً، وأكمله الحافظ علاء الدين مغلطاي (٧٦٢هـ).

٣ـ «تذهيب التهذيب» للذهبي (٧٤٨هـ)، مخطوط.

٤ـ «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة»، للذهبي أيضاً، وهو مطبوع في دار النصر بالقاهرة سنة (١٣٩٢هـ)، وطبع أيضاً في دار الكتب العلمية سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

---

(١) المصدر السابق ـ المقدمة ـ (١/ ٧٣ـ٧٤).

(٢) «تهذيب التهذيب» ـ المقدمة ـ (١/ ٣).

(٣) انظر: «أصول التخريج ودراسة الأسانيد» للدكتور محمود الطحان (ص١٥٧ـ١٧٣)، و«الرسالة المستطرفة» (ص٢٠٨ـ٢٠٩)، «تهذيب التهذيب» ـ المقدمة ـ.

٥ـ «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، وطبع في دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة (١٣٢٥هـ)، تصوير دار صادر، بيروت، وتوجد له طبعة محققة تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٦ـ «تقريب التهذيب» لابن حجر أيضاً، وطبع عدة طبعات، منها طبعة دار القلم عام (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٧ـ «خلاصة تهذيب الكمال» للخزرجي (٩٢٤هـ)، وطبع في القاهرة سنة (١٣٠١هـ)، وغيرهم.

هذه نماذج بسيطة لبعض الكتب المهمة في علم الحديث، ويمنعنا ضيق المقام من ذكر المزيد، ومن المعلوم أن تآليفهم في العلوم الأخرى لا تقل أهمية عن تآليفهم في علم الحديث.

الأثر الثامن: أثرهم في العلم والتقوى:

أسهم المقادسة في إشاعة النماذج المثلى للعلم والتقوى في تلك العصور بما عرف عنهم من السلوك الديني والزهد، وتمثَّل الاحترام العام لهم في رعاية الحكام لمكانتهم، ومبالغة الناس في تكريمهم، إضافة إلى جهادهم في سبيل الله، وحضور الغزوات مع صلاح الدين وغيره، وذلك بإجماع المؤرِّخين والمترجمين بمشاهداتهم، أو نقلاً عن الأئمة الحفّاظ والعلماء الثقات، وحتى عامة الناس، وبلا خلاف.

قال الإمام أبو الفرج الحنبلي: سمعت والدي يقول: «لو كان نبي يبعث في زمان الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة، كان هو»[1].

قال الشيخ يوسف النبهاني: «أبو العباس أحمد بن قدامة، قال ابن

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٦١).

الحوراني في كتاب «الإشارات إلى أماكن الزيارات» زيارات دمشق: هو صاحب الكرامات والأحوال الظاهرة، قرأ في شهر رمضان (٥٦٠ ختمة)، ومشى على نهر يزيد بقبقاب في رجليه فلم يبتلا، وطالع ليلة في العلم، فكدرت عليه الضفادع بأصواتها، فقال: أيتها الضفادع! قد آذيتموني بأصواتكن، فإما أن ترحلن عني، وإما أن أرحل عنكن، فأصبح وليس في النهر شيء من الضفادع، ومن ثم لم يسكن في نهر يزيد ضفدع إلى الآن، توفي سنة (٥٥٨هـ)، ودفن بسفح قاسيون، وإلى جانب قبره قبر ولده أبي عمر، وقبراهما ظاهران، ويقصدان بالزيارة، والدعاء عندهما مستجاب»[١].

وقال سبط ابن الجوزي: «شاهدت من الشيخ أبي عمر وأخيه الموفق ونسيبه العماد[٢] ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالهم

---

(١) «كرامات الأولياء» (١١/ ٤٨٧).

(٢) الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة الفقيه بركة الوقت العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن علي سرور المقدسي الدمشقي، أبو إسحق وأبو إسماعيل، أخو الحافظ عبد الغني، ولد بجماعيل سنة (٥٤٣هـ)، من أولياء الله الصالحين، ما تحرك بحركة ولا مشى خطوة، ولا نطق بقولٍ إلا لله تعالى، وهو الذي سن الجماعة في الصلوات المقضية، توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الخميس وقت عشاء الآخرة السادس عشر من ذي القعدة سنة (٦١٤هـ)، وصلى عليه الموفق بحلقة الحنابلة بجامع دمشق بعد جهد جهيد، وكان يوماً لم ير في الإسلام مثله، ولولا المبارز المعتمد وأصحابه لقطعوا أكفانه، ولو رمى الإنسان على من معه إبرة لما ضاعت من كثرة الناس.

انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٤٧)، «الذيل على الروضتين» (ص١٠٤ـ١٠٦)، «البداية والنهاية» (١٣/ ٧٧)، «الوافي بالوفيات» (٦/ ٤٩)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٩٣ـ١٠٦)... وغيرها).

أهلي وأوطاني، ثم عدت إليهم على نية الإقامة، عسى أن أكون معهم في دار المقامة»[1].

أما مواقفهم من الملوك والسلاطين، فهي مشهورة.

منها: ما رواه الذهبي في ترجمة الشيخ أبي عمر، قال: «سمعنا عن بعض الملوك أنه قال: هذا الشيخ يشاركني في ملكي»[2].

ولما نزل صلاح الدين على القدس، كان الشيخ أبو عمر وأخوه الموفق والجماعة في خيمة، فجاء العادل إلى زيارته وهو في الصلاة، فما قطعها ولا التفت إليه ولا ترك ورده[3].

وجاء مرة الملك العزيز العادل يزور الشيخ الموفق، فصادفه يصلي، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته، ثم اجتمع به ولم يتجوز في صلاته[4].

ومنها: أن الحافظ عبد الغني كان قد دخل على الملك العزيز العادل بمصر، فلما رآه قام له، فلما كان في اليوم الثاني من دخوله عليه، إذ الأمراء قد جاؤوا إلى الحافظ في مصر، فقالوا: آمنا بكرامتك يا حافظ، وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد ما خفت من هذا، فقلنا: أيها الملك! هذا رجل فقيه، إيش خفت من هذا؟ قال: لما دخل ما خيل إلي إلا أنه سبع يريد أن يأكلني، فقلنا: هذه كرامة الحافظ[5].

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٩).

(٣) «الذيل على الروضتين» (ص٧١)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٦).

(٤) المصدران السابقان (ص١٤٠، ٢/ ١٣٥).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٥٥)، كذا مصادر ترجمة الشيخ عبد الغني.

ومنها: ما روى الأمير درباس المهراني أنه كان دخل مع الحافظ عبد الغني إلى الملك العادل، فلما قضى الملك كلامه مع الحافظ، جعل يتحدث مع بعض الحاضرين في أمر ماردين وحصارها، وكان حاصرها قبل ذلك، فسمع الحافظ كلامه، فقال: إيش هذا، وأنت بعد تريد قتال المسلمين، ما تشكر الله فيما أعطاك أما. . . . أما[١]! ؟

قال: وسكت الملك العادل، فما أعاد ولا بدى، ثم قام الحافظ وقمت معه، فلما خرجنا، قلت له: أيش هذا ؟ نحن كنا نخاف عليك من هذا الرجل، ثم تعمل هذا العمل ؟ فقال: أنا إذا رأيت شيئاً لا أقدر أصبر[٢].

وكان في دولة الأفضل بن صلاح الدين قد جعلوا الملاهي عند درج جيرون، فجاء الحافظ عبد الغني فكسر شيئاً كثيراً منها، ثم جاء فصعد المنبر يقرأ الحديث، فجاء إليه رسول من القاضي يأمره بالمشي إليه، يقول حتى يناظره في الدُّفِّ والشبابة، فقال الحافظ: ذلك عندي حرام، وقال: أنا لا أمشي إليه، وإن كان له حاجة، فيجيء هو، ثم قرأ الحديث، فعاد الرسول فقال: قد قال: لابد من المشي إليه، أنت قد بطلت هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبته ورقبة السلطان، فمضى الرسول، وخاف الناس أن تقع فتنة، فما جاء أحد بعد ذلك[٣].

ومنها: ما رواه الذهبي في ترجمة الشيخ الموفق، قال: «سمعت البهاء عبد الرحمن يقول: كان فيه من الشجاعة، كان يتقدم إلى العدو، ولقد أصابه على القدس جرح في كفه، ولقد رأيت أنا منه على قلعة صفد، وكنا نرامي الكفار، فكان هو يجعل النشابة في القوس، ويري الكافر أنه يرميه،

---

(١) هكذا في «سير أعلام النبلاء»، وعند ابن رجب «إماماً».

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٥٥ـ٤٥٦)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣).

(٣) المصدران السابقان.

فيتترَّسُ منه، يفعل ذلك غير مرة، ولا يرمي حتى تمكنه فرصة»[١].

ومنها: ما روي أن الشيخ ابن الكمال[٢] حفر مكاناً بالصالحية لبعض شأنه، فوجد جرة مملوءة ذهباً، وكانت معه زوجته تُعينه، فقال لزوجته: هذا فتنة، ولهذا مستحقون لعلَّنا لا نعرفهم، فوافقته، وطمَّاه وتركاه، وكانت صالحة مثله، فتركا ذلك تورعاً، مع فقرهما وحاجتهما، وهذا غاية في الورع والزهد[٣].

وننهي هذا الأثر بما روي عن سبب تسمية التربة التي دفن فيها شيخ الإسلام الموفق بـ«الروضة»، قال ابن طولون: «الروضة، وهي أعظم تربة، والذي بلغنا عنها من الأخبار أن سبب تسميتها بالروضة أنها رئيت غير مرة أنها روضة من رياض الجنة، وبلغنا أنها كانت لبعض الجبابرة، وأنها في

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي، الطبقة ٦٢ (٦١١ـ٦٢٠هـ) (ص٤٤٣).

(٢) ابن الكمال: هو شمس الدين بن الكمال بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد، الإمامُ المحدِّث القدوة الصالح بن أخي الضياء المقدسي، وأخو زينب بنت الكمال المتقدمة، ولد سنة (٦٠٧هـ)، سمع من خلق كثير، وحدث بالكثير نحو من أربعين سنة، وتمم تصنيف «الأحكام» للضياء المقدسي، وكان محدِّثاً فاضلاً نبيهاً، حسن التحصيل، وافر الديانة، كثير العبادة، نزهاً عفيفاً مخلصاً، روى عنه الحافظ تقي الدين سليمان، والبرزالي، وابن تيمية، وابن العطار، والمِزي، وابن مسلم، وابن الخباز، وولي مشيخة الأشرفية، ودرس بالضيائية، وغزا غير مرة، وحج مرتين، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٨٨هـ).

انظر: «الإعلام بوفيات الأعلام» للذهبي (٢/ ٤٦٧)، «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٤٧)، «الشذرات» (٥/ ٤٠٦)، «العبر» (٣/ ٣٦٧)، «النجوم الزاهرة» (٧/ ٣٨٢).

(٣) «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٤٧)، «القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٦)، «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ٧٢)، «الشذرات» (٥/ ٤٠٦).

غير ما وقت يُرى إما نوماً وإما يقظة تشتعل عليه فيها النار، وأن الشيخ موفق الدين لما اشترى محلها، ودفن فيها، صارت روضة من رياض الجنة، وذلك الجبار جالس فيها في أحسن حالة وأجملها، فقيل له: أنت تُرى في العذاب، فما الذي بدَّلك حتى نقلت إلى هذه الحالة؟ فقال: لما نزل علينا هذا العبد الصالح، رفع عنا العذاب، وصارت هذه البقعة علينا روضة من رياض الجنة، وصرنا إلى هذه الكرامة.

ويقال: إنه لم يكن يقدر أحد على أن يدفن في هذا السفح حتى يشتري مكاناً، فاشترى الشيخ موفق الدين هذه البقعة، ووقفها على جميع المسلمين، فدفن فيها أمم من العلماء، والفضلاء المحدِّثين والزهّاد والعبَّاد والفضلاء»[1].

ومن الجدير بالذكر أن «الروضة» تعتبر حالياً من أرقى أحياء مدينة دمشق المحروسة.

وبهذا الأثر نكون قد عرضنا لبعض آثار الحنابلة في دمشق، وما ذكرته هو على سبيل التمثيل، لا على سبيل الاستقصاء، ومن أراد الاستزادة، فعليه الرجوع إلى تراجمهم ـ رحمهم الله تعالى وإيانا، وجمعنا وإياهم في دار المقامة ـ آمين.

ولنختم هذا التمهيد بأبيات لأبي عبد الله محمد بن سعد المقدسي[2]

---

(١) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٨٩ـ٥٩٠).

(٢) الشيخ محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن هبة الله بن مفلح بن نمير الأنصاري المقدسي ثم الدمشقي، الكاتب الأديب، الشيخ الفاضل، الديّن الصالح، طال عمره، ووزر للملك الصالح إسماعيل مدة، سمع وحدث بدمشق وحلب، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٥٠هـ)، ودفن بالسفح.
انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٢٤٩)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٨٢ـ١٨٣)، =

في رثاء الحافظ عبد الغني المقدسي، يقول[1]:

مِنْ مَعْشَرٍ هَجَرُوا الأَوْطانَ وانْتَهَكُوا ... حُمْرَ الخُطوبِ وَأبكارَ العُلا خَطَبُوا
شُمُّ العرانينِ مِلْحٌ، لو سَأَلْتَهُمُ ... بَذْلَ النفوسِ لَمَا هابوا بأنْ يَهَبُوا
نـورٌ إذا سُئِلُـوا، نـارٌ إذا حَمَلُـوا ... سُحْبٌ إذا نَزَلوا، أُسْدٌ إذا رَكِبُوا
الموقِدُون ونارُ الحربِ خامِدَةٌ ... والمُقْدِمُونَ ونارُ الحربِ تَلْتَهِبُ
هذا الفَخَارُ، فإنْ تَجْزَعْ فلا جَزَعٌ ... على المُحِبِّ، وإنْ تَصْبِرْ فلا عَجَبُ

* * *

= «الوافي بالوفيات» (٣/ ٩١ـ٩٢)، «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤٨)، «النجوم الزاهرة» (٧/ ٢٦ـ٢٧)، «الشذرات» (٥/ ٢٥١).

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣١).

الباب الأول

عصر ابن عبد الهادي

التمهيد

عصر المماليك

عاش الإمام يوسف بن عبد الهادي في أواخر العصر الذي اصطلح على تسميته بـ«عصر المماليك»، وقضى حياته كلها في دمشق.

وكانت بلاد الشام مع مصر دولة واحدة، تحت حكم سلطان جيش المماليك، ومقره مصر، وهو يعيّن نائب السلطنة عنه بدمشق.

واستخدام جيش من المماليك أمر قديم يرجع إلى عهد الخليفة المأمون العباسي (٢١٨هـ)، فلما جاء أخوه الخليفة المعتصم (٢٢٧هـ)، أربى على أسلافه في ذلك.

وكلما قدم العهد، زاد المماليك الأتراك نفوذاً وقوة، واستبدوا بأمور الخلافة وإدارتها، وخاصة بجيش الدولة الذي يدل على حقيقة أمرها.

وامتدت أيديهم إلى حياة الخلفاء، فأخذوا ينصّبون للأمة خليفة، وبعد أمد قليل يخلعونه ويقتلونه ويمثلون به شر تمثيل، فأنشبوا أظافرهم بذلك في جسم الدولة، ولم يكن هناك حيلة للتخلص منهم.

وتعتبر حادثة قتل الخليفة المتوكل بن المعتصم (٢٤٨هـ) أول ثمرة لغرس المعتصم، فإنه ملّك الخلافة قوماً ليس لهم من الأخلاق ما يمنعهم مما فعلوا، ولا من العصبية ما يجعل جانبهم مأموناً، وفي تلك الحادثة قال

علي بن الجهم من قصيدة له[1]:

عَبيدُ أميرِ المؤمنينَ قَتَلْنَهُ ... وَأَعْظَمُ آفاتِ المُلوكِ عَبيدُهَا

بني هاشمٍ صَبْراً فَكُلُّ مُصيبَةٍ ... سَيَبْلَى على وَجْهِ الزَّمانِ جَديدُهَا

أما العرب، فقد تحولوا إلى ثوار خارجين على القانون في بلادهم، أو أمراء في مدن منعزلة.

وبقي الحال على ما هو عليه إلى أن ظهرت على الساحة قوى جديدة، وهم ملوك الأطراف، كالبويهيين الذين سيطروا على الخلافة العباسية تحت شعار حمايتها من هؤلاء المماليك وأمثالهم.

على أن أكثر الملوك والأمراء كان لهم عدد كبير من المماليك، ولكن لم يكونوا من الكثرة والتكتل ليشكلوا خطراً على الدولة أو المجتمع، كالذي حدث في الدولة العباسية بعد المعتصم، وفي الدولة الأيوبية بعد الملك الصالح أيوب.

ـ الدولة الأيوبية:

قامت هذه الدولة بعد وفاة نور الدين زنكي ـ رحمه الله ـ (٥٦٩هـ)، ومؤسسها هو الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي قام باعتناق فكرة الجهاد ضد الصليبيين، وأصر على تنفيذها، وعلى يديه ـ رحمه الله ـ تحققت الوحدة الإسلامية من الفرات إلى النيل.

توفي صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٩هـ)، وترك خلفه دولة مترامية الأطراف، وفراغاً ضخماً لم يستطع أحد من أبنائه السبعة عشر، أو أقربائه أن يملأه، ولم تلبث أن نشبت حرب الوراثة بين أبناء البيت الأيوبي[2].

---

(١) «الدولة العباسية» للخضري بك (ص٣٠١).

(٢) انظر: «تاريخ ابن سباط» (١/ ١٣٥ـ١٤٢).

وفي وسط الفوضى الضاربة التي عمت العلاقات بين حكام المسلمين - وخاصة في مصر وبلاد الشام ـ عقب وفاة صلاح الدين الأيوبي، والنزاع الذي نشب بين أبنائه وإخوته وأقاربه، حرص كل حاكم منهم على تكوين عصبية لنفسه يعتمد عليها في الاحتفاظ بإماراته، أو في تحقيق مطامعه على حساب الآخرين، ولم يجد أمراء المسلمين وسيلة لتحقيق هدفهم إلا عن طريق الإكثار من شراء المماليك ـ أو الرقيق الأبيض ـ فاشتروا منهم أعداداً كبيرة، وعنوا بتدريبهم ونشأتهم ليكونوا لهم عدة وسنداً، وبحلول القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) ازداد نفوذ هؤلاء المماليك في الدولة الأيوبية، وسرعان ما غدا لهم كلمة مسموعة في الأحداث والمنازعات الداخلية؛ مما دلَّ على ازدياد سطوتهم، وبلغ من ازدياد نفوذهم أنهم دبّروا مؤامرة مكّنتهم من عزل العادل الثاني، وإحلال الصالح نجم الدين أيوب محله في السلطنة سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)[١].

وهكذا شعر السلطان الصالح نجم الدين بفضل المماليك عليه، وأهميتهم في توطيد سلطانه والاحتفاظ بملكه، فأكثر من شراء المماليك؛ حيث اشترى ألف مملوك تركي لتكوين فرقة خاصة به، وعني بهم عناية فائقة، وجعل مقرهم في القلعة التي بناها في جزيرة الروضة[٢]، فسُمُّوا في ذلك الوقت بالمماليك، وكانوا خليطاً من الأتراك، والمغول، والشراكسة،

---

(١) «السلوك» للمقريزي (١/ ١٤٦ـ١٤٧).

(٢) موقعها بين الفسطاط والجيزة، وتسمى جزيرة الروضة، وجزيرة الجيزة، وجزيرة مصر، وجزيرة الحصن، كما أن قلعتها يقال لها: قلعة الروضة، وقلعة الجزيرة، والقلعة الصالحية، وقلعة الجيزة، وكان يحيط بها بحر النيل، وفي تسمية النيل بالبحر تجوز؛ لعظمته، واستغرق بناء القلعة ثلاث سنين.

انظر: «خطط للمقريزي» (٢/ ١٧٧ـ١٨٥)، «ولاة دمشق في عهد المماليك» (ص٨).

والصقالبة، واليونان، والإسبان، والألبان[1].

ومنذ ذلك التاريخ أخذ أمراء المماليك في الظهور، وأخذ أمر الأيوبيين في الإدبار والانحلال، ومما عجل بالقضاء على الدولة الأيوبية، احتلالُ التتار لبغداد، ثم إرسالهم الجيوش التي احتلت ولايتي حلب ودمشق، حيث كانتا تحت سلطة ملك واحد هو الملك الناصر يوسف الأيوبي أحد أحفاد صلاح الدين، الذي فرَّ من وجه التتار إلى صحراء سينا متنقلاً بين قبائلها البدوية، و«ترك دمشق خالية»[2]، لا يستطيع القدوم إلى مصر خوفاً من خصومه المماليك، ولا الرجوع إلى الشام جزعاً من أعدائه التتار الذين بثّوا سراياهم في الصحراء لملاحقته، فألقوا القبض عليه بواسطة أحد الأمراء الأكراد، ثم أحضروه أمام هولاكو، فقتله بيديه سنة (٦٥٩هـ)، وبقتله انتهت السيادة الأيوبية في مصر والشام، وابتدأت دولة المماليك[3].

وكان أول أعمال المماليك بعد أن قتلوا آخر ملك شرعي في مصر، وهو الملك المعظم توران شاه (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) أن ملّكوا عليهم أحدهم المسمى عز الدين أيبك ـ إذا استثنينا شجرة الدر (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) التي انفردت بالحكم مدة ثمانين يوماً ـ ثم ولده علي بن أيبك (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م)، ثم الملك المظفر محمود قطز (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) الذي سار بجيشه لقتال التتار وانتصر عليهم في عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) تحت شعار: «وا إسلاماه!».

ومنذ ذلك الوقت أصبحت دمشق ولاية تابعة لدولة المماليك.

---

(١) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص١٦٨).

(٢) «السلوك» للمقريزي (١/ ٤٢٣).

(٣) «ولاة دمشق في عهد المماليك» (ص٩).

ويقسم المؤرِّخون عصر المماليك إلى دولتين متمايزتين، لكل منهما خصائصها، وهاتان الدولتان هما[1]:

١ـ دولة المماليك البحرية:

وحكمت هذه الدولة من سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) إلى سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وقد تعاقب على كرسي السلطنة (٢٨) سلطاناً، باستثناء شجرة الدر التي اعتبرها المقريزي أول سلاطين المماليك[2]، وأول سلاطين هذه الدولة هو المعز عز الدين أيبك الصالحي النجمي، تاريخ ولايته في (٣٠ ربيع الآخر ٦٤٨هـ)، وانتهى حكمه بقتله في (٢٤ ربيع الأول ٦٥٥هـ)، وآخر سلاطينها هو المنصور حاجي بن الأشرف شعبان، وتاريخ ولايته في (١٣ صفر ٧٨٣هـ)، وانتهى حكمه بخلعه من قبل الظاهر برقوق في (١٨ رمضان ٧٨٤هـ).

٢ـ دولة المماليك الجراكسة «البرجية»:

وهم ينتمون إلى بلاد الكرج «جورجيا»[3]، وأسكنهم ورباهم السلطان قلاوون بأبراج القلعة، ولذلك عرفوا بالمماليك البرجية[4].

وحكمت هذه الدولة من سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) إلى سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، وقد تعاقب على كرسي السلطنة (٢٩) سلطاناً.

وأول سلاطينهم الظاهر برقوق، وتاريخ ولايته في (١٩ رمضان

---

(١) انظر: «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» للمستشرق زمباور (ص٤٥٢)، «الدولة الإسلامية» (١/ ١٨٢)، «ولاة دمشق» (ص٢٤٥).

(٢) «السلوك» للمقريزي (١/ ٣٦١).

(٣) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٤١).

(٤) «بدائع الزهور» (١/ ١١٥).

٧٨٤هـ)، وانتهى حكمه بخلعه في (٦ جمادى الأولى ٧٩٠هـ)، وآخر سلاطينهم الأشرف طومان باي الذي تولى الحكم في (١٤ رمضان ٩٢٢هـ) حتى سيق إلى باب زويلة حيث شنق من قبل السلطان سليم العثماني يوم الاثنين (١١ ربيع الأول ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، وبه انقضت دولة المماليك[١].

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٧٦).

الفصل الأول

الحيـاة السيـاسيـة

عاش الإمام يوسف بن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ حياته في القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجري في ظل دولة المماليك الجراكسة «البرجية».

ويتصف حكم المماليك من الناحية الداخلية ـ على وجه العموم ـ بعدم الاستقرار، والاضطراب الدائم، والصراع على السلطة التي تكون النتيجة فيها للقوة، وتعتمد على التآمر والخيانة.

ومن المعروف أن المماليك لم يؤمنوا مطلقاً بمبدأ الوراثة في الحكم، وإنما اعتنقوا مبدأ الحكم للأقوى.

فما إن يموت أحد السلاطين حتى يفكر الأقوى في الملك، وإن كان حريصاً على عدم كشف مطامعه، ولا يكون في تفكيره غادراً أو مغتصباً أو معتدياً على ما لغيره من حقوق، وإنما كان ـ وفق العقلية المماليكية ـ مطالباً بحق طال السكوت عليه، ويكفي أنه رضي بالذي قبله سلطاناً عليه.

ومن الأمور المألوفة في عصرهم أن يحل القاتل بسهولة محل القتيل في مرتبة السلطنة ما دام القاتل قد أظهر من الشجاعة والقوة ما يضمن له التفوق على زملائه، على أنه لا يخفى على أحد أن مجتمع المماليك قام إلى حد كبير على أساس من الشك والتحاسد؛ لأنهم اعتبروا أنفسهم زملاء متساوين، وأنه لا فضل لأحدهم على الآخر.

وعقب مقتل كل سلطان تتكرر المسرحية نفسها؛ إذ يجتمع المتآمرون ويقرون الرأي على أن يلي بطل المؤامرة عرش السلطنة، ويحلف الأمراء يمين الولاء للسلطان الجديد، ويقبّلون له الأرض، ويلقبونه بالملك الأوحد، ويغادرون مكان الجريمة، ويتوجهون به إلى القاهرة ليحتل مكانه بالقلعة مركز السلطنة.

وكثيراً ما يشترط الأمراء على السلطان الجديد عند مبايعته سلطاناً ألا يحابي مماليكه على حسابهم، وألا ينفرد برأي، ولكن سرعان ما ينسى وعوده بعد أن تستتب له الأمور، ويبدأ بالثأر لنفسه من الأمراء المعارضين، فيقبض عليهم، ويعدمهم بعد أن يعنفهم ويذكرهم بمواقفهم منه[1]، وكلما سمع بتآمر أمير، أو شكَّ في تصرفاته، تخلص منه في الحال حتى لا يبقى له معاند على قول ابن إياس[2].

أما سياسته تجاه كبار رجال الدولة بوجه عام، فهي أن يقرب الواحد منهم، حتى إذا أحس أن نفوذه زاد عما يجب، تخلص منه في الحال أيضاً[3].

وأما سياسته تجاه الرعية، فهي على مرحلتين:

الأولى: عند اعتلائه العرش، فيأخذ بالتقرب من الخاصة والعامة لاكتساب محبتهم، فيخفف عن الأهالي عبء الضرائب، ويصك نقوداً جديدة جيدة لتحل محل الفلوس الزائفة التي كان السلطان السابق قد صكها من قبل، ويفرج عن المساجين من أصحاب الجرائم[4].

---

(١) «السلوك» للمقريزي (٢/ ٨٠ـ٨١)، «النجوم الزاهرة» (٨/ ٢٧٤ـ٢٧٥).

(٢) «بدائع الزهور» (١/ ٤٠٥).

(٣) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٣٢).

(٤) «إنباء الغمر» (١/ ١٤٩)، «النجوم الزاهرة» (٧/ ١٠٣).

والمرحلة الثانية: بعد أن تستقيم له الأمور، ولا يبقى له معاند، حينئذ يكشر عن أنيابه، ويعمل عمل أسلافه، وفي كثير من الأحيان نلاحظ أن الأمير يعتذر عن قبول منصب السلطان، ويفضل زميله على نفسه؛ لكي لا يتعرض للمصير الذي تعرض له غيره، كما حصل مع الأمير «سلار» الذي أشار إلى زميله «بيبرس الجاشنكير» (٧٠٩هـ)، وقال: «والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك، ولا يصلح له إلاّ أخي هذا»[١].

وعقب وفاة كل سلطان تتكرر المسرحية نفسها أيضاً؛ إذ يسرع الأمراء إلى تنصيب ابن السلطان المتوفى مكان أبيه حتى تهدأ الأمور، وتستقر الأوضاع، ولم يكن اختيار الأمراء ناجماً عن احترام شخصيته، أو رغبة منهم في احترام أحقيته في الحكم بوصفه ابن السلطان، إنما اختاروه وفقاً لسياستهم التقليدية حسماً للموقف بينهم إلى أن تظهر شخصية قوية بين صفوفهم تستطيع الإطاحة بذلك الطفل وتولي الحكم.

عندها يتشدق بنفس الأسطورة القديمة، ويقول: «لقد فسدت الأحوال، لكن السلطان صغير السن، وطمع المماليك في حق الرعية، ومن الرأي أن نولي سلطاناً كبيراً يقمع المماليك عن هذه الأفعال»[٢]، أو ينهض كاتب سره ليعلن: «أن الوقت قد ضاق، ومحتاجون إلى إقامة سلطان كبير تجتمع فيه الكلمة ويسكن الاضطراب»[٣].

أما إذا غلبت على السلطان غريزة الأبوة، وأراد أن يخرق شريعة المماليك في الحكم، ويعهد بالسلطنة من بعده لابنه، فكأنما حكم على ابنه بالسجن أو النفي أو الإعدام، إلا أن مبدأ الحكم الوراثي الذي حاول بعض

---

(١) «السلوك» للمقريزي (١/ ١٣٢).

(٢) «بدائع الزهور» (١/ ١٣٢).

(٣) «السلوك» للمقريزي (٣/ ٤٠٥).

سلاطين دولة المماليك البحرية تطبيقه في عناد وإصرار، والذي نجح بوضوح في عصر بيت قلاوون، لا نجد له أثراً في عصر دولة المماليك الجراكسة.

والواقع أن سلاطين دولة الجراكسة كانوا زعماء أو أمراء كباراً أكثر منهم سلاطين، وكان نجاح السلطان في مهمته يتوقف على مدى توفيقه في توجيه كبار الأمراء، وضرب طوائف المماليك بعضها ببعض، فإذا استطاع السلطان الاحتفاظ بمنصبه حتى الوفاة، فإن ابنه كان يخلفه عادة، ولكن لعدة أشهر فقط، حتى ينجلي الموقف بين كبار الأمراء، ويستطيع أحدهم أن ينفرد بالغنيمة[1].

ولا شك في أن البلاد قاست كثيراً في عهد المماليك الجراكسة من جراء المنازعات المستمرة بين طوائف المماليك، وما كان ينجم عن تلك المنازعات من حوادث وقتال في الشوارع؛ مما أوجد جواً من القلق وعدم الاستقرار، على أننا نلاحظ على الرغم من كل ذلك أن سلاطين الدولة الجركسية عملوا دائماً على حصر تلك المنازعات داخل دائرة محلية بحتة؛ مما حال دون تدخل القوى الخارجية في شؤون البلاد، أو الانتقاص من سيادتها.

وهكذا استطاعت دولة المماليك في ذلك العصر الصمود في وجه «تمرلنك» في وقت اهتزت جميع الدول القائمة في غرب القارة الآسيوية أمام هجماته، ولعل الظاهرة الواضحة في تاريخ المماليك الذين عاصرهم الإمام يوسف بن عبد الهادي هي انعدام روح النظام، وكثرة المنازعات والفتن والمنافسات بين طوائفهم.

ويبدو الفرق واضحاً بين ما كان عليه المماليك في أوائل عصرهم من

---

(١) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٤٧).

نظام وطاعة، وبين ما آل إليه أمرهم في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) من انحلال، حتى لقد وصفهم المؤرِّخ أبو المحاسن بقوله: «ليس لهم صناعة إلاّ نهب البضاعة، يتعدون على الضعيف، ويشرهون حتى في الرغيف»(١).

ومن المعلوم أن دولة المماليك عمرت حوالي (٢٦٨) سنة، تعاقب على كرسي السلطنة (٥٧) سلطاناً، (١٣) منهم انتهى حكمهم بالوفاة، و(١٥) بالقتل، و(٢٨) بالخلع، وفقد سلطان واحد فقط.

ومن هؤلاء السلاطين (١٧) حكموا خلال حياة شيخنا الإمام يوسف بن عبد الهادي، ونذكر جدولاً بأسمائهم، وألقابهم، وسنة توليهم الملك، وسنة خلعهم، أو قتلهم، أو وفاتهم، فإذا انتهى ملك أحدهم بالوفاة، فإننا نجعل مع رقم السنة «ت»، وإذا خلع «خ»، وإذا قتل جعلنا «ق»(٢).

الاسم	تاريخ الولاية	تاريخ انتهاء الحكم
١ـ الأشرف برسباي	٨ ربيع الأول ٨٢٥	١٣ ذي الحجة ٨٤١. ت
٢ـ العزيز يوسف بن برسباي	٤ ذي القعدة ٨٤١	١٩ ربيع الأول ٨٤٢. خ
٣ـ الظاهر جقمق العلائي	١٩ ربيع الأول ٨٤٢	٢١ محرم ٨٥٧. ت
٤ـ المنصور عثمان بن جقمق	٢١ محرم ٨٥٧	١ ربيع الأول ٨٥٧. خ
٥ـ الأشرف إينال العلائي	٩ ربيع الأول ٨٥٧	١٤ جمادى الأول ٨٦٥. ت
٦ـ المؤيد أحمد بن إينال	١٤ جمادى الأولى ٨٦٥	١٩ رمضان ٨٦٥. خ
٧ـ الظاهر خشقدم	١٩ رمضان ٨٦٥	١٠ ربيع الأول ٨٧٢. ت

(١) «النجوم الزاهرة» (٧/ ٣٢٩).

(٢) «ولاة دمشق في عهد المماليك» (ص١١)، ويوجد في كتب التاريخ خلاف في تعيين اليوم والشهر، فاقتضى التنويه.

الاسم	تاريخ الولاية	تاريخ انتهاء الحكم
٨ـ الظاهر بلباي المؤيدي الملقب بالمجنون	١٠ ربيع الأول ٨٧٢	٧ جمادى الأولى ٨٧٢. خ
٩ـ الظاهر تمريغا الرومي	٧ جمادى الأولى ٨٧٢	٣ رجب ٨٧٢. خ
١٠ـ خير بك «سلطان ليلة»	٨٧٢ ٨٧٢. خ	
١١ـ الأشرف قايتباي المحمودي	٦ رجب ٨٧٢	١٨ ذي القعدة ٩٠١. ت
١٢ـ الناصر محمد أبو السعادات «أولاً»	١٨ ذي القعدة ٩٠١	٢٨ جمادى الأولى ٩٠١. خ
١٣ـ الأشرف قانصوه أقام«١١» يوماً ثم فقد		
١٤ـ الناصر محمد أبو السعادات «ثانياً»		٢٥ ربيع الأول ٩٠١ ٩٠٤. ق
١٥ـ الظاهر قانصوه أبو سعيد	١٧ ربيع الأول ٩٠٤	٩٠٥. خ
١٦ـ الأشرف جان بلاط	٢ ذي الحجة ٩٠٥	٩٠٦. خ
١٧ـ العادل طومان باي	١٨ جمادى الآخرة ٩٠٦	١٧ رمضان ٩٠٦. ق
١٨ـ قانصوه الغوري	١ شوال ٩٠٦	١٥ رجب ٩٢٢. ق.

وهكذا يبدو لنا كيف تعاقب سلاطين المماليك في سرعة متناهية، وكيف أن بعضهم لا يكاد يعتلي العرش أياماً حتى يُعزل؛ مما يشهد على عدم الاستقرار ومدى الاضطراب الذي أصاب سلطنة المماليك في ذلك العصر، بل إن أحد سلاطينهم ظل مدى ليلة واحدة، فنسمع أن «خيربك» اعتلى العرش سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م) بعد تمربغا، وكان اعتلاؤه في المساء، وعزله في الصباح التالي[١]؛ مما جعل المعاصرين يطلقون عليه «سلطان ليلة»[٢].

(١) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٦٣).

(٢) «بدائع الزهور» (٢/ ٨٨ـ٨٩).

وقد تعاقب على ولاية دمشق خلال حياة الإمام يوسف بن عبد الهادي (٢٢) والياً، وهم[1]:

الاسم	تاريخ الولاية	تاريخ انتهاء الحكم
١ـ ينال الحكمي	١٧ جمادى الأولى ٨٣٩	٢٠ ذي الحجة ٨٤٢. ق
٢ـ أقبغا التمرازي	١٣ رمضان ٨٤٢	١٦ ربيع الآخر ٨٤٣. ت
٣ـ جلبان المؤيدي	١١ جمادى الآخرة ٨٤٣	١٧ صفر ٨٥٩. ت
٤ـ قانباي الحمزاوي	١٥ ربيع الآخر ٨٥٩	٢ ربيع الآخر ٨٦٣. ت
٥ـ جانم الجركسي	٣ جمادى الأولى ٨٦٣	٨٦٦. ق
٦ـ تنم المحتسب ٨٦٦	١٣ جمادى الأولى	٨٦٨. ب
٧ـ رسباي البجاسي ٨٦٨	١٠ صفر ٨٧١. ت	
٨ـ بردبك المشهور «بالأقرع»	١٥ ربيع الآخر ٨٧١	١٦ ربيع الأول ٨٧٢.[2]
٩ـ أزبك	١٧ جمادى الأولى ٨٧٢	٨ المحرم ٨٧٣. ع
١٠ـ بردبك «مرة ثانية»	رمضان ٨٧٣	١٩ المحرم ٨٧٥. ق
١١ـ برقوق الظاهري	١٥ صفر ٨٧٥	١٢ شوال ٨٧٧. ق
١٢ـ جاني بك قلقيس	١٥ جمادى الآخرة ٨٧٨	١٣ ذي الحجة ٨٨٣. ق
١٣ـ قانصوه اليحياوي	١٦ ربيع الأول ٨٨٤	٨٨٦. ع
١٤ـ قجماس سلخ	صفر ٨٨٦	ثاني العيد ٨٩٢. ت
١٥ـ قانصوه اليحياوي «مرة ثانية»	١٧ ذي الحجة ٨٩٢	١٣ شوال ٩٠١. ت

١٦ـ تعاقب عدة أمراء غيبة «بالوكالة» حتى سنة ٩٠٣هـ

---

(١) «إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى» (ص٧٠ـ١٨٠).

(٢) عُزل.

الاسم	تاريخ الولاية	تاريخ انتهاء الحكم
١٧ـ إينال الفقيه	٢٠ المحرم ٩٠٣	صفر ٩٠٣. ع
١٨ـ جان بلاط	صفر ٩٠٣	ربيع الآخر ٩٠٣. ع
١٩ـ كرتباي الأحمر	١٢ ربيع الآخر ٩٠٣	١١ ربيع الأول ٩٠٤. ت
٢٠ـ جان بلاط «مرة ثانية»	١٥ جمادى الآخرة ٩٠٤	١٢ المحرم ٩٠٥. ع
٢١ـ قصروه	٥ صفر ٩٠٥	١٢ جمادى الأولى ٩٠٦. ع
٢٢ـ دولتباي	١٥ جمادى الأولى ٩٠٦	١٠ شوال ٩٠٦ هرب
٢٣ـ قانصوه البرج	مستهل ربيع الأول ٩٠٧	١٦ صفر ٩١٠. ت

والملاحظ أن نظام الحكم في نيابة دمشق كان عبارة عن صورة مصغرة لسلطنة المماليك الكبرى في مصر، حتى لقد أطلق عليها القلقشندي اسم «نيابة الشام» أو«مملكة الشام»، ووصفها بأنها «أجلّ نيابات المملكة الشامية وأرفعها في الرتبة»[١]، ونائبها كان في حقيقة أمره «سلطاناً مختصراً» مع تبعيته لسلطان مصر، فكان لكل نائب حاشيته ومماليكه وأتباعه، وأطلق عليه أحياناً اسم «ملك الأمراء»؛ لقيامه مقام السلطان في التصرف، وقيام الأمراء على خدمته كخدمة السلطان[٢].

ولا يتسع المقام لوصف أحوال دمشق في عهد هؤلاء الولاة «النواب»، وبعد دراسة مستفيضة لتراجمهم رأيت أن أقدم وصفاً لأفضلهم، وهو الأمير كرتباي الأحمر (٩٠٤هـ)، يقول ابن طولون: «وكان كرتباي المذكور قوي القلب لكثرة عضاده بمصر، وكان لا يفعل الفواحش التي يفعلها غالب الترك من الزنا والسكر وغير ذلك، وكان له حرمة وسطوة على المناحيس

(١) «صبح الأعشى» (٤/ ١٨٠ـ١٨٤).
(٢) المرجع السابق ٥/ ٤٥٥.

والمفسدين، وكان ظلمه أقل من ظلم غيره من النواب في مصر وطرابلس وحلب وغيرهم على ما أخبر به أكابر دمشق، بل هو وليّ بالنسبة إليهم، والله أعلم بحاله في الآخرة، وقيل: إنه كان سريع التقلب، خفيف ثقيل، قريب بعيد، وقيل لي: إنه وجد في خزانته ذهب عين عدة مئة وسبعة وستين ألفاً»[1].

وبالجملة فقد كانت بلاد الشام مسرحاً لكثير من الفتن والمؤامرات والثورات طوال عصر المماليك، وقد درس الأستاذ «جاستون فييت» تراجم (٧٤) نائباً لنيابة دمشق في عصر المماليك، فتبين له أن (٢٩) منهم خرجوا على السلطنة، وأعلنوا الثورة، واستطاع اثنان منهم ـ هما: لاجين، وشيخ ـ أن يصلا إلى السلطنة، وتمكن اثنان من الهرب إلى خارج الدولة، وحصل خمسة على عفو السلاطين، وسجن خمسة ثم أفرج عنهم، في حين أُعدم خمسة عشر، هذا في دمشق فقط، وهي إحدى نيابات الشام[2].

*** الخلافة:**

هذا ما كان من أمر أمراء المماليك، أما الخلافة، فلا يخفى على أحد أن سقوط الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) خلق فراغاً سياسياً في العالم الإسلامي لم يعتده المسلمون منذ وفاة النبي الأعظم ﷺ.

وفي وسط ذلك الفراغ الكبير حاول بعض حكام الولايات الإسلامية إحياء الخلافة في بلده، وكان أكثرهم تحمساً الظاهر بيبرس المملوكي (٦٧٦هـ).

---

(١) «إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى» (ص١١١).
(٢) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٣٤٨).

ولا شك بأن للمماليك أسباباً قوية تدفعهم إلى القيام بهذا الأمر، ولعل حماستهم تنبع من ثلاثة أمور:

الأول: أصلهم غير الحر، فقد وُصفوا بأنهم «عبيد خوارج»[1].

الثاني: انتزاعهم ملك سادتهم بني أيوب، بدليل تحايلهم على الموقف بمحاولة إشراك بعض أبناء البيت الأيوبي معهم في الحكم.

والأمر الثالث والأهم: هو إضفاء صبغة شرعية على حكمهم.

وقد تم لبيبرس ما أراد، فقد حصل بالفعل على تقليد بالسلطنة من الأمير العباسي أحمد بن الظاهر بن الناصر «المستنصر بالله» الذي شكك الناس في صحة نسبه، ويبدو هذا التشكك واضحاً في الطريقة التي أشار بها بعض المؤرِّخين إلى الخليفة الجديد، وهي طريقة لا تخلو من الغمز الواضح، وفي ذلك يقول المؤرِّخ «أبو الفداء» في حوادث سنة (٦٥٩هـ): «وفي هذه السنة قدم إلى مصر جماعة من العرب، ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد، زعموا أنه ابن الإمام الظاهر بالله ابن الإمام الناصر»[2]، ويكرر أبو الفداء أسلوبه في الإشارة إلى الخليفة الجديد فيقول: «وبرز الملك الظاهر، والخليفة الأسود...»[3].

ولكن بيبرس أسرع بالتخلص من هذا الخليفة الجديد؛ لشعوره بأنه أوجد لنفسه شريكاً في الملك، فأرسله إلى بغداد لقتال المغول في بضع مئات من الرجال؛ مما أدى إلى مقتله ومعظم رجاله على أيدي المغول قرب هيت[4].

---

(١) «صبح الأعشى» (١/ ٣٦٣، ٤/ ٦٧).

(٢) «المختصر في أخبار البشر» (٣/ ٢١٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٣١٨).

ولم يجد بيبرس مفراً من استدعاء أمير جديد من بني العباس، وهو الأمير أبو العباس أحمد «الحاكم بأمر الله» وبايعه بالخلافة، وحصل منه على تقليد بالسلطنة سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)[١]، لكنه حرص على الحد من نفوذ الخليفة الجديد، بحيث لم يترك له فرصة للظهور وتأكيد نفوذه على حساب السلطنة.

وقد حاكى سلاطين المماليك الظاهر بيبرس في سياسته هذه تجاه الخلفاء العباسيين، فأصبح الوضع طوال العصر المملوكي أن يفوض الخليفة الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عنه عهداً بالسلطنة، ويدعى له قبل السلطان على المنابر، وفيما عدا ذلك يستبد السلطان بكافة شؤون الحكم، في حين يقنع الخلفاء بالتردد على أبواب السلاطين والأمراء لتهنئتهم بالشهور والأعياد، ويصف المقريزي دخولهم للتهنئة بعيد الفطر يقول: «وأصبح السلطان يوم الخميس جالساً على تخت الملك وسرير السلطنة، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء»[٢].

وبالجملة فقد كان الخليفة العباسي في القاهرة لا حول له ولا قوة في ذلك العصر، حتى إن أحد الأمراء المماليك عندما قرأ العهد الذي منحه الخليفة سليمان للسلطان المظفر بيبرس الثاني (٧٠٩هـ) وجد أوله: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ رد على الفور ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ﴾[٣].

وقد عبَّر المقريزي تعبيراً صادقاً عن الخلافة العباسية في وضعها الجديد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «السلوك» للمقريزي (٢/ ٧٣).

(٣) «النجوم الزاهرة» (٨/ ٢٦٢)، «اقتباس من سورة الأنبياء: من الآية ٨١».

بعد إحيائها بالقاهرة، فقال: إن خلافة الخليفة العباسي «ليس فيها أمر ولا نهي، وحسبُهُ أن يُقال له: أمير المؤمنين»[1].

أما الشعب، فقد كان أعزل، مقهوراً، مغلوباً على أمره، ولم تكن له قوة تنظيمية وحربية تمكنه من تنفيذ إرادته، بل إن القوة الحربية الوحيدة الموجودة بالفعل على الأرض هي قوة المماليك، ولم يكن هناك بد من الاختيار بين أمرين لا ثالث لهما: إما الوقوع تحت حكم الصليبيين الكفار، وهذا ما لا يرضى به أحد، وإما الرضوخ للمماليك المسلمين.

ـ الأحوال الخارجية:

هذا عن الأحوال الداخلية لدولة المماليك، أما على الصعيد الخارجي، فقد أثبت بعض سلاطين المماليك أنهم على جانب كبير من الحنكة السياسية، والقدرة على المناورة واقتناص الفرص، واكتساب الحلفاء في الخارج، هذا إلى جانب البطولة النادرة والشجاعة الكبيرة، وقد انعكست هذه المهارة السياسية على كافة الأصعدة:

أولاً: على الصعيد المحلي: فقد استأنف المماليك سياسة الأيوبية الخاصة بالجهاد، وذلك للظهور أمام الشعب في مصر والشام في صورة حماة المسلمين وزعمائهم في حركة الجهاد ضد الصليبيين وغيرهم.

ثانياً: على الصعيد العربي والإسلامي: فقد قام المماليك بإحياء الخلافة العباسية في مصر بعد سقوطها في بغداد، مما جعل لهم ولدولتهم مكانة مرموقة في العالم الإسلامي؛ إذ جعلهم يبدون في صورة الزعماء الحقيقيين للعالم الإسلامي أجمع بوصفهم حماة الخلافة المتمتعين ببيعتها، وعليه فقد نظر إليهم حكام وشعوب الدول العربية والإسلامية نظرة إكبار

---

(١) «المواعظ» للمقريزي (٣/ ٣٩٤).

وإجلال، هذا بالإضافة إلى ما قاموا به من تأكيد نفوذهم على الحجاز والقدس.

ثالثاً: على الصعيد العالمي: فقد استطاعت دولة المماليك في مصر والشام أن تثبت أنها أعظم قوة معاصرة، خاصة بعد القضاء على الخطر المغولي الذي هدد العالم بأسره، الأمر الذي أجبر القوى الأجنبية أن تنظر إليها نظرة خوف واحترام.

وتبدو مهارة هؤلاء السلاطين السياسية في أنهم كانوا حريصين في أثناء حروبهم ضد الصليبيين والمغول على تحييد بعض القوى المعادية لكلا الطرفين، كذلك سعوا إلى كسر أي تحالف يعقده خصومهم ضدهم.

والملاحظ عند دراسة حروبهم أنه يصعب في كثير من الحالات الفصل بين حروبهم ضد المغول، وحروبهم ضد الصليبيين، بسبب ما كان هناك من تحالف قوي بينهما ضد المسلمين، لذلك كثيراً ما كان يحدث أن يحاربوا المغول والصليبيين في وقت واحد، ويخرجوا لحرب أحد الخصمين فيحاربوا الآخر[1].

والواقع أن السلطان الظاهر بيبرس يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك؛ لأن الفترة الطويلة نسبياً التي قضاها في الحكم (٦٥٨ـ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ـ١٢٧٧م) مكّنته من القيام بكثير من المشاريع الداخلية والخارجية التي أضفت على دولة المماليك الناشئة قدراً من الهيبة كانت أحوج ما تكون إليها، فقد شن على الصليبيين حرباً عنيفةِ لا هوادة فيها ولا رحمة، ففي خلال (٤) سنوات، من سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م) إلى سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) لم يُبْقِ للصليبيين في بلاد الشام سوى عكا

---

(١) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٠١).

وطرابلس، بل أخذ يستعد لمهاجمة طرابلس ذاتها، لولا وصول الأمير إدوارد الإنجليزي إلى بلاد الشام، مما جعل بيبرس يخشى أن يكون ذلك مقدمة لحملة صليبية كبيرة[1].

وفي الوقت الذي قام فيه بيبرس بمحاربة الصليبيين وانتزاع مدنهم وقلاعهم، حارب أيضاً مغول فارس، ودفع شرهم، ولم يسمح لهم مطلقاً بالتقدم غرباً خارج حدود العراق.

ويمكن القول: إن دولة المماليك اتخذت في عهد بيبرس طابعها الخاص المميز الذي ظلت عليه حتى أوائل القرن السادس عشر.

واستأنف سلاطين المماليك بعد بيبرس سياسة الجهاد، فأخذ السلطان قلاوون طرابلس سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٦م)[2]، وتم تحرير عكا من قبل ابنه السلطان الأشرف خليل سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)[3].

ولا شك في أن استيلاء المسلمين على عكا كان بمثابة الضربة الختامية الكبرى التي نزلت بالصليبيين في الشام، ولم يصبح لهم بعد ذلك مقام في تلك البلاد، فاستولى المسلمون بسهولة على المراكز القليلة الباقية بأيديهم مثل صور وصيدا، وعتليت، وبذلك كان السلطان الأشرف خليل بن قلاوون هو بطل آخر صفحات الحروب الصليبية بالشام.

على أن الصليبيين اتخذوا من جزيرتي قبرص، ورودس قواعد عسكرية لهم في انتظار الفرصة للقيام بحملة صليبية كبرى تعيدهم إلى الفردوس المفقود.

---

(١) المرجع السابق (ص٢٠٠).
(٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ٣٤٩).
(٣) المرجع السابق (١٣/ ٣٥٥).

ومن المعلوم أن الحروب الصليبية ميادينها كثيرة ومتشعبة، ولم تنته بطرد آخر بقاياهم من الأرض الإسلامية، فهي مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولعل زوال الخطر الصليبي في تلك الفترة كان إيذاناً بانتهاء سياسة الجهاد التي سلكها سلاطين المماليك منذ تأسيس دولتهم، وبداية فصل جديد في سياسة جديدة.

ومن الواضح أن سياسة سلاطين المماليك منذ ذلك الوقت أصبحت دفاعية بحتة، وتتمحور حول الحفاظ على مركز السلطنة بالقاهرة فقط، ولو أدى ذلك إلى خروج باقي الأقاليم من حوزتهم.

ودليله وجود القوة الضاربة للمماليك مع احتياطي جيشهم الضخم في قبضة السلطان في القاهرة، مما جعل بلاد الشام لقمة سائغة بيد التحالفات المعادية، لحين إعلان التعبئة العامة وتجهيز الجيش ثم رحيله من القاهرة، وما يستغرقه من وقت للوصول منهكاً إلى أرض المعركة.

ولعل السبب راجع إلى اشتداد الصراع على السلطة بين أمراء المماليك، وبداية فصول الخيانة التي لم تنته إلاّ بانتهاء دولتهم، فكثيراً ما نسمع عن قيام تحالفات بين أمراء المماليك وأعداء دولتهم، منها: قيام قوات التحالف المغولي الأرمني بإغراءٍ من نائب الشام قبجق المملوكي بالتوغل في بلاد الشام، فتصدى لهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بوادي الخزندار قرب السلمية، حيث هُزِم الأخير، وعلى إثرها سُلِّمَت دمشق لهم سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٣٠م)[١]، لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على قلعتها بتحريض من ابن تيمية الذي أرسل إلى محافظ قلعتها سراً يقول له:

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٨).

«لو لم يبق من القلعة إلاّ حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت»[١].

وسُلمت الصالحية لملك سيس الأرمني ليشفي غليله منها، فأحرق المساجد والمدارس، ونهب الكتب، وقتل وأسر من أهلها نحواً من (٩٩٠٠) نفس، وأحرق جامع التوبة، بالعقيبة، ونهب ما في الجوامع من البسط والقناديل النفيسة، وأخذ باب دار الحديث الناصرية إلى سيس، وجعله باباً لكنيستها رمزاً للانتقام الديني، ولما فرغوا من الصالحية، توجهوا نحو المِزة وداريا، وعملوا فيهما مثل الصالحية[٢]، ثم رحلت قوات التحالف بعد أن أبقت في دمشق حامية للدفاع عنها، فاحتال الأمير قبجق ـ بعد إصدار عفو عنه ـ على أمير الحامية، وأخرجه مع جنوده من بلاد الشام، وسلمها إلى جيوش المماليك.

أو لعل طول البقاء على كرسي السلطنة أضعف من عزيمتهم، وأصبحوا يعتقدون أنه من الحكمة والسياسة انتظار ضعف عدوهم للقيام بتحرير الأراضي المغتصبة، أو طروء ظروف دولية خارجية تؤدي إلى انسحابه دون قيد أو شرط.

وهذا ما حدث بعد معركة الخزندار، فقد اغتنم غازان المغولي فرصة تفوق عدد جيشه على جيش الشام؛ لعدم وجود الجيش المصري، فأسرع بجيوشه إلى حماة، فانسحب جيشها إلى دمشق، ونزلوا مرج راهط «مرج عذرا»، ووصل التتار إلى حمص وبعلبك، فعاثوا فيها فساداً، واضطربت دمشق لتأخر قدوم السلطان وجيشه، وقال الناس: لا طاقة لجيش الشام ومصر بلقاء التتار، فكيف وجيش الشام وحده ؟[٣].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٩)، سطر ٩ـ١٠.

(٢) المرجع السابق (١٤/ ٩ـ١٠).

(٣) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٦).

ـ انتصار شيخ الإسلام ابن تيمية في معركة مرج الصفر «شَقْحَبْ» سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م):

أخذ الشيخ تقي الدين بن تيمية يشجع الأمراء والجنود على الدفاع، ويدعو العوام إلى التطوع والجهاد، وأخذ يُقْسِم للناس بأنهم في هذه الكرَّة منصورون على التتار، فيقول له الأمراء حين يحلف: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يستدل على صحة أَيْمانه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، وأخذ يجمع الأمراء في الميدان «المرجة»، ويدفعهم لأن يقسموا بالله على لقاء الأعداء[١].

ـ حكم قتال التتار:

في المَثَل: البخيل وقت الضيافة يصير طبيباً، والكسلان عند الحاجة منجماً، وهناك ثالث يجب أن يُضاف إلى هذين الاثنين، وهو: من يريد التخلص من الواجب يصير ورعاً تقياً[٢].

وقد أخذ الذين يريدون التملص من محاربة التتار يظهرون الورع والتقوى، ويثيرون ما يلي: هل يجوز قتال التتار وهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام؟ فإنهم لم يكونوا في طاعته ثم خرجوا عنها حتى يصح قتالهم..؟[٣].

إزالة شبهة:

أخذ الشيخ تقي الدين بن تيمية يرد على هؤلاء، ويبين حكم هذه المشكلة فقال: «إذا رأيتموني من ذلك الجانب ـ أي: جانب التتار ـ وعلى

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٦).
(٢) «ولاة دمشق في عهد المماليك» (ص١٣٦).
(٣) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٦).

رأسي مصحف، فاقتلوني، إن هؤلاء التتار، وإن كانوا مسلمين، فإنهم من نوع الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، فهؤلاء التتار يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة»[١]، فتشجع الناس في قتال التتار، وقويت قلوبهم ونياتهم، والحمد لله.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ليشهد القتال مع جماعتة من باب النصر «مدخل سوق الحميدية» بكل مشقة؛ لكثرة الزحام، فظن الناس أنه خرج هارباً، فأخذوا يلومونه ويقولون له: أنت منعتنا من الخروج من البلد، وها أنت هارب! فلم يرد عليهم شيئاً، وسار وجهة الكسوة، واتصل بالجيش، فطلب منه الأمراء أن يذهب في طريق مصر، ويجتمع بالسلطان، ويحثه على سرعة الوصول إليهم، فسار واجتمع بالسلطان، وقد انثنى عزمه، وكاد أن يرجع إلى مصر، فأخذ ابن تيمية يشجعه على الجهاد، ويحلف له بالله بأنه سيكون منصوراً في هذه المرة، فأثّرت كلمات الشيخ في السلطان، وسار معه حتى التقى الجمعان قرب الكسوة يوم الجمعة الأول من رمضان سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م).

وطلب السلطان من الشيخ تقي الدين بن تيمية أن يقف إلى جانبه، فقال له الشيخ: «السنّة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام لا نقف إلاّ معهم»[٢]، وحرَّض السلطان على الجهاد، وبشّره بالنصر، وأفتى لهم بالفطر، وصار يدور على الأجناد والأمراء فيأكل أمامهم ليقتدوا به بالفطر في رمضان وقت الجهاد.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٦).

(٢) المرجع السابق (١٤/ ٢٨)، سطر ٣-٤.

وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للتتار، بعد أن ضعفت نفوسهم، وألقوا أسلحتهم، واستسلموا للقتل، فكانت العساكر حتى أراذل العامة تقتلهم بغير مدافعة.

ورجع المجاهدون المتطوعون من الكسوة، فبشّروا الناس بالنصر، ودخل الشيخ ابن تيمية بجماعته راجعاً من الجهاد، ففرح الناس به، ودعوا له، وهنؤوه بما يسّر الله على يديه من الخير والنصر والظفر[1].

وتبع هذه المعركة فترة من الهدوء، مع الاستمرار في سياستهم هذه، عملوا خلالها على تأمين حدود مركزهم مصر، فتمكنوا من إقامة أول ملك مسلم من أهل النوبة على تلك البلاد هو «عبد الله برشنبو»، لكن أحوال النوبة لم تستقر بعد ذلك؛ مما تطلب من السلطان الناصر محمد إرسال حملة جديدة سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، إلاّ أنه يلاحظ أن بلاد النوبة أخذت منذ ذلك الوقت تفقد صفتها المسيحية تدريجياً لتتخذ طابعاً عربياً وإسلامياً[2].

وأعقب هذا دور انحلال وفوضى استمر قرابة (٨٥) عاماً (٧٤١ـ٨٢٥هـ/ ١٣٤٠ـ١٤٢٢م)، تخللها حروب كثيرة وثورات وفتن، تمكن فيها الصليبيون في قبرص من الإغارة على الإسكندرية سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، واحتلوها لمدة (٨) أيام، فاستلم الفرنج الناس بالسيف، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق، وأسروا وسبوا خلائق كثيرة، وأحرقوا عدة أماكن، واستمروا كذلك يقتلون، ويأسرون ويسبون، ويحرقون من ضحوة نهار الجمعة إلى بكرة نهار الأحد، وأقاموا بها إلى يوم

---

(١) المرجع السابق (١٤/ ٢٨ـ٢٩).

(٢) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٣٣).

الخميس، ثم أقلعوا ومعهم خمسة آلاف أسير، فكانت إقامتهم ثمانية أيام[1].

وفي هذا الدور استولى «تيمورلنك» على بغداد سنة (٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م)[2]، ثم اجتاح آسيا الصغرى وهزم العثمانيين سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)[3]، فأرسل السلطان بايزيد العثماني رسالة إلى القاهرة تتضمن اجتماع الكلمة، وأن يكون وسلطان مصر يداً واحدة في قتال تيمورلنك، فلم يلتفت أحد إلى كتابه، وكان من نتيجة تلك السياسة أن انفرد تيمور بكل منهما على حدة، فاجتاح بلاد الشام سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)[4]، واستلم دمشق إثر انسحاب السلطان منها خوفاً على مركزه مصر، فنهب المدينة ودمرها، وأشعل فيها النيران، كما دمر معظم الأطراف الشمالية لبلاد الشام، ثم هزم السلطان بايزيد العثماني في موقعة أنقرة سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)[5]، ووقع بايزيد نفسه أسيراً حيث مات في الأسر في العام التالي.

وتتلخص سياسة الدولة الخرقاء في هذا الدور بما يلي:

١ـ الاختلاف والتطاحن وعدم أخذ الأهبة لقتال تيمور.

٢ـ عدم الاستفادة من قوة أحمد بن أويس سلطان بغداد المخلوع وجيشه البالغ (٧) آلاف جندي مدرب؛ إذ طلب اللجوء السياسي في بلاد

---

(١) «السلوك» ـ ج٣ ـ القسم الأول (١٠٦ـ١٠٧).
(٢) «تاريخ ابن سباط» (٢/ ٧٤٤)، «السلوك» ـ ج٣ ـ القسم الثاني (٧٨٨).
(٣) «السلوك» ـ ج٣ ـ القسم الثالث (١٠٢٣).
(٤) «صدق الأخبار تاريخ ابن سباط» (٢/ ٧٦٤ـ٧٦٨)، «السلوك» ـ ج٣ ـ القسم الثالث (١٠٣٢) وما بعدها.
(٥) «السلوك» ـ ج٣ ـ القسم الثالث (١٠٩١ـ١٠٩٢).

الشام، فرُفض طلبه، بل حُورب من قبل المماليك[1].

٣ـ عدم الاتفاق مع السلطان بايزيد في قتال تيمور، ولو تم هذا الاتفاق، لتغير مجرى الأحداث، ولم تسقط دمشق بيد تيمور.

وقد شهد الدور الأخير لدولة المماليك (٨٢٥ـ٩٢٣هـ/ ١٤٢٢ـ١٥١٧م) أحداثاً خارجية مهمة، كما شهد استمرار فصول الخيانة من قبل أمراء المماليك والتي أدت بالنتيجة إلى سقوط دولتهم على يد السلطان سليم العثماني.

ونظراً لأهمية هذا الدور بالنسبة للمنطقة، ولأن شيخنا الإمام يوسف بن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ عاش ومات فيه، نفصل أبرز أحداثه الخارجية:

١ـ فتح جزيرة قبرص سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م)[2]، وذلك لتأمين طريق التجارة الوحيد آنذاك بين أوروبا وآسيا، كما قام المماليك بثلاث محاولات لغزو جزيرة رودس لنفس السبب، ولكنها باءت بالفشل، وارتد فيها طائفة إلى دين النصرانية من المماليك[3]، والعياذ بالله.

٢ـ سقوط القسطنطينية في قبضة السلطان محمد الفاتح العثماني سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م).

٣ـ إرسال المماليك عدة حملات لإخضاع شاه سوار التركماني أمير دولة دلغادر، والذي كان يتمتع بتأييد السلطان محمد الفاتح العثماني، وقد نجحت الحملة الأخيرة بقيادة الأمير يشبك الدوادار سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) في إخضاع هذه الدولة، والاستيلاء على عينتاب وأذنه وطرسوس، وتم

---

(١) المرجع السابق (١٠٢٠ـ١٠٢١).

(٢) المرجع السابق ـ القسم الثاني (٨٢٩) وما بعدها، «إنباء الغمر» (٨/ ٩٧) وما بعدها.

(٣) «بدائع الزهور» (٢/ ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٣) «إنباء الغمر» (٩/ ٢٢٣) وما بعدها.

القبض على شاه سوار؛ حيث شنق على باب زويلة بالقاهرة سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)[١].

٤ـ تزايد الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وفقدان دولة المماليك لنفوذها في هذين البحرين، وذلك بعد نجاح «بارثلميو دياز» في كشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م).

٥ـ خروج المسلمين نهائياً من إسبانيا سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)، ويلاحظ وجود أعظم قوتين معاصرتين في تلك الفترة، هما: دولة المماليك، والإمبراطورية العثمانية، مع العلم أن كلتا الدولتين كانتا في نزاع مستمر على تزعم العالم الإسلامي.

٦ـ تمكن «فاسكو دي غاما» من الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، وبذلك استطاع البرتغاليون من توفير التوابل وغيرها من حاصلات الشرق الأقصى بثمن يبلغ ربع الثمن الذي كانت تباع به في أسواق دولة المماليك، مما حرم سلاطين المماليك من المورد الرئيسي الذي استمدوا منه أسباب قوتهم وعظمتهم.

وبذبول تلك التجارة ذبلت الدولة نفسها[٢].

٧ـ ظهور خطر الدولة الصفوية سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م)، والتي هاجمت قواتها الأراضي الواقعة على الحدود الشمالية لبلاد الشام، إلاّ أن نواب السلطنة استطاعوا رد الصفويين[٣].

٨ـ سيادة السلام وحسن الجوار ظاهرياً بين الدولتين المملوكية

---

(١) «رحلة الأمير يشبك الدوادار» لابن آجا (١٥٩ـ١٦٠).

(٢) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص٢٧٢).

(٣) «رحلة الأمير يشبك الدوادار» لابن آجا (٢١٨ـ٢٢٥).

والعثمانية في الفترة ما بين (٩٠٧ـ ٩٢٠هـ/ ١٥٠١ـ١٥١٤م)، وذلك لظهور الخطر الصفوي، وتعرضت خلالها حدود الدولتين لاعتداءات الصفويين[١].

٩ـ إرسال المماليك حملة بحرية أنزلت الهزيمة بالبرتغاليين قرب الشواطىء الغربية للهند سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)[٢]، ولكن البرتغاليين عادوا وحطموا الأسطول المملوكي في العام التالي سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) في موقعة (ديو) البحرية، وعليه فقد أحكم البرتغاليون سيطرتهم على طريق رأس الرجاء الصالح الذي ظل الطريق التجاري الوحيد بين الشرق والغرب حتى افتتاح قناة السويس للملاحة سنة (١٢٧٥هـ/ ١٨٦٩م).

١٠ـ عَرَضَ السلطان سليم العثماني على قانصوه الغوري إقامة تحالف مشترك ضد إسماعيل الصفوي، على أن الغوري رفض هذا العرض واكتفى بموقف المتفرج، لا بل أرسل سراً لعقد تحالف مع الصفوي ضد العثمانيين، وقد وصلت أخبار هذا التحالف إلى سليم العثماني[٣].

١١ـ قيام السلطان سليم العثماني بسحق الصفويين في معركة «جالديران» قرب تبريز سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)[٤]، وتم قضاؤه على إمارة دلغادر المشمولة بحماية سلطنة المماليك سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) مما جعل الصدام بين الدولتين أمراً لا مفر منه[٥].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) «بدائع الزهور» (٤/ ١٤٢).
(٣) المرجع السابق (٤/ ٣٧٢ـ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٥) «رحلة الأمير يشبك الدوادار» (ص٢٣١).
(٤) «رحلة الأمير يشبك الدوادار» (ص٢٣٠)، «بدائع الزهور» (٤/ ٣٩٨).
(٥) «بدائع الزهور» (٤/ ٤٣٥) «رحلة الأمير يشبك الدوادار» (ص٢٣٣) وما بعدها.

١٢ـ وفي (١٤ رجب سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[١] دارت معركة مرج دابق التي حارب فيها المماليك بشجاعة، لكن الخيانة لعبت دورها كالعادة، فأدت إلى هزيمة المماليك؛ حيث قتل السلطان الغوري الذي حكم خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وكان الناس معه في هذه المدة في غاية الضنك على قول ابن إياس الذي قال في هذا المعنى[٢]:

اعْجَبوا للأَشْرَفِ الغُوريّ الذي ... مُذْ تَزايَدَ ظُلْمُهُ في القَاهِرَه
زَالَ عَنْهُ مُلكُهُ في سَاعَةٍ ... خَسِرَ الدُنْيَا إذاً والآخِرَهْ

١٣ـ دخول السلطان سليم العثماني حلب فدمشق ثم الريدانية، وفي يوم الثلاثاء خامس المحرم سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) دخل السلطان سليم القاهرة، ثم قبض على آخر سلاطين المماليك طومان باي، وسيق إلى باب زويلة؛ حيث شنق في يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأول سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)[٣]، وبه انقضت دولة المماليك.

والواقع أن الصدام بين المماليك والعثمانيين كأن أمراً طبيعياً بين أكبر قوتين تتزعمان العالم الإسلامي، واتخذتا الحرب والقتال أداة لسياستهما، فكان لا بد لإحدى هاتين القوتين أن تنتصر على منافستها، وتستأثر بزعامة المسلمين في هذه المنطقة.

ولعل هذه الصورة الموجزة كافية لأن تعطينا فكرة عامة عن الحالة السياسية في ذلك العصر، ومدى المعاناة التي لحقت بشعب تلك الدولة.

ولا شك أن الحروب المتلاحقة، والصراع على السلطة، والثورات

---

(١) «إعلام الورى» (ص٢٣٠)، ويوجد في كتب التاريخ خلاف في اليوم فقط، دون الشهر والسنة، فاقتضى التنويه، واخترت الأقرب من أرض المعركة.
(٢) «بدائع الزهور» (٥/ ٧١).
(٣) «إعلام الورى» (ص٢٣٨).

والفتن المستمرة، والخيانات المتأصلة في نفوس المرتزقة، والاضطرابات وما يعقبها من عدم استقرار وفوضى، تركت أثرها واضحاً في نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ولكن أثرها على الناحية العلمية كان محدوداً، بل تستر المماليك في كثير من الأحيان بتشجيع العلم والعلماء. والله أعلم بالصواب.



الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية

إن العصر المملوكي هو أَوْلى العصور بالدراسة والتحليل والاعتبار، ذلك أننا في بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن متصلون اتصالاً وثيقاً بهذا العصر في ثقافتنا وتفكيرنا وأخلاقنا وعاداتنا، وما إلى ذلك من شؤون، وعلى الرغم من أن العهد العثماني فصل بيننا وبين ذلك العصر بنحو أربعة قرون، فإننا لا نزال متأثرين إلى حد بعيد بذلك العصر، وخاصة بأساليب إدارة المجتمعات «الحكم».

ومن المعلوم أن هذا العصر قد عُرض دراسة وتحليلاً وتمحيصاً من قبل المعاصرين، على أنه من الملاحظ أن هذه الدراسات كانت وما تزال على وجه العموم، لا الخصوص، وخاصة عند التمهيد لنواحي الحياة التي عاشها علم من الأعلام المسلمين في تلك الفترة.

فقلما نجد ـ على سبيل المثال ـ دراسة خاصة بالمجتمع الدمشقي في فترة معينة من ذلك العصر دون التطرق إلى باقي المجتمعات كالمصري وغيره.

ولعل ذلك راجع إلى عدم وجود فروق جوهرية في جميع نواحي الحياة التي عاشها الناس في مختلف الأقطار منذ بداية الحكم المملوكي مروراً بوسطه وإلى نهايته. فالسياسة واحدة، وتركيبة المجتمعات واحدة أيضاً.

وبما أن هذه الدراسة غير مختصة، وخوفاً من وجود فارق اجتماعي بين الأقطار لا نعلمه لعله يظهر فجأة، وبما أنه لا توجد ـ على ما نعلم ـ دراسة مستقلة عن الناحية الاجتماعية في دمشق المحروسة، على الرغم من كثرة الأعلام الذين عاشوا فيها، وبما أن شيخنا صاحب هذه الرسالة عاش طوال حياته فيها، رأيتُ أن أتناول هذه الناحية في دمشق تحديداً.

ومع ذلك فغنيٌّ عن التعريف أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مختلف بلاد السلطنة كانت في غاية السوء والانحطاط، انتهت بالمجتمع إلى طور من الضعف والفتور والدعة، أورثت الشعب الهم والخمول والشقاء[1]. ولكي لا نهمل أياً من الجوانب، نقدم صوراً مجملة عن أحوال بعض المجتمعات خارج دمشق كما صورها مؤرِّخان من مؤرِّخي ذلك العصر، هما: المقريزي (٨٤٥ هـ) مؤرِّخ مصر، وابن طولون (٩٥٣ هـ) مؤرِّخ الشام.

* **في مصر**: يصف المقريزي حالة المجتمع المصري في أيامه فيقول:

«... شواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه أهل القاهرة الآن، من الفقر والفاقة وقلة المال، وخراب الضياع والقرى، وتداعي الدور للسقوط، وشمول الخراب أكثر معمور القاهرة، واختلاف أهل الدولة، وقرب انقضاء مدتهم، وغلاء سائر الأسعار»[2].

ثم يقول في موضع آخر: «... ثم تقلص ظل العدل، وسفرت أوجه الفجور، وكشّر الجور أنيابه، وقلّتِ المبالاة، وذهب الحياء والحشمة من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء، وتعدّت منذ عهد المحن التي كانت في

---

(١) «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي» (٢/ ٣٠٨).

(٢) «خطط المقريزي»(١/ ٣٧٣).

سنة (٨٠٦ هـ) الحُجّاب، وهتكوا الحرمة، وتحكموا بالجور تحكماً خفي معه نور الهدى، وتسلطوا على الناس مقتاً من الله لأهل مصر عقوبة لهم بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذي عملوا ولعلهم يرجعون»[١].

* **في البلاد الشمالية**: يقول ابن طولون: «وفي يوم الخميس رابع عشر شوال المذكور (٩١٠ هـ)، وهو «خميس البيض»[٢] ورد من البلاد الشمالية طوائف كثيرة على قصد الحج من كثرة الظلم في بلادهم»[٣].

* **في بلاد حلب**: يقول ابن طولون نقلاً عن الشمس الزملكاني: «وفي هذه السنة (أي: سنة ٧٧٥ هـ) كان ببلاد حلب غلاء زائد، حتى أُكلت الكلاب والميتة، وحضر إلى دمشق من بلاد الشمال خلق كثير، وغلاء الخبز أيضاً بدمشق حتى وصل الرطل إلى درهمين ونصف، وبيدمر «أي: الوالي» قد أهمل مصالح المسلمين مشغول بأخذ أموالهم»[٤].

* **في البقاع ـ لبنان**: يقول ابن طولون: «وفي أواخر ذي الحجة منها (أي: سنة ٨٦٥ هـ) توجه خازنداره[٥]، إلى البقاع وما جاورها من البلاد، وأجحف على أهلها حتى عاين بعضهم الهلاك زيادة على ما بهم من قلة المغل وغلائه وكثرة الغرامات والفتن»[٦].

* **في القدس الشريف**: يقول ابن طولون: «وفي هذه الأيام وصل الخبر إلى دمشق من القدس الشريف بأن نائبها الجديد قتل بالأقصى عدة أحد

---

(١) «المرجع السابق»(٢/ ٢٢١).

(٢) عادة من عادات النصارى.

(٣) «إعلام الورى»(ص١٨٩).

(٤) «المرجع السابق»(ص٥١).

(٥) أي: خازندار والي دمشق جانم الجركسي.

(٦) «المرجع السابق»(ص٨٣).

وعشرين نفساً في رابع عشر شوال سنة (٩٠٥ هـ)، وأن وصوله من مصر إلى القدس كان قبل العيد بيوم، فهرب منه أكابر القدس، وشكي عليه إلى السلطان، فصرّح بعزله، فلم ينفذ المباشرون عزله»[١].

ولعل هذه النماذج كافية لإعطائنا فكرة عن أحوال الناس في ظل الحكم المملوكي، ولاشك بأن هذه الصور تنسحب على باقي المجتمعات في بلاد السلطنة.

أما عن الحالة الاجتماعية في دمشق، فيمكن تناولها من خلال طبقات المجتمع في هذه المدينة.

● **طبقات المجتمع في دمشق**: ويمكن تقسيم المجتمع أيام ابن عبد الهادي إلى ثلاث طبقات أساسية هي:

١ـ الطبقة أرستقراطية الحاكمة:

وتتألف من السلطان ونواب السلطنة، والأمراء، والجند، وجميعهم من المماليك، وهم عبارة عن شراذم من الأفراد جمعتهم ظروف واحدة، وغاية واحدة، ففرضوا أنفسهم حكاماً لهذه البلاد، دون أن يكون لأهلها رأي في ذلك، ولم يرضوا لأنفسهم أن يندمجوا في شعبها، بل حافظوا على جنسيتهم، وظلوا طبقة ممتازة لها تعاليمها، وتقاليدها الخاصة، وهم جيش الدولة وموظفوها، ولم يشركوا أفراد الطبقات الأخرى من الشعب في شيء من ذلك كله[٢]، وكان لسان حالهم يقول:

مَـنْ لا تُجـانِسُـهُ احْـذَرْ تُجـالِسَـهُ فالشَّمْعُ آفَتُهُ مِنْ صُحْبَةِ الفُتُلِ[٣]

---

(١) «المرجع السابق» (ص ١٢٩).

(٢) «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي» (٢/ ٢٩٨)، «الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي» (ص ١٥).

(٣) «بدائع الزهور» (٤/ ٤٣).

ولم يكن همُّ المماليك إلاّ الاحتفاظ بحكم هذه البلاد فحسب، واستغلالها وتسخير أهلها في مصالحهم الخاصة، وجبي الضرائب منهم، فهم إذا كانوا قد دافعوا عنها، ودفعوا كثيراً من أعدائها في الخارج، فما فعلوا ذلك إلاّ خوفاً على سلطانهم أن يضيع، وخشية على نفوذهم أن ينهار، وحرصاً على نعيمهم أن يزول، ورهبة على دولتهم أن تدول[1].

ولقد أدخلنا السلطان في هذه الطبقة، مع أنه يقبع في القاهرة بوصفه صاحب أراضي السلطنة والناس جميعاً، فهو يملك كامل الأراضي السلطانية، أو ما يسمى في الفقه الإسلامي «الأراضي الموات»، وهي غير مملوكة لأحد، منها (١٠) قراريط يختص بها لنفسه، ويقطع الـ (١٤) الباقية أمراءه وجنده فحسب على أنها لا تورث، بل ترد إلى يد السلطان إذا مات أصحابها ليعود السلطان بدوره فيهبها لمن يشاء، ولمن يستحقها بنظره من جديد، أما عامة الشعب فقد حرموا من ملكية الأراضي الموات أو إيجارها[2].

والسلطان بالإضافة إلى ذلك كله متفنن في جمع المال، يمتهن التجارة، ويتلاعب بقوت العباد وعملة البلاد، وكل ذلك على حساب شعب محطم، أثقلت كاهله الالتزامات والاحتكارات والضرائب، وأقلقت مضاجعه الفتن والمنازعات بين أمراء المماليك وطوائفهم.

وأخيراً وليس آخراً فإن من أصحاب البلاد والعباد من هو مريض مصاب بجنون العظمة، يعشق الزينة والهتافات، مع أنه لا يفرق بين الذين يدعون له والذين يدعون عليه، ويشخص لنا ابن طولون تلك الحالة المرضية لأحد هؤلاء السلاطين، وهو طومان باي الأول (٩٠٦ هـ) عند زيارة له إلى دمشق

---

(١) «عصر سلاطين المماليك» (٢/ ٢٩٨).

(٢) «خطط المقريزي» (١/ ٨٨).

يقول: «... وقف الجميع نحو خمس درج لإصلاح بعض الخيول المتقدمة أمامهم، والناس يدعون له بالنداء العالي، وهو يروح على وجهه بمنديل بيده اليمنى، وتارة يرفع عمامته الناعورة بيديه جميعاً قليلاً ثم يردها، فقال وهو يرفع ناعورته: إيش هذا؟ يعني ما هذا يقول الناس؟ فقال له الغوري والشافعي[1]: يدعون لمولانا السلطان، وهو في تلك الحالة كالمستعجل ينتظر الذهاب، وأنا أنظره بالرواق تحت المنارة المذكورة»[2].

ورأس هذه الطبقة في دمشق هو نائب السلطنة، يعينه السلطان، وشرط تعيينه الولاء المطلق، فإن لم يجد، يرسل السلطان في طلب أحد أقربائه من بلاد الجراكسة، فيعينه دون أن يكون له سابق معرفة بالبلاد وعادات العباد.

ويصور لنا الشمس الزملكاني دخول أحدهم إلى بلاد السلطنة، وهونائب حلب ثم دمشق جانم الجركسي (٨٦٦ هـ) أخو السلطان الأشرف برسباي (٨٤١ هـ) لأمه يقول: «وكان المشار إليه ببلاد الجركس، فحضر إلى هذه المملكة في أواخر أيام أخيه، ووصل إلى حماة لابساً طرطوراً زي بلاده، فقامت عليه الخلق على أن يلبس شاشاً زي المسلمين، فأبى، ولا زالوا به إلى أن لبس شاشاً بحماة، ثم دخل دمشق، وقد خرج النائب والعساكر لملتقاه إلى قارا[3]، وهو كهل، ولمته محلوقة أول ما طلع شعرها...»[4].

وما إن يستلم النائب كتاب تعيينه، حتى يرسل أحد مماليكه إلى دمشق

---

(١) أي: القاضي الشافعي.
(٢) «إعلام الورى» (ص ١٤٥ ـ ١٤٦).
(٣) بلدة على طريق حمص تابعة لمحافظة ريف دمشق تبعد عن دمشق ٩٥ كم، وعن حمص ٦٥ كم. انظر: «خارطة سورية».
(٤) «إعلام الورى» (ص ٧٦).

مبشراً باستقرار أستاذه بنيابة دمشق، وحينئذٍ تدق البشائر لمدة سبعة أيام، وينادى بالزينة، ويحرض عليها، فتتزين دمشق زيادة على ما الناس فيه من الشدائد، ويحصل في أيام الزينة هذه من أنواع الفسق ما لا يمكن حصره، ويتهيأ أهل الولايات بدمشق لتلقيه بالفواكه والحلويات والمعمول وغيره، ثم يدخل إلى دمشق في أبهة حافلة على هيئة السلطنة، وتبقى الزينة لعدة أيام في جميع أسواق دمشق ليلاً ونهاراً، مع سهر أرباب الأسواق وقلقهم وتضجرهم من ذلك، وبوصوله إلى منزله يأمر بإشهار المناداة لأهل دمشق: أن بيض الله وجوهكم، وأكثر خيركم، وارفعوا زينتكم، فترفع في الحال[1].

وعند استقراره بدار العدل يأمر بإشهار المناداة حسب المرسوم الشريف من المقام الشريف بالأمان والاطمئنان، وإبطال استخدام أهل الزعارة مشاة أمام الحكام، كذا إبطال المشاهرة والظلم وبيع المغلات بسعر الله، وألاّ يحمل أحد سكيناً ولا خنجراً، وأن يعلق على كل دكان قنديل[2]، ومن فوره يشرع باستخراج الضرائب المفروضة، واستخلاص ضرائب جديدة لنفسه، ويسير في الناس سيرة خشنة كأسلافه من ظلم وتعسف وتطلع إلى أموال الرعية، وتحكم في الأسعار، ونهب البلاد، وإبادة العباد، وذلك مع وقوف الحال، وغلاء الأسعار من الظلم وكثرته، وكلما اشتكى الناس هذه المظالم، وطالبوا بإبطالِها، تشدد في سياسته القمعية، وتهدد أهل دمشق بأن العدل لايعجبهم، وغالباً ما يكون النائب سيىء التدبير، مسرفاً على نفسه، ويبلغ متوسط مصروفه اليومي على الأكل فقط (١٠٠٠) دينار، والله أعلم بالصواب.

---

(١) «إعلام الورى» (ص ٩٩، ١١٢، ١٣٦، ١٤٧، ١٤٩، ٢٠٤).

(٢) «إعلام الورى» (ص ٩٩، ١٠٧، ١٢٧، ١٥٠ وغيرها).

يقول ابن طولون: «من اللحم عشرون قنطاراً، ومن الدجاج عدة مئات، ومن الإوز عدة عشرين، ومن الخرفان الهميس عدة عشرة، ومن الشعير كل يوم ثلاثين غرارة، وأشياء غير ذلك»[1]، وذلك مع وقوف الحال وغلاء الأسعار في كل بضاعة في تلك الأيام؛ فقد «نودي بدمشق على الخبز الخاص الرطل بدرهمين إلاّ ربعاً، وما دونه بدرهم وربع، وما دونه بدرهم، فلم يتمثل الخبازون ذلك، والحال أن غرارة القمح بنحو المئتين، والسمسم بنحو الخمس مئة، والدبس بنحو الأربع مئة، والفواكه بحمد الله كثيرة، ولكن غالية الأسعار على غير قياسها، والظلم فاش ولا قوة إلاّ بالله»[2].

وفوق ذلك كله إن النائب ماكر مخادع داهية، متفنن كسلطانه في اختلاق الحجج لأخذ أموال الناس، والحجة الأهم هي خلق عدو مشترك دائم يخافه الناس ويقدمون لأجل دفعه الغالي والرخيص، وصور ذلك كثيرة أختار منها الصورة التالية، يقول ابن طولون: «ثم في يوم السبت مستهل جمادى الآخرة منها (أي: سنة ٩٠١ هـ) زعم قجماس المذكور (نائب دمشق) أن الأمير الكبير أزبك الظاهري أرسل من حلب إليه كتاباً يستحث أهل دمشق لقتال أعدائهم النصارى الذين أرسلهم أبو يزيد بن عثمان، ووضع عنهم جزية ثلاثة سنين، وأنهم نحو ثلاثين ألفاً، وأنهم وصلوا إلى أنكورية «أنقرة»[3]، وحضر قجماس المذكور، وأرباب الدولة، والخلق كالجراد المنتشر لقراءة الكتاب المذكور، فقُرِىء بمصلى العيدين في اليوم

---

(١) «إعلام الورى» (ص ١٣١).

(٢) «إعلام الورى» (ص ١٧٤).

(٣) أنكورية: هي مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية. انظر: «أخبار الدول» للقرماني (ص ٤٢٥).

المذكور بحضور العلماء وأرباب الدولة، فخافوا من ذلك خوفاً شديداً، وأظهر قجماس لهم الحزن والبكاء مكراً وخديعة لأخذ أموالهم بحجة إخراج مشاة معه لقتال المذكورين، هذا مع غناه وكثرة ماله، ثم في ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى المذكورة شرع في استخلاص المال من الخلق، فرتب على كل حارة بدمشق مالاً معلوماً، هذا أيضاً مع وقوف حال الناس، وكثرة الحرامية، وغرامة ما أمر به قبل ذلك من بناء تداريب الحارات[1]، ولما حصلت هذه الرجعة، بطل أمر التدريب المذكور، وأكل عرفاء الحارات المال الذي تأخر من عمل تدريب كل حارة، فلما سمع الناس بترتيب هذا المال عليهم بحجة إخراج المشاة، علموا أن مراد قجماس مالاً يستعين به لنفسه، فصاح الناس وأرادوا رجمه في رجوعه . . . ثم سافر قجماس المذكور ومعه نحو مئة ماش فقط، وقد ظلم الخلق بسبب ذلك، وجلس بالمِزة»[2].

هذا ويعاون النائب في عمله الأمراء والجند وأهل البدعة من الأوباش والأعجام والقلندرية[3]. ومن الواضح أن المماليك نجحوا في خلق شريحة

---

(١) دربوا الحارات: حصنوها «معجم متن اللغة» (٢/ ٣٩٠).
(٢) «إعلام الورى» (ص ٩٧).
(٣) كلمة أعجمية وتفسيرها بالعربية المحلقون، وهم فرقة صوفية يحلقون رؤوسهم وشواربهم ولحاهم وحواجبهم، وكانت هذه الفرقة مكروهة من الفقهاء والعلماء، نشأت في عهد الظاهر بيبرس، وهو الذي شجعها، وكان سبب انتشارها في الشام ومصر . . ومن مشاهيرها الشيخ عثمان الفارسي الذي ورد اسمه في قصة الظاهر بيبرس باسم عثمان ابن الحبلة، فقال بعضهم: إن هذه الفرقة أول ما ظهرت بدمشق سنة (٦١٦ هـ)، وكان لها عدة زوايا في الشام ومصر، وأشهرها الموجودة في مقبرة باب الصغير بدمشق مزار السيد سكينة من جهة القبلة والشرق، والباقي منها قبة كتب عليها ما يلي بسطر واحد: السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي. =

اجتماعية جديدة مكونة من أراذل العامة وأعوان الظلمة وتجار الحروب، دعيت بأهل الزعارة «الزعر»[1]، دعموها بالمال والسلاح، وكان لها دور كبير وفعال في إحكام قبضتهم على هذه المدينة، وقد عينوا لكل حارة من حارات دمشق عريفاً من أهلها تحت إمرته جيوش من هؤلاء الزعر، تمكن المماليك بواسطتهم من إسقاط المدينة أمنياً في أيديهم، ولإعطاء فكرة عن أحوال «الزعر» يقول ابن طولون: «قام بالشاغور أزعرهم المشهور بأبي طاقية، وجمع زعر الغوطة وما حولها من القرى، وزعرَ بقية حارات دمشق، وأخذ من أموال الناس شيئاً كثيراً، وطبخوا أطعمة كثيرة، وساعدهم في ذلك الأمير أركماس، وأعارهم شيئاً كثيراً من آلات الحرب، وغلقت أبواب دمشق في اليوم المذكور، سوى باب الفرج، فخرج زعر الشاغور بكبيرهم أبي طاقية المذكور وكذا بقية الزعر أطلاباً أطلاباً بترتيب يعجز عنه أرباب الدولة إلى أن وصلوا إلى الميدان الأخضر، فعرضوا به، فحينئذٍ استقل الترك من أرباب الدولة بأنفسهم عنهم، وخلع على أبي طاقية وجماعته، ثم رجعوا وقد شاطوا وعاطوا في طلب مرادهم، ولا قوة إلاّ بالله»[2].

ولتوضيح الصورة يقول ابن طولون: «وفي هذه الأيام قد كثرت الرميات والمصادرات في كل محلة، وشاط «الزعر» ولم يعطوا في رميته شيئاً، بل قد وضع أحدهم يده على حوانيت قد أقام فيها من يبيع بأزيد من غيره، ويقطع مصانعته، وإذا رمي على المحلة مال ساعد في إخراج ما يخصه

= انظر: «إعلام الورى» (ص ٦٠)، «ولاة دمشق» (ص ٢٢٠)، «الدارس في تاريخ المدارس» (ص ٢/ ١٦٣ـ١٦٦)، «البداية والنهاية» (١٤/ ٧٦١)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٣٩).

(١) الزعارة بتشديد الراء، شراسة الخلق، ولا فعل له، «لسان العرب» (٤/ ٣٢٣).

(٢) «إعلام الورى» (ص ١٨٣ـ١٨٤).

والحوانيت من مال غيره وهم في أكل الطيب، وشرب المسكر وفساد نساء المسلمين وأموالهم ودمائهم، وتراه يحمل على وسطه خنجراً مهولاً، وهو رجل قصير دميم مجرم يطمع في الحكام لمساعدته لهم على المصادرات، ولا قوةَ إلاّ بالله»[1].

وقد ألف شيخنا صاحب هذه الرسالة الإمام يوسف بن عبد الهادي كتاباً مستقلاً لم يؤلف مثله عن أحوال هؤلاء الزعر سمّاه «ذمّ الهوى والذعر من أحوال الزعر»، وهو مخطوط، رقمه في المكتبة الظاهرية (٣٢٤٣)، ويقع هذا الكتاب في (٢٤٩) ورقة بخطه، وتاريخ نسخه سنة (٩٠٣ هـ).

ولاشك بأن نظاماً طبقياً حربياً قمعياً كنظام المماليك لا يعتمد كل الاعتماد على أعوانه من الظلمة المذكورين، ولا يثق بهم، ولو زحفوا على بطونهم، بل يمضغهم جيداً، ثم يبصقهم، فهو يُخرج لهم أدواراً محددةً في مجالات ضيقة يعملون في إطارها، ويرسم لهم خطوطاً حمراء، من تعدّاها قُتل.

وعليه فهو بحاجة مستمرة وعلى مدار الساعة إلى مماليك جدد من جنسه، ولو أمعنا النظر، لوجدناه محقّاً في ذلك من وجهة نظره، فصراع الطبقات هو صراع من أجل البقاء.

ويصف لنا مؤرِّخ الشام ابن طولون ـ رحمه الله ـ وصول دفعة من هؤلاء المماليك الجدد إلى دمشق، يقول: «وفي هذه الأيام ورد إلى دمشق مماليك أجلاب جراكسة، وزاد بسببهم وقوف حال الناس، وغلقت أسواق وحوانيت كثيرة من خطفهم ما يحتاجون إليه وغيره من الأطعمة والأقمشة،

---

(١) «المرجع السابق» (ص ١٩٥)، (وللاستزادة انظر: المرجع السابق نفسه ص ١١١، ١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٩١، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٥.. وغيرها).

ويقفون في الطرق يأخذون عمائم المارين، ويأخذون ما يرونه على الدواب من الأثاث وغيره، وغالب هذه المماليك الأجلاب كبار بذقون، ويبيعون ما يخطفونه لمن يشتريه منهم»[١].

أما موقف هذه الطبقة من العلم والعلماء، فمن الواضح أن العلم لا يعني لهم شيئاً، اللهمَّ إلاّ إذا كان بمعنى الاستعلام والاستخبار، أو علماً يفيد في جمع الضرائب وإلحاق الأذى بالناس، وخاصة العلماء منهم، وليبقى الناس على جهلهم فيسهل السيطرة عليهم.

وقد تفنن نواب السلطنة في أذية العلماء[٢]، وكثيراً ما يرد مرسوم شريف على يد بعض أعوان الظلمة بمصادرة جماعة من العلماء والقضاة[٣]، أو حبسهم، ولا يتم الإفراج عنهم إلاّ مقابل مال كثير، فإن عجزوا، وغالباً ما يحدث؛ لفقرهم، فالسجن مأواهم، ولا قوةَ إلاّ بالله.

أما السجن، فهو من الأمور التي لا تصدق، ولولا ثقتنا بابن طولون كمحدِّث ثقة ومؤرِّخ نزيه، لما صدقنا ما يقوله، وخاصة فيما أخبرنا من قيام نائب دمشق جان بلاط بحبس ابن قاضي القضاة ابن المزلق سنة (٩٠٤ هـ) في مسجد دار العدل بدمشق، يقول ـ رحمه الله ـ: «إنه لما حبس ابن قاضي القضاة ابن المزلق بمسجد دار العدل، حبس الفرنج عنده في المسجد بالقرب منه، وهم يشربون الخمر في رمضان، وتأوه له الناس لأمور منها فقره وعجزه عما طلب منه»[٤]، «وفيها أيضاً أخرج المقدمين شيوخ البلاد من القلعة، وأعادهم إلى الإسطبل في زناجير»[٥].

---

(١) «إعلام الورى» (ص ٢٠٦).
(٢) «المرجع السابق» (ص ٨٣، ١٦١، ٢١٩).
(٣) «المرجع السابق» (ص ١٩٣).
(٤) «المرجع السابق» (ص ١١٧).
(٥) «المرجع السابق».

عجباً لهؤلاء الحكام المسلمين، فهم رحماء على الكفار، أشداء بينهم، فأصحاب البلاد الشرعيون وشيوخها إلى الإسطبل في زناجير، وأحباؤنا الفرنجة في المسجد يشربون الخمر في رمضان!.

وحال نسائهم كحال رجالهم، فالمرأة مخلوقة من ضلع الرجل، ولم نسمع فيما علمناه باشتهار إحداهن بعلم أو زهد وتقوى، ويصف لنا ابن طولون دخول زوجة النائب وبناتها إلى دمشق يقول: «... وقد ركب في خدمتها نساء جماعة النائب، ونساء الأمراء، وما انضم إليهم، وقدامهم نساء مشاة بغير يزر[1] يضربن بالدفوف، وقد عصبن فوق رؤوسهن بالعصائب الصفر، وكان مدخلاً مهولاً، ولاقوةَ إلاّ بالله»[2].

وإذا حاول الباحث أن يعثر على صفة بارزة لدولة سلاطين المماليك، فلن يجد خيراً من أن يصف هذه الدولة بأنها دولة إقطاعية حربية، فطبيعة المماليك ونظامهم والرغبة في اقتنائهم نبعت من فكرة أساسية واحدة هي تكوين فئة من المحاربين الأشداء، وإعدادهم ليكونوا درعاً حامياً لأساتذتهم الذين قاموا بشرائهم وتعهدوهم بالتربية[3].

٢ـ طبقة العلماء:

ومنهم القضاة والمدرسون والمعيدون والمحتسبون وغيرهم، وهم من خير القرون، ودرع الأمة، وصلة الماضي بالحاضر؛ إذ لولا حفظهم وعلمهم، لما وصل إلينا بقايا علم الذين سبقوهم؛ لما تعرضت له دمشق من خراب ودمار وسلب ونهب كما تقدم، وقد جعلناهم طبقة مستقلة مع دخولهم في جملة العامة؛ نزولاً عند قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ

---

(١) يزر: ويقصد بها الأزر، ومفردها إزار، وهو الملحفة، «لسان العرب» (٤/ ١٦).

(٢) «إعلام الورى» (ص ٢٢٠ـ٢٢١).

(٣) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص ٣٠٣).

﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١]، فقد جمعوا ـ رحمهم الله تعالى ـ بين الإيمان والعلم وكفى، وما ينتج عنهما من مواقف، وبه فرضوا احترامهم على الجميع ـ بل نالوا حب الناس وتقديرهم، ولم يتمتع هؤلاء العلماء بأية امتيازات تذكر سوى تحملهم أوزار الطبقتين: الحاكمة والمحكومة، مع انشغالهم الدائب بالعلم والتدريس والكتابة، فالطبقة الحاكمة تريد تهدئة الأوضاع عن طريقهم، والمحكومة تطلب منهم المستحيل، وكله على حساب العلم، وعليه فقد بقي كثير من مصنفاتهم دون تنقيح وتصحيح وتحرير.

إلى جانب هذا كله فقد اشتغل غالبهم بالتجارة[١]؛ لفقرهم، ولتعدي السلطة على أوقاف طلبة العلم وأملاكهم[٢]، وعليه فقد نُصح طالب العلم بالاعتماد على صنعة تعينه في حياته عملاً بقول العلاّمة أبي شامة في قصيدته التي مطلعها[٣]:

اتَّخِذْ حِرْفَةً تَعِشْ بِها يا ... طالِبَ العِلْمِ إنَّ للعِلْمِ ذِكْرَا
لا تُهِنْهُ بالاتّكالِ على الوَقْفِ ... فَيَمْضي الزَّمانُ ذُلاً وعُسْرَا

أما موقفهم من السلطة، فمعروف، وهو موقف المعارض الصلب في الحق، ولم يكن هذا الموقف ناتجاً من فراغ، بل من الظلم المستمر اللاحق بالعباد، وقد تقدم موقف المماليك منهم.

على أن افتقار بعض العلماء إلى الحنكة السياسية ـ على الرغم من بلوغهم درجة علمية عالية ـ سمح للسلطة باختلاق الحدث، ثم تمرير

(١) «المروج السندسية» (ص ٦٣ـ٦٤).
(٢) «إعلام الورى» (ص ٩٧ وغيرها).
(٣) «الفلك المشحون» (ص ٥٣)، وفيه بقية القصيدة.

الحلول بسرعة متناهية من خلالهم دون الالتفات إليها، وبالتالي نسبة مواقفهم لصالح السلطة أحياناً.

ففي سنة (٩٠١ هـ) شرع نائب دمشق في استخلاص مال لنفسه بحجة إخراج مشاة لقتال عدو وهمي، فقام الناس عليه، وأرادوا رجمه، فأرسل يطيِّبُ خواطرهم، «ثم قيل له: إنما الحيلة في أخذه منهم أن تركب بنفسك إلى بعض من يشار إليه بالعلم؛ فإن العوام يَشُكُّون في حِلِّ أخذ ذلك منهم، فإن رأوه أباحه، وقام في ذلك، أذعنوا، فركب، وجاء إلى بيت الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون (٩٢٨ هـ) زائراً له، وطلب منه أن يأمر أكابر كل حارة بجمع مال يستعين به على المشاة، فأجابه بنعم، وبعث وراء أكابر كل حارة، وحَسَّن لهم جبي هذا المال، فاحتج به العرفاء وأكابر الحارات، واعتقدوا حِلَّ ذلك، وأظهروه للناس، وشرعوا في ذلك على حسب أغراضهم، فوصل الأذى إلى الأيتام والفقراء والأرامل، وأوقاف طلبة العلم وأملاكهم، وأخذ قجماس «النائب» من ذلك مالاً عظيماً، وأخذ العرفاء والجباة لهم مثل ذلك، فكان أول من ساعد على إحياء هذه الفعلة القبيحة المشروط حِلّ فعلها بشروط، ولم يلتفت إليها هذا العالم، ولا قوة إلاّ بالله»[1].

وسنأتي على موقف صاحب رسالتنا الإمام يوسف بن عبد الهادي من أحداث عصره في حينه، كما وسنأتي على تفاصيل الحياة العلمية في ذلك العصر في الفصل القادم من هذا الباب إن شاء اللهُ تعالى.

٣ـ طبقة العامة «الشعب»:

وهي الطبقة المحكومة، وتتألف من الأعيان، والتجار، وأرباب الحرف والفلاحين، وتراوحت حالتهم المادية بين الفقر المُدقع كما هو

---

(١) «إعلام الورى» (ص ٩٧).

حال الفلاحين آنذاك، إلى الثراء الفاحش كحال بعض التجار والصناع، وهم دافعو الضرائب.

ولم يكن سكان دمشق في عصر المماليك يختلفون عن سكان باقي المدن من حيث إنهم مغلوبون على أمرهم، يخضعون لأرستقراطية حاكمة، استأثرت بالحكم والوظائف، وحرمتهم من المشاركة مشاركة ذات قيمة في أمر من أمور بلادهم، وهكذا كان المماليك في دمشق هم أصحاب السيادة المطلقة، والطبقة المسيطرة ذات النفوذ والسلطان، في حين كان أصحاب البلاد الأصليون يخضعون للأمر الواقع، ويرضون بما يفعله المماليك بهم، وكل ما يطمعون به هو أن يلي أمرهم نائب عادل من المماليك يحسن معاملتهم، ويرفع الظلم عنهم، ولا يحرمهم حقوقهم، فكثيراً ما كانت تدق البشائر في دمشق، ويفرح الناس عند موت نائب أو خلعه وتبديله بآخر، وهم في ذلك كالباحث عن شيء لن يجده أبداً، ويصور لنا مؤرِّخ تلك الفترة ابن طولون ـ رحمه الله ـ فرح أهل دمشق بموت نائبها قجماس (٨٩٢ هـ)، وتولية قانصوه اليحياوي (٩٠٢ هـ) مكانه، يقول: «وفي أوائل يوم الأربعاء رابع المحرم سنة ثلاث وتسعين وثمانِ مئة (٨٩٣ هـ) وصل مملوكه رأس نوبة الثاني مبشراً من مصر باستقرار أستاذه بنيابة الشام، فدقت البشائر، وفرح الناس به، وكانوا لهجوا بذلك من حين وفاة قجماس محبة منهم له لكثرة الظلم حينئذٍ بدمشق، ولاعتقادهم فيه وفي جماعته إزالة الظلم وقلته . . . ونودي بالأمان وإبطال المشاهرة والظلم . . ثم شرع يستخلص من أهل دمشق مالاً كما فعل قجماس، فصارت عادة مرتبة»[1].

ومن الواضح أن المماليك لم يميزوا في تعاملهم بين الغني والفقير،

---

(١) «إعلام الورى» (ص ٩٩).

والكبير والصغير، وبالتالي فقد كان كثيراً ما يقع ضررهم على أكابر وأعيان دمشق قبل أن يقع على غيرهم[1].

أما الضرائب فلا حصر لها، منها المفروضة، ومنها غير ذلك، أما المفروضة، فمنها:

١ـ درهم الدورة: وهي الضريبة السنوية المفروضة على مدينة دمشق، وقد بلغت (٣٠,٠٠٠) دينار ذهباً[2].

٢ـ ضريبة الأوقاف: وهي ضريبة سنوية تؤخذ حسب قائمة كشف الأوقاف، وتبلغ (٥٠٠٠) دينار سنوياً، ويتسلمها مبعوث خاص من قبل السلطان في مصر[3].

٣ـ ضريبة على الأملاك المؤجرة «أجرة كل ملك»: لم أتمكن من تحديد مقدارها، وتؤخذ شهرياً.

٤ـ فريضة القتلى على الحارات: قال الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: ـ «من عادات الحكام المماليك في دمشق، وإمعانهم في الظلم أنه إذا قتل قتيل في حارة ـ وما أكثر القتلى في ذلك العصر ـ أنهم يضعون على الحارة التي قتل فيها القتيل غرامة، ولو عرف القاتل وقبض عليه، وقد أصدر الملك العادل طومان باي عدة مراسيم بإبطال هذه المظلمة رسمت على الأحجار بدمشق، وإليك هذا المرسوم الذي كان منقوشاً على أحجار المدرسة الأسعردية في الجسر الأبيض في الصالحية، وقد هدمت هذه المدرسة سنة (١٣٢٨ هـ):

«بسملة رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطان الملك العادل

---

(١) «المرجع السابع» (ص ٤٤، ١٩١، ١٩٣ . . . وغيرها).

(٢) «إعلام الورى» (ص ٧٩).

(٣) «المرجع السابق» (ص ١٣٦، ١٦٠).

أعلاه الله وشرفه وأنفذه بإبطال ما تجدد من المظالم بسبب فريضة القتلى على الحارات، ولا يؤخذ من أهل المحلة التي قتل فيها قتيل فريضة ولا مال ولا مظلمة، ومنع من يتعرض إلى ذلك من غير تجديد مظلمة، وملعون من يجدد ذلك بتاريخ العشرين من جمادى الأولى سنة ست وتسع مئة»[1].

ولعل هناك ضرائب أخرى مفروضة لا نعلمها، وذلك لقلة المصادر والمراجع في هذا الشأن.

أما الضرائب غير المفروضة «المصادرات»، فكثيرة، نذكر منها:

١ـ مصادرات يستخلصها السلطان لنفسه متى يشاء، وقد تصل إلى (١٠٠,٠٠٠) دينار أحياناً[2].

٢ـ مصادرات يستخلصها النائب لنفسه متى يشاء[3].

٣ـ مصادرات يستخلصها «الزعر» لأنفسهم متى يشاؤون[4].

٤ـ مصادرات بحجة كشف الأوقاف «والحال أنها كُشفت قريباً»[5].

٥ـ رمي مال على أملاك الناس، أجرة كل ملك عن عدة أشهر بحجة مشاة تخرج إلى ملاقاة الحجيج[6].

---

(١) «المرجع السابق» (ص ١٤٣). وانظر: (ص ١٢٣، ١٣٧، ١٤٣، ١٨١، ١٩١، ١٩٤).

(٢) «إعلام الورى» (ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٩٣، ٢٠٥).

(٣) «المرجع السابق» (ص ٧٦، ٨٣، ٩٦، ١١٧، ١٦٠، ١٦٧، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٥).

(٤) «المرجع السابق» (ص ١٢١، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١، ١٩٥، ١٩٦).

(٥) «المرجع السابق» (ص ١٣٦).

(٦) «المرجع السابق» (ص ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٣).

٦ـ رمي مال بحجة إخراج مشاة لقتال عدو حقيقي أو وهمي[١].

٧ـ رمي مال لتزيين دمشق جبراً، وذلك لأجل عافية السلطان، أو لأنه رزق بولد، أو لكونه ذهب إلى الإسكندرية على سبيل المثال ورجع سالماً، أو لتعيين نائب جديد على دمشق وغيرها[٢].

وكل ذلك غير التساخير والكلف والنهب ووضع اليد والاستفادة من فارق الأسعار، إلى جانب ضروب أخرى من الظلم تجلت في غير الضرائب، وذلك كسوء معاملة العامة وازدرائها واعتبارها مثل السائمة، والقسوة في تنفيذ العقوبات وغيرها[٣].

ويبدو أن الحياة الاجتماعية في تلك الفترة امتازت بكثرة الأعياد الدينية والقومية، والمبالغة في إحياء تلك الأعياد، وربما جاءت هذه الأعياد مصحوبة ببعض المواكب؛ كالاحتفال بدوران المحمل وغيره[٤].

أما المرأة، فقد تمتعت بقدر كاف من الاحترام، مكَّنها من المشاركة في الحياة العامة، سواء بالخروج إلى الأسواق، أو التردد على الحمامات، أو طلب العلم بالمساجد، وقد ظهر منهن أعداد كبيرة من العالمات والحافظات والمحدِّثات والشيخات أخذ عنهن كبار العلماء كما تقدم.

---

(١) «المرجع السابق» (ص ٩٦ـ٩٩، ١٠٠، ١٦٩، ٢٠٥).

(٢) «المرجع السابق» (ص ١١٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٩، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٤).

(٣) «المرجع السابق» (ص ٨٣، ٩٧، ١٠٩، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٣٨، ١٦٠، ١٦١، ١٨٣، ٢١٧) وغيرها، وانظر: **«عصر سلاطين المماليك»، لمحمود رزق** سليم (٢/ ٣٢٣).

(٤) «إعلام الورى» (ص ١٧٨)، **«مصر والشام في عصر الأمويين والمماليك»** (ص ٢٨٩).

وأما الحياة الأسرية فقد بقيت الأسرة العربية في ظل الحكم المملوكي محافظة على أسلوب حياتها وعاداتها وتقاليدها بدليل وصولها إلينا، ونسأل الله ـ تعالى ـ أن تتمكن الأسرة العربية والإسلامية من الاحتفاظ بصلابتها، وأن تتجاوز أزماتها، وذلك للصمود في وجه الهجمات الثقافية الغربية المتلاحقة ـ آمين ـ.



الفصل الثالث

الحياة العلمية

ازدهرت الحركة العلمية على عصر سلاطين المماليك ازدهاراً واسعاً، عكس ما كان متوقعاً، فغدت البلاد محوراً لنشاط علمي متعدد الأطراف.

ويعود الفضل في ذلك إلى علمائنا المسلمين الذي تحملوا المسؤولية كاملةً أمام الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم أمام التاريخ، على الرغم من المناخ السياسي الرديء، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية البالغة السوء في تلك الحقبة من الزمن كما تقدم.

وخير دليل على ازدهار الحياة العلمية في عصر المماليك هو عظم الثروة العلمية التي وصلتنا من ذلك العصر على وجه الخصوص.

ومن الواضح أن الحياة العلمية في عصر المماليك كانت امتداداً للحالة العلمية في عهد الأيوبيين، فالمماليك مماليكهم، ومراكز الإشعاع العلمي أُنشئت في عهدهم، حتى إن علماء العصر المملوكي هم أبناء علماء العهد الأيوبي وتلاميذهم، هذا إلى جانب العلماء المخضرمين في كلا العهدين.

وإذا كان الباحث يستطيع فصل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كلا العهدين؛ لخصوصية كل منها، فإنه من الصعوبة بمكان، لا بل من الاستحالة، أن يفصل الناحية العلمية في عهد المماليك عنها في العهد الأيوبي، فالناحية العلمية عند الأيوبيين هي الأم والأساس،

أما عند المماليك فهي وليدتها ومبنيةٌ عليها وتابعة لها.

على أن جمهور الكتّاب المعاصرين والمرجوع إليهم في هذا الشأن قالوا غير ذلك، مع تضارب في الآراء، وقد افترقوا على فريقين:

الفريق الأول: وهم الباحثون في تاريخ تلك العصور، وقالوا بازدهارها، فكتبوا وأسهبوا، ونجحوا إلى حدٍّ بعيد في إظهار الاستقلالية العلمية للعصر المملوكي بعيداً عن العهد الأيوبي، وقدموا لنا أسباباً عديدة لازدهار كلا العهدين، لكنها غير كافية وليست شافية؛ فقد قالوا: إن سبب ازدهار العهد الأيوبي علمياً هو اشتهار سلاطين الأيوبيين بحبهم للعلم والعلماء[1]، وهذا السبب نوافقهم عليه، لكنه وحده ليس كافياً لقيام ازدهار وحضارة.

وقال فريق منهم مثل ذلك في العصر المملوكي[2].

أما الفريق الآخر، فقد قسم عوامل نشاط الحركة العلمية على عصر المماليك إلى عوامل خارجية، وأُخرى داخلية، منها ما نوافقه عليها، وأكثرها نتحفظ عليه.

أما العوامل الخارجية عنده فهي أربعة[3]:

١ـ وقوع كثير من البلاد الآسيوية في يد المغول.

٢ـ قتل العلماء وإتلاف الكتب العلمية.

٣ـ زوال الخلافة العباسية.

٤ـ وفود العلماء والأدباء إلى بلاد السلطنة.

---

(١) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص ١٢٩).

(٢) «المرجع السابق»(ص ٢٨٣) وما بعدها.

(٣) «عصر سلاطين المماليك» لمحمود رزق سليم (٣/ ١٦ ومابعدها).

ونحن بدورنا نرفض الثلاثة الأولى كعوامل نشاط مستقلة، إلاّ إذا صبت في العامل الرابع، فهي إذا أمعنا النظر، تؤدي إلى ضعف الحركة العلمية، لا نشاطها، فهلاك العلماء والعباد، ووقوع البلاد ـ ومنها بغداد ـ بيد المغول، وإتلاف كتبها، وكتب غيرها من المدن، كلها لا تؤدي إلى نشاط وازدهار علمي، بل إلى الضعف والانحطاط، أما العامل الأخير، فنحن نؤيده مع بعض التحفظ؛ لأنه وحده ليس كافياً للقيام بازدهار وحضارة أيضاً.

أما ما ذكروه من عوامل داخلية، فهي كثيرة، نذكر منها[1]:

١ـ غيرة سلاطين المماليك والأمراء.

٢ـ تعظيمهم لأهل العلم.

٣ـ رصد الأوقاف على المدارس والإحسان إلى أهلها.

٤ـ شعور العلماء بواجبهم.

وكلها لا تحتاج إلى شرح، فقد ذكرنا موقف السلاطين وأمراء المماليك من العلم والعلماء، وكذلك مصادرتهم لأموال الأوقاف، وضرائبُهم عليها، وهذا ظاهر، أما الأمر الرابع، فنوافقهم عليه.

أما ما ذكروه عن سقوط الأندلس، وهجرة علمائها إلى قطر معين، ثم ضمهم إلى علماء العصر المملوكي[2]، فنحن نرحب بذلك، على أنه من الواضح تاريخياً أن الأندلس سقطت بيد الفرنج سنة (٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م)، أي: في مطلع القرن العاشر الهجري، وذلك في وقت احتضار دولة المماليك، وقبيل زوال ملكهم بقليل على يد العثمانيين سنة (٩٢٣ هـ)،

---

(١) «المرجع السابق» (٣/ ١٦ـ١٨).

(٢) «عصر سلاطين المماليك» لمحمود رزق سليم (٣/ ٩٥).

ولا يعني هجرة بعض علماء الأندلس إلى بلاد السلطنة قبل هذا التاريخ أنهم كانوا سبباً في ازدهار علمي دام (٤) قرون.

أما علماء الأندلس، فقد كانت لهم حضارتهم الخاصة المزدهرة هناك، ولقد كانت الأندلس بجامعاتها ومدارسها وازدهارها محط أنظار الجميع، والأوربيين بشكل خاص، ومصدر إشعاع فكري وحضاري لمدة ثمانية قرون بدأت عام (٩٢ هـ/ ٧١١م)، وانتهت عام (٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م)[١].

الفريق الثاني: وهم الباحثون في تاريخ التشريع وتطور الفقه الإسلامي، وقد قاموا بفصل العهدين أيضاً، لكنهم لم يقولوا بازدهار أي منهما.

ومن المعلوم أنهم قاموا بتقسيم تاريخ التشريع الإسلامي إلى ستة أدوار[٢] أو سبعة، وهي:

* **الدور الأول**: التشريع في حياة الرسول ﷺ.

* **الدور الثاني**: التشريع في عصر كبار الصحابة (١١ ـ ٤٠ هـ).

* **الدور الثالث**: التشريع في عهد صغار الصحابة (٤١ ـ أوائل القرن الثاني الهجري).

* **الدور الرابع**: التشريع من أوائل القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع الهجري؛ حيث بلغ الفقه الأوج في الاجتهاد والتدوين والتفريع المذهبي، وتم فيه وضع علم أصول الفقه، وتكامل، وظهر فيه كبار الأئمة الذين اعترف لهم الجمهور بالزعامة.

* **الدور الخامس**: من منتصف القرن الرابع إلى سقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م)، وهو دور القيام على المذاهب، وتأييدها،

---

(١) «الحضارة العربية الإسلامية» لشوقي أبو خليل (ص ٣٩٨).

(٢) «تاريخ التشريع الإسلامي» للخضري بك (ص ٤) وما بعدها.

وشيوع المناظرة والجدل، وهو دور تقليد محض.

* **الدور السادس**: من سقوط بغداد، وإلى الآن، وهو دور التقليد المحض[1].

ومنهم من قسم هذا الدور إلى قسمين:

القسم الأول: من سقوط بغداد إلى ظهور المجلة العدلية سنة (١٢٩٣ هـ)، وهو دور الانحطاط الفقهي[2].

القسم الثاني: وهو الدور السابع: من ظهور المجلة العدلية إلى اليوم[3].

ويتبين لنا من هذا العرض التاريخي لأدوار التشريع والتطور الفقهي أن العصر الأيوبي يقع في الدور التشريعي الخامس، أما العصر المملوكي فموقعه في السادس، وهما الدوران الموصوفان بالتقليد المحض، وركود حركة الاجتهاد.

ومن الواضح أنهم جعلوا الاجتهاد وحده مقياساً للازدهار العلمي، وعليه قسموا أدوارهم.

قال الشيخ الخضري بك ـ رحمه الله ـ في الدور السادس: «لم يكن من الواضح أن أكتب شيئاً في هذا الدور؛ لأن رياح الاجتهاد قد ركدت، وليس فيه من المزايا ما يملي على الكاتب وينطق القائل... فماذا عسى أن يقول القائل في هذا الدور الأخير، ولا شيء له من الامتياز؟! ولكنا لما رأيناه من اتصال هذا الدور بنا، وحاجتنا إلى النهوض والاقتداء بصالح سلفنا، أردنا أن نوضح ما فيه من العيوب»[4].

---

(١) «تاريخ التشريع الإسلامي» للخضري بك (ص ٣٦٣) وما بعدها.

(٢) «المدخل الفقهي العام»(١/ ١٤٧).

(٣) «المرجع السابق»(١/ ١٤٧).

(٤) «تاريخ التشريع الإسلامي» للخصري بك (ص ٣٦٥).

أما الاجتهاد فأغلب مسائله مختلف فيها عند الأصوليين، ولا مجال للخوض فيها، والذي يهمنا هنا مسألة واحدة، وهي: هي يجوز خلو عصر من الأعصار عن مجتهد يمكن تفويض الفتاوى إليه؟ فمنع منه قوم؛ كالحنابلة وغيرهم، وجوزه آخرون[1]، وأدلة الطرفين في كتب الأصول، باب الاجتهاد، فلتراجع هناك.

وأما ما قاله عن خلو هذا العصر من الميزات، وامتلائه بالعيوب، فسنأتي على تفصيل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ، ولكن إذا ثبت العكس، وقلنا بازدهار تلك العصور، ثم بقينا متمسكين برأي الشيخ الخضري وغيره، نكون قد حرمنا الفقه والفقهاء وعلماء المسلمين من المشاركة في ذلك الازدهار، والواقع يرفض ذلك؛ فإن أي ازدهار أصاب هذه الأمة كان عن طريقهم وحدهم لاغير.

ومن المعلوم أيضاً لدى الجميع أنه في الوقت الذي كان الغرب يغط في سباته العميق قبل قيام نهضته بعد سقوط القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ/١٤٥٣م) كان المسلمون في أوج ازدهار حضارتهم، وهذا يعلمه القاصي والداني، والعامي قبل العالم، ولم يكن قبل هذا التاريخ تحديداً حضارةٌ إسلامية قائمة ومزدهرة غير تلك في العصر المملوكي.

والعجب العجاب أن بعض الذين وصفوا الدور التشريعي الخامس بأنه دور سرت فيه روح التقليد سرياناً عاماً اشترك فيه الجمهور والعامة[2]، وأن كل عالم من علماء هذا الدور التزم مذهباً معيناً لا يتعداه[3]، قالوا بازدهار

---

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي (٤/ ٥٥)، «فواتح الرحموت»(٢/ ٣٩٩)، «إرشاد الفحول»(ص ٢٥٣).

(٢) «تاريخ التشريع الإسلامي»(ص ٣٢٣).

(٣) «المرجع السابق»(ص ٣٢٤).

الحالة العلمية ونموها في هذا الدور نفسه، ولكن في عهد السلاجقة في المشرق، وعهد الدولة الفاطمية في مصر، ولم يتطرقوا إلى الحياة العلمية في عهد الأيوبيين، لا من قريب، ولا من بعيد.

قال الخضري في «تاريخ التشريع»: «أما الحالة العلمية، فإنها لم تتبع في التدهور تلك الحالة السياسية، بل استمرت على نموها، ولاسيما في عهد السلجوقيين بالمشرق، وعهد الدولة الفاطمية بمصر، فقد نبغ فيها كبار العلماء وأساطين المفكرين، وكان لهم في التشريع الإسلامي ما نفصله في المميزات الآتية...»[1].

وللضرورة نعيد ما أخبرنا به الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ عن سبب تأخر ظهور المذهب الحنبلي في مصر، قال: «... وذلك أن الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ كان في القرن الثالث، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلاّ في القرن الرابع، وفي هذا القرن ملكت العبيديون مصر، وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة، قتلاً ونفياً وتشريداً، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة، ولم يزالوا فيها إلى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب»[2].

فمن هم كبار العلماء وأساطين المفكرين الذين نبغوا في عهد الفاطميين؟ وما هو الدور الذي كان لهم في التشريع الإسلامي؟

من الواضح أن أئمة المذاهب رجعوا إلى مصر في أواخر القرن السادس الهجري بصحبة الأيوبيين بعد فترة انقطاع دامت (٤) قرون، وسنجعله لاحقاً سبباً من أسباب ازدهار الحياة العلمية في عهد الأيوبيين ومماليكهم.

---

(١) «المرجع السابق»(ص ٣٢٢).

(٢) «حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٤٨٠).

وخلاصة القول: أن فريق الباحثين في تاريخ تلك العصور قالوا بازدهار كلا العصرين الأيوبي والمملوكي، مع الفصل بينهما، أما فريق الباحثين في أدوار التشريع الإسلامي، فقد قالوا بعدمه، مع الفصل بين العصرين أيضاً.

ويلاحظ أن كلا الفريقين لم يتطرق إلى الحياة العلمية في بلاد الشام على الإطلاق، مما وضع علماء بلاد الشام المعاصرين ـ وخاصة أساتذة الجامعات المختصين في كلا العصرين ـ في موقع محرج لا يحسدون عليه، وعليه فقد افترقوا إلى فريقين أيضاً:

الفريق الأول: لم يتجشم عناء البحث، وأخذ أقوال الفريقين السابقين مسلمات مشى عليها، ولم يتطرق إلى الحياة العلمية في بلاد الشام إلاّ ببضع أسطر في كتاب حياءً، ومنهم من بخل حتى بالأسطر، وهذا اعتراف موقع منهم أنه لم يكن في بلاد الشام أي ازدهار علمي في تلك الحقبة من الزمن، ووجه الخطورة أن منهم أساتذة جامعات مختصين في تلك العصور، كذلك بعض الذين يكتبون في الحضارة العربية الإسلامية.

الفريق الثاني: عَلِمَ بوجود ازدهار علمي في تلك الحقبة، لكن الصورة كانت باهتة أمامه نتيجة عدم تجشمه عناء البحث، فأخذ أقوال الفريقين المذكورين، وأضاف عنوة كلمة «الشام» إلى جانب الشقيقة «مصر»، وبهذا تملص من المسؤولية مشكوراً.

ولا يخفى على الباحث أن الجميع كانوا بعيدين كل البعد عن واقع الحال.

*** أسباب الازدهار العلمي:**

لا شك بأن لكل نهضة علمية أسباباً جلية ومقنعة، ومجمعاً عليها، إذا تجردنا عن الأهواء، ومن هذه الأسباب ما هو رئيسي، ومنها هو ثانوي.

وقد بيّنا آراء المعاصرين فيما يخص بحثنا، وقلنا بأن الأسباب التي قدَّمها من يقول بازدهار العهدين ليست كافية للقيام بازدهار ونهضة؛ نتيجة الفصل بين العهدين الأيوبي والمملوكي، إلى جانب الفريق الذي يقول بعدم ازدهار العهدين من أصله.

وتقدم رأينا في عدم إمكانية الفصل بين العهدين، ولم نقدم الدليل الكافي أيضاً على ذلك، على أنني سأقدمه من خلال طرحي لأسباب ازدهار العهدين.

وبعد البحث والتحري التدقيق، استطعت العثور على سبب رئيسي لذلك الازدهار، وهو الذي جعلني أقول باستحالة الفصل بين العهدين، وما عداه ثانوي. ولكل مجتهد نصيب، فمن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، فإن كان صواباً، فمن الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وإن كان خطأ، فمني ومن الشيطان.

وعليه قمت بتقسيم أسباب ذلك الازدهار إلى قسمين: رئيسية، وثانوية:

أولاً ـ السبب الرئيسي:

هو سقوط الساحل السوري وسورية الجنوبية «فلسطين» **بيد الصليبيين** سنة (٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩م) الذي نتج عنه، **وحسبَ التسلسل التاريخي:**

* قيام حركة جهاد واسعة ضد الصليبيين **بقيادة عماد الدين زنكي، ثم** ابنه نور الدين، ونجاحها في توحيد **شمال العراق مع الشمال السوري بعد** تحرير الرها سنة (٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م)، ثم تحرير دمشق سنة (٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م).

وإلى عماد الدين ـ رحمه الله ـ **ترجع البذور الأولى لفكرة الجبهة** الإسلامية المتحدة التي أدت لاحقاً **إلى سقوط الخلافة الفاطمية، وقيام**

الدولة الأيوبية، وبالتالي سقوط الجمود والتخلف والتجزئة، وبداية قرون من الازدهار العلمي.

ولا يخفى على أحد أن حركة الجهاد الواسعة، وطرح فكرة الجبهة الإسلامية المتحدة تحتاج إلى جيوش من المفكرين والعلماء العاملين إلى جانب المقاتلين المجاهدين، وذلك من أجل إنجاح هذه الفكرة وشيوعها، ثم تطبيقها على أرض الواقع.

إن طرح أي فكرة على وجه العموم يؤدي إلى إعمال الفكر والتدبر، ثم الفهم، وبالتالي العلم، ثم العمل بها إذا لاقت استحساناً، يقول وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ: «ما طالت فكرة امرىءٍ قط إلاّ فهم، وما فهم إلاّ علم، وما علم إلاّ عمل»[1].

ولا يخفى على الباحث في التاريخ الإسلامي، ومنذ عهد الرسالة، تلازم الجهاد والعلم على الدوام.

* هجرة العلماء العرب المسلمين من قرى جَمّاعين «الجماعينيات» في الجنوب السوري «فلسطين» إلى دمشق سنة (٥٥١ هـ/ ١١٥٦م)، وإنشاؤهم مدينة علمية في سفح قاسيون «صالحية دمشق»، ولعلها من أهم المدن العلمية التي أنشأها العرب المسلمون على التأكيد.

وتتيز الصالحية عن غيرها من المدن بميزات، منها:

١ـ أنها قامت لغرض علمي بحت؛ إذ قامت بالعلم وللعلم فقط، وقد تقدم أنها قامت على جامع ومدرسة، بخلاف مدن العالم أجمع، والتي قامت لأغراض جغرافية، أو سياسية، أو عسكرية، أو اقتصادية . . . ليس العلم من بينها.

---

(١) «منهاج القاصدين»(ص ٣٧٨).

٢ـ وأن من قام بإنشائها هم العلماء العرب المسلمون فقط، بخلاف غيرها من المدن، والتي قام ببنائها الأباطرة والأكاسرة والخلفاء والملوك والقادة.

٣ـ وأنها قامت بالعلماء الفقراء المهاجرين الضعفاء، وللفقراء، ولم يبذخ عليها، على الرغم من ازدهارها السريع، بخلاف غيرها من المدن التي قامت لتدل على عظمة أو عقلية بانيها وما يرافقه من بذخ.

٤ـ وأن قيامها وازدهارها كان في وقت صعب ومظلم نتيجة التجزئة الحاصلة في العالم الإسلامي، ووجود الخلافة الفاطمية في مصر، وكلها أدت إلى أربعة قرون من الظلام والجمود، إضافة للوجود الصليبي في المنطقة، بخلاف غيرها من المدن، فإنها لا تقوم إلاّ في عصر مزدهر.

٥ـ وأنها أضحت بعد قيامها مباشرة مركز إشعاع علمي وروحي اجتذب الكثير من الطلاب والعلماء على السواء، وامتد تأثيره الزماني إلى أكثر من (٤) قرون، على الرغم من النكبات المتلاحقة التي أصابتها على يد المغول وغيرهم.

ومن المعلوم أنها تعرضت لضربات قاسية مدمرة لم تبق ولم تذر، منها (٣) ضربات على يد المغول وحلفائهم، وهي على التوالي سنة (٦٥٨ هـ)، (٦٩٩ هـ)، (٨٠٣ هـ)، وفي كل مرة كانت تعود بفضل علمائها لسابق عهدها من الازدهار والعطاء العلمي.

٦ـ وأنها أصبحت بعد سقوط بغداد بيد المغول سنة (٦٥٦ هـ) مركز الإشعاع العلمي والروحي الوحيد في الشرق الإسلامي.

٧ـ واجتمع فيها من العلماء والحفّاظ والمحدثين والعباد والزهاد والصالحين والفضلاء من الرجال والنساء ما لا يجتمع في غيرها، إضافة إلى المدارس، والجامعة، والمكتبات العظيمة، والجوامع، والمساجد،

والزوايا، والربط، والخوانق . . . على الرغم من صغر حجمها إذا قيست بباقي المدن.

٨ـ أمدت حركة الجهاد الإسلامي بجيوش من العلماء العاملين المجاهدين الذين شاركوا في جميع الفتوح ضد الصليبيين، وأسهموا في القضاء على الدولة الفاطمية.

٩ـ وأن قيامها كان فاتحة لبروز ظاهرة علمية فريدة من نوعها، وهي ظهور الأسر العلمية التي بقيت تمد العالم الإسلامي بعلمائها لقرون عديدة، وأعرقها بنو قدامة بجميع فروعهم، وبنو عبد الواحد، وبنو السعدي، وبنو مفلح، والمرداوي . . . وغيرهم، واجتمع فيها من الأسر العلمية ما لا يجتمع في غيرها كما تقدم.

١٠ـ وأنها شهدت حركة جمع وتأليف لم يشهده غيرها في تلك العصور.

١١ـ وتم فيها بلورة الفقه الحنبلي، وعن شيوخها وشيخاتها أخذ كبار العلماء وغيرهم.

١٢ـ ومنها أُخذت الكتب إلى مصر وغيرها من الأقطار، وتقدم أن الإمام ابن حجر أخذ أحمالاً منها، وكذا غيره من الأئمة.

١٣ـ وعليها يقاس ازدهار تلك العصور علمياً، فمنذ تأسيسها بدأ، وبأفول نجمها بعد الاحتلال العثماني أفَل نجمه.

١٤ـ ولقد حافظت مدارسها على كمية مهمة من المخطوطات، وتقدم أن غالبية مخطوطات المكتبة الظاهرية، إن لم تكن كلها، والتي نقلت إلى مكتبة الأسد الوطنية تعود إلى المدرستين: العمرية والضيائية.

١٥ـ وفضائلها لا تعد ولا تحصى، وقد ألف الكثير من الكتب في

ذلك، منها كتاب «فضائل الصالحية» لصاحب رسالتنا الإمام يوسف بن عبد الهادي.

١٦ـ وتاريخها مشرف، وخير شاهد عليه مؤرخو تلك الفترة؛ كابن كثير، وغيره، وقد أفرد بعض الأئمة كتباً في تاريخها، كشيخنا ابن عبد الهادي، فله كتاب «تاريخ الصالحية»، وابن طولون، وله «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»، وابن كنان، وله «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» لابن عبد الهادي، والأخيران مطبوعان.

١٧ـ وآثارها دليل قائم على مجدها وحضارتها وازدهارها.

١٨ـ وميزاتها عديدة لا نستطيع حصرها في هذه العجالة، ونستطيع القول: إنها كانت مدينة مميزة.

١٩ـ ولم تشهد مدينة من التعتيم الإعلامي من قبل المعاصرين ما شهدته الصالحية.

ولا شك أن وجود مثل تلك المدينة بجميع مواصفاتها إلى جانب النشاط العلمي الملحوظ في المدن الأخرى الخاضعة لحركة الجهاد الإسلامي كـ «دمشق، والموصل، وحلب، وحمص، وحماة... وغيرها» يؤدي حتماً إلى ازدهار تلك العصور علمياً.

* قيام الدولة الأيوبية بعد وفاة نور الدين محمود زنكي ـ رحمه الله ـ سنة (٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م):

من المعلوم أن قيام الدولة الأيوبية إنما جاء نتيجة مباشرة من نتائج الحركة الصليبية، فهي وليدة أحداث الحروب الصليبية، وثمرة مشروع الجبهة الإسلامية المتحدة، كما تقدم.

ومؤسس هذه الدولة هو أعظم شخصية شهدها الوطن العربي في عصر

الحروب الصليبية الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي لم يكتف باعتناق فكرة الجهاد، بل عمل على تنفيذها حرفياً، وقضى حياته حتى آخر رمق فيه يذود عن المسلمين وبلادهم، وفي ذلك يقول ابن شداد: «. . . ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً، بحيث ما كان له حديث إلاّ فيه، ولا نظر إلاّ في آلته، ولا كان له اهتمام إلاّ برجاله، ولا ميل إلاّ إلى من يذكره ويحث عليه»[1]، ومن أهم أعماله:

١ـ القضاء على آثار الخلافة الفاطمية في مصر؛ مما سمح لعلماء المذاهب الإسلامية بالعودة إليها، وممارسة نشاطهم العلمي في ذلك القطر العربي بعد قرون طويلة من الجمود والتخلف.

٢ـ تحقيقه لوحدة إسلامية على رقعة جغرافية مهمة من الوطن العربي من الفرات إلى النيل، دون أن يكون له أية مطامع، أو مكاسب شخصية، وكان يقول: «إنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلاّ ما جمع شملهم وألف كلمتهم»[2]، ولاشك أن جمع شمل المسلمين وتأليف كلمتهم خلق مناخاً علمياً نقياً على تربة صالحة لا حواجز بينها، الأمر الذي أدى إلى الازدهار العلمي الملحوظ في تلك العصور.

٣ـ وبعد فراغه من توحيد الجبهة الإسلامية، انصرف بكل طاقاته إلى فكرة الجهاد، فانتصر على الصليبيين في حطين سنة (٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م)، وبالتالي تحرير معظم الساحل الشامي وبيت المقدس في نفس السنة، ولم تكد تمر ثلاث سنوات على ذلك الهجوم الشامل حتى انكمشت الممتلكات الصليبية في بلاد الشام، فلم يبق من مملكة بيت المقدس إلاّ صور، ومن إمارة أنطاكية إلاّ عاصمتها مدينة أنطاكية وحصن المرقب، ومن إمارة

---

(١) «النوادر السلطانية»(ص ٤٦).

(٢) «مفرج الكروب»(٢/ ١٨).

طرابلس إلاّ عاصمتها مدينة طرابلس وقلعة انطرسوس وحصن الأكراد، هذا كله عدا بعض المواقع الثانوية الضئيلة الأهمية[1].

على أن صليل السيوف في ذلك العصر لم يوقف تيار التقدم الحضاري، وفي الوقت الذي كان بنو أيوب يخوضون أضخم معركة للجهاد دخلها المسلمون منذ قيام دولتهم الكبرى في القرن السابع للميلاد، إذا بالمدارس تُفتح، والمكتبات تُنشأ، والحصون والقلاع تُبنى، والصناعات والحرف والفنون تُواصل تقدمها في إقامة أعظم بناء حضاري شهدته العصور الوسطى، وهو بناء الحضارة الإسلامية[2].

ثانياً ـ الأسباب الثانوية:

ولا نعني بالثانوية التقليل من أهميتها، بل هي وليدة السبب الرئيسي، وتابعة له، وناتجة عنه، ونذكر أهم هذه الأسباب:

أ ـ كثرة المدارس والمكتبات:

وقد تقدم تفصيل ذلك، وقلنا بأن أبرز سمات الحياة العلمية في عهد الأيوبيين ومماليكهم هي ظاهرة انتشار المدارس، وقد بلغ عددها في دمشق وحدها (١٥٠) مدرسة استمرت في عطائها العلمي إلى ما بعد انتهاء العهد المملوكي، وبالعودة مجدداً إلى «الدارس في تاريخ المدارس» نجد أن (٩) منها أُنشئت من قبل أمراء المماليك، وهي نسبة ضئيلة إذا قيست بفترة حكمهم الطويلة، والتي بلغت حوالي (٣) قرون من الزمن، وهذه المدارس هي:

١ ـ مدرسة الحديث الدوادارية: أنشئت في سنة (٦٩٨ هـ)، وفيها وقفُ

---

(١) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك»(ص ٦٢).

(٢) «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك» (ص ١٦٢).

الأمير علم الدين سنجر الدوادار (٦٩٩ هـ)[١].

٢ـ دار القرآن والحديث التنكزية: أنشئت في سنة(٨٢٧ هـ) واقِفُها الأمير تنكز الملكي الناصري (٧٤٠ هـ)[٢].

٣ـ المدرسة الفارسية للسادة الشافعية: واقفها الأمير سيف الدين فارس النتمي في سنة (٨٠٨ هـ)[٣].

٤ـ المدرسة الظاهرية الجوانية، وهي للسادة الحنفية والسادة الشافعية معاً: بناها السلطان الظاهر بيبرس، وذلك في حدود سنة (٦٧٠ هـ)[٤].

٥ـ المدرسة الجقمقية للسادة الحنفية: وأصلها تربة كان قد أسسها المعلم سنجر الهلالي وابنه شمس الدين الصانع، فانتزعها الملك الناصر حسن في شهر ربيع الآخر سنة (٧٦١ هـ) لما صادرهما، ثم إن السلطان أمر بعمارتها، ولم يتم أمرها حتى قتل في جمادى الأولى سنة (٧٦٢ هـ)، ثم إنها صارت خانقاه بعد ذلك إلى أن احترقت في الفتنة[٥]، ثم أعاد إعمارها الأمير جقمق في سنة (٨٢٢ هـ)، وجاءت في غاية الحسن، ولكن ظُلمة الظالم لائحة عليها، وفي سنة (٨٢٤ هـ) قتل جقمق، ودفن بتربتها، ولقي ما قدمه، وقد تدرب ومهر في الظلم، وكان ظلوماً غشوماً متطلعاً إلى أموال الناس[٦].

٦ـ المدرسة الحاجبية، وهي للسادة الأحناف أيضاً: قبليَّ المدرسة

---

(١) «الدارس» (١/ ٤٩).
(٢) «المرجع السابق» (١/ ٩١).
(٣) «المرجع السابق» (١/ ٣٢٤).
(٤) «المرجع السابق» (١/ ٢٦٣، ٤١٨).
(٥) أي: فتنة تمرلنك المغولي سنة (٨٠٣ هـ).
(٦) «الدارس» (١/ ٣٧٤) وما بعدها.

العمرية بصالحية دمشق، أنشأها الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير مبارك الإينالي دوادار سودون النوروزي، ولم يذكر في «الدارس» أي شيء عنها أو عن علمائها، بل تكلم على ظلم بانيها، ثم قال: قال شيخنا الجمال بن المبرد في «الرياض»[1]: ـ «ولي نيابة طرابلس وحماة، وعنده معرفة ومشاركة، توفي سنة (٨٧٨ هـ)، ودفن بتربته بالقرب من تربة السبكيين تحت كهف جبريل بسفح قاسيون»[2].

٧ـ المدرسة السيبائية الحنفية: ذكرها في «الدارس» في سطرين قال: «خارج باب الجابية وشمالي بئر الصارم، والتربة بها، والزاوية بها أيضاً، وهي إنشاء نائب الشام الذي كان أمير السلاح بمدينة مصر المحروسة ـ رحمه الله تعالى ـ، واسمه سيباي»[3].

٨ـ المدرسة القجماسية الحنفية: أنشأها نائب الشام قجماس الشركسي (٨٩٢ هـ)[4].

٩ـ المدرسة المنجكية الحنفية: إنشاء الأمير منجك اليوسفي الناصري (٧٧٦ هـ)[5].

ويلاحظ عدة أمور:

الأول: قلة عدد المدارس التي قام بإنشائها سلاطين وأمراء المماليك في دمشق على الرغم من ثرائهم الفاحش، وهذا دليل واضح على عدم

---

(١) «الرياض اليانعة في أعيان المئة التاسعة» ليوسف بن عبد الهادي، وسنأتي على ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) «الدارس»(١/ ٣٨٣).

(٣) «المرجع السابق» (١/ ٤٠٧).

(٤) «المرجع السابق» (١/ ٤٣٤).

(٥) «المرجع السابق» (١/ ٤٦١).

اهتمامهم بالعلم والعلماء كما يذكر البعض.

الثاني: أنهم لم يقوموا بإنشاء أية دار للقرآن الكريم، مع العلم أن دور القرآن الكريم جميعاً أنشئت في عهدهم[1].

الثالث: أنهم قاموا بإنشاء دار حديث واحدة من أصل (١٦) أنشئت في العهدين[2].

الرابع: أنهم قاموا بإنشاء مدرسة واحدة مشتركة للقرآن والحديث معاً من أصل (٣) أنشئت في عهدهم[3].

الخامس: أنهم قاموا بإنشاء مدرسة واحدة للسادة الشافعية، وأخرى مشتركة بينهم وبين سادتنا الأحناف من بين (٦٠) مدرسة للشافعية أنشئت في العهدين.

السادس: أنهم قاموا بإنشاء (٥) مدارس للسادة الأحناف إلى جانب المدرسة المشتركة التي ذكرناها سابقاً من بين (٥٢) مدرسة للحنفية أنشئت في العهدين، وهذه المدارس الخمس لم تكن بالمستوى العلمي المطلوب إذا قيست بمدارس السادة الأحناف الأخرى؛ لخلو معظمها من كبار العلماء، وذلك لأن بُناتها من كبار الظلمة، ولأنها قامت بأموال مصادرة، فبقيت «ظُلمة الظالم لائحة عليها»[4].

السابع: إن من قام بإنشاء المدرسة السيبائية هو نائب الشام سيباي، وهو من كبار الظلمة، وآخر من تولى نيابة الشام من قبل المماليك قبل دخول العثمانيين إليها، ولم يكن يوماً محباً للعلم ولا للعلماء، وظاهر حاله

---

(١) «الدارس» (١/ ٧-١٤).

(٢) «المرجع السابق» (١/ ١٥-٩٠).

(٣) «المرجع السابق»(١/ ٩١-٩٥).

(٤) «المرجع السابق»(١/ ٣٧٥).

يشهد عليه، من ذلك ما يرويه ابن طولون ـ رحمه الله ـ يقول: «وفي يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة منها (٩١٩ هـ) أمر النائب «سيباي» بإشهار النداء بصيام ثلاثة أيام، والتوبة، والخروج إلى الصحراء، وزيارات المزارات؛ لينقطع الوباء، فقال القاضي الشافعي الولوي بن الفرفور: قد كثر الظلم، فلو بطلتموه كان حسناً، فلم يسهل على النائب ذلك، وأسمعه ما يكره، ولا قوة إلاّ بالله، والسبب الذي ألجأ النائب إلى هذه المناورة بعض المتمصلحين[١] ابن حمزة زعم أنه رأى النبي ﷺ في منامه، وأنه أمر بذلك»[٢].

وأصل هذه المدرسة تربة لهذا النائب شرع فيها سنة (٩١٩ هـ)، وفي عزمه أن يضيف إليها مدرسة وخطبة، وفي ليلة الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة (٩٢٠ هـ) أولم النائب وليمة، وحضر حريمه وجماعته بتربته ومدرسته الجديدة، وقد قرب من فراغ عمارتها، وفي يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة (٩٢٠ هـ) فرغ من عمارتها، وأعلم القضاة والمباشرين بالحضور إليها، وإقامة الجمعة فيها، فحضر القضاة، وهو معهم، وجماعته، وخطب القاضي الشافعي الولوي بن الفرفور، ثم صلوا جميعهم الجمعة بها[٣].

وفي يوم الخميس ثامن عشر شعبان سنة (٩٢٢ هـ) سُلمت دمشق إلى الأتراك العثمانيين، وعليه يكون عمر هذه المدرسة سنتين فقط؛ أي: إنها لم تشارك في ذلك الازدهار العلمي الملحوظ.

---

(١) لعله يقصد من يدعي الصلاح، والله أعلم.

(٢) «إعلام الورى» (ص ٢١٩).

(٣) «المرجع السابق» (ص ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣).

الثامن: أنهم لم يقوموا بإنشاء أية مدرسة للسادة الحنابلة.

التاسع: أنهم لم يقوموا بإنشاء أية مكتبة في دمشق المحروسة.

ونخلص إلى النتيجة التالية:

١ـ إن الفضل في كثرة المدارس والمكتبات وازدهارها في القرن الأيوبي يعود:

أولاً: إلى علمائنا المسلمين الذين قاموا بإنشاء معظم المدارس الكبرى، وما تحويه من مكتبات عظيمة.

وثانياً: إلى السياسة الشرعية لملوك الأيوبيين؛ مما حَمَلَ علماء المسلمين إلى تبنّي مدارسهم التي أنشؤوها، والمشاركة في نشاطاتها.

٢ـ إن المدارس والمكتبات التي قامت في القرن الأيوبي استمرت في عطائها العلمي النشيط إلى ما بعد العصر المملوكي، فحسبت عليه، وكانت من أهم أسباب ازدهاره.

٣ـ إن الفضل في كثرة المدارس والمكتبات وازدهارها في العصر المملوكي يعود إلى علمائنا المسلمين وحدهم، ولا شأن لسلاطين المماليك بذلك الازدهار العلمي.

هذه مدارس دمشق، فإذا أضفنا إليها مدارس مدن بلاد الشام من حلب إلى العريش، مروراً بالقدس، ونابلس . . . وغيرها نخرج بعدد لا بأس به من المدارس والمكتبات، والذي أدى حتماً إلى ازدهار تلك العصور علمياً.

أما مدارس الشقيقة مصر ومكتباتها، وهي كثيرة، فقد أشبعت دراسة وتمحيصاً من قبل المعاصرين، وأفردوا لها كتباً كثيرة، فلتراجع هناك.

ب ـ كثرة العلماء والعالمات :

امتازت تلك القرون، وبدءاً من سنة (٥٥١ هـ) بكثرة العلماء والعالمات في العالم الإسلامي عامة، وفي دمشق خاصة، فبالإضافة إلى جيوش علماء الحنابلة من الجنسين، فقد عجت دمشق بالعلماء من كافة المذاهب، وتبعتها القاهرة في أواخر القرن السادس بعد القضاء على الدولة الفاطمية وعودة علماء المذاهب الإسلامية إليها واستقرارهم فيها.

ولم تكن مدن بلاد الشام الأخرى خالية من العلماء، فقد عجت جميعها أيضاً بالعلماء، لا سيما حلب وحماة وحمص وغيرها من المدن التي خضعت أولاً لحركة الجهاد الإسلامي، كذا نابلس، والقدس، والخليل وغيرها من مدن سورية الجنوبية «فلسطين» بعد تحريرها من الصليبيين، وبادر الحافظ المؤرخ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي (٦٦٥ هـ) ـ ولأول مرة في التأليف ـ بتصنيف كتاب خاص بتراجم علماء القرنين السادس والسابع، وسماه «تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين»، ثم تبعه الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) بتصنيف كتاب خاص أيضاً بعلماء القرن الثامن سماه: «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» اختصرها شيخنا يوسف بن عبد الهادي بكتاب سماه «مختصر الدرر»، ثم ألف «الرياض اليانعة في أعيان المئة التاسعة»، وصنف معاصره السخاوي موسوعته الضخمة «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، ثم صنف العلامة الغزّي «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة».

وإذا رجعنا إلى كتب التاريخ والتراجم والطبقات بكافة أنواعها وذيولها، وغيرها من الكتب، وبدءاً من سنة (٥٥١ هـ)، نجد جيوشاً لا تحصى من العلماء المسلمين من الجنسين، وهذا واضح، ولا يحتاج

إلى دليل، فجميع هذه الكتب متوفرة، ومطبوعة، وبين أيدينا، ونخلص إلى التالي:

١ـ إن تأليف مجلدات خاصة بعلماء تلك القرون، لهو دليل كاف ومقنع على كثرة هؤلاء العلماء.

٢ـ إن مؤلفي تلك الكتب الخاصة جميعهم من الحفّاظ الثقات، كذا مؤلفو كتب التاريخ والطبقات والتراجم وغيرها التي ترجمت لعلماء تلك الفترة من الجنسين، جميعهم أيضاً من كبار العلماء والحفّاظ الثقات؛ كابن كثير، والذهبي، والسلامي، وابن الجوزي، وأبي شامة، والحسيني، والعراقي، والصفدي، وابن فهد، وقاضي القضاة مجير الدين الحنبلي صاحب «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»، وابن رجب . . . في آخرين. وجميعهم ناقد بارع، ويؤمن تواطؤهم على الكذب.

٣ـ وكون هؤلاء المؤلفين من الحفّاظ الثقات والنقاد البارعين، فإنهم لم يقدموا لنا الكثرة من العلماء على كثرتهم، بل النوعية، وبذلك فقدنا تراجم العلماء الأقل شأناً من المترجم لهم.

إن من حفظ لنا أحاديث رسول الله ﷺ هو الذي حفظ لنا أيضاً تراجم هؤلاء العلماء وتاريخهم المشرف في تلك العصور، ويجب تصديقه في الأمرين لحفظه، وإلاّ يسقطان معاً، وهذا محال.

ويلاحظ أمور ثلاثة:

الأول: انفراد دمشق بعدد هائل من المدارس الجامعة، وبالتالي انفرادها بالقسم الأعظم من كبار العلماء، ففي إحصاء تقريبي لـ«الدارس» بلغ عدد من تولى مشيخة تلك المدارس أكثر من (٢٥٠٠) عالم، عدا كبار العلماء من المدرسين والمعيدين وغيرهم، وقد تقدم ذلك.

الثاني: انفراد دمشق بأغلبية العالمات من النساء، وتقدمَ أن جُلَّهن من السادة الحنابلة.

الثالث: انفراد دمشق بغالبية الأسر العلمية، إن لم تكن كلها، وتقدم أن جلّها من السادة الحنابلة أيضاً.

ج: المسؤولية العلمية والنشاط الواسع لجمع الكتب وتأليفها:

من المعلوم أن منطقتنا العربية تعرضت لهجمات قاسية عديدة على أيدي التتار والصليبيين وغيرهم، إضافة إلى ما أصاب المسلمين على يد الفرنج في الأندلس.

في عام (٦٥٦ هـ) تعرضت بغداد للدمار على يد التتار نتج عنه إحراق وإغراق غالبية كتبها، إن لم تكن كلها.

وفي سنة (٦٥٧ هـ) اجتاح التتار مدينة حران، ثم حلب سنة (٦٥٨ هـ)، وأعملوا السيف في أهلها، ولم يسلم منهم إلاّ القليل، وفي نفس السنة سُلمت دمشق لهم، ثم أخذت جيوشهم تغير على بقية بلاد الشام، وفي يوم الجمعة (١٥) رمضان سنة (٦٥٨ هـ) هُزم التتار على يد السلطان قطز، فكانت مدة استيلاء التتار على دمشق ٧ أشهر و ١٠ أيام.

وقد كان هذا الاحتلال لمدينة دمشق أخف احتلالات التتار وطأة، فإنه اقتصر على فتح البلاد ونهب العباد، كما أخذت بعض الكتب العلمية وأرسلت إلى المجمع العلمي الذي أُسس تحت إشراف نصير الدين الطوسي (٦٧٢ هـ) في «مراغة»، ويظهر أن القصد كان عدم تخريبها لتتخذ قاعدة للزحف على باقي البلاد[١].

وشهد هذا التاريخ انتهاء العهد الأيوبي وبداية العصر المملوكي، كذا

---

(١) «ولاة دمشق»(ص ٥١).

شهد انقلاباً في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إلى جانب الوجود الصليبي في بعض المناطق الذي استمر قرابة (٤٠) سنة بعد هذا التاريخ.

أما الأحوال العلمية، فقد استمرت على ما هي عليه، حيث ورث المماليك علماء العهد الأيوبي ومؤلفاته ومدارسه.. أما العلماء، فإنهم وجدوا أنفسهم أمام ظروف مختلفة تماماً عما كانوا عليه أيام الأيوبيين، فالنظام الجديد نظام عسكري فردي اعتمد على مبدأ القوة والجيش؛ مما أضعف مبدأ الحق والمصلحة العامة، ولكونه كذلك أوجد طبقة من المستغلين، وأصحاب المصالح، والأعوان حول السلطان ونوابه كانت تعيش على حساب ظلم الشعب وإهمال مصالحه وإفقاره، وعمل هذا النظام مبكراً على تشجيع رجال الصوفية كالقلندرية وغيرهم، واستخدامهم لضمان طاعة الرعية.

وتجلت مسؤولية العلماء في التالي:

١ـ استيعاب تلك الظروف المستجدة، والتعامل معها بعقلانية؛ لوجود أخطار عديدة تحيق بالبلاد؛ كالخطرين المغولي والصليبي، مع الوقوف بوجه السلاطين وأعوانهم إذا استدعى الأمر.

٢ـ تحريض السلاطين على حرب المغول والصليبيين مع المشاركة الفعالة في ذلك.

٣ـ محاربة البدع وأهلها، كذا الشطحات الصوفية والخرافات والتقليد الأعمى للشيخ...

٤ـ العمل على تعويض الكتب التي أخذها المغول، مع نشاط واسع في الجمع والتأليف والحفظ.

أما ما حصل في بغداد، فلا يمكن تعويضه إلى يوم الدين، وهو خارج

نطاق مسؤوليتهم، ومع ذلك فقد عملوا قدر الإمكان على تعويض الكثير من الكتب؛ لأهميتها.

وفي ٣ ربيع الآخر سنة(٦٩٩ هـ) دخل قازان المغولي مدينة دمشق[١]، وفي يوم السبت ١٥ ربيع الآخر سلمت الصالحية لملك سيس الأرمني، فتسلّمها، وأروى غليله منها، فأحرق المساجد والمدارس، ونهب الكتب، وقتل وأسر من أهلها (٩٩٠٠) نفس، جلهم من شيوخ الحديث والعلماء، وبيعت الكتب، وقد كتب عليها وقفيتها على المدرسة الضيائية أو الناصرية، أو خزانة ابن البزوري، أو غيرها، ونهبت المساجد، وأحرقت، وعملوا بالمِزة وداريا مثلما عملوا في الصالحية كما تقدم[٢].

انتهى القرن السابع، واستهل المحرم من القرن الثامن سنة (٧٠٠ هـ)، وبينما كان أهل دمشق والصالحية يغسلون دماءهم ويضمدون جراحهم ويلمون شعثهم، إذا بالموظفين الماليين يطالبون الناس بأجرة (٤) أشهر عن جميع أملاكهم وأوقافهم، وهم لم يكادوا يبتلعون ريقهم، ولم يأخذوا قسطهم من الراحة بعد جور التتار وحلفائهم.

ويتضح من كل هذا عظم المسؤولية التي ألقيت على كاهل علماء القرن الثامن، ومنذ مطلعه، وبخاصة علماء الحنابلة، لضياع قرن ونصف من الجهد العلمي المتواصل، وعليه فقد تجلت المسؤولية العلمية لعلماء القرن الثامن بما يلي:

١ـ العمل على إعادة بناء ما احترق من مدارس ومساجد وغيرها من دور العلم، وقيامهم ببناء دور علم جديدة، وفي كافة الاختصاصات.

---

(١) «البداية والنهاية»(١٤/٨).

(٢) «المرجع السابق».

وتكمن مسؤولية كبار العلماء في عدم تحرجهم بل تشجيعهم على حضور طفل أو طفلة في السنة الثانية من العمر مجالس علمهم، أو إجازتهم، وكانوا مصيبين في ذلك، فقد خرج من هؤلاء الأطفال والنساء جيوش من حفظة الحديث والعلماء من كلا الجنسين.

٢ـ العمل على إعادة تأليف ما فُقد بأقصى سرعة، بالإضافة إلى تآليفهم الكثيرة في شتى العلوم، ويدل عليه كثرة تآليفهم، على الرغم من قصر عمرهم، فعلى سبيل المثال توفي الحافظ الإمام المتفنن شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (٧٤٤ هـ) عن عمر يناهز التاسعة والثلاثين، وقد خلف لنا أكثر من (٧٨) مؤلفاً في شتى العلوم، عدا الذي لم يصل إلينا من مصنفاته، وأمثاله كثيرون.

٣ـ العمل على حفظ السنة بالصدور خوفاً عليها من الضياع نظراً للأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة، ويدل عليه كثرة الحفّاظ والمحدِّثين من الجنسين.

٤ـ وإلى جانب حفظهم وعلمهم وتآليفهم في مختلف العلوم، فقد عملوا على تأليف موسوعات ضخمة في التأريخ والسير والطبقات والتراجم خوفاً على تراثنا الإسلامي من الضياع أو التحريف والتشويه والتزوير، وبذلك سدوا هذا الباب أمام أعداء الإسلام من الشعوبيين وغيرهم.

ومن أشهر الذين ألفوا في ذلك: ابن كثير، والذهبي، وابن فهد، وأبو شامة، والحسيني، والصفدي، وابن رافع السلامي، وابن رجب، وابن مفلح... وغيرهم كثيرون، وقد ذكرنا أنه يؤمن تواطؤهم على الكذب بإجماع المسلمين، وسنأتي على ذكر أسماء كتبهم في نهاية الفصل ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٥ـ استمرارهم وبشدة في محاربة أهل البدعة وغيرهم من أعداء الإسلام

الذين أرادوا دوماً باسم الإسلام هدم الإسلام من داخله، ويلاحظ نجاح العلماء إلى حد بعيد في ذلك، برغم مساندة سلاطين المماليك لتلك الفئات الهدّامة.

هذا غيض من فيض، ولا يتسع المقام لذكر المزيد، على أنه يلاحظ ـ إلى جانب تحملهم المسؤولية العلمية ـ أنهم حملوا عبء الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة، فقد قاموا بملء الفراغ السياسي الناتج عن مواقف بعض سلاطين المماليك السلبية، وتهربهم من الدفاع عن بلاد الشام، وبخاصة دمشق، وقد ذكرنا سابقاً انتصار ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على المغول في معركة وادي الخزندار سنة (٧٠٢ هـ)، واستمر هذا القرن في نشاطه وازدهاره العلمي حتى نهايته، وظهر فيه ما يصعب إحصاؤه من العلماء والحفّاظ والمسندين من كلا الجنسين، برغم الظروف الصعبة السائدة التي ذكرناها.

ثم دخل القرن التاسع، ودخل معه التتار مرة ثالثة، ففي سنة (٨٠٣ هـ) تعرضت دمشق وصالحيتها لضربة قاسية كادت أن تكون قاتلة على يد اللعين «تيمورلنك»، فأحرقها عن بكرة أبيها، ونهبها، وهتك أعراضها، حتى الأطفالُ الصغار من الجنسين لم يسلموا من ذلك، وسبى أهلها، ثم رحل عنها بعد أن تركها قاعاً صفصفاً خاوية على عروشها، فباتت شبه خالية من كل شيء، البيوت والجوامع والمدارس والكتب .. أما العلماء فمن لم يُقْتَل في تلك الفتنة، مات تألماً وقهراً[1].

استلم من تبقى من العلماء قرنهم على تلك الصورة، ويتضح أن المسؤولية الملقاة على عاتقهم ـ رحمهم الله جميعاً ـ لَتنوء بحملها الجبال؛

(١) «صدق الأخبار تاريخ ابن سباط»(٢/ ٧٦٤) وما بعدها، «الدارس في تاريخ المدارس»(٢/ ٣٧).

لضياع قرنين ونصف من التراكم العلمي المكثف، وقد بلغت مسؤوليتهم العلمية أضعاف تلك التي حملها أسلافهم علماء القرن الثامن؛ ففي تلك المرة دمرت الصالحية، وسُلِّمت دمشق، أما في هذه، فقد سُحقتا تماماً، ومعاً، ومع ذلك فقد تحمل علماء هذا القرن مسؤوليتهم كاملة أمام الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأمام التاريخ الذي سينصفهم ـ إن شاء الله تعالى ـ، ولو كره البعض، فعملوا كخلية نحل في سباق مع الزمن لإعادة كل ما فُقد، وقاموا بنفس الخطوات التي قام بها أسلافهم أصحاب القرن الثامن، بل زادوا عليها وأكثروا.

ففي فترة قياسية عادت المدارس ومكتباتها إلى سابق عهدها، بل قاموا بإنشاء المزيد منها، فعلى سبيل المثال تم في هذا القرن إنشاء (٤) دور للقرآن الكريم من أصل (٧)، ذكرها النعيمي في «الدارس»، وهي على التوالي:

١ـ دار القرآن الكريم الجزرية: أُنشئت عام (٨٣٤ هـ).

٢ـ دار القرآن الكريم الدلامية: أُنشئت عام (٨٤٧ هـ).

٣ـ دار القرآن الكريم الصابونية: أُنشئت عام (٨٦٣ هـ).

٤ـ دار القرآن الكريم الخيضرية: أُنشئت عام (٨٧٨ هـ).

هذا إلى جانب المدارس الكثيرة الأخرى التي أُنشئت في قرنهم، وتقدم أن صاحب رسالتنا الإمام يوسف بن عبد الهادي سعى، والشيخ موسى الكناني المرداوي في عود نحو ألفي جزء إلى المكتبة الضيائية، وأمثالهم كثيرون.

والواقع أن علماء هذا القرن امتازوا بكثرة التأليف وتنوعه، وذلك نابع من خوفهم من ضياع كل شيء مجدداً نظراً للظروف السياسية والاجتماعية السائدة.

وإلى جانب الخطوات التي ذكرناها، فقد عملوا على الإكثار من التأليف والحفظ والتدريس والتلخيص والشرح والتخريج والفهرسة . . .، كذا في إحضار النساء والأطفال مجالس العلم والحديث، فعج هذا القرن بالحفّاظ والمحدِّثين من الجنسين، ودليله متوفر في «الضوء اللامع» وغيره.

كما أنهم أكثروا من التأليف في كل شيء يخص مدينة دمشق وصالحيتها: تاريخها، وفضائلها، وتراجم علمائها، وجوامعها، ومساجدها، ومدارسها، وأنهارها، وخاناتها، وحماماتها، وأسواقها، وحتى في طباختها، يقول الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ: «ولا يسعنا إلاّ الترحم على محمد بن طولون، وشيخه يوسف بن عبد الهادي، وعبد القادر النعيمي، فلولاهم لضاع تاريخ دمشق في القرن التاسع والعاشر، فقد أثبتوا لنا في كتبهم، ومؤلفاتهم ما كان موضع تقدير العلماء وتمجيدهم»[1].

وسنأتي على تآليف شيخنا ابن المبرد في كل ذلك.

ولا نستطيع الإحاطة بجميع أعمالهم ـ رحمهم الله تعالى ـ، لكن الميزة الكبرى لهذا القرن هي في تمكّنهم من حفظ ولو جزء يسير من تراثنا الإسلامي، وبالتالي إيصاله إلينا، وهذا وحده كاف للرد على من يقول بخلو هذا القرن من الميزات، وعليه نعيد ونؤكد أنه كان وسيبقى من خير القرون.

تلك كانت أهم أسباب ازدهار العهدين الأيوبي والمماليكي حسب رأينا، ولعل هناك أسباباً أخرى أغفلناها، فإن وجدت، فإنها تبقى من وجهة نظرنا تحسينية، وتصب في النهاية في مقاصدنا.

ولا يخفى على الباحث أن غالبية المصادر المعتمدة في وقتنا الحاضر

---

(١) «القلائد الجوهرية» (١/ ٣٥).

ترجع إلى العهدين الأيوبي والمملوكي، وبخاصة الدور التشريعي السادس الذي وصف بالتقليدي المحض (٦٥٦ هـ) وما بعدها؛ أي: العصر المملوكي.

فألفية ابن مالك (٦٧٢ هـ) وشروحها، وكتب ابن هشام (٧٦١ هـ): «القطر» و«الشذور»، و«التوضيح»، و«مغني اللبيب» هي مملوكية، وعلوم البلاغة: المعاني والبديع والبيان كلها ترجع إلى متن «التلخيص» الذي وضعه جلال الدين القزويني الشافعي (٧٣٩ هـ).

أما معاجم اللغة، فأكثرها استعمالاً وانتشاراً: «لسان العرب» لابن منظور (٧١١ هـ)، و«القاموس المحيط» للفيروز آبادي (٨١٧، هـ) وغيرها.

وفي الفقه الحنفي يرجع إلى «تبيين الحقائق» للزيلعي (٧٤٢ هـ)، و«البحر الرائق» لابن نجيم (٧٩٠ هـ)، و«فتح القدير» للكمال بن الهمام (٨٦١ هـ)، وغيرهم.

وفي الفقه المالكي يرجع إلى الخليل بن إسحاق (٧٧٦ هـ).

وفي الفقه الشافعي يرجع إلى كتب النووي (٦٧٧ هـ)، وخاصة «المنهاج» وشروحه، ومختصرات «المنهج» وشروحه، ومؤلفات السبكي (٧٥٦ هـ)، ومتن «الزبد» وشروحه.

أما الفقه الحنبلي، فقد تبلور في هذين العهدين كما تقدم.

وفي أصول الفقه كتاب «إحكام الأحكام للآمدي» (٦٣١ هـ) إلى جانب «روضة الناظر» للموفق بن قدامة (٦٢٠ هـ) وغيرهما.

أما كتب أحاديث الأحكام، فجميعها ألفت في العهدين، وقد تقدم ذكرها.

وفي الرجال كتاب «الكمال في الرجال» للشيخ عبد الغني المقدسي (٦٠٠ هـ)، وجميع تهذيباته كما تقدم.

وفي تخريج الفروع على الأصول نجد الزنجاني الشافعي (٦٥٦ هـ)، والإسنوي الشافعي (٧٧٢ هـ)، وابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ)، وابن اللحام البعلي الحنبلي (٨٠٣ هـ)، وابن عبد الهادي (٩٠٩ هـ)، والسيوطي (٩١١ هـ)، وغيرهم.

أما كتب التاريخ والسير والطبقات، فغالبيتها ـ إن لم تكن كلها ـ كتبت في العهدين، وأشهرها: كتاب «الروضتين وذيله» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥ هـ)، و«مفرج الكروب» لابن واصل (٦٩٧ هـ)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٧٣٢ هـ)، وتتمته لابن الوردي (٧٤٩ هـ)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧٤٨ هـ)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٧٦٤ هـ)، و«فوات الوفيات وعيون التواريخ»، وكلاهما لابن شاكر الكتبي (٧٦٤ هـ)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٧٧٤ هـ)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ)، و«السلوك» للمقريزي (٨٨٥ هـ)، و«الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» لمجير الدين الحنبلي (٩٢٨ هـ) . . وغيرهم كثيرون.

وفي الثقافة العامة والموسوعات: «نهاية الأرب» للنويري (٧٣٢ هـ)، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري (٧٤٨ هـ)، و«مقدمة ابن خلدون» (٨٠٨ هـ)، و«صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي (٨٢١ هـ)، إلى جانب ابن عبد الهادي، والسيوطي . . . وغيرهم.

ومن أشهر من كتب في العلوم الطبيعية: الدميري (٨٠٨ هـ)، وله كتاب «حياة الحيوان الكبرى».

أما معاجم البلدان، فأشهرها: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)، ومختصره «مراصد الاطِّلاع» لصفي الدين البغدادي (٧٣٩ هـ).

وليس ما ذكرته هو كل ما أُلِّف في العهدين، فإلى جانب مؤلفات المقادسة بجميع فروعهم هناك مؤلفات بني السبكي، وابن تيمية، وابن القيم الجوزية، وابن طولون، والسخاوي، والسيوطي، وغيرهم، وما ذكرته هو على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقصاء.

ولعل هذه الصورة الموجزة كافية لإعطائنا فكرة عامة عن الحياة العلمية في تلك العصور، ومدى الجهد الذي قام به علماء المسلمين في إقامة أعظم بناء حضاري شهدته العصور الوسطى، وهو بناء الحضارة الإسلامية.

ولاشك أن الباحث المتجرد لا يرى في هؤلاء العلماء عيباً ولا جموداً ولا قصوراً، بل يرى خيراً وعطاءً وجهداً متواصلاً، برغم الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها.

وإذا كانت تلك العصور مليئةً بالعيوب، ومتصفة بالجمود كما ادعى البعض، فماذا عسانا أن نقول عن عصرنا الحاضر، وبأي صفات ستصفنا الأجيال القادمة؟ إن التفتيش عن العيوب هو العيب بحد ذاته.

وأخيراً نقول للمخالفين: هاتوا برهانكم، ونقول لهم أيضاً ما قاله ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي منتصف القرن التاسع الهجري ولد طفل في بيت عريق في العلم والفضل والدين، ذلك هو بيت «آل عبد الهادي» وعبد الهادي هذا هو ابن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام الذي ينتهي نسبه إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ، وهو ما سنتولى بيانه في الباب القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

الباب الثاني

حياة الإمام ابن عبد الهادي



الفصل الأول

سيرة الجمال يوسف
ابن عبد الهادي ابن المبرد[1]

أولاً ـ اسمه ونسبه:

هو يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن فتح بن محمد[2] بن . . . .

---

(١) مصادر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١٠/ ٣٠٨)، «الكواكب السائرة» (١/ ٣١٦)، «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل»(ص ٦٧ـ٧٢)، «متعة الأذهان» ـ مخطوط (ورقة ١٠٧ ب)، «فهرس الفهارس»(٢/ ١١٤١ـ١١٤٢)، «هدية العارفين»(٦/ ٥٦٠ـ٥٦٢)، «السحب الوابلة» (ص ٤٨٦ـ٤٨٩)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣ـ٨٦)، «الأعلام»(٨/ ٢٢٥ـ٢٢٦)، «معجم المؤلفين»(٤/ ١٥٣ـ١٥٤)، «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي ـ «المقدمة» ـ د. محمد أسعد طلس (ص ٩)، وما بعدها، «مرجع العلوم الإسلامية» د. محمد الزحيلي (ص ٤٥٨)، «معجم المؤرِّخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة» د. المنجد (ص ٢٧٢ـ٢٧٦)، «مجلة معهد المخطوطات العربية»، مجلد (٢٦) الجزء (٢)، الكويت، في آخرين.

(٢) محمد: سقط من «النعت الأكمل» (ص٦٧)، ومن «معجم ابن فهد» نقله ابن حميد النجدي في «السحب الوابلة» (ص٣٧)، وأورده كلٌّ من: ابن فهد في «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص١٩٦)، والسخاوي في «الضوء اللامع» (١/ ١٦٨)، =

حديثة[1] بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى[2] بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[3].

= والسيوطي في «نظم العقيان» (ص ١٤٠)، وابن طولون في «سكردان الأخبار» نقله من خطه ابن حميد النجدي في «السحب الوابلة» (ص ٣٦٥).

(١) (حديثة): ورد هكذا في «ذيل تذكرة الحفاظ» لابن فهد(ص ١٩٦)، وفي «سكردان الأخبار» لابن طولون، نقله في «السحب الوابلة» (ص ٣٦٥).
و(حدثة) في «معجم ابن فهد»، نقله في «السحب الوابلة» (ص ٣٧)، وفي «الضوء اللامع» (١/ ١٦٨)، وفي «نظم العقيان» للسيوطي(ص ١٤٠).
و(حذيفة) في «النعت الأكمل» (ص ٦٧). ويلاحظ أنها متقاربة، ولعل الاختلاف يرجع إلى التحقيق أو الطباعة، واللهُ أعلم.

(٢) يحيى: ورد هكذا في «ذيل تذكرة الحفاظ» لابن فهد (ص ١٩٦)، وفي «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٣٦٥).
وفي «النعت الأكمل» (ص ٦٧)، وفي «معجم ابن فهد» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٣٧) (حسن)، وفي «نظم العقيان» للسيوطي (ص ١٤٠) (حسين)، ولعل السبب كالذي قبله، فالكلمات الثلاث متشابهة تماماً قبل التحقيق أو الطباعة، أو سبق قلم. والله أعلم.

(٣) «ذيل تذكرة الحفاظ» لابن فهد (ص ١٩٦)، «نظم العقيان» للسيوطي (ص ١٤٠)، «معجم ابن فهد» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٣٧)، «سكردان الأخبار» لابن طولون، نقله ابن حميد النجدي في «السحب الوابلة» (ص ٣٦٥)، قال ابن طولون في «سكردانه»: «وجدت هذا النسب بخط الحافظين: ابن ناصر الدين وأبي الفضل بن حجر، وبخط الصلاح الأقفهسي». ومن خط ابن طولون نقل ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص ٣٦٥-٣٦٦)، «الضوء اللامع» (١/ ١٦٨) حتى «حدثة».
هذا وقد أجمع المؤرِّخون والمترجمون على نسبة بني قدامة إلى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، ويكتفون بإضفاء الألقاب على المترجم لهم من أفراد هذه العائلة كالعمري، البدري، العدوي، القرشي، الجماعيلي، المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي . . . وهكذا. =

الإمام جمال الدين أبو المحاسن وأبو عمر بن أقضى القضاة بدر الدين حسن بن الشيخ المعمر المسند الرحلة شهاب الدين أبي العباس العمري، العدوي، القرشي الجماعيلي، المقدسي الأصل، الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، الشهير بابن عبد الهادي وابن المبْرَد «بكسر الميم وسكون الباء الموحدة»، وهو لقب أبيه وجده وإخوته[١]، لقبه به عمه، قيل: لقوته، وقيل: لخشونة يده[٢].

وأنشد من لفظه لنفسه:

مَنْ يَطْلُبِ التَّعْريفَ عَنِّي قَدْ هُدِي ... فَاسْمِيَ يوسفُ وابنُ نَجلِ المِبْرَدِ

وأبي يُعرَفُ باسْمِ سِبْطِ المُصْطَفىٰ ... والجَدُّ جَدّي قدْ حذاهُ بأَحْمَدِ

إلى آخرها، وهي طويلة نظم فيها نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، ثم مدح بقية العشرة، وقد سردها ابن طولون في «سكردان الأخبار»[٣].

والعمري القرشي العَدَوي ـ بفتح العين والدال المهملتين ـ نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزّى بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر القرشي[٤].

---

(١) يعرفون جميعاً بابن عبد الهادي، وابن المبْرد، وانظر: «الشذرات»(٧/ ٣٢٣)، «الضوء اللامع»(٣/ ٩٢) «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣)، «مسائل في الفرائض» لابن المبْرد أحمد بن حسن أخي يوسف (٨٩٥ هـ) مخطوط رقم (١٠٤٦٢) ظاهرية، «التمتع بالأقران» (ص ١١٢)، وغيرها.

(٢) «النعت الأكمل»(ص ٦٧)، «متعة الأذهان» مخطوط ـ (ورقة ١٠٧ ب).

(٣) «السحب الوابلة» نقلاً عن «سكردان الأخبار» في الإسكوريال (ص ٢٨٧ وما بعدها.

(٤) «التبيين في أنساب القرشيين» (ص ٢٠٤)، «اللباب في تهذيب الأنساب» (٢/ ٣٢٨)، «أُسد الغابة»(٤/ ١٣٧)، «الإصابة»(٤/ ٤٨٤)، «الأنساب» =

والجماعيلي المقدسي: نسبة إلى جماعيل قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين، وانتسبوا جميعاً إلى بيت المقدس لقرب جماعيل منها، ولأن نابلس وأعمالها جميعاً من مضافات بيت المقدس، وبينهما مسيرة يوم واحد[1].

والدمشقي الصالحي: نسبة إلى صالحية دمشق التي ولد ونشأ فيها، وعاش معظم حياته، وأخذ وأعطى بها، ثم دفن في روضتها.

ونسبته إلى الحنبلي؛ لأنه تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ.

ويؤخذ من كل ذلك أن ابن عبد الهادي عربي أصيل، ويكفيه وعائلته شرفاً أنهم أبناء سالم بن عبد الله بن سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ.

ثانياً ـ مولده:

ونذكر هنا أقوال العلماء في ذلك؛ لبيان اهتمامهم بصاحب رسالتنا، ثم نخرج بالصحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ.

قال معاصره السخاوي[2]: «مولده سنة بضع وأربعين بدمشق».

وقال الشيخ عبد القادر النعيمي صاحب «الدارس» وتلميذ ابن عبد الهادي في تاريخه «العنوان»[3]: «مولده سنة (٨٤٠ هـ)، وبه قال ابن

= للسمعاني (٨/ ٤١٠)، «المشتبه في الرجال» للذهبي(٢/ ٤٤٩).

(١) «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ١٥٩ـ١٦٠)، «مراصد الإطلاع»(١/ ٣٤٥)، «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي (١/ ٢١١)، «معجم بلدان فلسطين»(ص ٢٦٨ـ٢٦٩).

(٢) «الضوء اللامع»(١٠/ ٣٠٨).

(٣) «السحب الوابلة»(ص ٤٨٦).

العماد[1]، والغزي في «الكواكب»[2]، والكتاني[3]، والزركلي[4]، وكحالة[5]، وطلس[6]، والزحيلي[7]، في آخرين.

وذكر ابن طولون، وهو تلميذ ابن عبد الهادي أيضاً: أن «مولده في السهم الأعلى بصالحية دمشق سنة (٨٤٠ هـ)»[8].

وفي «متعة الأذهان»: «ولد سلخ سنة (٨٤٠)»[9].

أما الغزي العامري[10]، والشيخ الشطي[11]، فقد قالا: «مولده في غرة المحرم سنة (٨٤١ هـ) بدمشق»، وهذا هو الصحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ كما أخبر به هو نفسه، قال: «سنة (٨٤١ هـ) فيها ولدت في أول يوم منها»[12].

ولا فرق بين سلخ سنة (٨٤٠ هـ)، وغرة المحرم من السنة التي تليها، ولعله ولد مع إشراقة صبح السنة الجديدة.

---

(١) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).

(٢) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

(٣) «فهرس الفهارس والأثبات»(٢/ ١١٤١).

(٤) «الأعلام»(٨/ ٢٢٥).

(٥) «معجم المؤلفين»(٤/ ١٥٣).

(٦) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة(ص ١١).

(٧) «مرجع العلوم الإسلامية»(ص ٤٥٨).

(٨) «السحب الوابلة» نقلاً عن «سكردان الأخبار» في الإسكوريال (ص ٤٨٧) وما بعدها.

(٩) «متعة الأذهان» (مخطوط ـ ورقة ١٠٧ ب).

(١٠) «النعت الأكمل»(ص ٦٧).

(١١) «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣).

(١٢) «زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم»، كتاب «تاريخ الوفيات» مخطوط رقم (٣١٩٢) ظاهرية، ليوسف بن عبد الهادي ـ ورقة(٤٦ ص ١).

ثالثاً ـ أسرته:

ينتمي شيخنا ـ رحمه الله ـ إلى بيت عريق في الدين والعلم والصلاح والفضل والزهد والأدب والنسب، وبيت حديث وجلالة، بيت الرواية والمشيخة[1]، ذلك هو بيت «آل عبد الهادي».

وعبد الهادي هذا هو ابن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام الذي ينتهي نسبه إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كما تقدم.

وأسرة عبد الهادي نبيلة مشهورة في فلسطين، لا تزال تحتفظ بكيانها إلى هذا العصر[2]، رَدَّنا الله وإياهم إلى ديننا رداً جميلاً، وقد خرج من هذه الأسرة وفي جميع العصور رجال أفذاذ ونساء فضلَيات كان لهم القدح المعلّى في الدين والعلم والزهد[3].

ومن أجل إلقاء المزيد من الضوء على نشأة شيخنا وحياته نترجم لسلسلة نسبه بدءاً من والده، وانتهاءً بالإمام عبد الهادي بن يوسف بن قدامة، نتبعها بترجمات موجزة لعلماء هذا الفرع من المقادسة وحتى بداية القرن العاشر تاريخِ وفاة صاحب رسالتنا، وربما توسعنا في بعض التراجم للضرورة؛ كترجمة أحد إخوته وعمه وغيرهم؛ لتأثره بهم، أما علماء العصور التالية

---

(١) هذه الصفات تجدها متناثرة في كتب التاريخ والتراجم منها: «معجم شيوخ الذهبي» (ص ٤٢) وغيرها، «الضوء اللامع» (١/ ٥٥، ٢٧٢، ٧/ ٢١٨، ١٢/ ٥٦)؛ وغيرها، «وفيات ابن رافع السلامي» (٢/ ٦١) وغيرها، «نظم العقيان» (ص ٤٦)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٠٨) وغيرها، «السحب الوابلة» (ص ٥٥) وغيرها، «ثمار المقاصد» ـ المقدمة (ص ٩) وما بعدها، وغيرهم.

(٢) «القلائد الجوهرية» ـ المقدمة (ص ١٥).

(٣) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة (ص ١٠).

من هذه الأسرة ـ القرن العاشر وحتى الآن، وهم كثر ـ فلا نذكرهم؛ لضيق المقام، ومن أراد الاستعلام عنهم، نحيله إلى عدد من الكتب المطبوعة والمتداولة، منها:

١ـ «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» للحسن البوريني.

٢ـ «الشذرات» لابن العماد الحنبلي.

٣ـ «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي.

٤ـ «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي.

٥ـ «أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع» لخليل مردم بك.

٦ـ «بلادنا فلسطين» لمصطفى مراد الدباغ.

٧ـ «الأعلام» للزركلي.

٨ـ «معجم المؤلفين» لكحالة.

٩ـ «الموسوعة الفلسطينية».

١٠ـ«من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» ليعقوب العودات.

وغيرها من الكتب، وخاصة التي تؤرخ لفترات الحكم التالية:

١ـ فترة الحكم العثماني لبلاد الشام.

٢ـ فترة الحكم المصري لبلاد الشام «محمد علي وابنه إبراهيم».

٣ـ فترة الحكم العربي لسورية الكبرى، منها كتاب «عوني عبد الهادي أوراق خاصة» للدكتورة خيرية قاسمية. يضاف إليها الكتب التي تتحدث عن النضال الفلسطيني ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني.

* والده:

هو أقضى القضاة بدر الدين حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي البدر، أبو يوسف بن الشهاب القرشي العمري المقدسي الحنبلي ويعرف بابن عبد الهادي، وبابن المبرد.

ولد بالصالحية، ونشأ بها، فحفظ القرآن، واشتغل وأخذ الحديث عن والده وخَلْقٍ، وحدث عنه الكثير.

واشتغل وحصل، وحفظ «الخرقي»، و «الطرفة»، وغير ذلك، وتفقه بأحمد بن يوسف المرداوي (٨٥٠ هـ)، والشيخ تقي الدين بن قندس (٨٦١ هـ)، وغيرهما، وأذن له ابن يوسف المرداوي بالإفتاء، فقال فيما وجد بخطه: يقول كاتبه الفقير إلى الله ـ تعالى ـ أحمد بن يوسف ـ لطف الله به ـ: «إني كنت أذنت للفقير إلى الله ـ تعالى ـ الشيخ الإمام بدر الدين حسن بن الفقير إلى الله ـ تعالى ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادي الفقيه الحنبلي أن يفتي على مذهب الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ، وكاتبه مستمر على الإذن، وهو الإذن بعد الإذن أكثر علماً من حاله للإذن، وهو أهل لما أذن له، فإنه بحمد الله عالمٌ بما يفتي به، وأرجو الله أن ينفع به غيره من الطلبة، ويشغلهم، فإنه أهل للاشتغال والإفتاء في الفقه، مع ما انضم إلى ذلك من العلوم غير الفقه من النحو والصرف وعلم الحديث وعلم التاريخ، بالقول والفعل، وقد فاق أبناء زمانه في العلوم المذكورة، استحق بذلك الإذن من كاتبه وغيره عند من له علم وفهم، وأذن له كاتبه أن يفتي ويدرِّس، ويأذن بالفتوى لغيره ممن يصلح لذلك، فإنه قرأ على كاتبه زماناً طويلاً، وباحثه في العلم زمناً كثيراً، فوجدته أزيَد مما وصفت، والله يوفقه ويسدد في قوله وفعله بمنِّه وكرمه»[1].

---

(١) «الجوهر المنضد» (ص ٢٩) وما بعدها.

روى عنه خلق كثير، وابنه يوسف روى عنه «جزء» أبي موسى زغبة.

ولي القضاء نيابة عن العلاء بن مفلح، وكان محموداً في ولايته وسيرته، ديّناً، عفيفاً، متواضعاً، ذا مروءة وكلمة وكرم، طارحاً للتكلف، يقوم في الحق على الكبير والصغير.

واختلف في تاريخ وفاته، فجعلها العليمي وابن العماد الحنبلي سنة (٨٧٨ هـ)، وقال السخاوي: «مات عن بضع وستين في سنة (٨٨٠ هـ)»، وجاء في «السحب الوابلة» أنه توفي سنة (٨٠٠ هـ) عن بضع وستين سنة، وهذا بعيد؛ لأن ابنه يوسف ولد سنة (٨٤١ هـ).

وقال ابن المترجم له شيخنا يوسف بن عبد الهادي في «الجوهر المنضد»: إن والده توفي ليلة الجمعة ثاني عشرين شهر رجب سنة تسع وتسعين وثمان مئة، وهذا بعيد أيضاً؛ لأن شيخنا نفسه ذكر في «القلائد الجوهرية» أن والده دفن على ولده الشيخ شهاب الدين أحمد (٨٩٥هـ)، كذلك لم يبلغ عن وفاة والده في كتاب «تاريخ الوفيات» الواقع في مؤلفه «زبد العلوم» الذي انتهى من تأليفه يوم الأربعاء ثاني عشرين جمادى الآخرة سنة (٨٧٧ هـ)، وختمه بتاريخ وفاة الشيخ نجم الدين بن قاضي عجلون (٨٧٧ هـ)، وهو آخر اسم ذكره في هذا الكتاب، بمعنى أنه حتى تاريخه لم يكن والده قد انتقل إلى رحمة ربه، فتكون وفاته بعد هذا التاريخ، وقبل وفاة ابنه الشهاب أحمد بمدة؛ لأنه نزل عليه.

ولا شك أن قول ابنه هو الصحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ، ولعل سوء خطه ـ رحمه الله ـ، وعدم استعماله التنقيط في الكتابة يجعل التحقيق عسيراً بعيداً عن الدقة إلى حدٍّ ما، فالرقم (٧٧) كتابةً يشبه تماماً الرقم (٩٩) كتابةً أيضاً إذا غيرنا مواضع النقط، كالتالي: «سبع وسبعين» و«تسع وتسعين».

وعليه فقد توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الجمعة ثاني عشرين شهر رجب

سنة (٨٧٧ هـ) بالصالحية، وكانت وفاته قرب ثلث الليل، أو نصفه، وألقي عليه نورانية شديدة، وصُلِّي عليه يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع الحنابلة، ودفن بالروضة عند رأس الشيخ الموفق ـ صاحب «المغني» ـ من جهة فوق ـ الشمال ـ، وسنذكر في ترجمة والد المذكور أنه دفن عند رأس الشيخ الموفق إلى جهة تحت، وبين هذين القبرين ـ قبره وقبر والده ـ هيئة قبر فعلها ابنه شيخنا يوسف بن عبد الهادي خوفاً من أن يدفن أحد هناك، فتكون رجلاه عند رأس الموفق، ـ رحمهم الله وإيانا ـ[١].

ورئيت له منامات حسنة، وختم له بخاتمة صالحة، حتى إنه لم يُشاهد موتة أحسن منها ـ رحمه الله ـ[٢].

* جَدّه:

هو الشيخ المعمَّر المسنِد الرحلة أحمد بن حسن بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة الشهاب بن البدر القرشي العمري المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ابن أخي الحافظ الشمس محمد بن أحمد بن عبد الهادي، ووالد البدر حسن، المتقدم، ويعرف بابن عبد الهادي، وبابن المبرد.

ولد تقريباً سنة (٧٦٧ هـ)، وسمع على أبيه وعمه إبراهيم بن أحمد، وأبي حفص البالسي في آخرين، منهم الصلاح بن أبي عمر.

وكان خاتمة أصحابه بالسماع، سمع منه الفضلاء في «المسند» للإمام

---

(١) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٠).

(٢) أخباره في: «الضوء اللامع» (٣/ ٦٢)، «الجوهر المنضد» (ص ٢٩ ـ ٣٢)، «المنهج الأحمد» (٢/ ١٤٩)، «شذرات الذهب» (٧/ ٣٢٣)، «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ٨١)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٠) وغيرها من الصفحات، «السحب الوابلة»(ص ١٤٩).

أحمد، والجزء الثاني من «أمالي أبي بكر الأنباري»، وحدَّث، سمع منه الفضلاء أيضاً؛ كابن فهد وعمه إبراهيم، وابنه، ويوسف بن عبد الهادي، وابن طولون. . . وغيرهم.

قال السخاوي: «أجاز لي»[1].

وكان ديّنا، خيراً، صالحاً، قانعاً، متعففاً، من بيت صلاح وعلم ورواية.

مات في يوم الجمعة ثالث رجب سنة (٨٥٦ هـ)، وصلِّي عليه عقب صلاة الجمعة بالجامع المظفري «الحنابلة»، ودفن بالروضة بسفح قاسيون جوار الشيخ الموفق بن قدامة إلى جهة تحت كما تقدم. ـ رحمهم الله وإيّانا ـ[2].

*** والد جده:**

هو الشيخ حسن بن العماد أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة الشهاب بن بدر الدين المحدث، رجل كبير فاضل.

أخذ عن والده وغيره، وحدَّث، أخذ عنه ولداه أحمد ومحمد وخَلْق، وهو أخو الحافظ شمس الدين محمد، والمسندين: برهان الدين إبراهيم،

---

(١) «الضوء اللامع» (١/ ٢٧٢).

(٢) أخباره في: «الضوء اللامع»(١/ ٢٧٢)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٠)، «نظم العقيان في أعيان الزمان» للسيوطي (ص ٤١)، «معجم شيوخ الذهبي» (ص ٤١) وغيرها، «السحب الوابلة» (ص ٥٥)، «زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم» ليوسف بن عبد الهادي ـ كتاب «تاريخ الوفيات» ـ مخطوط رقم (٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة (٤٦ ص ١)، «الذيل على رفع الإصر» (ص ٤٧٦)، «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ» (ص ٧٣، ٩٧، ١٢٩) وغيرهم.

وزين الدين عبد الرحمن، وعماد الدين أبي بكر، ومات ودفن بالروضة بالسفح ـ رحمه الله ـ[1].

* **جد جدّه:**

هو الإمام الكبير أبو العباس عز الدين أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، الشيخ الأصيل المسند الصالح، الزاهد المقرىء، ويلقب عماد الدين هو وأبوه وجده، وهو والد الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الهادي وغيره.

ولد سنة (٦٧١ هـ)، [2] وسمع من شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر صاحب «الشرح الكبير»، وابن شيبان، والفخر البخاري، وزينب بنت مكي، وغيرهم، وحدَّث.

سمع منه أولاده، والذهبي، وابن رافع السلامي، والحسيني، وابن رجب، وجمع، وكان زاهداً، عاقلاً، مقرئاً.

توفي في ليلة السبت رابع صفر سنة (٧٥٢ هـ) عن سن عالية، وصلِّي عليه من الغد بجامع الحنابلة، ودفن بتربة الموفق «الروضة» ـ رحمه الله ـ[3].

---

(١) «الجوهر المنضد» (ص ٣٢) رقم الترجمة (٣٦)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٠، ٥٩٦، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥).

(٢) قال ابن رافع السلامي: «مولده سنة (٦٧٢ هـ)»، وفي «تاريخ ابن قاضي شهبة»: «ولد سنة بضع وسبعين وست مئة».

(٣) «معجم شيوخ الذهبي»(ص ٤٢)، «ذيل العبر» للحسيني (ص ٢٨٥-٢٨٦)، «وفيات ابن رافع السلامي»(٢/ ١٤١)، «الوافي بالوفيات» (٧/ ٥٩)، «الدرر»(١/ ٢٠٨)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٤١٩)، «ذيل تذكرة الحفاظ» للذهبي(ص ٤٩)، «الذيل على طبقات الحنابلة»(٢/ ٤٣٩)، «الشذرات» (٦/ ١٧١)، «السحب الوابلة» (ص ٧٩)، وغيرهم.

* **والد جدِّ جَدِّه:**

هو الإمام الكبير القدوة عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة عماد الدين بن العماد القرشي العمري العدوي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، وهو والد الصدر الرئيس الأصيل شمس الدين أبي عبد الله محمد وغيره، من بيت حديث وصلاح.

أخذ عن والده وعمه وخَلْق، وجزءاً فيه مجلسان من أمالي أبي الحسن بن رزقويه بسماعه له على عبد الرحمن بن علي اللخمي بسنده، وحدَّث، أخذ عنه أولاده وأحفاده وغيرهم[1].

* **جَدُّ جَدِّ جَدِّه:**

هو الإمام الكبير الشيخ العالم المقرىء، الفقيه المسند، المعمَّر عماد الدين أبو محمد عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجّماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، المؤدب.

ولد بجمّاعيل في سنة (٥٧٣ هـ) ظناً، وقدم دمشق صبياً، فسمع من أحمد بن حمزة الموازيني، ويحيى الثقفي، وعبد الرحمن بن الخرقي، والجنزوري، والخشوعي، ويوسف بن معالي، وجماعة.

حدث عنه أولاده: العز أحمد، ومحمد، وعبد الهادي، وأبو عبد الله البرزالي مع تقدمه، والدمياطي، وتاج الدين صالح الجعبري، وشرف الدين الفزاري، وبدر الدين بن التورزي، وابن الخباز، والشيخ محمد بن زباطر، والقاضي شرف الدين بن الحافظ، ومحمد بن المحب، وأبو عبد الله بن الزراد، وعدّة.

---

(١) أخباره في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٤٠)، «الدرر» (١/ ٢٠٨، ٤٦٨)، «تهذيب سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣١١)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٠).

قال العلاّمة المؤرِّخ أبو شامة المقدسي: «وقد أجاز لأولادي رواية ما يجوز له عنه روايته، وهم: محمد ـ رحمه الله ـ، وأحمد، وإسماعيل، وفاطمة ـ جبرهم الله ـ»[1].

وكان شيخاً حسناً لطيفاً فاضلاً، جيد التعليم، علَّم جماعة كثيرة كتاب الله العزيز، له مكتب بالقصاعين.

ابتلي بمرض مزمن في آخر عمره، وتوفي في (٢٣) ربيع الأول بالجبل سنة (٦٥٨ هـ)، ودفن بالروضة ـ رحمه الله ـ وإيّانا[2].

*** والد جدِّ جدِّ جدِّه:**

هو الإمام الكبير الفاضل الشيخ المسند أبو أحمد عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة العمري المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي.

ولد في حدود سنة (٥٤٠ هـ)، قدم دمشق في المحرم سنة(٥٦٩ هـ) مع أمه أم عثمان رضا، وبصحبة إخوته المسند عثمان (٦٠٦ هـ)، والمسند الفقيه عبد الملك، وأخواته فاطمة ورملة، أما أخوه علي، فقد مضى إلى حرّان، وبقي بعض إخوته وجميع أولاده في جماعيل، فأخذ يتردد هو وأخوه عثمان بين دمشق وجماعيل، ثم جاء بأولاده قبل الفتوح، وهو والد العماد عبد الحميد وغيره.

وسمع من جماعة، وحدث بالإجازة عن ابن البطّي، روى عنه ابن عمته

---

(١) «الذيل على الروضتين»(ص ٢٠٤).

(٢) أخباره في: «الذيل على الروضتين»(ص ٢٠٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٣٩ـ ٣٤١)، «الوافي بالوفيات»(٤/ ٦١)، «وفيات ابن رافع السلامي»(١/ ١٥٢)، «العبر» (٥/ ٢٤٦ـ٢٤٧)، «النجوم الزاهرة»(٧/ ٩١)، «شذرات الذهب» (٥/ ٢٩٣)، في آخرين.

الحافظ الضياء المقدسي، وخلق، مات بالجبل في ربيع الثاني سنة (٦٠٦ هـ)، ودفن بتربة الموفق بالروضة[١].

*** ونذكر بعض أفراد هذا الفرع من المقادسة مرتبين على حروف المعجم:**

١ـ **إبراهيم** بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة الصالحي، الشيخ المسند الإمام برهان الدين بن عز الدين، وعماد الدين أخو الحافظ شمس الدين محمد، والمسندين: زين الدين عبد الرحمن وعماد الدين أبو بكر، والمحدث بدر الدين حسن، ويعرف بالقاضي.

حضر في الرابعة على الحجار، وسمع من ابن الرضي، وأحمد بن علي الحريري، وعائشة بنت المسلم، وزينب بنت الكمال، وغيرهم، وأجاز له جماعة من المصريين كالواني والختني، وحدَّث، وسمع منه الحافظ ابن حجر، وأجاز له غير مرة، توفي ـ رحمه الله ـ في شوال سنة (٨٠٠ هـ)، ودفن بالسفح[٢].

٢ـ **أبو بكر** بن العز أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي، الطبقة(٦١) وفيات(٦٠١ـ٦١٠ ص ١٩٩)، «الثالثة من الحكايات المقتبسة في كرامات مشايخ الأرض المقدسة» للحافظ ضياء الدين المقدسي ـ(مخطوط رقم ١٠٣٩) ظاهرية ـ ورقة (٩٤)، «القلائد الجوهرية»(١/ ٧٥، ٢/ ٥٩٠).

(٢) أخباره في: «القلائد الجوهرية»(٢/ ٢٤٠)، «الدرر»(١/ ١١)، «إنباء الغمر»(٣/ ٣٩٨)، «الشذرات»(٦/ ٣٦٣)، «السحب الوابلة»(ص ٢٢)، «زبد العلوم ـ كتاب تاريخ الوفيات ـ»(خ ٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة (٤٥) (ص ٢)، «مجموعة من التراجم» ليوسف بن عبد الهادي ـ(خ ٣٧٧٦) ظاهرية ـ ورقة(٤٩) (ص٢).

عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي، عماد الدين بن عز الدين وعماد الدين، أخو الحافظ الشمس محمد، والمسندين برهان الدين إبراهيم المتقدم، وزين الدين عبد الرحمن، والمحدث بدر الدين حسن.

حضر على جده المسند عماد الدين عبد الهادي جزءاً فيه مجلسان من أمالي أبي الحسن بن رزقويه بسماعه له على عبد الرحمن بن علي اللخمي بسنده، وسمع أيضاً على الحجار وغيره، وكان به صمم، وقد حدَّث، سمع منه الحافظ ابن حجر، وأجاز له، ومات ـ رحمه الله ـ في المحرم سنة (٧٩٩ هـ)، وقد جاوز الثمانين، ودفن بالسفح[١].

٣ـ أبو بكر بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي تقي الدين بن البدر بن الشهاب القرشي العمري العدوي الصالحي، أخو شيخنا، ويلقب بابن المِبْرد أيضاً.

أحد العدول، سمع من جماعة بإفادة أخيه شيخنا، وحدَّث، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٨٣ هـ)، ودفن بالروضة[٢].

٤ـ أبو بكر بن عبد الله بن العماد أبي بكر بن أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، العماد بن التقي المقدسي، ثم الصالحي الحنبلي.

---

(١) «الدرر» (١/ ٤٦٨)، «ذيل تذكرة الحافظ» لابن فهد (ص ١٩٦)، «تاريخ ابن قاضي شهبه»(٣/ ٦٢٥)، «الشذرات»(٦/ ٣٥٨)، «السحب الوابلة»(ص ١٢٥)، «مجموعة من التراجم» ليوسف عبد الهادي ـ خ(٢٧٧٦) ظاهرية ورقة (٤٩) (ص٢).

(٢) «التمتع بالأقران»(ص ١١٢)، «متعة الأذهان» ـ خ ورقة (١٩)، «معارف الأنعام وفضل الشهور والصيام» ليوسف بن عبد الهادي ـ خ (٣١٦٥) ظاهرية ـ ورقة (٧٤) (ص ٢).

ولد سنة(٧٣١ هـ)، وسمع من أحمد بن عبد الله بن جبارة، والبهاء علي بن العز عمر، وغيرهما، وحدَّث، سمع منه الحافظ ابن حجر، مات ـ رحمه الله ـ في الكائنة العظمى «تيمورلنك» بدمشق سنة(٨٠٣ هـ)، ودفن بالسفح[١].

٥ـ **أحمد** بن أبي بكر بن العز أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام العمري العدوي القرشي المقدسي الأصل، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي المعروف بابن العز، الشيخ الصالح المسند المكثر الفقيه العالم المفتي المتفنن شهاب الدين وجمال الدين الإمام أبو العباس بن الشيخ عماد الدين بن عز الدين بن عماد الدين.

مولده في ليلة الجمعة ١٥ صفر سنة(٧٠٧ هـ) بسفح قاسيون، أحضر على فاطمة بنت جوهر في الثالثة بعض «البخاري»، وهدية بنت عسكر، وتفرد بها، وأكثر عن القاضي التقي سليمان، وأبي بكر بن داود، وهو آخر من سمع عليه، وسمع من عيسى بن المطعم، وأبي بكر بن عبد الدائم، ويحيى بن سعد، ومحمد بن الجرايدي، والحجار، ومحمد بن النذر، وإسحاق الآمدي، وشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، والقاسم بن المظفر بن عساكر، وأبي بكر بن المشرف، ووزيرة بنت المنجا، وفاطمة بنت الفراء، في آخرين يطول ذكرهم.

وأجاز له من مكة الرضي الطبري، والفخر عثمان التورزي، وغيرهما، ومن القدس زينب بنت شكر المقدسية، ومن مصر إسماعيل بن العلم، وأبو القاسم بن رشيق، وطائفة، ومن دمشق القاسم بن عساكر، وابن

---

(١) «إنباء الغمر»(٤/٢٦٨)، «الضوء اللامع»(١١/٣٨)، «السحب الوابلة»(ص ١٣٢)، «مجموعة من التراجم» ليوسف بن عبد الهادي ـ مخطوط (٣٧٧٦) ظاهرية ـ ورقة(٥٠) (ص١).

الشيرازي، وابن النحاس، ومن بغداد ابن الدواليبي، وغيره، ودخل في عموم إجازة إسحاق بن النحاس لأهل الصالحية، وتفرد بكل ذلك، وكان مكثراً من الشيوخ، وحدث بالكثير، سمع منه خَلْق، منهم الحافظ ابن حجر، وأجاز له، وكان خاتمة المسندين بدمشق.

وكان شيخاً طويلاً ذا فضل وخير، ويفتي الناس، عليه أبهة، وأُقعد في آخر عمره، توفي في (٢٠) ربيع الأول سنة (٧٩٨ هـ) بمنزله بالصالحية بسفح قاسيون، ودفن من الغد بتربة الشيخ الموفق بالروضة عند والده وأقاربه، وقد أكمل (٩١) سنة إلا خمسة أيام ـ رحمه الله وإيّانا ـ[١].

٦ـ **أحمد** بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وتقدم بقية النسب في ترجمة أخيه الجمال يوسف.

هو الشيخ الإمام المتقن الصالح الزاهد العلاّمة المفيد مهذب الدين وشهاب الدين أبو العباس بن البدر حسن بن الشهاب، أبو العباس العمري العدوي القرشي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الشهير بابن عبد الهادي وابن المبرد.

ولد في شهر رجب سنة (٨٥٦ هـ)، وحفظ القرآن، واشتغل وحصل وبرع، واشتغل على عدة مشايخ وهو صغير بإفادة أخيه لأبويه الشيخ جمال الدين يوسف، وقرأ واشتغل وحفظ «المقنع» للموفق بن قدامة، واشتغل في الفرائض فأجادها، وشارك في العلوم، وصنف عدة مصنفات منها «شرح

---

(١) «الدرر»(١/ ١٧)، «تاريخ ابن قاضي شهبة»(٣/ ٥٩١-٥٩٢)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٤٥٧)، «السحب الوابلة»(ص ٥٠)، «زبد العلوم» ـ (كتاب تاريخ الوفيات) ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة (٤٥) ص (٢)، «مجموعة من التراجم» ليوسف بن عبد الهادي ـ خ (٣٧٧٦) ظاهرية ـ ورقة(٤٩) (ص١).

الخرقي»، و «شرح الملحة»، وصنف في الحديث والفرائض[1]، وغير ذلك، ودرّس وأفتى.

وكان ديّناً خيّرا مواظباً على الصلاة في الجماعة، كثير التشدد في الطهارة، كثير الصوم، محباً لفعال الخير، نشأ على طريقة حسنة بحيث إنه لا تُعرف له صبوة، وكان أبوه يحبه، وحج، وزار بيت المقدس، وتزوج وتسرَّى، ولم يولد له ولد قط، وكان ملازماً لفعال الخير، وقد وُجدت له في مرض الموت أحوال تدل على الخير الزائد، توفي ـ رحمه الله ـ يوم الأحد (١١) رجب سنة(٨٩٥ هـ)، ودفن على والده بتربة الشيخ الموفق «الروضة» عن (٣٩) سنة، وأثني عليه بحيث إنه لا يُسمع إنسان إلا أثنى عليه، وكانت له جنازة مشهودة، وحُمل على الأصابع، ورئيت في مرضه أمور دلت على ولايته، وكشف عن أحوال الآخرة، ورضًى بالموت.

وقد ألف أخوه شيخنا الجمال يوسف كتاباً عنه سماه «تعريف الغادي ببعض فضائل أحمد بن عبد الهادي»[2]، وذكره في «الكواكب السائرة» مع أنه ليس من أهل القرن العاشر، كذا صاحب «النعت الأكمل» الذي ذيل بكتابة على كتاب العليمي والتزم ألاّ يترجم إلا من مات بعد سنة (٩٠١ هـ)، وذلك من محبتهم له، ـ رحمهم الله جميعاً ـ[3].

---

(١) له «فتاوي ومسائل في الفرائض» ـ خ (١٠٤٦٢) ظاهرية ـ (١٤) ورقة.

(٢) «تعريف الغادي ببعض فضائل أحمد بن عبد الهادي» ـ خ (٣٢١٦) ظاهرية ٥(٦٨ـ٧٢) ناقصة الآخر.

(٣) «الكواكب السائرة»(١/ ١٣٣)، «النعت الأكمل»(ص ٩٨، ٩٩)، «السحب الوابلة» (ص ٥٦ـ٥٧)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٠)، «متعة الأذهان» ـ خ ورقة (٤)، «تعريف الغادي» ـ خ(٣٢١٦) ظاهرية، «الجوهر المنضد» (ص ٩ـ١٢)، «معارف الأنعام وفضل الشهور والصيام» ـ خ(٣١٦٥) ظاهرية ـ ورقة(٧٤) (ص٢).

٧ـ **أحمد** بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام، الشيخ المسند المبارك عز الدين أبو العباس بن العماد المقدسي الصالحي.

ولد سنة (٦١٢ هـ) أو قبلها بسنة بالجبل، سمع من الشيخ موفق الدين بن قدامة، وخَلْق، خُرّجت له مشيخة في ثلاث مجلدات، وسمعها خلق، وظهر له أيام التتار سماع «مسند» أبي داود الطيالسي من الموفق، قال الذهبي: «شيخنا عز الدين أبو العباس، شيخ حسن، يقظ، من بيت الرواية والمشيخة»[١].

روى الكثير، وكان شيخاً حسناً ديّناً، طيب الأخلاق، مقصوداً بالزيارة، قاسى شدائد عظيمة في زمن التتار، وكان من أبناء المسندين، وصار من أعيانهم في زمانه، وتفرد المذكور بأشياء أسمعها، وبرواية أجزاء في سماء السماع أطلقها، وصار من أعيان أهل الإسناد وأشياخ الرحلة إليه من البلاد، ولم يزل على حاله إلى أن مال من ابن العماد عموده، وحان خموده من اشتعال الشيب وجموده.

توفي - رحمه الله تعالى - في ثالث محرم سنة (٧٠٠ هـ)، ودفن بالسفح، وله (٨٨) سنة[٢].

٨ـ **أحمد** بن عمر بن محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام الشهاب بن الزين بن

---

(١) «معجم شيوخ الذهبي» (ص ٤٢).

(٢) «معجم شيوخ الذهبي»(ص ٤٢)، «سير أعلام النبلاء»(١٦/ ٤٣)، «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي(١/ ٧٣)، «ذيل وفيات الأعيان لابن القاضي»(١/ ٣٨)، «العبر» (١/ ٤٠)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٤١٨)، «الشذرات» (٥/ ٤٥٥) وغيرهم.

الحافظ الشمس محمد القرشي العمري المقدسي الصالحي نزيل الشبلية، ويعرف بابن زين الدين.

ولد في سنة (٧٨٣ هـ)، وأحضر على أبي الهول الجزري، ودنيا وفاطمة وعائشة بنات الزاهد محمد بن عبد الهادي، وسمع من أبيه وجماعة، وحدَّث، وسمع منه الأئمة.

قال السخاوي: «ولقيته بصالحية دمشق، فقرأت عليه أشياء، وكان خيّراً، من بيت حديث وجلالة»[١]. توفي ـ رحمه الله ـ في يوم الخميس (٤) شوال سنة (٨٦١ هـ)، ودفن بالسفح[٢].

٩ـ عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة عماد الدين الحنبلي، ولد سنة نيف وستين وست مئة، وسمع من ابن عبد الدائم «الدعاء» للمحاملي، وحدَّث، ومات في (٨) ذي الحجة سنة(٧٠٧ هـ)، ودفن بالسفح، قال البرزالي: «كان فقيهاً فاضلاً، أمّ بالجامع الحاكمي للحنابلة»[٣].

١٠ـ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر النابلسي الأصل الصالحي زين الدين بن عماد الدين أخو العلامة الحافظ شمس الدين محمد، ولد سنة...[٤]. وأسمع على التقي سليمان، وأبي نصر الشيرازي، والحجار، وغيرهم، وحدَّث وصنف، ومات بالصالحية في

---

(١) «الضوء اللامع»(١/ ٥٥).

(٢) «الضوء اللامع»(١/ ٥٥، «السحب الوابلة»(ص ٨٦)، «زبد العلوم» ـ كتاب تاريخ الوفيات ـ ليوسف بن عبد الهادي ـ خ (٣١٩٢) ورقة(٤٥) (ص٢).

(٣) «الدرر»(٢/ ٤٢٧).

(٤) هكذا ورد في «الدرر»(٢/ ٤٣٠).

سابع جمادى الأولى سنة(٧٧٩ هـ)[١].

١١ـ **الشيخ المسند زين الدين** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن المسند عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن قدامة المقدسي الصالحي المقيم في المدرسة العادلية، ولد سنة (٦٥٦ هـ)، وسمع من خلق، وحدَّث بـ «صحيح مسلم» بمصر والشام، وانتفع به، وتفرد بالكتاب، وطال عمره.

أقدمه وزير بغداد إلى الديار المصرية، فحدث بـ «صحيح مسلم» مراراً منها بالصالحية، وكان الجمع متوفراً جداً، بحيث رتب أسماء السامعين ضابطها محمد بن المغيثي على حروف المعجم، فحدث عنه الكثير منهم به إلى أن كان آخرهم الرئيس شرف الدين أبو الطاهر بن الكويك، ورجع عبد الرحمن إلى الشام، فمات بالصالحية في يوم السبت (٢٥) ذي القعدة سنة (٧٤٩ هـ)، ودفن بمقبرة الموفق بالروضة ـ رحمه الله وإيّانا ـ[٢].

١٢ـ **عبد الله** بن محمد بن عبد الحميد بن عبدالهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة أبو محمد محبّ الدين المقدسي ثم الصالحي.

ولد سنة (٦٥١ هـ)، وأحضر على خطيب مراد، وإبراهيم بن خليل، وسمع من أحمد بن عبدالدائم، والكرماني، وغيرهما، وهو والد شمس الدين محمد الراوي عن الفخر البخاري الذي مات سنة (٧٦٩ هـ)، توفي ـ رحمه الله ـ يوم الثلاثاء (١١) ربيع الآخر سنة (٧٠٧ هـ)، ودفن بالروضة[٣].

---

(١) «الدرر»(٢/ ٤٣٠)، «إنباء الغمر» مع المستدركات(ص ١٨٩)، «السحب الوابلة» (ص ١٩٩)، «عقود المقريزي»(١/ ١٧٨)، «إنباء الغمر»(١/ ١٦٥)، «الجوهر المنضد»(ص ٥٤).

(٢) «وفيات ابن رافع السلامي»(٢/ ١٠)، «الدرر»(٢/ ٤٥٠ـ٤٥١)، «تاريخ ابن قاضي شهبة»(١/ ٥٩١، ٣/ ١٥٠، ٢٦١)، «ذيل تذكرة الحفاظ» لابن فهد(ص ١١٩)، «عقود المقريزي» (٢/ ٢٤٩)، «السحب الوابلة»(ص ٢١٢).

(٣) «الدرر» (٢/ ٣٩٩)، وفيه: «توفي سنة (٧٠٧ هـ)»، «الجوهر المنضد»(ص =

١٣ـ **الشيخ عمر** بن محمد بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبدالهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي ابن عم يوسف بن عبد الهادي.

أخذ عن جماعة من الشيوخ، منهم ابن الطحان، وحدَّث، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٨٥ هـ)، ودفن بالروضة، ونزل على أخيه الشيخ عبد الله المدفون عند رجلي الشيخ موفق الدين من جهة فوق ـ رحمهم الله وإيّانا ـ[١].

١٤ـ **عمر** بن محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة زين الدين بن الحافظ شمس الدين المقدسي ثم الصالحي الحنبلي الشيخ المسند المعمر ابن أخت الشيخة فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي، ويعرف بابن عبد الهادي، ولد في ذي القعدة سنة (٧٣٩ هـ)، وأحضر على زينب بنت الكمال مجلس الروياني وغيره، وأسمع على أحمد بن علي الجزري، وعبد الرحيم بن أبي اليسر، وحدث.

قرأ عليه ابن حجر بمنزل الشيخة فاطمة بنت عبد الهادي من أول الحديث الحادي والعشرين من «موافقات» زينب بنت الكمال إلى آخر «الموافقات»، وسمع منه خلق، وذكره المقريزي في «عقوده».

توفي ـ رحمه الله ـ في فتنة العدو المخذول «تمرلنك» في شعبان سنة (٨٠٣ هـ)، ودفن عند أقاربه بالسفح، وذكره شيخنا الجمال يوسف بن عبد الهادي في «طبقات المحدِّثين»[٢].

= ١٣٧)، وفيه: «توفي سنة(٧٠٣ هـ)».

(١) «التمتع بالأقران»(ص ١٦٥)، «القلائد الجوهرية»(٥٩٠ـ٥٩١)، «غراس الآثار وثمار الأخبار» ـ خ(٣١٩٣) ورقة(١) (ص١).

(٢) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين(ص ١٢٩)، «إنباء الغمر»(٤/ ٣١١)، «الضوء =

١٥ـ **الشيخ محمد** بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي أبو عبد الله شمس الدين، الشيخ الزاهد الورع المحدِّث المتقن، أحد الفضلاء النبلاء، وهو عم شيخنا يوسف بن عبد الهادي أخو أبيه.

ترجمته بخط الحافظ ابن ناصر الدين، فقال بعد أن ذكر اسمه: «حفظ القرآن، وصلى به إماماً وهو طفل، ثم حفظ «مختصر أبي القاسم الخرقي» في مذهبه، وتفقه، وسعى في طلب الحديث، وسمع بقراءته وقراءة غيره، واستفاد وأفاد، وخرّج الأحاديث الزائدة على «الصحيحين» في كتاب «سنن أبي داود» و «جامع الترمذي» معللاً، وكان ورعاً منصفاً مطرحاً لنفسه، ذا قناعة وخير وصلاح، توفي سنة (٨٣٧ هـ)، وصلي عليه من الغد بجامع الحنابلة، وحضرنا دفنه بمقبرة شيخ الإسلام أبي عمر المقدسي وبنيه ـ رحمة الله عليهم ـ، وتقع هذه التربة بسفح قاسيون من جهة الشرق»[(١)].

١٦ـ **محمد** بن العز أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي، الشيخ الصالح الزاهد العابد المسند، سمع من المؤتمن بن قميرة اليلداني، وعم والده محمد بن عبدالهادي، وأجاز له جماعة، وحدَّث، أخذ عنه خلق، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٩٩ هـ)، ودفن بالروضة عندهم[(٢)].

= اللامع»(٦/ ١١٥)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٣٩٨)، «شذرات الذهب»(٧/ ٣٢)، «السحب الوابلة»(ص ٣٢٢)، «مجموعة من التراجم» ليوسف بن عبد الهادي ـ خ(٣٧٧٦) ظاهرية ـ ورقة(٥٠) (ص١).

(١) «الجوهر المنضد»(ص ١٢٤)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٣)، «زبد العلوم» ـ كتاب «تاريخ الوفيات» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة(٤٥) (ص٢).

(٢) «القلائد الجوهرية»(٢/ ٤٢٩).

١٧ـ **محمد** بن أحمد بن عبد الهادي بن عبدالحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي، الجماعيلي الأصل، ثم الصالحي، الإمام الأوحد، المحدِّث الحافظ الحاذق، الفقيه البارع، المقرىء، النحوي اللغوي ذو الفنون، المتقن شمس الدين أبوعبدالله بن العماد أبي العباس، وهو أخو والد جد صاحب رسالتنا، وأحد الأذكياء.

ولد في رجب سنة (٧٠٥ هـ)، وقرأ بالروايات، وسمع الكثير، وعني بالحديث وفنونه، ومعرفة الرجال والعلل، وبرع في ذلك، وتفقه في المذهب، وأفتى، وقرأ الأصلين، والعربية، وبرع فيهما، ولازم المِزي حتى برع عليه في الرجال، وأخذ عن الذهبي وغيره، ولو عاش لكان آيةً، ودرّس وصنف تصانيف كثيرة، أكثر من (٧٧) مؤلفاً، يبلغ التام منها ما يزيد على (١٠٠) مجلد.

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الأربعاء (١٠) جمادى الأولى سنة(٧٤٤ هـ)، وكان آخر كلامه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسولُ الله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، ودفن بالروضة، وشيعه خلق كثير، وكانت جنازته حافلة مليحة، عليها ضوء ونور، وقد توسع الذهبي والصفدي والمِزي وابن كثير وغيرهم بالثناء عليه ـ رحمه الله تعالى ـ[1].

١٨ـ **محمد** بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي الشمس المقدسي الأصل البقاعي الدمشقي الصالحي، أخو الشهاب أحمد جد يوسف الماضي، ويعرف بابن عبد الهادي، والكتبي.

---

(١) «تذكرة الحفاظ »(١٥٠٨)، «الوافي بالوفيات»(٢/ ١٦١ـ١٦٢)، «الذيل على طبقات الحنابلة»(٢/ ٤٣٦ـ٤٣٩)، «الدرر»(٣/ ٣٣١ـ٣٣٢)، «طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٨٣ـ٨٤)، وغيرهم.

ولد سنة (٧٧٧ هـ)، وأحضر في الثانية سنة (٧٨٠ هـ) على أبيه وجده وعمه إبراهيم المتقدم، وموسى بن عبد الله المرداوي، ثم سمع على عمه وغيره، وحدَّث، سمع منه الفضلاء؛ كابن فهد، وكان خيراً ساكناً ماهراً في التجليد، من بيت حديث ورواية، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٤٣ هـ)، ودفن بالروضة، نزل على أبيه، ثم نزل عليه ولده الشيخ ـ أحمد رحمه الله وإيّانا ـ[1].

١٩ـ **محمد** بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، الصدر الرئيس الأصيل شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الصالحي.

ولد سنة(٦٨٠ هـ)، وسمع من ابن البخاري وغيره، وحدَّث، وكتبت له مشيخة، قال ابن رافع السلامي: «سمعت منه شيئاً من مشيخته»[2]، وكان محتسب الصالحية، من بيت حديث وصلاح، حدَّث من أهله جماعة منهم بناته: دنيا وفاطمة وعائشة، توفي سنة (٧٤٩ هـ)، وصلي عليه بعد الظهر بجامع الحنابلة، ودفن بتربة له أعلى تربة الموفق ـ رحمهم الله وإيّانا ـ[3].

٢٠ـ **محمد** بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام، الفقيه المقرىء المعمَّر المسند شمس الدين أبو عبد الله المقدسي

---

(١) «الضوء اللامع»(٧/ ٢١٨)، «السحب الوابلة»(ص ٣٧٤ـ٣٧٥)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٠)، «زبد العلوم» ـ كتاب تاريخ الوفيات ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة(٤٦) (ص١)، وفيها: «تاريخ وفاته سنة(٨٣٩ هـ)».

(٢) «وفيات ابن رافع السلامي»(٢/ ٦١).

(٣) «وفيات السلامي»(٢/ ٦١)، «القلائد الجوهرية»(١/ ٣٧٦، «من ذيول العبر» للذهبي (ص ٢٧٣)، «ذيل تذكرة الحفاظ» للحسيني (ص ٥٥)، «الدارس»(٢/ ٣١)، «زبد العلوم» ـ كتاب تاريخ الوفيات ـ ورقة(٤٥) (ص٢).

الجماعيلي الحنبلي، أخو العماد عبد الحميد، وكان أبوهما ابن عم الشيخ أبي عمر والشيخ الموفق.

قَدِمَ وهو شاب، فسمع من طائفة، وأجاز له أبو طاهر السلفي، وشهدة الكاتبة، فكان آخر من حدَّث عنها بالإجازة، وكان ديِّناً، خيراً، كثير التلاوة، متعففاً، مشتغلاً بنفسه، يؤم بقرية الساوية من جبل نابلس، أثنى عليه الشيخ الضياء وغيره، وحدَّث عنه جماعة من الفضلاء، روى «صحيح مسلم» بالجبل في سنة (٦٥٢ هـ) عن ابن صدقة، ورجع إلى قريته، استشهد بساوية من عمل نابلس على يد التتار في جمادى الأولى سنة (٦٥٨ هـ)، وقد نيف على المئة[١].

٢١ـ **محمد** بن عبد الله بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، شمس الدين، أبو عبد الله، الشيخ المسند الأصيل المعمر الحنبلي المقدسي ثم الصالحي، ولد سنة (٦٨٨ هـ)، وأحضر على الفخر البخاري «جزء ابن نجيد» و «رابع الجنانيات» وحديث «بقرة بني إسرائيل» وتفرد عنه بالأجزاء الثلاثة، وحضر على السيف علي بن الرضي عبد الرحمن أربعين حديثاً من «موطأ» يحيى بن بكير، وأجازه في سنة (٦٩١ هـ) وبعدها جماعة، وحدَّث، سمع منه الحافظان: النور الهيثمي، والزين العراقي، وأحضر ولده أبا زرعة عنده، وسمع منه أيضاً الشيخ شهاب الدين بن حجي، وخلق، قال ابن حجر: «حدَّثني عنه بن الشرائحي»[٢].

---

(١) «سير أعلام النبلاء»(٢٣/ ٣٤٢ـ٣٤٣)، «الوافي بالوفيات»(٤/ ٦١)، «الذيل على طبقات الحنابلة»(٢/ ٤٦٠)، «تذكرة الحفاظ»(٤/ ١٤٤١)، «النجوم الزاهرة»(٧/ ٩١)، «العبر»(٥/ ٢٤٩)، «الشذرات»(٥/ ٢٩٤ـ٢٩٥).

(٢) «الدرر»(٤/ ١٠٢).

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الثلاثاء (٢) ذي الحجة سنة (٧٦٩ هـ)، ودفن بالسفح[١].

٢٢ـ **هدية** بنت عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، المقدسية الصالحية المحدِّثة، أخذت عن والدها وغيره، وروت «الصحيح» عن ابن الزبيدي، وتوفيت بالجبل في ربيع الآخر سنة(٦٩٩ هـ)[٢].

٢٣ـ **خديجة** بنت حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي العمرية المقدسية الصالحية، أختُ صاحب رسالتنا، الشيخة الصالحة المسندة أم عبد الله، سمعت على جماعات بإفادة أخيها، منهم أبو العباس بن هلال، وأجاز لها جمع منهم: أبو العباس بن الشريفة، وأبو عبد الله بن جوارش، وأبو الحسن الدويلبي، وأبو العباس بن زيد، وغيرهم، توفيت ـ رحمها الله ـ في شوال سنة (٩٣٠ هـ)[٣].

٢٤ـ **فاطمة** بنة شيخنا يوسف بن عبد الهادي، من فواضل نساء عصرها، سمعت من أبيها جزءاً فيه حكاية ابن مجاهد المقري سنة (٨٩٦ هـ)، وغيره[٤].

هذا ما استطعنا جمعه في هذه العجالة في آخرين، إضافة إلى كبار

(١) «وفيات ابن رافع السلامي»(٢/ ٣٣٧)، «الذيل على العبر» لابن العراقي (١/ ٦٧)، «الدرر»(٤/ ١٠٢)، «الشذرات»(٦/ ٢١٦)، «السحب الوابلة»(ص ٣٩٨)، «تاريخ ابن قاضي شهبة»(١/ ١٩٤)، «الجوهر المنضد»(ص ١٣٧) وغيرهم.

(٢) «العبر»(٥/ ٤٠٧).

(٣) «متعة الأذهان» ـ مخطوط رقم الترجمة(١٠١١) ورقة(١١١أ).

(٤) «أعلام النساء»(٤/ ١٥٥).

شيخات هذا الفرع، وقد ذكرنا في التمهيد نماذج عنهن، نلحق بهن جدة شيخنا زينب بنت عبد الهادي (٨٤٩ هـ)[1]، وأختها عائشة، وكانتا من الأخيار، ودفنتا في تربة الشيخ أبي عمر الكبير بالسفح[2].

«وبالجملة فهو من بيت عبد الهادي، افتخار الحاضر والبادي، وهم بيت كبير، وبالصلاح والعلم شهير، ولهم بالشام أقارب وأهالٍ، وغالب الأهل من السادات والموالي، أما انتسابهم إلى حضرة الفاروق، فهي نسبة صحيحة، أدلتها واضحة صريحة، بحيث تشهد بهم أفعالهم الطاهرة، وأحوالهم الظاهرة. ما منهم إلا اشتغل وحصّل، وفرع وأصَّل، وحفظ وتلا، وترقّى وعلا، فأدام الله تعالى لهم بالبركات، وأجزل لهم المبرات، آمين»[3].

رابعاً: أزواجه وأولاده:

تزوج شيخنا من السيدة بلبل بنت عبدالله، وكانت من فُضْلَيات نساء عصرها، وقد أجازها أكثر مؤلفاته ومسموعاته، وتوفيت ـ رحمها الله ـ في طاعون سنة (٨٨٣ هـ)، تأثر شيخنا لموتها، فخلدها في كتاب سماه «لقط السنبل في أخبار البلبل»[4]، ويقع في (٨) ورقات، قال فيه بعد أن ذكر أقوال النحاة، وساق جملة من الأحاديث بسندها في طائر البلبل: «... وكانت مباركة ديّنة، خيّرة، فولدت لي ولدي عبد الهادي، وبنتاً سميتها عائشة، ثم إنها توفيت في طاعون سنة(٨٨٣ هـ)، وأقامت عندي مدة عشر سنين، لم تخرج من بيتي، حتى إن أخي تزوج، فطلب مني أن تحضر

---

(١) «زبد العلوم» ـ كتاب تاريخ الوفيات ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة(٤٦) (ص١).

(٢) «الجوهر المنضد» (ص ١٧٦)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٣).

(٣) «تراجم الأعيان من أبناء الزمان»(١/ ١١٩ـ١٢٠).

(٤) مخطوط رقم(٣١٨٦) ظاهرية.

عرسه، فامتنعت، ووبخت على ذلك، فلم تسمح، وقالت: أنا حلفت أني ما أخرج من هذا البيت إلا أن أكون ميتة، ولها في عدم الخروج حكايات كثيرة مختلطة بأمور غريبة، ولم تخرج، ومن بعض أخبارها[1] . . . وكانت حرة»[2].

وتزوج أيضاً جوهرة بنت عبد الله الحسينية.

كما تزوج غير هاتين.

وقد أعقب أولاداً كثيرين، ذكرهم في كتاب سماه «ذِكْرُ أولادي»[3]، رتبهم على حروف المعجم، وذكر إلى جانب كل ولد منهم اسم أمه، وقد بلغ عددهم (٣٦) ولداً من الجنسين، عاش منهم (٣١)، والباقي سقط.

وكان من عادته ـ رحمه الله ـ أن يجمع أولاده، ونساءه، ونساءهم، وقرابته، وغيرهم، ويقرأ عليهم مؤلفاته ومسموعاته، ويجيزهم إيّاها.

وأقدّم نموذجاً من إجازاته لهم على أحد كتبه، قال شيخنا في أول كتابه «غراس الآثار وثمار الأخبار ورائق الحكايات والأشعار» ما نصه: «الحمد لله، سمع من لفظي هذا الجزء ولدي عبد الهادي، وولد ابن عمي عمر، وأولادي عبد الله، وأخته فاطمة، وأمها جوهرة بنت عبد الله الحسينية، وولدي حسن ـ وجعل ينام في بعضه ـ وأمه بلبل بنت عبد الله، ومولاتي حلوة، وذلك في . . . سنة(٨٨٩ هـ) ، وأجزت لهم ما تجوز روايته عني بشرطه عند أهله، وكتب يوسف بن عبد الهادي»[4].

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «ولو أن إنساناً تصفح كتبه

---

(١) وساق خبراً آخر عنها، وهو طويل يدل على زهدها ودينها وورعها.

(٢) «لقط السنبل في أخبار البلبل» ـ خ (٣١٨٦) ظاهرية ـ ورقة(٦٤) وما بعدها.

(٣) مخطوط رقم (٣٢١٢) ظاهرية ـ ورقة(٨٣ـ٨٥).

(٤) مخطوط رقم(٣١٩٣) ـ ورقة(١).

المخطوطة بالظاهرية، لوجدها كلها تحوي إجازات لأولاده، ونسائه، وتلاميذه»[1].

وقد أخذ أولاده عن غيره أيضاً، من ذلك ما ذكره الأكمل بن مفلح في «تذكرته» في ترجمة الشيخ عيسى بن أحمد العسكري الصالحي، قال: «قال شيخنا ـ يعني ابن طولون ـ في «التمتع بالأقران»: هو الشيخ شرف الدين، سمع على النظام بن مفلح، والشهاب بن زيد، وغيرهما، قرأت عليه القرآن، وأجاز لي ولأولاد شيخنا الجمال بن المبرد بسؤاله لي ولهم، وأنشدنا بسنده إلى أبي حيان:

لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِها حَذَرُ ولا صَفَا عِيْشَةٍ في ضِمْنِها كَدَرُ[2]

❑ ❑ ❑

---

(١) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ(ص ١٢).

(٢) «السحب الوابلة»(ص ٣٢٥).

الفصل الثاني

نشأة ابن عبد الهادي وتكوينه العلمي

أولاً ـ طفولته:

ولد شيخنا سنة (٨٤١ هـ) كما ذكرنا، ونشأ ـ رحمه الله ـ في البيئة التي تقدم ذكرها، محاطاً بالعلماء الفضلاء والعالمات الخيّرات من كل جهة، وأحضر صغيراً على أبيه وجده وكبار مشايخ عصره جرياً على عادتهم.

فقد قرأ القرآن الكريم على جماعة من الشيوخ الأفاضل، وأخذ العلم عن مشايخ كثيرين جداً، جمعهم في معجمين كبير وصغير، وحضر دروس خلائق لا يكادون يحصون كثرة، وسمع على أبيه وجده، وأخذ الحديث عن غالب مشايخ الشاميين، ورحل[١]، وأجاز له خلائق من مصر وغيرها، والمتتبع لأسانيده ـ رحمه الله ـ يظفر بأعداد كبيرة من العلماء والعالمات قرأ عليهم، أو أجازوه، أو أفاد منهم.

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧) وما بعدها، «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦)، «الشذرات» (٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل»(ص ٦٨)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص ٨٣)، «متعة الأذهان» ـ خ ورقة(١٠٧ ب)، وانظر: «الجوهر المنضد» في مواضع متعددة، «التمتع بالأقران» في مواضع متعددة، «زبد العلوم» ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة (٢٧) وما بعدها، وغيرهم.

وقد أخذ ابن عبد الهادي العلم عن عدد كبير من هؤلاء الأخيار في سن مبكرة، نذكر منهم بالإضافة إلى أبيه وجده: شيخ الإسلام أحمد بن نصر الله الحنبلي (٨٤٤ هـ)، والمسند شهاب الدين الحنبلي الشهير بابن ناظر الصاحبة (٨٤٩ هـ)، والشيخ أحمد الصفدي (٨٥٠ هـ)، والشيخ خلف (٨٥٠ هـ)، والشيخ حسن الصفدي (٨٥٨ هـ)، والمسند محمد بن محمد الشمس أبا عبد الله الدمشقي الحنبلي المعروف بابن جوارش (٨٦٠ هـ)، والعلامة تقي الدين بن قندس (٨٦٠ هـ)، وزين الدين الحبال (٨٦٦ هـ)، وغيرهم.

وأخذ الحديث صغيراً عن خلائق من أصحاب الصلاح بن أبي عمر (٧٨٠ هـ)، وابن البالسي (٨٢٠ هـ)، وابن العراقي (٨٢٦ هـ)، وابن الرعبوب (٧٩٨ هـ)، والجمال الحرستاني (بعد ٨١٥ هـ)، وابن ناصر الدين (٨٤٢ هـ)، وابن حجر (٨٥٢ هـ)، وغيرهم.

وأجاز له طفلاً خلائق منهم البرهان البعلي (٨٤٢ هـ)، وشيخ الإسلام ابن حجر (٨٥٢ هـ) وغيرهم، وعن الخلق الكثير والجم الغفير إلى جانب شيوخه من مختلف المذاهب كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ثانياً ـ تكوينه العلمي:

ونستطيع أن نحدد ملامح ابن عبد الهادي العلمية وتكوينه الثقافي بما يلي:

١ ـ حفظ القرآن الكريم:

قرأ ابن عبد الهادي القرآن، وحفظه صغيراً، وصلى به ثلاث مرات كما صرح به الفضلاء[1]، وسنأتي على ذكر شيوخه الذين قرأ عليهم القرآن ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص٤٨٦) وما بعدها، «الكواكب=

٢ـ علوم القرآن والتفسير:

وأخذ ابن عبد الهادي علوم القرآن والتفسير عن عدد من الأخيار، قال الغزي: «وشارك في . . . والتفسير، وله مؤلفات كثيرة»[١].

وقال ابن العماد الحنبلي: «ويشارك في . . . . التفسير، وله مؤلفات كثيرة»[٢].

وقال الغزي العامري، وتبعه الشيخ الشطي قالا: «وكان إماماً علامة، يغلب عليه علم الحديث والفقه، وله يد في غيرهما؛ كالتفسير . . . وغير ذلك من العلوم»[٣].

وقد صنف شيخنا في التفسير وعلوم القرآن كما سنبين ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٣ـ الوعظ والتصوف:

وأخذ ابن عبدالهادي التصوف عن شيخه أبي العباس بن زيد (٨٧٠ هـ)، وغيره[٤].

قال الغزي: « . . . وشارك في التصوف . . . »[٥].

= السائرة»(١/ ٣١٦)، «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل»(ص ٦٨)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣)، «متعة الأذهان» ـ خ ورقة (١٠٧ ب)، وغيرهم.

(١) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).
(٢) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).
(٣) «النعت الأكمل»(ص ٦٩)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣).
(٤) «زبد العلوم» ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب التصوف ـ ورقة(٧٦).
(٥) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

وقال ابن العماد الحنبلي: «. . . ويشارك في التصوف . . .»[1].

وقال الغزي العامري، وتبعه الشيخ الشطي، قالا: «. . . وله يد في غيرهما؛ كالتفسير والتصوف»[2].

وقال في «معجم المؤلفين»: محدِّث، فقيه، متكلم، نحوي، صرفي، صوفي، شارك في عدة علوم»[3].

وقد صنَّف ابن عبد الهادي في الوعظ والتصوف كثيراً، ذكر منها الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ (٦) كتب[4].

٤ـ التوحيد والجدل:

أخذ ابن عبد الهادي هذا العلم عن شيوخ مذهبه، وغيرهم، وقد صنف عدداً من الكتب في ذلك سنذكرها بعون الله.

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «وصنف في التوحيد والجدل»[5].

٥ـ الفقه:

وحفظ ابن عبد الهادي كتاب «المقنع» للموفق بن قدامة (٦٢٠ هـ)، وهو من أهم كتب الحنابلة الفقهية، ويتجه إليه الطلاب في مقتبل العمر، قرأه على عدد من المشايخ سنذكرهم، وقد صنف العلامة الفقيه ابن عبد الهادي صغيراً العديد من الكتب الفقهية كما سنبين ـ إن شاء الله تعالى ـ[6].

---

(١) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).

(٢) «النعت الأكمل»(ص ٦٩)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣).

(٣) «معجم المؤلفين»(٤/ ١٥٣).

(٤) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص ١٩ـ٢٣).

(٥) «المرجع السابق» (ص ١٩، ٢٣ـ٢٦).

(٦) انظر: جميع مصادر ترجمة ابن عبد الهادي.

٦ـ أصول الفقه:

وحفظ ابن عبد الهادي «الطوفي»[١]، في أصول الفقه، قرأه على عدة مشايخ، منهم القاضي علاء الدين المرداوي (٨٨٥ هـ)[٢]، وقد صنَّف ابن عبد الهادي في أصول الفقه كما سنرى في إنتاجه.

٧ـ علوم الحديث:

تقدم أن ابن عبد الهادي من بيت الرواية والمشيخة، فسمع صغيراً على والده وجده، وعن الخلق الكثير والجم الغفير، وأجازه طفلاً كثيرون، منهم شيخ الحنابلة ومدرسهم ومفتيهم الشيخ البرهان البعلي(٨٤٢ هـ)، وابن ناظر الصاحبة (٨٤٩ هـ)، وشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، وغيرهم، ثم رحل إلى بعلبك، فقرأ على عدة مشايخ، وقرأ ثمة «صحيح البخاري»، و«مسند الحميدي»، و«المنتخب» لعبد بن حميد، و«مسند الدارمي»، وغيرها. ثم صرف همته إلى علم الحديث، فأخذ عن غالب مشايخ الشاميين، وأجاز له خلق كثير، كما رحل لذلك إلى نابلس من الأرض المقدسة وغيرها[٣].

وقد جمع شيوخه ـ رحمه الله ـ في معجمين كبير وصغير كما تقدم، وقد

---

(١) لعله مختصر «روضة الناظر» في أصول الفقه، شرحه في ثلاث مجلدات، وللطوفي أيضاً «مختصر الحاصل»، و«معراج الوصول إلى علم الأصول»، واختصر كثيراً من كتب الأصول أيضاً. انظر ترجمته ص ( ) من هذا البحث.

(٢) «الجوهر المنضد» (ص ١٠١)، «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧) وما بعدها.

(٣) «زبد العلوم» ـ كتاب الإسناد ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة(٢٧) وما بعدها، «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ»(ص ٧٣، ٧٧، ٩٧، ١٠٨، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٧)، «وبْل الغمام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام» (ص ٢٤)، وجميع مصادر ترجمة ابن عبد الهادي.

صنَّف المحدِّث المتفنن الحافظ ابن عبد الهادي الكثير في الحديث وعلومه كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٨ـ علم الرجال والتاريخ:

ويعتبر ابن عبد اهادي من أشهر رجال عصره في هذا المجال، فقد عرف الرجال جيداً، ونظر في العلل حتى برع في ذلك.

وقدصنف شيخنا كثيراً في التاريخ والرجال، وطبقات المذاهب الأربعة كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ[١].

٩ـ علوم العربية:

وحفظ ابن عبدالهادي «ألفية ابن مالك»[٢]، ثم حصل علوم العربية حتى أتقنها.

قال الغزي: «وكان الغالب عليه علم الحديث والفقه، وشارك في النحو والتصوف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة»[٣].

وقال ابن العماد الحنبلي: «كان إماماً علامة يغلب عليه علم الحديث والفقه، ويشارك في النحو والتصريف، والتصوف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة»[٤].

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة»(ص ٤٨٧) وما بعدها، «النعت الأكمل»(ص ٦٨) وما بعدها، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣)، «متعة الأذهان» خ ـ ورقة(١٠٧ ب)، «المؤرِّخون الدمشقيون» (ص٢٧٢ـ٢٧٦)، «فهرس الفهارس» (٢/ ١١٤١ـ١١٤٢)، «اللمعات البرقية والنكت التاريخية»(ص ١١٤، ١١٧)، وانظر: «القلائد الجوهرية تلخيص الصالحية». و«فهرس التاريخ بالظاهرية» للريان، و«التمتع بالأقران» وغيرهم.

(٢) «سكردان الأخبار» نقله عن «السحب الوابلة»(ص ٤٨٧).

(٣) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

(٤) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).

وقال الغزي العامري، وتبعه الشيخ الشطي، قالا: «وكان إمامنا علامة يغلب عليه علم الحديث والفقه، وله يد في غيرهما؛ كالتفسير والتصوف، والنحو والتصريف، والمعاني والبيان، وغير ذلك من أنواع العلوم، ثم أخذ في قراءة العلوم وإقرائها حتى حظي بالشيء الكثير، ودرّس وأفتى، وأجمعت الأمة على تقدمه وإمامته، وأطبقت الأئمة على فضله وجلالته»[١].

١٠ـ الطب والصيدلة:

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «ألف ابن عبد الهادي كتباً كثيرةً ورسائل عديدة في الطب كما يتضح لمن يتصفح فهرست خزانته التي وقفها على العمرية، ولم يبق من هذه المؤلفات التي تدل على اضطلاع المؤلف بهذا الفن إلا بضعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية، ولا عجب فإن الرجل آية الآيات ـ رضوان الله عليه ـ. . .»[٢].

وسنذكر تصانيفه في الطب والصيدلة لاحقاً بعون الله تعالى[٣].

والواقع أن شيخنا ـ رحمه الله ـ قد ثقف علوم عصره كلها صغيراً[٤]، وخير دليل على نشأته العلمية المبكرة هو إقباله على التصنيف في سن مبكرة، وفي جميع العلوم المتداولة في وقته، منها:

١ـ كتاب «معارف الأنعام وفضل الشهور والصيام»، خ(١٤٦٣) ظاهرية، وهو كتاب في الوعظ والتصوف يقع في (٧٤) ورقة بخطه، تمت

---

(١) «النعت الأكمل»(ص ٦٩)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣).
(٢) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ(ص ٤٨).
(٣) انظر: «المرجع السابق» (ص ٤٨ـ٤٩)، «فهرس مخطوطات الطب والصيدلة بالظاهرية» للخيمي، في مواضع متعددة سنذكرها جميعاً بإذن الله.
(٤) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص ١٩).

كتابته في سنة(٨٥٧ هـ)، كتبه قبل بلوغه السادسة عشرة من عمره.

٢ـ كتاب «إرشاد الحائر إلى علم الكبائر»، خ (٧٤٠٣) ظاهرية، ويقع في (١٢) ورقة، تمت كتابته سنة(٨٦٠ هـ).

٣ـ كتاب «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»، خ(٣٨٣٥) ظاهرية، ويقع في (١٩) ورقة، تمت كتابته سنة (٨٦٠ هـ)، وهو الكتاب الذي سنقوم بتحقيقه في الفصل الأخير من الباب الثالث في هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٤ـ كتاب «زينة العرائس من الطرف والنفائس»، خ(٣٢٠٩) ظاهرية، ويقع في (٨٣) ورقة، تمت كتابته سنة(٨٦٠ هـ)، وهو كتاب جد قيم في تخريج الفروع على أصول العربية، ويدل على سعة علمه في مقتبل عمره، وسأقدم دراسة عنه في الفصل الأول من الباب الثالث والأخير من هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٥ـ كتاب «التمهيد في الكلام على التوحيد»، خ(٣٧٧٣) ظاهرية، ويقع في (٨٦) ورقة، تمت كتابته سنة(٨٦٢ هـ).

٦ـ كتاب «آداب الدعاء»، خ(٣٧٧٣) ظاهرية، ويقع في (٤٩) ورقة، تمت كتابه سنة(٨٦٢ هـ).

٧ـ موسوعته الفقهية الضخمة المسماة: «جامع الجوامع» في الفقه، جمع فيه الكتب الكبار الجامعة لأشتات المسائل مثل «المغني» لابن قدامة (٦٢٠ هـ)، و «الشرح الكبير» لشمس الدين بن قدامة (٦٨٠ هـ)، و «الفروع» لابن مفلح (٧٦٣ هـ)، وغيرها، ووسع الكلام فيه بحيث إنه ينقل الرسائل والفتاوي الطويلة بتمامها[1].

---

(١) «السحب الوابلة»(ص ٤٨٦ وما بعدها).

قال ابن طولون في ذكر بعض تصانيف ابن عبد الهادي: «. . . وألف في الفقه مختصراً سماه: «المغني لذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» وشرحه، ولخص ذلك من كتابه «جمع الجوامع»، ولو تم هذا الكتاب لبلغ (٣٠٠) مجلداً، عمل منه (١٢٠) مجلداً»[١].

قلت: فإذا كان كذلك، فإنه لم يتضمن فقه الحنابلة فقط، بل فقه سائر المذاهب، وذلك لأن كتاب «مغني ذوي الأفهام» يحتوي على فقه المذاهب جميعها كما سيأتي.

قال ابن حميد النجدي ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن «جمع الجوامع»: «ورأيت الجزء الأول منه بخطه بيده بتاريخ سنة(٨٦٢ هـ)، وآخر من أثناء البيوع بخطه أيضاً سنة (٨٦٨ هـ)»[٢]؛ أي: إن شيخنا ـ رحمه الله ـ قد بدأ بتأليف هذه الموسوعة الفقهية الضخمة قبل بلوغه سن العشرين، واللهُ أعلم.

٨ـ موسوعته الضخمة أيضاً المسماة: «جامع العلوم»، جمع فيها جميع علوم عصره المتداولة، اختصرها في «زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم»، خ(٣١٩٢) ظاهرية، ويقع في (١٦٨) ورقة بخطه، وتمت كتابة هذا المختصر سنة (٨٧٧ هـ)، بمعنى أنه كتب موسوعته قبل هذا التاريخ بمدة ليست باليسيرة؛ أي: في صغره.

قال ابن عبد الهادي في مقدمة «زبد العلوم»: «بسم الله الرحمن الرحيم، وهو حسبي: الحمد لله على إحسانه، حمداً يزيد المؤمن بإيمانه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة توجب لقائلها نعيم إحسانه، وأشهد أن

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة»(ص ٤٨٩).

(٢) «السحب الوابلة» (ص ٤٨٦ وما بعدها).

محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»[1].

«أما بعد: فإني لما وضعت كتابي «جامع العلوم»، وجمعت فيه كل العلوم المتداولة، نظرت فيه، فرأيته كبير الحجم، يعسر على غالب أبناء زمننا، فعزم لي بعد ذلك أن أضع كتاباً من حر فكري من غير أن أنظر أو أعتمد فيه على شيء من الكتب، وما توفيقي إلا بالله، وسميته كتاب: «زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم»، والله أسأل الإعانة، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل»[2].

وهذا المختصر يقع في (٥٠) كتاباً، كل كتاب منها يتضمن علماً من العلوم، وهذه الكتب هي:

١ـ كتاب أصول الدين. ٢ـ كتاب أصول الفقه. ٣ـ كتاب فروع الفقه. ٤ـ كتاب الأحاديث. ٥ـ كتاب الإسناد. ٦ـ كتاب علوم الحديث. ٧ـ كتاب أسماء الرجال. ٨ـ كتاب التاريخ والوفيات. ٩ـ كتاب الضبط والتقييد. ١٠ـ كتاب التفسير. ١١ـ كتاب القراءات. ١٢ـ كتاب الناسخ والمنسوخ. ١٣ـ كتاب التصوف. ١٤ـ كتاب الجدل. ١٥ـ كتاب النحو. ١٦ـ كتاب الإعراب. ١٧ـ كتاب اللغة. ١٨ـ كتاب الشواهد. ١٩ـ كتاب الصرف. ٢٠ـ كتاب المنطق. ٢١ـ كتاب الطب. ٢٢ـ كتاب الأدوية المفردة. ٢٣ـكتاب الأدوية المركبة. ٢٤ـ كتاب المآكل المركبة وطبائعها. ٢٥ـكتاب المآكل المفردة. ٢٦ـ كتاب التعشيب. ٢٧ـ كتاب إيضاح الأشياء. ٢٨ـ كتاب جودة الأشياء واختبارها. ٢٩ـ كتاب الأبدال. ٣٠ـكتاب التشريح. ٣١ـ كتاب التعمير. ٣٢ـ كتاب الآداب الشرعية.

---

(١) «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة(٢) (ص١).

(٢) «المرجع السابق».

٣٣ـ كتاب الألغاز. ٣٤ـ كتاب العروض. ٣٥ـ كتاب الحكم والمواعظ. ٣٦ـ كتاب الملل والمذاهب. ٣٧ـ كتاب الفرائض. ٣٨ـ كتاب الحساب. ٣٩ـ كتاب الفتن والملاحم. ٤٠ـ كتاب الغريب. ٤١ـ كتاب الفلاحة. ٤٢ـ كتاب الطباخة. ٤٣ـ كتاب المعاني والبيان والبديع. ٤٤ـ كتاب فضائل القرآن ومنافعه. ٤٥ـ كتاب الحسبة. ٤٦ـ كتاب السياسة. ٤٧ـ كتاب القضاء. ٤٨ـ كتاب الخلافة. ٤٩ـ كتاب الصنائع. ٥٠ـ كتاب عجائب المخلوقات.

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «وهو كتاب جد مفيد، جمع فيه علوم عصره في عبارة سهلة جيدة، وليتنا ظفرنا بكتابه الكبير، فقد كنا نجد فيه علماً كثيراً، فإن الرجل كان آية الآيات في العلم والمعرفة»[١].

ولعل ما ذكرنا ليس باكورة إنتاجه ـ رحمه الله ـ، وذلك لأن القسم الأكبر من إنتاجه مفقود لم يصلنا، ولأن القسم الأعظم من مخطوطاته الموجودة بالظاهرية (٩٤) من أصل(١٥٠) مخطوط تقريباً لا يوجد عليها تاريخ كتابتها أو نسخها، لنقصان الآخر، أو بسبب الأحماض، أو غير ذلك، ولا يخفى عليك أن بحثنا يعتمد على مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق المحروسة دون غيرها.

ثالثاً ـ رحلاته في طلب العلم:

ومما يتصل بالتكوين العلمي الرحلةُ في طلب العلم، سواء حصلت الرحلة في الصغر، أم في الكبر، وقد ارتحل ابن عبد الهادي إلى العديد من البلاد والمدن، حتى إن تلميذه ابن طولون ـ رحمه الله ـ وصفه بـ «الرحلة»[٢]. ولا شك أن ثقافته الواسعة، وكثرة تآليفه في شتى العلوم،

---

(١) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص ٤٣).

(٢) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة»(ص ٤٨٧)، وقد يعني هذا الوصف=

ومنها «معجم البلدان»[1]، وكثرة تخاريجه لأحاديث «الأربعينات»، وغيرها لمشايخه مع اختلاف بلدانهم دليل على سفره وترحاله، قال ابن طولون في ترجمته: «وأكثر من تخريج الأربعينات حتى قال لي في وقت: إنها بلغت أربع مئة»[2]، ولعل هذا هو سبب عدم التقاء شيخنا بالسخاوي في دمشق. قال في «الضوء»: «ولم أره، بلغني أنه خَرَّج لخديجة بنة عبد الكريم أربعين، وكذا لغيرها، وعرف بالحديث في بلده، مع كثرة التخاريج فيه»[3].

على أن المصادر لم تفدنا إلا بالنزر اليسير من رحلاته، فمن ذلك سفره إلى بعلبك ونابلس، ثم إلى الحجاز سنة (٨٩٨ هـ) لأداء فريضة الحج[4]، قال ابن طولون: «... ورحل إلى بعلبك، فقرأ بها على ...»[5]، وجاء في ترجمة الإمام بدر الدين حسن المرداوي السعدي الصالحي الحنبلي (٩١٠ هـ) في «النعت الأكمل»: «ورحل إلى بعلبك مع ابن المبرد»[6]، ثم قال: «ولما رحل إلى بعلبك، صحبه الجمال بن المبرد، سمع بها غالب مسموعاته، وهو من شيوخ الشمس ابن طولون ومجيزيه»[7].

وقال ابن عبد الهادي في ترجمة الشيخ علي القدسي الشافعي (٨٨٢

= أن ابن عبد الهادي هو المقصود بالرحلة من قبل طلبة العلم، والله أعلم.

(١) «المرجع السابق»(ص ٨٨٤)، «فهرست الكتب» ـ خ(٣١٩٠) ظاهرية، «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) ـ الجزء(٢) ـ(ص ٧٨٦).

(٢) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة»(ص ٨٨٤ وما بعدها).

(٣) «الضوء اللامع»(١٠/٣٠٨، ١٢/٢٨)، «السحب الوابلة»(ص ٤٨٦).

(٤) «الضوء اللامع»(١٠/٣٠٨)، «السحب الوابلة»(ص ٤٨٦).

(٥) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة»(ص ٤٨٧).

(٦) «النعت الأكمل» (ص ٧٤).

(٧) «المرجع السابق»(ص ٧٧).

هـ): «علي بن علي بن أبي الوفا القدسي، الشيخ نور الدين، أحد صلاح العصر، واجتمعت به بنابلس سنة ثمانين، ثم إنه وقعت له محنة بسبب الكنيسة، ونفي إلى الروم، وتوفي هناك بعد الثمانين»[1].

رابعاً ـ شيوخ ابن عبد الهادي:

ورد سابقاً أسماء بعض شيوخ ابن عبد الهادي وأساتذته ومعلميه الذين تربى على أيديهم، وأخذ عنهم، وسمع منهم، ولكي نزيد الأمر إيضاحاً نقدم نبذة عن أشهر مشايخ ابن عبد الهادي ـ على ما نعلم ـ؛ لنعرف مكانتهم العلمية أولاً، ونبين مدى تأثيرهم فيه ثانياً، مع الإشارة إلى الجانب العلمي الذي استفاده شيخنا من كل منهم، فكانت حياته العلمية امتداداً لهم، وثمرة من نتاجهم.

ونذكر عدداً من هؤلاء الأخيار من العلماء والعالمات مع ترتيب أسمائهم حسب سني وفاتهم:

١ـ أحمد المصري الحنبلي (٨٤٤ هـ):

وهو أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التستري الأصل، ثم البغدادي المولد، القاهري الدار، الحنبلي، العلامة، قاضي القضاة، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، شيخ المذهب ومفتي الديار المصرية، عز الدين ومحيي الدين وشهاب الدين، أبو الفضل وأبو يحيى وأبو يوسف بن العلامة جلال الدين أبي القاسم، الفقيه، الأصولي، النحوي، المحدث، الزاهد، الورع، القدوة.

ولد ببغداد ضحوة يوم السبت (١٧) رجب سنة (٧٦٥ هـ)، وسمع من والده وخاله، وخَلْق، ثم رحل إلى حلب، ودمشق، والقدس، والقاهرة،

---

(١) «التمتع بالأقران» (ص ١٤٨).

وسمع من خلق، وتفقه ودرّس، وصار عالم الحنابلة، وناب في الحكم، ثم ولي القضاء، وانفرد برئاسة مذهب أحمد بالديار المصرية، قال ابن عبدالهادي: «وسائر الدنيا»[1]، وتوفي بعلة القولنج صبيحة يوم الأربعاء (١٥) جمادى الأولى سنة (٨٤٤ هـ) بعد أن صلى الصبح بالإيماء، ولم يخلف في القاهرة بعد مثله ـ رحمه الله وإيّانا ـ[2].

وقرأ ابن عبد الهادي القرآن بدمشق على الشيخ أحمد، وأجازه طفلاً[3]. قال ابن عبد الهادي: «ولي منه إجازة»[4].

قلت: توفي الشيخ أحمد إثر مرض في القاهرة بعد ولادة ابن عبد الهادي بثلاث سنين وخمسة عشر يوماً بدمشق، وعليه تكون إجازته له قبل هذا التاريخ بمدة، والله أعلم.

٢ـ ابن ناظر الصاحبة (٨٤٩ هـ):

وهو أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن الموفق إسماعيل بن أحمد بن محمد المسند المعدل الضابط شهاب الدين وجمال الدين أبو الفرج الدمشقي الصالحي الحنبلي الشهير بابن ناظر الصاحبة، وأبوه بابن الذهبي، ولد سنة(٧٦٦ هـ)، وقال في «الضوء»: «ولد في سنة (٧٦٢ هـ)[5]، سمع من الخلق الكثير، وسمع جميع «المسند»، وحدَّث.

استدعاه الظاهر جقمق في سنة (٨٤٥ هـ) مع آخرين من المسندين إلى

---

(١) «الجوهر المنضد»(ص ٨).

(٢) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٠٥ـ٥٠٧)، «الضوء اللامع»(٢/ ٢٣٢)، «الشذرات» (٧/ ٢٥٠)، «الجوهر المنضد» (ص ٦ ـ ٨)، «الذيل على رفع الإصر» (ص ١٠٩)، «السحب الوابلة»(ص ٦٦)، «إنباء الغمر»(٩/ ١٣٩ـ١٤١).

(٣) انظر: جميع مصادر ترجمة ابن عبد الهادي.

(٤) «الجوهر المنضد»(ص ٧).

(٥) «الضوء اللامع»(١/ ٣٢٤).

القاهرة ليحدث بالمسند وبغيره من مروياته، وسمع منه الأعيان، ثم رجع إلى بلده دمشق، فمات ـ رحمه الله ـ في شوال سنة (٨٤٩ هـ)، وأجاز لابن حجر[١].

وأفادت بعض المصادر أنه أجاز لابن عبد الهادي من مصر[٢]، أما ابن عبد الهادي نفسه فقد قال: «قرأت على جمال الدين بن ناظر الصاحبة»[٣].

ويتبين من تاريخ وفاة ابن ناظر الصاحبة أن ابن عبد الهادي قرأ عليه في سن مبكرة.

٣ـ الشيخ خلف (٨٥٠ هـ):

الشيخ الورع المقرىء بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، قال ابن عبد الهادي: «شيخنا الشيخ خلف الذي كان يعد من الأبدال، ويقال: إنه كان يُرى كل سنة بعرفة»[٤]، وقال عنه في موضع آخر: «شيخنا الشيخ خلف، نقل أنه كان من الأبدال»[٥]، وقال ابن عبد الهادي في ترجمة الشيخ المذكور: أدركته، وقرأت عليه في صغري، وله حكايات وأخبار مشهورة بالزهد والورع، كان طويلاً أسمر رقيقاً، صاحب زهد وورع ودين، توفي قريباً من سنة (٨٥٠ هـ) بالصالحية، ودفن بها»[٦] ـ رحمه الله وإيّانا ـ[٧].

---

(١) «إنباء الغمر»(٩/ ٢٣٨)، «الضوء اللامع»(١/ ٣٢٤) وما بعدها، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب التاريخ والوفيات ـ ورقة (٤٦) (ص١)، «نظم العقيان» (ص ٣٤)، «الشذرات»(٧/ ٢٦٣).

(٢) «النعت الأكمل»(ص ٦٨).

(٣) «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة(٢٧).

(٤) «القلائد الجوهرية»(١/ ٢٦٣).

(٥) «المروج السندسية»(ص ١٠٨).

(٦) «الجوهر المنضد»(ص ٤٢).

(٧) «المصادر الثلاثة السابقة».

٤ـ الشيخ حسن بن إبراهيم الصفدي(٨٥٨ هـ)

الشيخ المحدِّث، المقرىء، الورع، الزاهد، القدوة، ذو الفضائل والدِّين والزهد، وحدَّث، وصنف، ليس بالطويل ولا بالقصير، ليس بالرقيق ولا بالغليظ، أبيض، كلامه لين، ونفسه رضية، حج في آخر عمره، ووقع فكسرت رجله.

قال ابن عبد الهادي: «شيخنا الشيخ حسن الصفدي»[١]، وقال أيضاً: «وقد قرأت عليه . . . وقد حصل عندي مجموع من فوائده»[٢].

توفي ـ رحمه الله ـ في شهر شعبان سنة (٨٥٨ هـ) في دير الحنابلة، وحُمل على أطراف أصابع الرجال، وكانت له جنازة مشهودة، ودفن بالروضة[٣].

٥ـ ابن جوارش (٨٦٠ هـ):

وهو محمد بن محمد بن أفوش بن عبد الله، شمس الدين، أبو عبد الله الدمشقي الصالحي، ويعرف بابن جوارش، ولد تقريباً سنة (٧٨٠ هـ) بالصالحية، ونشأ بها، وسمع، وحدَّث، سمع منه الفضلاء، قال السخاوي: «وأكثرت عنه»[٤]، وكان خيّراً نيّراً عالي الهمة، صبوراً على الإسماع، مديماً للجماعة بجامع الحنابلة، وربما اتَّجر لسبب عياله، توفي

---

(١) «القلائد الجوهرية»(١/ ٢٦٣)، «المروج السندسية»(ص ١٠٨)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب التاريخ والوفيات ورقة(٤٦).

(٢) «الجوهر المنضد»(ص ٣٤).

(٣) «الجوهر المنضد»(ص ٣٤)، «القلائد الجوهرية»(١/ ٢٦٣)، «الضوء اللامع»(٣/ ٩٢)، «المروج السندسية»(ص ١٠٨).

(٤) «الضوء اللامع»(٨/ ٢٩٦).

في (١٥) رمضان سنة (٨٦٠ هـ)، وصلي عليه عقب صلاة الجمعة، ودفن بالسفح ـ رحمه الله وإيّانا ـ[١].

وسمع ابن عبد الهادي الحديث على ابن جوارش في سن مبكرة[٢]، قال ابن عبد الهادي: «قرأت على الشيخ الكبير أبي عبد الله بن جوارش الصالحي»[٣].

٦ـ تقي الدين بن قندس (٨٦٠ هـ):

هو أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف بن قندس البعلي الصالحي، الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون، المحدِّث تقي الدين، ولد سنة (٨٠٩ هـ)، وحفظ وسمع وتفقه، وعني بعلم الحديث كثيراً، وأذن له بالإفتاء والتدريس، وكان مفنناً في العلوم، وذهنه ثاقب، وأفاد الطلبة في مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، ثم ولي نيابة الحكم مدة، ثم تركها وأقبل على العلم والكسب من يده، وكان من الصلحاء، له عمل في الفقه جيد، ولم يزل كذلك إلى أن لحق بالله ـ عز وجل ـ في يوم عاشوراء سنة (٨٦١ هـ)، وصلي عليه بجامع الحنابلة، وكان يوماً مشهوداً، ودفن بالروضة قريباً من الشيخ الموفق ـ رحمهم الله وإيّانا ـ، وممن أخذ عنه شيخ المذهب علاء الدين المرداوي، والشيخ تقي الدين الجراعي، وخلق[٤]، وتفقه ابن

---

(١) «الضوء اللامع»(٨/ ٢٩٦)، «السحب الوابلة»(٤٢٨)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ «كتاب التاريخ والوفيات» ـ ورقة(٤٦) (ص١).

(٢) «سكردان الأخبار»، نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧).

(٣) «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة(٢٧) وما بعدها.

(٤) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٣٧٩) وما بعدها، «مختصر طبقات الحنابلة» (٧٤)، «السحب الوابلة»(ص ١٢٤) وما بعدها، «تلبية الطالب»(ص ١٣١)، «الدارس»(٢/ ٨٤)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الرجال ـ ورقة(٣٢) (ص١)، وكتاب التاريخ والوفيات، ورقة(٤٦) (ص١).

عبد الهادي بالإمام تقي الدين، وقرأ عليه «المقنع» وغيره[1].

٧ـ زين الدين الحبّال(٨٦٦):

وهو عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف الحبّال، الشيخ الإمام العلاّمة الزاهد العابد الورع القدوة الحجة، ذو الفضل، زين الدين أبو الفرج الحنبلي، الفقيه المقرىء المحدِّث المتقن، كان يقرىء بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر في العلم والقرآن وغيرهما، أخذ عن الخلق الكثير والجم الغفير، حفظ «الخرقي»، و«الملحة»، وغيرهما، وقرأ عليه «خلق القرآن» وغيره، وكان يشتغل في جميع الكتب؛ كـ «الخرقي»، و«المقنع»، و«المحرر»، و«العمدة»، وغير ذلك للحنابلة، ويشتغل لغيرهم؛ كالشافعية في «المنهاج»، وغيره، والحنفية والمالكية، وولي القضاء.

وكان صاحب زهد ورضا وورع ودين ونفس رضية طيبة، وكلام حسن، تابعاً للسنة والآثار، يقوم كثيراً، ويصوم غالب أيامه، رفيق بالطلبة، شفيق عليهم، أبيض، ليس بالطويل، ولا الرقيق، ولا الغليظ، حسن الوجه، بشوش الصورة، متواضع، لم يُرَ في التواضع مثله، حتى إنه يحدث الصغار بكلامهم، ولا يغضب على أحد ولو آذاه.

قال ابن عبد الهادي: «ولم يره أحد قط غضب على أحد، ولقد خرج هو وأخوه إلى بعض البساتين، فعرَّوهم ثيابهم، وأخذوا ما كان معهم، ثم قال لي بعد ذلك: عرفت منهم واحداً، قلت: من هو؟ قال: لا أفضحه، ولا أُعْلِم به أحداً»[2].

---

(١) «سكردان الأخبار»، نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧)، «مختصر طبقات الحنابلة» (٨٣)، «النعت الأكمل» (ص ٦٨)، «الشذرات» (٨/ ٤٣)، «الكواكب السائرة» (١/ ٣١٦)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الرجال ـ ورقة(٣٢) (ص١).

(٢) «الجوهر المنضد» (ص ٦٥).

وكان يقضي حوائج الإخوان، ويهتم لهم ما يهتم لنفسه، ويلتقط المنبوذات، ويقول: الأصل في جميع الأشياء الطهارة، حتى في الأرواث، وكتب القرآن مراراً عديدة، حتى إنه كتب أكثر من مئة مصحف، وانتفع به خلق كثير، ولو حلف الحالف إنه لم يرَ مثله ديناً وزهداً وتواضعاً، لا في الحنابلة ولا في غيرهم، لم يحنث.

قال ابن عبد الهادي: «شيخنا أبو الفرج بن الحبال أحد العلماء الأخيار والصلحاء الزهاد»[(١)]، وقال أيضاً: «قرأت عليه في القرآن، وجميع «المقنع» و «البخاري» و «الملحة» و «مسلم» و «أربعين ابن الجزري»، وغير ذلك»[(٢)]، ثم قال: «سمعته يقول: حصل لي ما لا يحصل لأحد، صعدت على ظهر بيت الله، وكتبت عليه جزءاً من القرآن ابتداء مصحف، قلت: وهذا المصحف قرأت فيه»[(٣)]، وقال أيضاً: «وكنا ندخل عليه وهو في حال المرض، فيقول: من معه قرآن يقرأ، فلم يزل يقرأ القرآن إلى أن مات»[(٤)].

وتوفي يوم الجمعة (٢٠) رمضان سنة (٨٦٦ هـ)، وكانت جنازته مشهودة، وحمل على أطراف الأصابع، ودفن في أسفل الروضة ـ رحمه الله وإيّانا ـ[(٥)]. قال ابن عبد الهادي: «ورأيت له منامات حسنة ـ رحمه الله ـ»[(٦)].

---

(١) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٢)، «المروج السندسية»(ص ١٠٨).
(٢) «الجوهر المنضد» (ص ٦٤).
(٣) «المرجع السابق»(ص ٦٦).
(٤) «المرجع السابق».
(٥) «الجوهر المنضد»(٦٤ـ٦٦)، «الضوء اللامع»(٤/ ٤٣)، «الشذرات»(٧/ ٣١٨)، «السحب الوابلة»(ص ١٩٤)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٢)، «المروج السندسية»(ص ١٠٩)، «الدارس»(٢/ ٨٤)، وغيرهم.
(٦) «الجوهر المنضد»(ص ٦٦).

٨ـ محمد بن عبد الله الصفيّ (٨٦٩ هـ):

وهو الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة، أبو عبد الله صفي الدين بن الصفي الحنبلي.

ولد سنة (٧٩٧ هـ) بـ«بيت لهيا» من دمشق، وتفقه بأبي شعر وجده، وأخذ عن عائشة بنت عبد الهادي وغيرها.

كان كثير العبادة، ورعاً، عفيفاً، زاهداً، قدوة، معظِّماً لمذهب الإمام أحمد، متمسكاً بفروعه وأصوله، حسن الاعتقاد، معظِّماً لشيخ الإسلام ابن تيمية، مواجهاً لأعدائه بمدحه، أبيض، ليس بالطويل ولا بالقصير، بل هو إلى الطول أقرب، ليس بالغليظ ولا الرقيق، أثنى عليه الناس حياً وميتاً، من رآه شبهه بالصحابة في صمته وهيئته، لم يتعرض لوظيفة قط، ولم يأخذ لوظيفة قط شيئاً، محباً للفقراء، محسناً إليهم، مع ما هو عليه من الفقر، وحج.

توفي يوم الأربعاء (٢٦) أو (٢٧) رمضان سنة(٨٦٩ هـ) وغسل من وقته، وحمل على أطراف الأصابع إلى جامع الحنابلة، وصلي عليه بعد صلاة الظهر، ثم حمل على أطراف الأصابع، ودفن بالروضة، وكان الجمع مشهوداً، وأثنى عليه الناس خيراً ـ رحمه الله ـ[١].

قال السخاوي: «وكان عالماً ورعاً عفيفاً زاهداً، قدوة، لقيته بالصالحية، فقرأت عليه بمدرسة أبي عمر منها جزء الجمعة»[٢]. وقال ابن

---

(١) «الجوهر المنضد» (ص ١٥٩)، «الضوء اللامع»(٨/ ١١٥)، «السحب الوابلة» (ص ٢٦٣)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٢)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة(٢٧) وما بعدها، وكتاب التاريخ والوفيات ورقة(٤٦) (ص٢).

(٢) «الضوء اللامع»(٨/ ١١٥).

عبد الهادي: «شيخنا الإمام العلامة . . . أحد الأخيار، وقرأت عليه «جزء الجمعة الثاني»، و«ثلاثيات البخاري»، وغير ذلك، وأجاز لنا غير ما مرة، ويقال: إنه من الأبدال الذين يحمي الله الأرض بهم»[١].

٩ـ نظام الدين بن مفلح (٨٧٢ هـ):

هو عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج بن عبد الله الراميني، المقدسي الأصل، ثم الصالحاني الحنبلي، الشيخ الإمام الواعظ الأستاذ الرحلة، قاضي القضاة نظام الدين بن قاضي القضاة تقي الدين وبرهان الدين، أبو إسحاق إبراهيم، ولد بالصالحية سنة (٧٨٢ هـ)، وحضر في الثانية سنة (٧٨٤ هـ) على ابن المحب الصامت، وخَلْق، وتفقه بوالده، وغيره، وناب في القضاء مدة، ثم ولي قضاء غزة، وهو أول حنبلي ولي بها، ثم ولي قضاء القضاة بدمشق، واشتغل، وصار في آخر أمره رحلة وقته، وقد ألحق الأحفاد بالأجداد، وبنى دار الحديث النظامية شرقي الصالحية، وهو أول من باشر مشيختها، ولم يكن يداهن، وكان محباً لشيخ الإسلام ابن تيمية، معظِّماً له، ووعظ وحدّث في كثير من البلاد كمصر والشام والقدس، وغيرها، وأخذ عنه الفضلاء والأئمة.

قال السخاوي: «أكثرت عنه، حين لقيته بالقاهرة والصالحية»[٢].

وقال ابن عبد الهادي: «قرأت عليه كثيراً، وسمعت منه ما لا يحصى»[٣].

وتوفي بالصالحية ليلة السبت شهر ربيع الآخر سنة (٨٧٢ هـ)، وصلي

---

(١) «الجوهر المنضد» (ص ١٥٩)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٢)، «زبد العلوم» ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة (٢٧) وما بعدها.

(٢) «الضوء اللامع» (٦/ ٦٧).

(٣) «الجوهر المنضد» (ص ١٠٦).

عليه من الغد بجامع الحنابلة، ودفن بالروضة عند أسلافه ـ رحمه الله وإيّانا ـ[1].

١٠ـ عمر اللؤلؤي(٨٧٣ هـ):

هو الشيخ الصالح المقرىء المعيد المجوّد الديّن الورع، زين الدين أبو حفص، أخذ عن عائشة بنت عبد الهادي، وغيرها، كان يقرىء القرآن الكريم بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، وهو الجامع لشملها ونظامها، وكان محباً لشيخ الإسلام ابن تيمية، معظماً له، مبالغاً فيه، ليّناً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليّناً للصلاة والعبادة، مجانباً لأبناء الدنيا، ذاماً لهم، قليل الحظ من الدنيا، ويتألف الفقراء، ويحسن إليهم، قال ابن عبد الهادي: «قرأت عليه «ثلاثيات البخاري»، و«الزهد» للإمام أحمد، و «مسند» عبد بن حميد، وغير ذلك»[2].

وقال ابن عبد الهادي في ترجمة الشيخ المذكور: «وهو الذي كنا نتأدب به، ولا يؤدبنا من الجماعة غيره، ولا يراعي في الله أحداً، ولا يخاف في الله لومة لائم، وربما كرهه أبناء الدنيا؛ لأنه كان يصدعهم صدعاً»[3].

توفي ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الأول سنة (٨٧٣ هـ)، وكانت له جنازة مشهودة، وحمل على أطراف الأصابع، وصلي عليه بجامع الحنابلة، ودفن بالسفح بأسفل الروضة تحت مسطبة الدعاء ـ رحمه الله وإيّانا ـ[4].

---

(١) «الجوهر المنضد»(ص١٠٦)، «القلائد الجوهرية»(١/ ١٤٥ـ١٤٦، ٢/ ٥٩١)، «الضوء اللامع»(٦/ ٦٦ـ٦٧)، «الدارس»(٢/ ٤٣ـ٤٦)، «شذرات الذهب»(٧/ ٣١١)، «السحب الوابلة»(ص ٣١٥)، «قضاة دمشق»(ص ٢٩٦)، وغيرهم.

(٢) «الجوهر المنضد»(ص ١٠٥).

(٣) «المرجع السابق».

(٤) «الجوهر المنضد»(ص ١٠٥)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٢)، «الضوء =

١١ـ أبو بكر الجراعي(٨٨٣ هـ):

وهو أبو بكر بن زيد بن أبي بكر بن زيد بن عمر بن محمود الحسني الجراعي الدمشقي الصالحي الحنبلي، وهو من ذرية الشيخ أحمد البدوي، الإمام العلامة الفقيه، البارع المتفنن القاضي تقي الدين، ولد تقريباً في سنة(٨٢٥ هـ) بجراع من أعمال نابلس، وقرأ القرآن، و«العمدة»، و«العزيزي» في التفسير، و«الخرقي»، و«النظام المذهب» في الفقه، و«الملحة»، وبعض «ألفية ابن مالك»، ونحو ثلثي «جمع الجوامع»، و«ألفية شعبان الآثاري» بتمامها، وغيرها، ثم قدم دمشق سنة (٨٤٢ هـ)، فأخذ الفقه وأصوله، والفرائض والعربية، والمعاني والبيان عن التقي بن قندس، واشتغل حتى برع وصار من أعيان فضلاء مذهبه بدمشق، وتصدى للإفتاء والتدريس والإفادة، وناب في القضاء، وصنَّف، وسمع من خَلْق، ورحل إلى بعلبك والقاهرة، وحج مراراً، وجاور.

وكان إماماً علامة ذكياً، طلق العبارة، فصيحاً، ديناً، متواضعاً، طارحاً للتكلف، مقبلاً على شأنه، ساعياً في ترقي نفسه في العلم والعمل، ومحاسنه جمة.

وتفقه ابن عبد الهادي بأبي بكر الجراعي، قرأ عليه «المقنع»، وغيره[١].

وتوفي ليلة الخميس (١١) رجب سنة (٨٨٣ هـ) بصالحية دمشق، ودفن بالسفح إلى الشرق من تربة شيخ الإسلام أبي عمر ـ رحمهم الله جميعاً، ونفعنا بهم ـ[٢].

= اللامع»(٦/ ١٤٧)، «السحب الوابلة»(ص ٣٢٥)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة(٢٧)، وكتاب التاريخ والوفيات ورقة(٤٦) (ص٢).

(١) «التمتع بالأقران»(ص ١١٣)، «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦)، «شذرات الذهب» (٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل»(ص ٦٨)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣).

(٢) «التمتع بالأقران»(ص ١١٣)، «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥٩٤)، «الضوء =

١٢ـ علي الموصلي (٨٨٢ هـ):

وهو علي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد العلاء الموصلي ثم الدمشقي الحنبلي، ويعرف بابن زيد، الشيخ الزاهد العابد القدوة، قال السخاوي: «سمع ثلاثيات مسند عليٍّ» عليَّ، وحدث بها، سمعها عليه بعض الطلبة، وكان ورعاً صالحاً زاهداً»[(١)].

أخذ عن خلق، وكان عنده مشاركة بالمعرفة والحديث.

قال ابن عبد الهادي: «قرأت عليه الكثير، وكانت له مكاشفات وأحوال، وقد علا عن الدنيا بالكلية، ولا يأكل من أخيه الشهاب الموصلي، ولا يتعرض إليه وإليهم، ولا إلى ما هم فيه»[(٢)].

وتوفي في (٢٠) رجب سنة(٨٨٢ هـ) ـ رحمه الله وإيّانا ـ[(٣)].

١٣ـ علاء الدين المرداوي(٨٨٥ هـ) شيخ المذهب، وصاحب «الإنصاف»، و «التنقيح»:

وهو علي بن سليمان بن أحمد المرداوي السعدي ثم الصالحي، الشيخ الإمام العلامة، أقضى القضاة، مفتي الفرق، المحقق، المفنن، أعجوبة الدهر، شيخ المذهب وإمامه، ومصححه ومنقحه، شيخ الإسلام، محرر العلوم، علاء الدين أبو الحسن، ذو الدين الشامخ، والعلم الراسخ،

= اللامع»(١١/ ٣٢) وما بعدها، «شذرات الذهب»(٧/ ٣٣٧) وما بعدها، «السحب الوابلة»(ص ١٢٧ـ١٣١)، «المؤرِّخون الدمشقيون»(ص ٢٥٧)، «الدارس»(٢/ ٨٤)، «الأعلام»(٢/ ٦٣)، وغيرهم.

(١) «الضوء اللامع»(٥/ ٢٨٠).

(٢) «التمتع بالأقران»(ص ١٥٣ـ١٥٤).

(٣) «التمتع بالأقران»(ص ١٥٣ـ١٥٤)، «الضوء اللامع»(٥/ ٢٨٠)، «متعة الأذهان» ـ خ ورقة(٦٤، ٦٦).

صاحب التصانيف الفائقة، والتآليف الرائقة، الإمام الفقيه الأصولي النحوي الفرضي المحدث المقرىء.

ولد بـ«مردا» سنة (٨١٧ هـ)، وخرج منها في حال الشبيبة، فأقام بالخليل، ثم قدم دمشق، ونزل بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، وأخذ عن خلق، وتفقه واشتغل وحصَّل وبرع وأفتى ودرَّس، وناب في القضاء دهراً طويلاً، وحسنت سيرته، وانتهت إليه رياسة المذهب، وصنف، وكان يقرىء بالروايات بالمدرسة العمرية، عالماً باللغة والتصريف والمنطق والمعاني وغير ذلك، له حظ من العبادة والدين والورع، طويل القامة، ليس بالرقيق ولا بالغليظ، يميل إلى سمرة الوجه، فتح الله له بالعلم والعمل والدين والآخرة، وحصل كتباً كثيرة، وكان لا يتردد إلى أهل الدنيا، وحج مرتين، وجاور، وزار بيت المقدس مراراً، ومحاسنه أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، وهو أعظم من أن ينبه إلى فضله، وتلاميذه كثر.

قال ابن عبد الهادي: «وكان في البداية فقيراً، سمعته أول مرة يقول: إنه كان أول ما قدم يحصل من المدرسة رغيفاً يقسمه نصفين، نصف يأكله بكرة، والآخر عشية»[1].

وقال ابن عبد الهادي أيضاً: «قرأت عليه غالب «المقنع» بحلّه، وغالب «الطوفي»، وتفقه به جماعة من أصحابنا، وكان معظَّماً عند الجماعة»[2].

توفي ليلة الجمعة(٦) جمادى الأولى سنة (٨٨٥ هـ)، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بجامع الحنابلة، ودفن على حافة الطريق تحت مسطبة الدعاء تحت الروضة ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ[3].

---

(١) «التمتع بالأقران»(ص ١٥١).

(٢) «الجوهر المنضد»(ص ١٠١).

(٣) «الجوهر المنضد»(ص ١٠١)، «التمتع بالأقران»(ص ١٥١)، «الضوء =

١٤ـ ابن الغرز (٨٨٨ هـ):

وهو إبراهيم بن أحمد بن حسن بن الغرس «الغرز» خليل بن محمد بن خليل بن رمضان برهان الدين أبو إسحاق التنوخي الطائي العجلوني، ثم الدمشقي الشافعي، ويعرف بابن الغرز.

ولد على رأس القرن تقريباً، وأخذ عن عائشة بنت عبد الهادي، وابن حجر، ووصفه ابن حجر بالحافظ، وغير واحد من شيوخ عصره.

قال ابن عبد الهادي: «وقد أخذت عنه الكثير، وكان محباً لابن تيمية، ملازماً لجماعة الحنابلة؛ بحيث إنه قال لي مرة: لا يختلف عليّ منهم اثنان، وبعض الناقصين يرميه بأشياء لا يحل ذكرها، وقد بالغ البقاعي صاحب «عنوان الزمان» بحيث كتب أنه مأبون على تاريخ ابن حجر، وهذا أمر لا يحل، وهو كاتب التراجم لعلي بن حجر لما قدم إلى دمشق، وقد انتفعت به كثيراً، وأفادني مشايخ ومسموعات للمشايخ وكتب عادية وبيعاً»[(١)].

قال السخاوي: «زعم أنه أخذ عن عائشة بنت عبد الهادي، فالله أعلم»[(٢)].

وتوفي سنة (٨٨٨ هـ) ـ رحمه الله وإيّانا ـ[(٣)].

= اللامع»(٥/ ٢٢٥ـ٢٢٧)، «المنهج الأحمد»(٢/ ١٥١) وما بعدها، «الشذرات»(٧/ ٣٤٠)، وأطال في ترجمته، «البدر الطالع»(١/ ٤٤٦)، «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٧٦) وما بعدها، «الدارس»(٢/ ٨٤)، «السحب الوابلة»(ص ٢٩٦) وما بعدها، «معجم المؤلفين»(٧/ ١٠٢)، وغيرهم.

(١) «التمتع بالأقران»(ص ١٠١).

(٢) «الضوء اللامع»(١/ ١٣).

(٣) «التمتع بالأقران»(ص ١٠١)، «الضوء اللامع»(١/ ١٢ـ١٣)، «متعة الأذهان» خ ورقة (٢٣).

١٥ ـ عثمان التليلي (٨٩٢ هـ):

وهو عثمان بن علي بن إبراهيم التليلي الصالحي، الشيخ الإمام العلامة الزاهد البركة الورع والقدوة، التركة العمدة أبو النور، خطيب جامع الحنابلة، فخر الدين، أخذ عن جماعة وحدَّث، وكان يقيم بالجامع، ويخطب فيه، وكانت القلوب ترق عند سماع خطبه، وتبكي الخلق، ويحصل منها للخلق ما لا يحصل من غيره.

قال ابن عبد الهادي: «ترَ عيني أحلى منه على المنبر، ولا أصدع من كلامه في القلوب»[١].

أبيض اللون، ليس بالطويل ولا بالقصير، ليس بالرقيق ولا بالغليظ، صاحب دين وورع، وزهد، لين في كلامه، ساكن في مشيته وهيئته، لم يسمع منه أحد كلاماً ساقطاً، معظّم عند الناس، لم يُرَ من ذي شيبة أجل منه ولا أجمل، كأنه القمر، ولي الإمامة والخطابة بجامع الحنابلة مدة تزيد عن (٦٠) سنة، وكان صالحاً معتقداً.

قال ابن عبد الهادي: «قرأت عليه جزء «المنتقى» من «مسند الإمام أحمد»، ومواضع من كتاب «المقنع»، وكان معظماً عند المشايخ، مهاباً، تأخذ قراءته بالقلوب، قال لي بعض أصحابنا، أشبهه في المحراب إلى الأسد، قليل الضحك، بشوش الفم»[٢].

توفي يوم الجمعة (١٧) شعبان سنة (٨٩٢ هـ)، وصلي عليه بجامع الحنابلة، وكان له مشهد عظيم، ودفن بالروضة، وله (٩٧) سنة ـ رحمه الله وإيّانا ـ[٣].

---

(١) «التمتع بالأقران» (ص ١٤٦).

(٢) «الجوهر المنضد» (ص ٨٠).

(٣) «الجوهر المنضد» (ص ٨٠)، «الضوء اللامع» (٥/ ١٣٣)، «الشذرات» =

١٦ـ ابن زريق (٩٠٠ هـ):

وهو محمد بن القاضي عماد الدين أبي بكر بن عبد الرحمن بن أحمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن فتح بن محمد بن حديثة بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله بن سيدنا عمر بن الخطاب القرشي العمري، المقدسي الصالحي الحنبلي، ويعرف بابن زريق كأسلافه وإخوته، الإمام العالم العلامة المحدِّث القاضي ناصر الدين، وهو أخو المسندين: عبد الرحمن (٨٣٨ هـ)، وعبد الله (٨٤٨ هـ)، وأحمد (٨٩١ هـ)، ولد بصالحية دمشق في شوال سنة (٨١٢ هـ)، وهو من ذرية شيخ الإسلام أبي عمر، قرأ على علماء عصره، وبرع ومهر، وأفاد وعلم، وسمع الكثير من خلق، ووضع لنفسه «ثبتاً» في مجلدين، وحدَّث، أخذ عنه الفضلاء، وناب في القضاء، ثم تنزه عن ذلك، وولي نظر المدرسة العمرية، وكان منور الشيبة شكلاً حسناً على طريقة السلف الصالح، وتوفي بالصالحية عشية يوم السبت (٩) جمادى الآخرة سنة (٩٠٠ هـ)، ودفن بالروضة تحت الشيخ الموفق ـ رحمهم الله وإيّانا ـ[1].

= (٧/ ٣٥٢)، «المنهج الأحمد» (٢/ ٥٥)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩٣)، «السحب الوابلة» (ص ٢٨٤)، وغيرهم.

(١) «الجوهر المنضد» (ص ١٢٦)، «التمتع بالأقران» (ص ١٦٩ـ١٧٠)، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٥٩١)، «الضوء اللامع» (٧/ ١٦٩ـ١٧١)، «الشذرات» (٧/ ٣٦٦)، «السحب الوابلة» (ص ٣٦٥ـ٣٧٠)، «نظم العقيان» (ص ١٤٠)، «المؤرخون الدمشقيون» (ص ٢٦٧)، «الأعلام» (٦/ ٥٨)، «معجم المؤلفين» (٩/ ١١٠ـ١١١)، وغيرهم.

قال ابن عبد الهادي: «قرأت عليه أشياء»[1].

١٧ـ أسماء المهرانية(٨٦٧ هـ):

وهي أسماء بنت عبد الله بن محمد، المهرانية، الشيخة الأصيلة الكاتبة ذات الصلاح والدين، أم الحسن، أسمعت في سنة (٧٩٤ هـ) على عدد من مشايخ عصرها، وأجاز لها(٢٦) شيخاً سنة (٧٩٨)، وخرج لها الشهاب بن اللبودي مشيخة، ماتت قبل إكمالها، والخيضري عن (١٨) من شيوخها ثلاثين حديثاً، وحدّث بها برواية الآباء غير مرة، قال السخاوي: «لقيتها بدمشق، فقرأت عليها بعضه»[2].

وقال ابن عبد الهادي: «قرأت على الشيخة الأصيلة أسماء المهرانية»[3].

وكانت صالحة خيرة كاتبة، انفردت بجماعة، وماتت في صفر سنة (٨٦٧ هـ)، ودفنت بمقبرة باب توما بالقرب من تربة الشيخ رسلان ـ رحمها الله وإيّانا ـ[4].

١٨ـ فاطمة الحرستانية(٨٧٣ هـ):

وهي فاطمة بنت خليل بن علي الحرستاني الدمشقية الصالحية، ذات صلاح ودين، وهي سبطة التقي عبد الله بن خليل الحرستاني، وأحضرت عليه وعلى العلاء علي بن أحمد بن محمد المرداوي، والزين عمر

---

(١) «الجوهر المنضد»(ص ١٢٦).

(٢) «الضوء اللامع»(١٢/ ٦).

(٣) «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب الإسناد ـ ورقة (٢٧) وما بعدها.

(٤) «الضوء اللامع»(١٢/ ٦ـ٧)، «زبد العلوم» ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب التاريخ والوفيات ـ ورقة (٤٦) (ص٢)، «أعلام النساء»(١/ ٥٦)، «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص١٣).

البالسي، وحدَّثت، سمع عليها السخاوي «الشمائل» للترمذي بإجازتها من عمر البالسي وغيره.

قال في الضوء: «سمعتها عليها بصالحية دمشق»[1].

وكانت صالحة خيرة، حجت، وماتت بعد سنة (٨٧٣ هـ) على ما يحقق، وقرأ عليها الإمام يوسف بن عبد الهادي الكتب والأجزاء التالية من جدها عبد الله بن خليل الحرستاني:

«حديث أبي بكر عمر بن روح النهرواني»، والجزء الثالث من «الحكايات المقتبسة من كرامات مشايخ الأرض المقدسة» لضياء الدين المقدسي، و«حديث القاسم بن موسى الأسيب»، ومن حديث عبد الله بن مسعود، وأحاديث وحكايات وفوائد أبي سعيد أحمد بن محمد بن سعيد البغدادي، وحديث هشام بن عمار عن مالك بن أنس، ومن حديث عباس بن عبد الله الترقفي، وقصة جعفر بن محمد الصادق مع المنصور، وسبعة مجالس من أمالي المخلص، وأمالي الشيخ محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصري، ومن حديث الحسن بن شاذان، وتساعيات مسلم للحافظ ضياء الدين المقدسي، وجزءاً فيه ما قرب سنده من حديث الحافظ إسماعيل بن أحمد السمرقندي، وجزءاً فيه ثلاثة أحاديث مسلسلة من رواية السلفي والحضرمي وابن مسلمة الشافعي، ومن فضائل الإسكندرية جمع الحسين بن عمر بن أبي إسحاق الفقيه، ومن حديث أبي الطيب الحوراني، ومن حديث أبي أحمد محمد البخاري، ومن فوائد القاسم علي بن عبد الرحمن بن الحسين النيسابوري، وقصيدة لأمية بن الصلت، وغيرها، وجزءاً فيه من الفوائد المنتقاة الحسان، وغير

---

(١) «الضوء اللامع»(١٢/ ٩١).

ذلك، تخريج عبد الرحمن بن أبي الفهم بن عبد المنعم العباسي ثم الدمشقي، ومجلسين أملاهما أبو سعيد أحمد البغدادي، ومن أمالي الحافظ أبي موسى المديني الأصبهاني بإجازاتها من عمر البالسي، والثلاثيات التي في مسند الإمام أحمد بن حنبل تخريج إسماعيل بن عمر المقدسي، وما فيها من الزيادة أيضاً، وجزءاً فيه أحاديث أبي محمد عبد الله بن جعفر بن إسحاق الجابري، ومن الفوائد التي انتقاها محمد بن مكي بن أبي الرجاء من مسموعات عبد الله بن أحمد الخرقي، والجزء الأول من حديث أبي عمر بن السماك وجعفر بن محمد بن نصر الخواص، وجميع مسند سعد بن أبي وقاص، وهو ثلاثة أجزاء، وجزءاً فيه من حديث أبي الفضل محمد بن علي السهلكي، وجزءاً فيه ما انتقاه أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، وأربعين الصاعدي، وشمائل الترمذي، وسمع عليها جزءاً فيه من أحاديث محمد بن عاصم، والفوائد والعوالي المنتقاة من حديث مالك بن أنس، وكتاب «المجلس الخمسين من أمالي أبي عبد الله الضبي»، وكتاب «القضاء» لشريح، وغيرها(١).

١٩ـ خديجة الأرموية(٨٩٩ هـ):

وهي خديجة بنت الموفق عبد الكريم بن محمد بن إسماعيل الأرموي الدمشقي الصالحي، من أفضل نساء دمشق وأعلمهن، سمعت على عائشة بنت عبد الهادي «مسند عمر» للنجاد، و «الزهد» لوكيع، و«مشيخة الشمس بن عبد الهادي»، وجزءاً من حديث علي بن عاصم بن صهيب، وقطعة من «ذم الكلام» للهروي، وكذا سمعت على الشمس محمد بن محمد المحب، وحدثت، وسمع منها الطلبة.

---

(١) أخبارها في «الضوء اللامع»(١٢/ ٩١)، «أعلام النساء»(٤/ ٥٣ـ٥٥)، «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص ١٣)، وجميع المخطوطات التي ذكرناها، وغيرها.

قال السخاوي: «وبلغني أن يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الماضي خرج لها أربعين، وأجازت لنا»[1].

توفيت سنة(٨٩٩ هـ)[2]، وذكر في «الضوء» أنها ماتت إما في سنة (٨٩٦ هـ)، أو قبلها، قال: «وهو أشبه»[3] ـ رحمها الله وإيّانا ـ[4].

ومن مشايخه الذين ذكرتهم كتب التراجم:

٢٠ـ أحمد الصفدي(٨٥٠ هـ):

وهو أحمد بن خفاجة، شهاب الدين الصفدي، شيخها وزاهدها، كان جيداً صالحاً خيراً، زاهداً عابداً، قانتاً، لأهل بلده فيه اعتقاد كبير، ولاسيما أنه لا يقبل لأحد شيئاً، وكان في أول أمره حائكاً، ثم تركها وتقنع بكروم له، مات بعد أن عمر طويلاً بصفد في (١٧) رجب سنة(٨٥٠ هـ)، ـ رحمه الله وإيّانا ـ[5].

وقرأ ابن عبد الهادي القرآن على الشهاب أحمد الصفدي[6].

٢١ـ البرهان الباعوني(٨٧٠ هـ):

وهو إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرح بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن البرهان، قاضي القضاة، أبو إسحاق بن الشهاب أبي

---

(١) «الضوء اللامع»(١٢/ ٢٩).
(٢) «التمتع بالأقران»(ص ١٢٢).
(٣) «الضوء اللامع»(١٢/ ٢٩).
(٤) «التمتع بالأقران»(ص ١٢٢)، «الضوء اللامع» (١٢/ ٢٩)، «مقدمة ثمار المقاصد»(ص ١٣)، «نقد الطالب لزغل المناصب»(ص ٥٧)، «أعلام النساء»(١/ ٣٥٣).
(٥) «الضوء اللامع»(١/ ٢٩٢).
(٦) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

العباس المقدسي الناصري الباعوني الدمشقي الصالحي الشافعي، الإمام العامل الفاضل البليغ.

ولد سنة(٧٧٧ هـ) بصفد، ونشأ بها، وحفظ القرآن وتلاه تجويداً، وحفظ بعض «المنهاج»، ثم انتقل قريباً من سن البلوغ مع أبيه إلى الشام، فأخذ الفقه بها على الشرف الغزي وغيره، ولازَمَ النور الأبياري، ودخل مصر قريباً من سنة (٨٠٤ هـ)، فأخذ عن السراج البلقيني، ولازمه سنة، وأخذ عن الكمال الدميري، ولازمه. وسمع إذ ذاك على العراقي والهيثمي، وتردد بها إلى غير واحد من شيوخها وعلمائها، ثم عاد إلى بلده، فأقام بها على أحسن حال وأجمل طريقة، وسمع على أبيه، والجمال بن الشرائحي، والتقي صالح بن خليل بن سالم، وعائشة بنت عبد الهادي، والشمس أبي عبد الله محمد بن محمد بن اليسر المؤذن بالأقصى، وباشر نيابة الحكم عن أبيه، والخطابة بجامع بني أمية، ومشيخة الشيوخ بالسميساطية، ورفض القضاء رفضاً باتاً، وصمم، ولم يذعن، ثم تولى مشيخة الخانقاه الباسطية عند الجسر الأبيض بالصالحية، وحُمدت سيرته في مباشراته كلها.

واختصر «الصحاح» للجوهري اختصاراً حسناً، وله تصانيف، وحدَّث، وأخذ عنه الفضلاء طبقة بعد طبقة، وصار شيخ الأدب بالبلاد الشامية بغير مدافع، وأخذ عنه ابن قاضي شهبة، والنجم بن حجي.

قال السخاوي: «لقيته بدمشق، وقرأت عليه أشياء، وسمعت من نظمه ونثره ما لا أحصيه، وعندي منها الكثير، وابتهج بقدومي، وبالغ في الثناء، والذكر الجميل»[1].

وكان جميل الهيئة، منور الشيبة، طوالاً مهاباً، ذا فصاحة وطلاقة وحشمة، ورياسة ومكارم، وتواضع وتودد، وعدم تدنس بما يحط مقداره،

---

(١) «الضوء اللامع»(١/ ٢٦ وما بعدها).

واقتدار على النظم والنثر بحيث كتب بخطه الحسن من إنشائه ما لا يحصى كثرة، وقد ترجمه بعض المتأخرين بالشيخ الإمام العلاّمة خطيب الخطباء، شيخ الشيوخ، لسان العرب، ترجمان الأدب، برهان النظر، فريد العصر، إنسان عين الدهر.

وقال المقريزي: «واجتمع بي مع والده بدمشق مراراً، ونعم الرجل هو»[1].

مات يوم الخميس رابع عشر ربيع الأول سنة(٨٧٠ هـ) بمنزله بالباسطية، وصلي عليه من الغد بجامع الحنابلة، ودفن بالروضة بوصية منه، وكانت جنازته حافلة حضرها النائب فمن دونه من الأمراء والأعيان، وجاء الخبر بذلك إلى الديار المصرية، فصلي عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر ـ رحمه الله وإيّانا ـ.

قلتُ: وله نظم جميل أحببت أن أذكره، منه قوله:

سَلِ اللهَ رَبَّكَ ما عِنْدَهُ ... ولا تسْأَلِ الناسَ ما عِنْدَهُمْ
ولا تبتَغي مِنْ سِواهُ الغِنىٰ ... وكُنْ عَبْدَهُ ولا تَكُنْ عَبْدَهُمْ

وقوله:

إذا اسْتَغْنَى بَنُو الدنيا بِمالٍ ... لَهُمْ جَمٍّ فَكُنْ باللهِ أَغْنىٰ
وإنْ مالُوا إلى الإكْثارِ فاقْنَعْ ... فإنَّ القَنْعَ كَنْزٌ لَيْسَ يَفْنىٰ

وقوله:

سَئِمتُ مِنَ الدنيا وصُحْبَةِ أهْلِها ... وأصْبَحْتُ مُرْتاحاً إلى نَقْلَتي مِنها
ووالله ما آسى عليها وإنني ... وإنْ رَغِبَتْ في صُحْبَتي راغِبٌ عَنْها
فَما زالتِ الأكدارُ مَحْفوفَةً بِها ... وما زالَ عنها دائماً ذُو النُّهىٰ يَنْهى

---

(١) «عقود المقريزي»(١/ ٦٢).

وقوله مما كتب في الصِّغَر على سماط الشهاب بن الهائم في النحو:

لِفَتى الهائِمِ فَهْمٌ قَدْ مَحا الإشْكالَ مَحْوا
مَدَّ بالقُدْسِ سِماطاً أَشْبَعَ الطُّلاَّبَ نَحْوا

ومنه:

أشكو إلى الباري أُناساً قدْ غَدَتْ مَلأى بأنواعِ المَخازي دُورُهُمْ
تَغْلي عَلَيَّ صُدرُهُمْ غَيْظاً كما تَغْلي على الجَمْرِ الكثيفِ قُدُورُهُمْ
هُمْ يُعْلِنُونَ لَدَى التِقاءِ مَوَدَّتي واللهُ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

ومنه:

أَشَدُّ الناسِ في الدنيا عَناءً كريمٌ مَجْدُهُ مَجْدٌ أثيلُ
يُحِبُّ مَكَارِمَ الأخلاقِ مِثْلي وليسَ لَهُ إلى الدُّنْيا سَبيلُ

ومنه في شروط الوضوء:

احْفَظْ شُروطاً للوُضوءِ نَظَمْتُها فَبِحِفْظِها يُعْنَى الفقيهُ البَارِعُ
تَمْييزٌ اسْلامٌ وماءٌ مُطْلَقٌ والعلمُ بالإطلاقِ شَرْطٌ رابِعُ
ثُمَّ النَّقا عَنْ حَيْضِها ونِفَاسِها وتَيَقُّنُ الحَدَثِ اشْتُرِطْ والسابِعُ
أَنْ يُمْكِنَ استِعْمالُهُ لا عَائِقٌ عنهُ وأنْ لا يَعْتَرِيهِ مَانِعُ
ولِدَائمِ الحَدَثِ اشْتُرِطْ مِنْ بَعْدِ ذا أيضاً دُخُولُ الوقتِ وهْوَ التاسِعُ

رحمه الله رحمةً واسعة، ونفعنا به، آمين(١).

وسمع ابن عبد الهادي على البرهان الباعوني(٢).

---

(١) «القلائد الجوهرية»(١/ ١٨٥)، «الضوء اللامع»(١/ ٢٦ـ٢٩)، «الدليل الشافي»(١/ ٧)، «شذرات الذهب»(٧/ ٣٠٩)، «عقود المقريزي»(١/ ٦١ـ٦٢)، «السلوك»(٤/ ١٠٧٥)، «الدارس»(٢/ ١١٢)، «زبد العلوم» ـ خ(٣١٩٢) ظاهرية ـ كتاب التاريخ والوفيات ـ ورقة (٤٦) (ص٢)، وغيرهم.

(٢) «سكردان الأخبار» لابن طولون، نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧).

٢٢ـ ابن الشريفة(٨٧١ هـ):

وهو أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الشهاب أبو العباس الحريري الدمشقي الصالحي، ويعرف بابن الشريفة.

ولد تقريباً في سنة(٧٩٦ هـ) بصالحية دمشق، ونشأ بها، فسمع على التقي عبد الله بن خليل الحرستاني، والعلاء علي بن أحمد المرداوي، والزين عمر البالسي، وحدَّث، سمع منه الفضلاء.

قال السخاوي: «ولقيته بدمشق، فسمعت عليه بصالحيتها، وبداريا أيضاً»[١].

وكان خيراً كبير الهمة، محافظاً على الجماعة بجامع الحنابلة، لا يفتر عن ذلك، وحجَّ، وزار بيت المقدس.

قال السخاوي: «ورأيت خطه في إجازة سنة (٨٦٨ هـ)، بل لقيه العز بن فهد سنة (٨٧١ هـ)، وأظنه مات قريباً من ذلك»[٢] ـ رحمه الله وإيانا ـ[٣].

وسمع ابن عبد الهادي الحديث الشريف من ابن الشريفة[٤].

٢٣ـ عمر العسكري(٨٨١ هـ):

وهو الشيخ عمر بن عبد الله العسكري، الفقيه الديّن الورع، زين الدين، أحد مشايخ الإقراء بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، قرأ واشتغل،

---

(١) «الضوء اللامع»(٢/ ٢٠٢).

(٢) «المرجع السابق».

(٣) «الضوء اللامع»(٢/ ٢٠٢)، «زبد العلوم» ـ خ ؛ ٣١٩٢) ظاهرية ـ كتب التاريخ والوفيات ـ ورقة(٤٦) (ص٢).

(٤) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧).

وتفقه، وحفظ «الخرقي»، و «الملحة»، وقرأ في كتاب «غاية المطلب» بعد ذلك، وأُذن له بالإفتاء، طويل أبيض رقيق، ولد بـ«عسكر» من قرى نابلس، ورحل إلى دمشق، وتفقه بالشيخ تقي الدين بن قندس، وغيره، وكان خيّراً ديّناً، توفي يوم الجمعة من العشر الأوسط من شهر جمادى الأولى سنة(٨٨١ هـ)، ودفن بعد الصلاة عند مقابر الشيخ أبي عمر، وكانت جنازته مشهودة[١].

وقرأ ابن عبد الهادي القرآن الكريم على الشيخ زين الدين العسكري كما صرح به الفضلاء[٢].

٢٤ـ محمد العسكري (٨٩٧ هـ):

وهو محمد بن الشيخ، بل أحد الأخيار، ناصر الدين بن عبدالله العسكري الصالحي، الشيخ الصالح المفيد، شمس الدين، مولده في حدود سنة(٨٣٠ هـ)، وحفظ القرآن الكريم، ثم «مختصر الخرقي»، و «ملحة الإعراب»، واشتغل وحصَّل، وأخذ عن ابن الكركي وغيره، ثم أقرأ الأطفال بمسجد الكوافي، ثم ولي مشيخة الإقراء بالحلقة الشرقية بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بن قدامة، ثم حج، وسمع بمكة «صحيح البخاري» على قاضي قضاة الحنابلة محيي الدين عبد القادر بن عبد اللطيف الحسيني المكي، ثم عاد وتسبب بقراءة «البخاري» و «مسلم» في السُّنة، وعنده ديانة وخير ومروءة.

---

(١) «الجوهر المنضد»(ص ١٠٩)، «التمتع بالأقران» (ص ١٦٢)، «متعة الأذهان» ـ خ ورقة(٦٩)، «القلائد الجوهرية»(١/ ٢٩٣، ٢/ ٥٩٤)، «المروج السندسية»(ص ١٠٨).

(٢) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦)، «الشذرات»(٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل»(ص ٦٨)، «معجم المؤلفين»(١٣/ ٢٨٩).

قال ابن طولون: «قرأت عليه القرآن، وسمعت من لفظه غالب «صحيح البخاري» بالمدرسة المذكورة، وأجاز غير ما مرة، وأنشدني مقاطيع»[١].

توفي ليلة الاثنين (١٢) شوال سنة (٨٩٧ هـ)، وصلي عليه بجامع الحنابلة، ودفن في حواقة الشيخ أبي عمر بن قدامة بسفح قاسيون - رحمه الله وإيانا ـ[٢].

وقرأ ابن عبد الهادي القرآن الكريم على الشيخ محمد العسكري كما صرح به الفضلاء[٣].

وأجاز لابن عبد الهادي الكثير من الأخيار، ومن مختلف البلدان، منهم: البرهان البعلي (٨٤٢ هـ)، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، وابن فهد (٨٧١ هـ)، والشهاب الحجازي (٨٧٥ هـ)، والتقي الشمني (٨٧٢ هـ)، وقاسم بن قطلوبغا (٨٧٩ هـ) وغيرهم[٤].

وهذه النبذة عن مشايخ ابن عبد الهادي تدل على مصادر تكوينه، وسعة ثقافته، واعتدال مزاجه، وسماحته، وعدم التعصب لمذهبه، وتنوع معارفه في جميع المعارف والعلوم، مع السمات البارزة لهؤلاء العلماء بالبشاشة وسعة الصدر، ورحابة الوجه، وكثرة العطاء، والصبر على التدريس والعطاء، مما يؤكد أهمية المعلمين، وأثر المشايخ والمدرسين والأساتذة في الطالب والتلميذ، ولذلك أوصى العلماء بوجوب الانتقاء والاختيار؛

---

(١) «السحب الوابلة» نقله عن «سكردان الأخبار»(ص ٤٥٥).

(٢) «المرجع السابق»، «القلائد الجوهرية» (١/ ٢٦٤، ٢/ ٥٩٤).

(٣) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦)، «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل»(ص ٦٨)، «معجم المؤلفين»(١٣/ ٢٨٩).

(٤) انظر في الجميع: جميع مصادر ترجمة ابن عبد الهادي.

لأن كثيراً من صفات الشيخ والأستاذ تنتقل إلى التلميذ مع العلم[1].

ونكتفي بهذا القدر من مشايخه لضيق المقام، مع العلم أنهم كثر، جمعهم - رحمه الله - في معجمين كبير وصغير كما تقدم، رحمهم الله جميعاً وإيّانا، وجمعنا وإياهم في دار المقامة، آمين.

❑ ❑ ❑

(١) «ابن كثير الدمشقي»(ص ٩٦).

الفصل الثالث

أعمال ابن عبدا لهادي ونشاطه العلمي

عاش الإمام يوسف بن عبد الهادي نحواً من سبعين سنة قضاها في العلم والتدريس، والتأليف والكتابة، وجاور أكثرها في المدرسة العمرية، وفيها كتب أكثر مؤلفاته العظيمة[1]، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ عازفاً عن المناصب الرسمية، أو الانشغال في الأعمال الحكومية، منصرفاً بكليته للناحية العلمية، ومتفرغاً للبحث العلمي والتدريس.

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «وكان يوسف كأكثر الحنابلة بعيداً عن الدنيا، راغباً في الآخرة، كارهاً للمناصب، عنده من الدنيا ما يكفيه، فقد عثرت وأنا أنقب في بعض كناشاته ومسوداته المحفوظة في الظاهرية على وثيقة بخطه يؤجر فيها بعض أراضيه بالغوطة»[2].

وبالجملة فلقد أفنى ابن عبد الهادي عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وتدريس وإفادة، صنف الكثير، ثم أخذ في قراءة العلوم وإقرائها حتى حظي بالشيء الكثير، ودرس وأفتى، وحدَّث، وناب في القضاء[3].

---

(١) «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ـ المقدمة ـ (ص١٤).

(٢) «المرجع السابق».

(٣) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦)، «الضوء اللامع»(١٠/ ٣٠٨)، «الشذرات» =

لذلك نرى أن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالى ـ قد تولى ـ إلى جانب إقرائه للقرآن الكريم جرياً على عادتهم في تلك العهود ـ الأعمال التالية :

أولاً ـ التحديث :

هذا جزء من عمل التدريس، ولكن يختص به بعض العلماء المعروفين بالحفظ والرواية، وممارسة التحديث، ويندر من يقوم بهذا العمل إلا الخواص المختصين به .

وكان الحافظ يوسف بن عبد الهادي من أعيان محدِّثي القرنين التاسع والعاشر، المشهورين بكثرة التصنيف وسعة الرواية، وممن وصفه بالحافظ تلميذه ابن طولون ـ رحمه الله ـ قال : «شيخنا الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن. . . »[(١)] .

وقال ابن طولون في موضع آخر : «الشيخ الإمام علم الأعلام المحدِّث الرحلة»[(٢)] .

وقال القاضي عبد القادر النعيمي عنه : «الشيخ العالم المصنف المحدِّث»[(٣)] .

وقال الغزي : «الشيخ الإمام العلامة، المصنف المحدِّث»[(٤)] .

وقال ابن الملا : «الشيخ العالم المحدِّث المصنف العلامة»[(٥)] .

= (٨/ ٤٣)، «النعت الأكمل» (ص ٦٩)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص ٨٤ وما بعدها) .

(١) «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ(٣٢١٦) ظاهرية ـ ورقة(٦٥) .

(٢) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧) .

(٣) «عنوان الزمان» ـ خ، نقله في «السحب الوابلة»(ص ٤٨٦)، «الدارس»(١/ ٤٢) .

(٤) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦) .

(٥) «متعة الأذهان» ـ خ ورقة(١٠٧ ب) .

وقال ابن العماد الحنبلي: «وكان إماماً علامة يغلب عليه الحديث والفقه»[1].

وممن وصفه بالحافظ أيضاً ابن كنان الحنفي في مقدمة «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» ليوسف بن عبد الهادي، قال: «وبعد، فقد سنح بالبال تلخيص تاريخ الصالحية للإمام الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدسي الصالحي»[2].

وقال الغزي العامري في ترجمة شيخنا: «. . . نخبة المحدِّثين، عمدة الحفّاظ المسندين، بقية السلف، وقدوة الخلف»[3].

وقال الكتاني: «يوسف بن المِبْرد الصالحي: هو الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن . . .»[4].

وممن وصفه بالحافظ النجمُ الغيطي (٩٨١ هـ) في «مشيخته»[5].

وقال الشيخ الشطي ـ رحمه الله ـ في ترجمة شيخنا: «الشيخ الإمام العلامة، نخبة المحدِّثين، عمدة الحفاظ المسندين»[6].

وقد أفاد ابن عبد الهادي طائفة كبيرة من التلاميذ والفضلاء من أهل الشام وغيرهم سماعاً وإجازة، إضافة إلى أولاده ونسائه وأقاربه، نجد أسماءهم على مؤلفاته؛ حيث أجازهم بروايتها عنه، ومنهم من برع في هذا المجال، وصار في عداد الأفاضل؛ كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).

(٢) «المروج السندسية»(ص ١، ٣، ١٠٥ وغيرها).

(٣) «النعت الأكمل»(ص ٦٨).

(٤) «فهرس الفهارس»(٢/ ١١٤١).

(٥) «المرجع السابق».

(٦) «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٣).

ثانياً ـ التدريس:

تولى ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ التدريس، بل أفنى عمره في هذا الأمر، وهو العمل الأساسي الذي أعطاه اهتمامه، ونفع الله به التلاميذ وطلاب العلم، وحقق الخير على يديه.

قال النجم الغزي عنه: «ودرس وأفتى»[١].

كذا قال ابن العماد الحنبلي[٢].

وقال الكمال الغزي: «... ثم أخذ في قراءة العلوم وإقرائها حتى حظي بالشيء الكثير، ودرس وأفتى»[٣].

وقال الشيخ الشطي ـ رحمه الله ـ: «ودرس وأفتى، وأجمعت الأمة على تقدمه وإمامته... أفنى عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وإفادة»[٤].

وقال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «عُمّر يوسف نحواً من سبعين سنة قضاها في العلم والتعليم والتأليف والكتابة»[٥].

ثم قال: «وظل يوسف يدرس ويعظ إلى أن توفاه الله»[٦].

ويبدو أن ما ذكره الدكتور طلس هو الصحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ؛ فإن آخر ما عثرنا عليه من تدريسه، وإجازاته لعدد من تلاميذه كان بتاريخ (٣) المحرم سنة (٩٠٩ هـ)، علماً بأن وفاته كانت في (١٦) المحرم من السنة

---

(١) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

(٢) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).

(٣) «النعت الأكمل»(ص ٦٩).

(٤) «مختصر طبقات الحنابلة» (ص ٧٣، ٨٦).

(٥) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص١٤).

(٦) «المرجع السابق».

نفسها؛ أي: قبيل وفاته بـ(١٣) يوماً فقط، ولعله ظل يدرس إلى ما بعد هذا التاريخ، والله أعلم[١].

وقد درس ابن عبد الهادي - رحمه الله - العلوم في عدة جوامع ومدارس، منها الجامع الأموي تحت قبة النسر، وجامع ابن طولون، وغيرهما، وفي المدرسة العمرية يوم الثلاثاء من كل أسبوع، بل تولى نظرها، ودرس أيضاً في المدرسة الأشرفية، ودار الحديث الضيائية، وغيرها من المدارس، كذا في منزله بالسهم الأعلى من الصالحية «الجسر الأبيض»[٢].

وكان - رحمه الله - يدرس في كل مكان يستطيع التدريس فيه، حتى في الخرائب.

قال ابن طولون في ذكر مدارس الصالحية: «ومنها المدرسة الشيرازية شرقي الصاحبة[٣]، كانت مدرسة للحنابلة، وقد دثرت، ولكن رأيت شيخنا الجمال بن عبدالهادي يدرس في فقه الحنابلة بمدرسة على هيئة مسجد فيه محراب بعمودين من رخام لصيق المدرسة الركنية الحنفية من الشرق، يفصل بينهما طريق آخذ إلى نهر يزيد وبئر ماء، فليحرر ذلك»[٤].

---

(١) انظر: «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» - خ (٣٢١٦) ظاهرية - ورقة(٦٦).

(٢) «القلائد الجوهرية» (١/ ٢٥٩)، «المروج السندسية»(ص ١٠٧-١٠٨)، «الجوهر المنضد»(ص ١٠٩)، «مجلة معهد المخطوطات العربية» المجلد(٢٦) الجزء (٢) (ص٧٧٧)، وانظر العديد من مخطوطاته ومخطوطات تلاميذه الذين أخذوا عنه الموجودة بالظاهرية، كذا في مواضع متعددة من مقدمة «ثمار المقاصد».

(٣) وفي «المروج السندسية» (ص٤٤): «شرقي الصالحية».

(٤) «القلائد الجوهرية»(١/ ٢٤٨).

ثالثاً ـ الفتوى :

وقد حصَّل ابن عبد الهادي الفقه الإسلامي من المذهب الحنبلي، بل فقه المذاهب على عدد كبير من الشيوخ كما تقدم، وأتقن معرفة الأحكام، وصنف فيها، وكان يمارس الفتوى بالحق والعدل والصدق والأمانة والإخلاص، بل كان ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ يأذن للطلاب بالفتوى كما جاء في ترجمة تلميذه الشيخ جمال الدين يوسف الصيداوي البعلي أبي محمد (٨٩٦ هـ)[١]، قال ابن عبد الهادي: «وأذنت له بالإفتاء والتدريس»[٢]. وقد تقدم أقوال الفضلاء الذين ترجموا لشيخنا في تدريسه وإفتائه في الفقرة السابقة[٣].

وهذا يدل على تمكن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ بالفقه، ومعرفة الأحكام الشرعية، وإخلاصه في علمه وعمله، وثقة الناس به، وأخذ الطلاب عنه الفقه والإذن بالفتوى.

ولقد أبقت لنا الأيام شيئاً من فتاويه المستقلة، وهي منثورة في مجاميع شتى بالظاهرية، لكنها صعبة القراءة، منها:

أ ـ فتاوي سنة(٩٠٢ هـ)، خ(٣٢١٢) ظاهرية (٥) ورقات(٣٥ـ٣٩).

ب ـ فتاوي وأسئلة فقهية، خ (٣٢١٢) ظاهرية (٤) ورقات (٧٩ـ٨٢).

ج ـ فتاوي ابن المِبْرد، خ(٣٢٤٩) ظاهرية (٤) ورقات (٥٥ـ٥٨).

د ـ فتاوي سنة (٩٠٥ هـ)، خ (١٩٠٤) ظاهرية (٣٧) ورقة (١٧٤ـ٢١٠).

---

(١) سنأتي على ترجمته ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) «التمتع بالأقران»(ص ٢٠٩).

(٣) وانظر: جميع مصادر ترجمته.

ولعله يوجد غيرها، وسنحاول تقديم شيء من فتاويه ـ رحمه الله ـ في الباب الأخير إن استطعنا قراءتها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

رابعاً ـ القضاء:

ولي ابن عبد الهادي قضاء دمشق، ذكر ذلك السخاوي رحمه الله قال: «. . . وناب في القضاء، وهو حي في سنة(٨٩٦ هـ)»[١]، وتبعه الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، قال في ترجمته: «أصله من القدس، ولد بدمشق، وولي قضاءها. . .»[٢].

خامساً ـ التأليف والتصنيف:

وهذا ظاهر، فقد كان ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ محباً للكتابة، سريع القلم، كثير التأليف، بل من أكثر العلماء المتأخرين تأليفاً، فإنه ما ترك فناً من فنون العلم إلا كتب فيه، حتى بلغت أسماء مصنفاته مجلداً[٣]، أبقت لنا الأيام مجموعة غير قليلة منها موزعة على مكتبات العالم كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وتقدم أنه أقبل على التصنيف في فنون متعددة في سن مبكرة، وساعده على التأليف ذكاؤه المفرط، وذاكرته القوية، وعلمه الواسع، وسرعته في الكتابة، ولكن مع سوء الخط والإعجام.

قال ابن طولون: «. . . وأقبل على التصنيف في عدة فنون، حتى بلغت

---

(١) «الضوء اللامع»(١٠/ ٣٠٨)، ولم يذكر ذلك غير السخاوي ـ رحمه الله ـ، ومن المعلوم أن ابن عبد الهادي كان عازفاً عن المناصب، كارهاً لها.

(٢) «مرجع العلوم الإسلامية» (ص ٤٥٨).

(٣) «فهرست الكتب ليوسف بن عبد الهادي» ـ خ(٣١٩٠) ظاهرية ـ ويقع في (٥٧) ورقة، وهو ناقص الآخر.

أسماؤها مجلداً رتبها على حروف المعجم. . .»[1].

وقال النعيمي: «الشيخ العالم المصنف المحدِّث . . . وقد صنف كثيراً»[2].

وقال ابن الملا: «الشيخ العالم المحدِّث المصنف العلامة . . . كتب كثيراً، وجمع أشياء كثيرة، وأوقف الجميع بمدرسة أبي عمر»[3].

وقال النجم الغزي: «وله مؤلفات كثيرة»[4].

وبه قال ابن العماد الحنبلي[5].

وقال الكتاني: «من أعيان محدثي القرن العاشر المشهورين بكثرة التصنيف، وسعة الرواية»[6].

وقال الشطي: «وكان كثير الكتابة، سريع القلم. . . أفنى عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وإفادة»[7].

وقال الدكتور أسعد طلس: «عُمِّر يوسف نحواً من سبعين سنة قضاها في العلم والتعليم والتأليف والكتابة»[8].

وقال الدكتور أسعد طلس في معرض حديثه عن «فهرست الكتب» ليوسف بن عبد الهادي: «ويحوي هذا السجل نحواً من (٦٠٠) كتاب،

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧ وما بعدها).

(٢) «عنوان الزمان» ـ خ نقله في «السحب الوابلة»(ص ٤٨٦).

(٣) «متعة الأذهان» ـ خ ورقة(١٠٧ ب).

(٤) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

(٥) «شذرات الذهب»(٨/ ٤٣).

(٦) «فهرس الفهارس» (٢/ ١١٤١).

(٧) «مختصر طبقات الحنابلة»(ص ٨٦).

(٨) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص١٤).

كلها ليوسف بن عبد الهادي، فقد كان يوسف كثير التأليف، محباً للكتابة . . . وابن عبد الهادي من أكثر العلماء المتأخرين تأليفاً، فإنه ما ترك فناً من فنون العلم إلا كتب فيه . . . فقد ثقف علوم عصره كلها . . . وكان معلمة إسلامية حية تعنى بالتعليم والكتابة والتأليف، ولا أدل على ذلك من إلقاء نظرة على ما أبقى لنا الدهر من مؤلفاته الكثيرة، ولقد تتبعت الموجود منها في دار الكتب الظاهرية، فإذا هو نيف وخمسون كتاباً في صنوف العلم»(١).

قلت: وهذا العدد في المكتبة الظاهرية وحدها، ويوجد الكثير من مخطوطات ابن عبد الهادي في العديد من مكتبات العالم، وسنأتي على ذكر ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقال الدكتور الخيمي: «. . . وسع جميع علوم ومعارف عصره، وقد صاغ هذه العلوم والمعارف كتباً ورسائل خطتها أنامله، ورددها لسانه دروساً ألقاها على طلابه الكثيرين في المساجد، وفي المدرسة العمرية في صالحية دمشق، وفي بيته الذي كان محجاً لطلاب العلم، وفي أماكن أخرى»(٢).

ولقد عقد الغزي ـ رحمه الله ـ مطلباً في بعض مؤلفات ابن عبد الهادي، قال: «مطلب في أسماء مؤلفات المترجم مولانا يوسف بن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ، وله من التصانيف ما يزيد على أربع مئة مصنف، وغالبها في علم الحديث، والسنن، فمنها . . .»(٣).

وقد ورد ذكر بعض تصانيفه ـ رحمه الله ـ في الكتب التي ترجمت له،

---

(١) «المرجع السابق» (ص ١٦، ١٧، ١٩).
(٢) «رسائل دمشقية» ليوسف بن عبد الهادي ـ المقدمة ـ (ص١٤)، «مجلة معهد المخطوطات العربية» المجلد (٢٦) الجزء الثاني (ص ٧٧٧).
(٣) «النعت الأكمل»(ص ٦٩ـ٧٢).

كذلك في كتب مختصة مثل «كشف الظنون» وذيله «إيضاح المكنون»، و «هدية العارفين»، وسنأتي على كل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وفي هذا الإطار عقد الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ مقارنة لطيفة بين صاحب رسالتنا وبين الإمام السيوطي ـ رحمهما الله تعالى ـ، قال: «يشبه ابن عبد الهادي معاصره جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) من وجوه شتى: فقد ذكروا أن للسيوطي نحواً من (٥٠٠) مؤلف، فيها الرسالة الصغيرة والكتاب الكبير، وكذلك كان يوسف[1]، وتشابها أيضاً في مناحي التأليف والجمع، فقد ألف السيوطي في كل فنون عصره: ألف في الحديث والفقه والأصول ... وأخبار الديك، وأخبار الجان والطب والبيطرة والنبات، و... ولكنه امتاز بالحديث وعلومه، وكذلك امتاز الحافظ ابن عبد الهادي بالحديث وعلومه.

قال في «الشذرات» في حوادث سنة (٩٠٩ هـ): «وكان ابن عبد الهادي إماماً علامة يغلب عليه الحديث والفقه، ويشارك في النحو والتصريف والتصوف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة».

وقال جميل الشطي في «مختصر الطبقات»: «وكان يغلب عليه الحديث والفقه، وله يد في التفسير والنحو والتصوف والتصريف والمعاني والبيان، وصنف ما يزيد على (٤٠٠) كتاب غالبها في الحديث».

وبعد فقد تشابه السيوطي وابن عبد الهادي تشابهاً جدّ قوي، ولكن السيوطي انتشر خبره، وعم ذكره بطبع آثاره وإحياء المصريين لها، ولا كذلك ابن عبد الهادي، فقد غمره التاريخ، وطمست آثاره، وجهله

---

(١) قال: انظر سجل كتبه بالظاهرية، و «قلائد عقود الجوهر فيمن لهم خمسون مؤلفاً فأكثر» لجميل العظم.

الناس على الرغم من كثرة تآليفه، ووفور علمه ـ رحمه الله ـ»[1].

كذلك فعل الدكتور صلاح الخيمي بعد أن ذكر ما يحتويه «فهرس كتب يوسف بن عبد الهادي» من الكتب، قال: «هذا أقل القليل من الكثير الكثير مما اطلع عليه وقرأه شيخنا الجليل المفكر يوسف بن عبد الهادي، ولهذا أستطيع أن أقول بأن يوسف يشابه جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) من وجوه شتى، فقد تشابها في غزارة الإنتاج وكثرته، وتشابها في مناحي التأليف والجمع، فكلاهما عني بأكثر الفنون والعلوم الشائعة في عصره، وبخاصة علوم الحديث والفقه والقرآن والنحو والتصوف والتأريخ والطب وغير ذلك .. ولكن السيوطي وجد من يعتني به وينشر آثاره، ولذلك فقد عم ذكره، وانتشر خبره، وعرفه الناس في الشرق وفي الغرب، أما يوسف بن عبد الهادي، فقد غمره التاريخ، وجهله الناس؛ لسوء خطه، وسوء حظه، على الرغم من كثرة تآليفه ووفرة علمه»[2].

قلت: وقد تفرغ الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ كلياً للكتابة عند بلوغه سن الأربعين، وترك ما عداها بإجماع المصادر، أما ابن عبد الهادي، فقد بقي يدرس ويفتي ويعظ و ... إلى أن توفاه الله كما تقدم ـ رحمهم الله وإيّانا ـ.

سادساً ـ جمع الكتب «خزانته»:

وقد أراحنا الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ من عناء البحث في ذلك حيث قال: «كان يوسف عالماً وذكياً وميسوراً، وهذه الصفات الثلاث ما اجتمعت في شخص إلا اقتنى الكتب وانتقاها، وزين بيته بها، يجد في

---

(١) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص١٧ـ١٨).

(٢) «رسائل دمشقية» ليوسف بن عبد الهادي ـ المقدمة ـ (ص١٦)، «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء (٢) (ص٧٧٨ـ٧٧٩).

ذلك لذة ومتعة، وكذلك كان ابن عبد الهادي؛ فقد جمع العلم والذكاء واليسار، فجمع طائفة نفيسة من الكتب، متحرياً جيد النسخ وأنفسها مما كتبه العلماء، ويعرف هذا من يلقي نظرة على كتاب وقفه الثمين الذين سجل فيه أسماء موقوفاته الخطية على المدرسة العمرية، وهو لا يزال محفوظاً في الظاهرية [ورقة (١٩) آداب](١)؛ فإن فيه أسماء طائفة كثيرة من الكتب بخط الحافظ الذهبي، وابن القيم، وابن الجوزي، وابن حجر، وشيخ الإسلام زكريا، وابن رجب، والجراعي، وغيرهم، وفي هذا الفهرست نحو من (٥٠) أو (٦٠) رسالة وكتاباً لابن القيم ولابن الجوزي، وأكثرها مجهول.

وهذا السجل في (١٥٠) صفحة، طول الصفحة (٢٠ سم)، وعرضها (١٤ سم)، كتبه بخطه بحرف دقيق متقارب السطور، لا يكتب من الكتاب إلا اسمه ومؤلفه وأجزاءه وناسخه، ويستغرق هذا الوصف نحواً من سطر في الغالب، ويحوي هذا السجل نحواً من (٦٠٠) كتاب، كلها ليوسف بن عبد الهادي، فقد كان يوسف كثير التاليف، محباً للكتابة، قال عنه الأستاذ الشطي: «.. وقد وقف جميع كتبه على المدرسة العمرية، وهي يومئذٍ آلاف مؤلفة، وصنف لها فهرسة في مجلده»(٢).

قلت: «ولا بأس أن أذكر طائفة من نفائس تلك الخزانة ..»(٣)، وذكر جملة من تلك الكتب.

وتبعه الدكتور صلاح الخيمي، فقال: «كان يوسف بن عبد الهادي عالماً ذكياً ميسوراً، وهذا ما مكنه من جمع طائفة نفيسة من الكتب في مختلف العلوم والفنون، وكان يتحرى أنفس الكتب وأجودها، وقد أورد

---

(١) «فهرست الكتب» ليوسف بن عبد الهادي ـ خ(٣١٩٠) ظاهرية.
(٢) «مختصر طبقات الحنابلة» (ص ٨٦).
(٣) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص١٤ـ١٧).

بعض أسماء هذه الكتب التي كان يملكها في مؤلف أورد فيه أسماء كتبه التي ألفها، والتي اشتراها، وقد كتب في أول هذا الفهرس العبارة التالية: فهرست الكتب، وقف كاتبه على نفسه، ثم على أولاده، ثم على أنساله وأعقابهم من بعدهم، وعلى من ينتفع منهم من الحنابلة، وقد ذكر في هذا المؤلف مئات الكتب التي بقي القليل منها في المدرسة العمرية التي نقلت فيما بعد إلى المكتبة الظاهرية، ثم إلى **مكتبة الأسد**»[١].

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «وهذه الفهرست قيمة جداً، وحرية بالنشر؛ لما تضمنته من ذكر كثير من المخطوطات التي كانت في دمشق في ذلك العصر[٢]، وقد ذكرنا في التمهيد أن ابن عبد الهادي سعى والشيخ موسى الكناني في عود أكثر من ألفي كتاب إلى مكتبة دار الحديث الضيائية بعد انفراط أمرها ونهبها من قبل «تيمورلنك» وغيره[٣].

سابعاً ـ نظم الشعر:

ومن النشاط العلمي الذي نتج عن تحصيل ابن عبد الهادي لعلوم العربية أن نظم الشعر، وكان نظمه كثيراً، وفي مختلف الأغراض، لكنه كان ضرباً من شعر الفقهاء المتضمن لعاطفة دينية صادقة، مع خلوه من الخيال الذي

---

(١) «رسائل دمشقية» ـ المقدمة ـ ص (١٥ـ١٦)، «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء الثاني (ص ٧٧٨، ٧٧٩). قال الدكتور الخيمي: «فهرس ما كتب ابن عبد الهادي ناقص من آخره، ولا يحوي جميع كتبه، وبعض ما تملكه الظاهرية غير مذكور في هذا الفهرس»، انظر: «المرجعين السابقين».

(٢) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة في الحاشية (ص١٦)، وهذا الفهرس يعمل على تحقيقه الأستاذ محمد الخرسه. انظر: «الرسا للصالحات من النسا» ليوسف بن عبد الهادي (ص ١٩).

(٣) «القلائد الجوهرية» (١/ ١٤٠).

هو لب الشعر وروحه، قال النجم الغزي: «وله نظم ليس بذاك»[1].

ومن شعره قصيدته الطويلة التي نظم فيها نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ومدحه، ثم مدح العشرة المبشرين بالجنة، وقد تقدم ذلك في نسبه.

ومن شعره في طلب رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعفوه[2]:

هَمُّ الخَلائِقِ في الأغراضِ يَنْشَعِبُ ... وليسَ في غيرِ ما يُرضيكَ لِي أَرَبُ

وقدْ أَسأْتُ فبالنُّعْمى التي سَلَفَتْ ... إلاّ مَنَنْتَ بِعَفْوٍ ما لَهُ سَبَبُ

وقال في مدح الصالحية[3]:

باللهِ إنْ جُزْتَ الصَّوالِحَ فاْقْرِها ... مني السلامَ ولا تَذُدْ عنْ صَدْرِها

شوقي يَزيدُ إلى مَحَلَّةِ أُنْسِها ... والقلبُ مني دائماً في ذِكْرِها

فالسَّهْمُ منها قدْ أصابَ لِمُهْجَتي ... والعينُ تَجْري مُذْ غَدَتْ في نَهْرِها

والجامعُ المشهورُ شَمْلي جامِعاً ... وبهِ مَدارُ الأُنْسِ صَبَّ بِنَعْرِها

والروضةُ الفيحاءُ ليسَ كَمِثْلِها ... وبِها الفحُولُ وسادَةٌ في قَعْرِها

فَهُمْ مُناي إنْ رَحَلْتُ وإنْ أُقِمْ ... وبِهِمْ سُروري في الحياةِ ونَشْرِها

ومن أبيات أخر في مدح الصالحية[4]:

وسَيّارٍ سَرَى حتى أتاكِ ... وكمْ شَدَّادٍ عندَكِ قدْ شَدَدْتِ

وحُزْتِ بالمُوَفَّقِ كلَّ خَيْرٍ ... وحُزْتِ الخيرَ منهمْ كُلَّ وقتِ

---

(١) «الكواكب السائرة»(١/ ٣١٦).

(٢) «جزء في فضل التروية وعرفه وأحاديث مجموعة مخرجة من الأصول» ـ خ رقم(١٠٣٩) ظاهرية ـ ورقة(١٠٣).

(٣) «القلائد الجوهرية»(٢/ ٥١٣).

(٤) «المرجع السابق»(٢/ ٥١٤).

ومن شعره في الزهدِ:[1]

شكوتُ إلى الرِّفاقِ عَسيرَ أمْري فما حَنُّوا عليَّ وعِيلَ صبري
ونـاديـتُ الأمـانَ فـإنَّ نفسـي تـذوبُ ومُقْلَتي تجري لِهَجْري
إذا سـارَ المَطِـيُّ فـأَيْقِظُـونـي لعـلَّ النفسَ تعلـمُ كيفَ تَسْري
نَعَـمْ تَسْري المَطايا في هـواها لَهـا فـي الحُـبِّ صَبْـرٌ أيُّ صَبْـرِ

وقال عند توجه الحجاج إلى الديار المقدسة قصيدة طويلة، هذه مختارات منها[2]:

يـا سـائـريـنَ ونـاظِـري يَتَطلَّعُ رِفْقـاً عَلَـيَّ فـإنني أَتَصـدَّعُ
أضْـرَمْتُمـو نـارَ الغـرامِ بِمُهْجَتـي وتـركْتُمُـو العبـدَ الغـريـبَ مُضَيَّعُ
قلبـي تَفَتَّـتَ قـدْ رَحَلْتُـمْ سـادَتـي فتُرى تُرى يا سادَتي هلْ نَرْجِعُ
فمتـى أُرانـي بـالعقيـقِ مُخَيِّمـاً ومتـى أُرانـي بـالنَّقَـا أَتَلَمَّـعُ
ومتـى أرى فـي طيبـةٍ لـي طيبَـةً ومتـى أرى سَلْعـاً وعيني تَـدْمَـعُ
وأرى ثَنِيّـاتِ الـوَدَاعِ وأُنْسَهـا وأرى المـآذنَ والشُّعـاعَ يُشَعْشِـعُ
وأَزورُ رَوْضـاً بـالكَمـالِ مُحَمَّـلاً وأُنـادِ قـومـاً بـالمَقـامِ وأضْـرَعُ

---

(١) «مخطوط» رقم(٣١٨٦) ظاهرية ـ أوله الإغراب في حكم الكلاب ـ ورقة(٦١) (ص١).

(٢) «مجلة معهد المخطوطات» مجلد (٢٦) الجزء(٢)، مقالة للأستاذ صلاح الخيمي، (ص٨٠٧)، عن كتاب لابن طولون جمع فيه مجموعة كبيرة من شعر شيوخه، منهم عائشة الباعونية، ويوسف بن عبد الهادي.
قلت: ولقد بحثتُ في معظم مؤلفات ابن طولون، ولم أعثر على المطلوب، فياليته أحالنا إلى المصدر.

ومن شعره في شهر رمضان المبارك[١]:

سَلامٌ مِنَ الرحمنِ كُلَّ أَوانِ ... على خيرِ شَهْرٍ قدْ مضى وزَمانِ
سلامٌ على شَهْرِ الصيامِ فإنهُ ... أمانٌ مِنَ الرحمنِ أيُّ أمانِ
لَئِنْ فَنِيَتْ أيّامُهُ الغُرُّ بَغْتَةً ... فمَا الحزنُ من قلبي عليهِ بِفَانِ

وقال فيمن خسر أيام رمضان المبارك، ثم ندم على التفريط حين لا ينفعه الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم[٢]:

أَتَتْرُكُ مَنْ تُحِبُّ وأنتَ جارٌ ... وتَطْلُبُهُمْ إذا بَعُدَ المَزارُ
وتَبْكي بعدَ نأْيِهِمُ اشْتِياقاً ... وتسأَلُ في المنازِلِ أينَ سارُوا
تركتَ نوالَهُمْ وهُمُ حُضورٌ ... وترْجُو أنْ تُخَبِّرَكَ الديارُ
فَنَفْسَكَ لُمْ ولا تَلُمِ المَطايا ... ومُتْ كَمَداً فليسَ لكَ اعْتِذارُ

وقال عند موت والده وبعض أولاده قصيدة طويلة، منها[٣]:

لا عُدْتُ مِنْ بَعْدِ الأحبَّةِ أفرَحُ ... بلْ صِرْتُ منهُمْ كلَّ حينٍ أُجْرَحُ
قدْ كنتُ فيهمْ بُرْهَةً مُتَنَعِّماً ... والقلبُ مني في رُباهُمْ يَصْدَحُ
مَنْ كانَ يَسْلو عن حبيبٍ في الهوىٰ ... فأنا الذي بِفؤادِهِ لا يَنْدَحُ
إنْ حَلَّ قتلي في هوَاكُمْ فاقْتلوا ... فالعبدُ عنكمْ سادَتي لا يَبْرَحُ

ولقد عاش الإمام يوسف بن عبد الهادي حياته كلها يتألم، وهو يرى الحكام المماليك يذيقون الناس الظلم والويلات، وكان يظن بأن الحكام العثمانيين أرحم من المماليك، لذلك نراه يمدح سلطان الأتراك محمد بن

---

(١) «معارف الأنعام وفضل الشهور والصيام» ـ خ(١٤٦٣) ظاهرية ـ وانظر: «ثمار المقاصد»(ص ٢٠).

(٢) انظر: «المصدرين السابقين».

(٣) «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء(٢) (ص٨٠٧).

عثمان «الفاتح» ثم ابنه بايزيد، وقد كان محقاً في ذلك لفتحهم القسطنطينية ولحروبهم في أوربا، ومن المعلوم أن الأتراك لم يدخلوا الشام إلا بعد وفاة شيخنا بـ(١٣) سنة، وفي زمن السلطان سليم الأول، وقد قال في مدح السلطان محمد الفاتح قصيدة طويلة نختار منها[1]:

ما للمَحاسِنِ عندَ نُورِكَ تَخْجَلُ ... يا مَنْ به أضحى الوجودُ مُكَمَّلُ

مـاذا يقـولُ الـواصفـونَ لفضْلِـهِ ... خَرِسَ الجميعُ وأَحْجَمُوا أَنْ يَدْخُلوا

اللهُ أكبـــرُ أنْ يكـــونَ بِعَصْـــرِهِ ... رجـلٌ يُقـارِبُ شَكْلَـهُ أو يَبْـذُلُ

أنتَ الذي خَضَعَ المُلوكُ لأمرِهِ ... يـا مَـنْ ظَلَّـتْ صِفـاتـي تَشْغُـلُ

مَـنْ رامَ يُنْكِـرُ فَضْلَـهُ بِلسـانِـهِ ... خَرِسَ الخبيثُ وقالَ ما لا يُقْبَلُ

دُرْ في البلاد بأسْرِها يا لائِمي ... تَجِـدِ المُلـوكَ بِعِـزِّهِ يَتَجَمَّلـوا

حارَتْ ملوكُ الكفرِ لمّا حازَها ... خَبِلُـوا بـهِ وتَخَمَّلُـوا وتَعَطَّلُـوا

كُـلُّ الملـوكِ تُقِـرُّ أنَّـكَ رأْسُهـا ... وعليكَ كُلٌّ في الفِعـالِ يُعَـوِّلُـوا

سَيْـفٌ هُمَـامٌ صَـارِمٌ مُتَقَـدِّمٌ ... سَيْـفُ البِحـارِ بِجَيْشِـهِ يَتَهَلَّـلُ

نارُ المَجوسِ بأسْرِها قدْأُخْمِدَتْ ... ومِنَ المَحارِقِ والمتالِفِ خُلْخِلُوا

عندي حديثٌ إنَّ جيشَكَ غالبٌ ... وبِـكَ الأعـادي كُلُّهُـمْ يَتَحَـوَّلـوا

بـــادِرْ إليهـــم . . . .[2]

واخْـرِجْ إليهـم كُـلَّ حيـنٍ عُصْبَةً ... فَسَيَظْفَرونَ ويَرْجِعوا لا يُخْذَلُوا

---

(١) مخطوط (٣١٩٢) ظاهرية ـ ورقة (١٧٥) (ص٢)، أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، قال كاتبه يوسف بن حسن بن عبد الهادي في مدح السلطان محمد بن عثمان»، وهي في (٣٩) بيتاً تقريباً، قال في آخرها في ورقة (١٧٧) صفحة(١): «وفي أولها مرموز اسم قائلها ومن قيلت فيه، في كل أول سطر حرف، فليعلم ذلك، وفرغ منها نهار الاثنين ١٧ ربيع الآخر سنة (٨٧٧ هـ)».

(٢) غير مقروء بسبب تفشي الأحماض.

لا تَخْشَ مِنْ أُمَمٍ تخالِفُ رَبَّها   وتُطيعُ ذَرْياً كاذباً يَتَحَيَّلُ
هاوي رُؤوسِ الكُفْرِ.......[1]   ويا مَنْ عندَكَ كُلُّهُمْ قدْ زُلْزِلُوا
لي منكَ حَظٌّ في المَحَبَّةِ ظاهِرٌ   وعليكَ نُطْقِي بالمَديحِ يُعَوّلُ
حَدْسِي بأنَّ المَدْحَ فيكُمْ قُرْبَةٌ   وبهِ إليكَ سادَتي أَتَوصَّلُ

وقال في مدح السلطان بايزيد بن محمد الفاتح[2]:

زَمانٌ قدْ تَشَرَّفَ بالسعيدِ   فَمَهْما شِئْتَ قُلْ لِأَبي يَزيدِ
إمامٌ ليسَ يُشْبِهُهُ إمامٌ   ومِنْهُ الجُودُ يَظْهَرُ بالمَزيدِ
سعيدٌ في السعادةِ لا يُجارىٰ   إمامٌ قدْ تَحَصَّنَ بالجُنودِ
شَريفٌ بالمَكارِمِ لا يُضاهىٰ   عفيفٌ في الحُدُورِ وفي الصُّعُودِ

ومن نظمه في وصف بعض حروب محمد الفاتح وابنه بايزيد في أوروبا، ولعلها في فتح القسطنطينية، يقول[3]:

جاهِدْ بِعَزْمِكَ في البلادِ ونادِ   وابْرُزْ إليهمْ صارِخاً في النادي
واشْدُدْ بِحِزْبِ اللهِ والجيشِ الذي   قدْ زانَهُ الجَبَّارُ بالإسْعادِ
جيشُ السعادةِ والأمانَةِ والتُّقىٰ   لا يَرْهَبُون منَ العَدُوِّ الصَّادي
يأتونَ بابَ مدينةٍ مَبْنِيَّةٍ   نِصْفٌ لها في البحرِ ذاتُ سَوادِ
والنصفُ منها في البَراري خارِجٌ   كالعُدْوَتَيْنِ لِنَشْرِهِ وجَرادِ
فَدَنَوْا إليها قائلينَ بِجَمْعِهِمْ   اللهُ أكبرُ للإلهِ الهادي
ثَنَّوا بتَهْليلٍ وتكبيرٍ كذا   يَتَصارَخُونَ تَصارُخَ العُبّادِ

---

(١) غير مقروء بسبب تفشي الأحماض.
(٢) «التغريد بمدح السلطان السعيد أبي النصر بايزيد» ـ خ(٣١٩٤) ظاهرية ـ ورقة(٩٧)، وانظر: «ثمار المقاصد»(ص ٣٤).
(٣) انظر: «المرجعين السابقين».

ومن نظمه[1]:

إنَّ الجهاتِ لِكُلِّ شخصٍ سِتَّةٌ فافْهَمْهُ عني فَهْمَ ذي إتْقانِ
فوقٌ أمامٌ واليمينُ ثلاثةٌ والعكسُ فيها واضحُ البرهانِ

وقد تضمنت بعض مؤلفاته أشعاراً كثيرة له، ولغيره، كما أورد له تلميذه ابن طولون في مجاميعه الشعرية أشعاراً أخرى، ولعل المتتبع لها يظفر بمجموعة جيدة من شعره.

ثامناً ـ المكانة العلمية والاجتماعية:

تبوأ الإمام يوسف بن عبد الهادي ـ رحمه الله سبحانه وتعالى ـ مكان الصدارة اجتماعياً وعلمياً، وذلك لعلمه وعمله وفضله، ومواقفه وآرائه، وعدله واعتداله في النظر إلى الأمور والحكم عليها، وسنأتي على تفصيل بعض ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ، وعليه فقد أطلق عليه لقب «العالم العامل»، ولعل هذا اللقب هو الغاية في المكانة العلمية الاجتماعية، قال تلميذه المحدث ابن طولون في ترجمته: «الشيخ الإمام، علم الأعلام، المحدِّث الرحلة، العلاّمة الفهامة، العالم العامل، المتقن الفاضل، جمال الدين أبو المحاسن وأبو عمر . .»[2].

ووصفه آخرون منهم الكمال الغزي والشيخ الشطي ـ رحمهما الله تعالى ـ بقولهما: «بقية السلف، قدوة الخلف . . . وأجمعت الأمة على تقدمه وإمامته، وأطبقت الأئمة على فضله وجلالته»[3].

وقد تقدم أن ابن عبد الهادي كان أستاذاً مدرساً في العديد من جامعات

---

(١) «متعة الأذهان» ـ خ ورقة (١٠٧ ب).
(٢) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص ٤٨٧).
(٣) «النعت الأكمل» (ص ٦٨، ٦٩)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص ٨٣).

عصره، بل كان عميداً لأعظم جامعة في وقته، وهي المدرسة العمرية، إضافة لنيابته في القضاء وإفتائه وإذنه لغيره بالإفتاء، وامتحان الطلبة وإجازتهم وتحديثه، وحضوره ـ رحمه الله ـ إسماعات كبار العلماء، منها ما رواه النعيمي في معرض حديثه عن دار الحديث الأشرفية البرانية المقدسية بسفح قاسيون حيث قال: «فوائد: الثالثة: أسمع بها قاضي القضاة نظام الدين أبو حفص عمر بن أقضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن مفلح ونائبه الشمس أبو عبد الله محمد بن عمر بن ثابت الدروسي الحنبليان مشيخة أبي محمد عيسى بن عبد الرحمن المطعم المقدسي الدلال تخريج الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي له يوم السبت ثالث جمادى الآخرة سنة (٨٩٧ هـ) بحضور المحدِّث جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي ـ رحمهم الله سبحانه وتعالى ـ»[(١)].

وتظهر مكانة ابن عبد الهادي العلمية والاجتماعية جلية من خلال عرض كبار علماء عصره لكتبهم وإجازاتهم المختلفة عليه، منها ما ذكره ابن طولون الحنفي (٩٤٤ هـ) في ترجمته لنفسه قال: «. . . ثم حفظ «تلخيص المفتاح» للقاضي جلال الدين القزويني، و«الشمسية» في المنطق للكاتي، و «التبصرة والتذكرة» المشهورة بالألفية في علوم الحديث للحافظ زين الدين العراقي، و «حرز الأماني ووجه التهاني» في القراءات السبع لولي الله أبي القاسم الشاطبي، و «الدرة» في القراءات الثلاث تتمة العشرة لشيخ القراء الشمس بن الجزري، وعرضهم على جماعة، منهم المحدِّث جمال الدين بن عبد الهادي، وكان عرض عليه الكتب قبل ذلك، وكتب: فقد عرض عليّ الولد النجيب الحاذق . . . أسعده الله بالعلم، وزينه بالحلم،

---

(١) «الدارس في تاريخ المدارس»(١/ ٤٢).

وهو جدير بأن ينبل قدره، ويرتفع مع العلماء ذكره، وفي غضون حفظه لهذه الكتب تلا القرآن بالسبع إفراداً وجمعاً من طريقي «الشاطبية» وأصلها «التيسير» لأبي عمرو الداني، وما وافق ذلك من الكتب المشهورة على العلامة محيي الدين الأربدي المقرىء، وكتب له إجازة . . . واجتهد في الطلب، فتم اجتهاده . . . وهاجر من تلقاء نفسه إلي، واشتغل عليّ، إلى آخر الإجازة، وهي في أربعة كراريس بخطه مؤرَّخة بتاسع ربيع الأول سنة (٩٠١ هـ)، وأشهد عليها في آخرها خلقاً منهم عمي القاضي جمال الدين بن طولون الحنفي، والعلامة أبو الفتح المِزي الشافعي، والعلامة شهاب الدين بن البغدادي الحنبلي»[١] .

ولعل ما ذكرناه يبين جانباً من المكانة العلمية والاجتماعية الرفيعة التي وصلها ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ، وسنأتي على بعض مواقفه السديدة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

❑ ❑ ❑

(١) «الفلك المشحون في أحوال ابن طولون»(ص ٨ـ١٠).

الفصل الرابع

تلاميذ ابن عبد الهادي وإنتاجه

تقدم أن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ قد أفنى عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وتدريس وإفادة، ارتحل إليه الطلبة من كافة المذاهب، وصنف الكثير، ويتضح من كل هذا أنه ـ رحمه الله ـ كان من صنف العلماء المعطاء، الذين جادوا بعلمهم، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمصنفاته الكثيرة، كما انتفع الطلاب به، وامتلأت المجالس باسمه وعلمه في حياته، ومكتبات العالم بمخطوطاته، وإن كان من المؤسف والمحزن أن تبقىٰ غالبية مؤلفاته مخطوطة لم ترَ النور بعد كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

ويتمثل عطاء ابن عبد الهادي في تلاميذه، وإنتاجه الذي سطره، وهو ماخصصنا له هذا الفصل.

أولاً ـ تلاميذ ابن عبد الهادي:

اشتغل ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بالتدريس، بل وأفنىٰ عمره في هذا المجال كما تقدم، وقد أفاد عدداً لا يحصى من التلاميذ، إضافة إلى أولاده وأزواجه وأقاربه، نذكر منهم وحسب سني وفاتهم:

١ ـ الشيخ فضل بن عيسىٰ النجدي (٨٨٢هـ):

قال ابن عبد الهادي: «صاحبنا، قرأ عليّ «المقنع» وغيره، ذو دين وفضل كاسمه، توفي سنة (٨٨٢هـ) بالصالحية، وجعلني وصيه، ودفن

فوق الزاوية من جهة الغرب»[1] ـ رحمه الله وإيانا ـ.

٢ـ الشيخ علاء الدين علي بن عمر بن عز الدين الصالحي (٨٨٨هـ):

أخذ الحديث عن ابن عبد الهادي، وظهر أمره بـ«بعلبك»، وحصَل وبرع، وتوفي سنة (٨٨٨هـ) ودفن بالروضة[2].

٣ـ الشيخ سعد الله العجمي الحنفي (٨٩٠هـ):

ناب في القضاء بدمشق، ثم ولي إمامة صخرة بيت المقدس، قال ابن طولون: «وسمع معنا في المسند على ابن المِبْرد»[3] ـ رحمهم الله وإيانا ـ.

٤ـ عمر بن أحمد الشغري الحنبلي (٨٩٢هـ):

الشيخ الأديب صاحب النظم الكثير، وله ديوان شعر، وقد امتحنه الناس من أهل الدهر في الدلهم، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٩٢هـ).

قال ابن عبد الهادي: «اشتغل وقرأ عليّ في «الخرقي» وغيره، وله ديوان شعر قرأ غالبه عليّ»[4].

٥ـ يوسف الصيداوي الأصل البعلبكي الحنبلي (٨٩٦هـ):

الشيخ جمال الدين أبو محمد، قال ابن عبد الهادي: «أخونا وصاحبنا، أخذ عن غالب شيوخي بإفادتي، وصحبني مدة، وأخذ عني الكثير، وخرج لنفسه مشيخة بإفادتي، وقرأ بها عليّ حتى أسمعتها لأولادي، وذكرته في معجمي، وله نظم حسن، نقلت عنه منه طرفاً، وكذلك ذكرته في «المعجم».

---

(١) «الجوهر المنضد» (ص١١٢).

(٢) «التمتع بالأقران» (ص١٥٢).

(٣) «المرجع السابق» (ص١٢٥).

(٤) «المرجع السابق» (ص١٦١).

وعنده ديانة ومروءة، وأذنت له بالإفتاء والتدريس، توفي سنة (٨٩٦هـ)»[١] ـ رحمه الله ـ.

٦ـ ابن خطيب السقيفة (٨٩٧هـ):

وهو محمد بن محمد بن إسماعيل بن خطيب السقيفة، الشيخ صدر الدين، قال ابن عبد الهادي: «اشتغل وحصّل وأخذ عن عدة مشايخ بإفادتي، وأخذ عني»[٢]، توفي ـ رحمه الله ـ يوم الأربعاء (١٤) شوال سنة (٨٩٧هـ)، ودفن عند والده[٣].

٧ـ أبو بكر الموصلي (٨٩٨هـ):

وهو أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن أبي بكر الشيباني، الشيخ صدر الدين بن الشيخ شهاب الدين بن زين الدين الإمام تقي الدين الموصلي ثم الدمشقي الميداني الشافعي الأشعري، أخذ الحديث عن ابن عبد الهادي وغيره، اشتغل وحصّل وبرع، وله مصنف في التوحيد[٤].

٨ـ يوسف العجلوني (٨٩٩هـ):

وهو الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الله العجلوني الصالحي الشافعي، مولده في حدود سنة (٨٥٠هـ)، حفظ القرآن الكريم، و«غاية الاختصار»، و«ملحة الإعراب» واشتغل وبرع، وسمع على الشيخ صفي الدين الحنبلي وجماعة، وتفقه بالنجم ابن قاضي عجلون، ولازم الجمال بن المبرد[٥]،

---

(١) «المرجع السابق» (ص ٢٠٩).
(٢) «المرجع السابق» (ص ١٩٣).
(٣) «المرجع السابق».
(٤) «المرجع السابق» (ص ١١٦).
(٥) «متعة الأذهان» ـ خ ورقة (١٠٩).

قال ابن المبرد: «يوسف العجلوني الشافعي، أحد فقراء مدرسة أبي عمر، قرأ عليّ الكثير، توفي في آخر القرن (٨٩٩هـ)».

٩ـ حسن بن مفرج (٩٠٣هـ):

وهو حسن بن مفرج بن عبد الله الصالحي الحنبلي، الشيخ الصالح أبو أحمد، قال ابن عبد الهادي: «اشتغل معنا قديماً، وقرأ «المحرر» للمجد بن تيمية، وغيره، وأخذ عني الكثير، ثم تكسب بالتجارة، وعنده ديانة ومروءة وخير، وله مشاركة في العلم»[١]، توفي مقتولاً بأرض البقاع سنة (٩٠٣هـ) ـ رحمه الله وإيانا[٢] ـ.

١٠ـ حسن الماتاني (٩٢٣هـ):

وهو حسن بن علي بن محمد الشيخ الفاضل بدر الدين الدمشقي الصالحي الشهير بالماتاني، سمع من ابن عبد الهادي وغيره. : وهو من أشهر تلاميذه. : وكان له استحضار عظيم في السيرة، ومعقول حسن ومحبة لأهل الحديث، قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «إن الماتاني هذا من كبار محدِّثي دمشق، وهو أحد رواة الحديث المسلسل بالحنابلة الذي يقال له: سلسلة الذهب، ولا يوجد حديث عندهم أصح منه»[٣].

قال ابن العماد في ترجمة مسند الدنيا الفخر البخاري (٦٩٠هـ): (وقد دخل بيني وبين النبي ﷺ في أحاديث لا تحصىٰ، منها الحديث المسلسل بالحنابلة الذي يقال له: سلسلة الذهب، ولا يوجد حديث أصح منه، وهو ما حدثني به أستاذي الشيخ أيوب بن أحمد بن أيوب، وهو سبط الشيخ موسىٰ الحجاوي الحنبلي، قال: روينا عن الشيخ إبراهيم ـ يعني ابن

---

(١) «المرجع السابق».
(٢) «المرجع السابق» (ص ١٢٠).
(٣) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص ١٤).

الأحدب ـ قال: روينا بعموم الإذن إن لم يكن سماعاً عن النجم بن حسن الماتاني الحنبلي قال: ثنا أبو المحاسن يوسف بن عبد الهادي الحنبلي، ثنا جدي أحمد بن عبد الهادي الحنبلي . . . «لا يَبِعْ بَعْضُكمْ على بَيْعِ بَعْضٍ . . .»[1] .)[2] .

وتوفي الماتاني ـ رحمه الله ـ ليلة الأربعاء (١٢) شعبان سنة (٩٢٣هـ)، ودفن بالخميسات عند مقبرة شيخ الإسلام أبي عمر بسفح قاسيون[3] .

١١ـ ابن الكيال (٩٢٦هـ):

وهو إبراهيم بن قاسم بن محمد، الشيخ الفاضل المحدِّث، برهان الدين بن الشيخ شرف الدين الشهير بابن الكيال الدمشقي، ولد سنة (٨٤٤هـ)، وحدّث.

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الثلاثاء (١١) صفر سنة (٩٢٦هـ)[4]، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبر أوس بن أوس الثقفي، ـ رضي الله عنه[5] ـ.

قال ابن عبد الهادي: «أخونا وصاحبنا أحد عمال الجامع الأموي، قرأ عليّ، وأخذ عني وعن جماعة من المشايخ، وعنده معرفة ومروءة»[6] .

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب البيوع ـ باب لا يبع على بيع أخيه (٢١٣٦) ٣/ ٣٤، ورواه مسلم ـ كتاب البيوع ـ باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه (٧) ـ ٣/ ١١٤٥ .

(٢) «شذرات الذهب» (٥/ ٤١٥).

(٣) «الكواكب السائرة» (١/ ١٧٨)، «التمتع بالأقران» (ص ١٢٠)، «النعت الأكمل» (ص ٩٦، ٩٧).

(٤) وفي «الكواكب السائرة» و«شذرات الذهب» توفي سنة (٩٢٤هـ).

(٥) «التمتع بالأقران» (ص ١٠٧)، «الكواكب السائرة» ١/ ١٠٩، «شذرات الذهب» ١٢٨/٨ .

(٦) «التمتع بالأقران» (ص١٠٧).

١٢ ـ موسى المرداوي (٩٢٦هـ):

وهو موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ بن عبد الله بن أيوب الشرف الكناني الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، الشيخ الإمام الصالح المعمر، شرف الدين أبو عمران، الشهير بابن الفقيه أيوب، الفقيه الأصولي المحدِّث.

ولد تقريباً سنة (٨٤٨هـ) بقرية «مردا» من أعمال نابلس، وحفظ القرآن الكريم، و«المقنع»، و«ألفية ابن مالك»، وقرأ الكتب الستة، وغيرها، وسمع على جماعة، ويوسف بن عبد الهادي، وتفقه به وبالشيخ علاء الدين المرداوي، وكتب الكتب الكبار، وأجازه السخاوي سنة (٨٩٦هـ)[١].

قال ابن عبد الهادي: «اشتغل وقرأ عليّ وحصّل»[٢].

١٣ ـ عبد القادر النعيمي (٩٢٧هـ):

وهو عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعيم النعيمي، الشيخ العلامة الرحلة المؤرِّخ المحدث، أبو المفاخر محيي الدين النعيمي الدمشقي الشافعي، أخذ عن عدة مشايخ، وصنف منها «الدارس في تاريخ المدارس»، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩٢٧هـ)[٣].

وقد ردد النعيمي ذكر ابن عبد الهادي في «الدارس»، ولقبه بـ «شيخنا» عدة مرات[٤].

---

(١) «التمتع بالأقران» (ص٢٠٢)، «الضوء اللامع» (١٠/ ١٧٦).

(٢) «التمتع بالأقران» (ص٢٠٢).

(٣) «الكواكب السائرة» (١٥/ ٢٥٠)، «الشذرات» (٨/ ١٥٣)، «هدية العارفين» (١/ ٥٩٨).

(٤) «الدارس في تاريخ المدارس» (١/ ٣٨٤)، (٢/ ٥٠) وغيرها.

١٤ـ يوسف بن طولون (٩٣٧هـ):

وهو يوسف بن محمد بن علي بن طولون الزرعي الدمشقي الحنفي، شيخ الإسلام، القاضي جمال الدين عم الشمس بن طولون، مولده سنة (٨٦٠هـ) بالصالحية، وقرأ القرآن، وحفظ عدة كتب، وأجازه كثيرون.

قال ابن عبد الهادي: «نشأ نشأة حسنة، وأخذ عني، واشتغل عليّ قديماً، وبرع وناب في الحكم»(١).

توفي ليلة الأحد (٤) المحرم سنة (٩٣٧هـ)، ودفن بالصالحية ـ رحمه الله وإيانا(٢) ـ.

١٥ـ العلامة شهاب الدين الشويكي (٩٣٩هـ):

وهو أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد، العلامة الزاهد أبو الفضل شهاب الدين الشويكي النابلسي ثم الدمشقي الصالحي، الشيخ الإمام العالم العلامة، الحبر النحرير الفهامة، الفقيه الورع الصالح الناسك، مفتي السادة الحنابلة بدمشق، ولد سنة خمس أو ست وسبعين وثمان مئة تقريباً بقرية شويكة من بلاد نابلس، ثم قدم دمشق، وسكن صالحيتها، وحفظ القرآن الكريم بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، و«مختصر الخرقي» في الفقه، و«الملحة الحريرية» في علم العربية، وغير ذلك، ثم سمع الحديث على جماعة، ونبل قدره وظهر فضله، وحج وجاور بمكة والمدينة المنورة، وصنف في مجاورته كتاب «التوضيح».

جمع فيه بين «المقنع» للموفق، و«التنقيح» للعلاء المرداوي، وزاد

---

(١) «التمتع بالأقران» (ص٢١٠).

(٢) «التمتع بالأقران» (ص٢١٠)، «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٦١)، «شذرات الذهب» (٨/ ٢٢٧)، «الدارس» (٢/ ١٧٢).

عليهما أشياء مهمة، وحلّ «ألفية ابن مالك» على الشهاب بن شكم، و«مختصر الخرقي» على ابن عبد الهادي، وأذن له بالإفتاء والتدريس، ثم جلس لهما، وتخرج به جماعة، وتوفي بالمدينة المنورة ـ على مشرفها الصلاة والصلام ـ، ودفن بالبقيع في (١٨) صفر سنة (٩٣٩هـ)، وفي يوم الجمعة سلخ جمادىٰ الأولى صلي غائبة بالأموي علىٰ العلامتين شهاب الدين النشيلي الشافعي توفي بمكة، وشهاب الدين الشويكي الحنبلي توفي بالمدينة المنورة.

ورئي بعد موته في المنام فقال: «اكتبوا على قبري هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٩] رحمه الله وإيانا»[١].

١٦ـ الإمام شهاب الدين المرداوي الشهير بابن الديوان (٩٤٠هـ):

وهو أحمد بن محمد، الشيخ الفاضل الصالح الإمام شهاب الدين المرداوي ثم الصالحي المعروف بابن الديوان، إمام جامع الحنابلة بسفح قاسيون، كان مولده بـ«مردا» قرب نابلس، ونشأ هناك إلى أن عمل يدواناً بها، ثم قدم دمشق فقرأ القرآن بها على الشيخ شهاب الدين الذويب الحنبلي لبعض السبعة، وأخذ علم الحديث عن الجمال يوسف بن عبد الهادي وغيره، وتفقه عليه وعلى الشهاب العسكري، وولي إمامة جامع الحنابلة، بالسفح نيفاً وثلاثين سنة، وتوفي ليلة الجمعة (١٧) المحرم سنة (٩٤٠هـ) فجأة بعد أن صلىٰ المغرب بجامع الحنابلة ودفن بصفة الدعاء أسفل الروضة، وكانت له جنازة حافلة ـ رحمه الله وإيانا ـ[٢].

---

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٩٩)، «الشذرات» (٨/ ٢٣١)، «النعت الأكمل» (ص١٠٥ـ ١٠٦)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٣٨) معجم المؤلفين (٢/ ٦٩)، الأعلام (١/ ٢٢٢).

(٢) «الكواكب السائرة (٢/ ٩٧)، «الشذرات» (٨/ ٢٣٩ـ ٢٤٠)، «النعت الأكمل» (ص١٠٦ـ ١٠٧).

١٧ـ محمد بن طولون (٩٤٤هـ):

وهو محمد بن علي بن محمد، الشيخ الإمام العلامة المسند المتفنن الفهامة، شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي المحدِّث النحوي، مولده بصالحية دمشق سنة (٨٨٠هـ)، وسمع وقرأ على جماعة، ولازم ابن عبد الهادي، وهو من أشهر تلاميذه، وقد ألف كتاباً في مناقبه سماه: «الهادي في مناقب الإمام يوسف بن عبد الهادي»، وكان ماهراً في النحو، علامة في الفقه، مشهوراً بالحديث، وصنف ودرس، توفي ـ رحمه الله ـ بدمشق يوم الأحد (١١) جمادىٰ الأولىٰ سنة (٩٤٤هـ)، ودفن بالسفح، ولم يُعَقِّب، ولم يكن له زوجة حين مات ـ رحمه الله وإيانا ـ[١].

١٨ـ الشيخ شرف الدين اللبدي (٩٤٦هـ):

وهو الشيخ موسىٰ شرف الدين البيت لبدي الدمشقي الصالحي مؤدب الأطفال بالمدرسة (الشاذبكية)[٢] بمحلة القنوات خارج دمشق المحمية، سمع على ابن عبد الهادي وغيره، وقرأ الكثير، ولبس خرقة التصوف من الشيخ أبي عراقية، توفي ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني سنة (٩٤٦هـ)[٣].

---

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٥٢)، «الشذرات» (٨/ ٢٩٨)، «فهرس الفهارس» (٢/ ٢٨٩)، وغيرهم، وانظر ترجمته لنفسه في كتابه «الفلك المشحون» (ص ٦) وما بعدها.

(٢) مدرسة مملوكية، تحتفظ بوضعها الأصلي، لا تزال بالقنوات، وقد صحف العامة اسمها فسموها بـ «الشابكلية»، «إعلام الورىٰ» (ص ٧٤).

(٣) «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٥٣ـ ٢٥٤)، «الشذرات» (٨/ ٢٦٧)، «النعت الأكمل» (ص١٠٨ـ ١٠٩).

١٩ـ أحمد النجدي (٩٤٨هـ):

وهو الشيخ أحمد بن يحيىٰ بن عطوة بن زيد التميمي، ولد في بلدة العُيَيْنَةَ ـ تصغير عَيْن ـ، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، فأقام فيها مدة، وقرأ على أجلاء مشايخها، منهم العلامة ابن عبد الهادي، وغيره، وتفقه، ومَهَر، ثم رجع إلى بلده موفورَ النصيب من العلم والدين والورع، فصار المرجع إليه في نجد، والمشار إليه في مذهب الإمام أحمد، وصنف ودرس، توفي ـ رحمه الله ـ يوم الثلاثاء (٣) رمضان المبارك سنة (٩٤٨هـ)[١].

٢٠ـ إسماعيل الذّنابي (٩٤٨هـ):

وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم، الشيخ الفقيه عماد الدين بن الشيخ زين الدين الذّنابي ـ من أعمال نابلس ـ الصالحي الدمشقي خطيب جامع الحنابلة، ولد بصالحية دمشق، ونشأ بها، وسمع على ابن عبد الهادي وغيره، ودرّس وأفاد، توفي يوم السبت (١٩) رمضان سنة (٩٤٨هـ)، ودفن بوصية منه شمالي صفة الدعاء أسفل الروضة ـ رحمه الله وإيانا ـ[٢].

هؤلاء هم بعض تلاميذ ابن عبد الهادي، بالإضافة إلى أولاده وزوجاته وأقاربه، والمتتبع لآثاره ـ رحمه الله ـ من كتبه والكتب التي كان يملكها، وهي كثيرة جداً ـ في الظاهرية وغيرها ـ يجد مجموعات كبيرة من العلماء والطلاب الذين أجازهم، سواء بالقراءة عليه قراءة فهم وتدبر، أو بإجازة عامة أو خاصة على شرطها عند أهل الفن ـ رحمهم الله جميعاً وإيانا ـ.

---

(١) «الجوهر المنضد» (ص ١٥)، «السحب الوابلة» (ص١١٦).

(٢) «الكواكب السائرة» (٢/ ١٢٢)، «شذرات الذهب» ٨/ ٢٧٤، «النعت الأكمل» (ص١١٢ـ ١١٣).

ثانياً ـ إنتاج ابن عبد الهادي ومؤلفاته :

سبق أن ذكرنا في أعمال ابن عبد الهادي : أنه كان محباً للكتابة والتأليف مع أعماله الأخرىٰ؛ كالتدريس والإفتاء، والقضاء وغيرها.

وتقدم أن ابن عبد الهادي يعتبر من أكثر المتأخرين إنتاجاً، بل أفنى عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وإفادة، وأنه قدم للبشرية إنتاجاً ضخماً ونافعاً، وعلماً غزيراً وكتباً نافعة، بالإضافة إلى حفظه وتحديثه ونظمه، وجمعه لأنفس الكتب.

وتقدم أيضاً أنه أقبل على التصنيف في فنون متعددة في سن مبكرة، أعانه في ذلك بعد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ذكاؤه المفرط، وذاكرته القوية، وسرعة حفظه، وعلمه الواسع، وقريحته الجيدة، وسرعة قلمه.

وذكرنا أنه ما ترك فناً من فنون العلم إلا كتب فيه، حتى بلغت أسماء مصنفاته مجلداً، أبقت لنا الأيام مجموعة غير قليلة منها ـ برغم مضي خمسة قرون على وفاته ـ موزعة على مكتبات العالم.

وقد وقف ابن عبد الهادي جميع كتبه على المدرسة العمرية، وهي يومئذ آلاف مؤلفة، وصنف لها فهرستاً في مجلده، ويحوي هذا الفهرس السجل نحواً من (٦٠٠) كتاب، كلها ليوسف بن عبد الهادي، إضافة إلى عشرات المئات من أنفس الكتب التي جمعها لغيره من كبار علماء المسلمين.

وتقدم أيضاً أن هذه الفهرست قيمة جداً، وحرية بالنشر؛ لما تضمنته من ذكر كثير من المخطوطات التي كانت في دمشق في ذلك العصر، وأن هذا الفهرس يعتبر وثيقة هامة لمعرفة الموجود في القرنين التاسع والعاشر من كتب المتقدمين بعد خراب بغداد.

وهذا الفهرس لا يزال مخطوطاً، ورقمه (٣١٩٠) ظاهرية، ويقع في (٥٧) ورقة، وهو ناقص الآخر، ولا يحوي جميع ما كتب ابن عبد الهادي، وبعض ما تملكه الظاهرية من مؤلفاته غير مذكور في هذا الفهرس.

قال الأستاذ صلاح الدين الخيمي: «وسيلاحظ الباحث الكريم ذلك عند مقارنة ذلك، ومن المرجح أن هذا الفهرس قد كتب قبل نهاية القرن التاسع؛ لأن الكتب التي ألفت بعد هذا التاريخ لم تذكر في هذا الفهرس كما أعتقد»[١].

وسوف نسرد بعض مصنفات ابن عبد الهادي الكثيرة سرداً مع الترتيب الأبجدي لها، ثم نذكر ماتملكه المكتبة الظاهرية من مخطوطات له مع أرقامها العامة، ثم نذكر أسماء مؤلفاته الموجودة في بعض البلدان الأخرى، يلي ذلك الكتب والرسائل التي طبعت من مؤلفاته ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وأثنى كل من حقق كتاباً أو رسالة من المعاصرين على مؤلفات ابن عبد الهادي وإنتاجه الغزير، ودقته، وعمقه فيها، وذلك في مقدمات الكتب القليلة التي حققوها ونشروها، ونكتفي بكلمة الدكتور أسعد طلس، والتي جاءت تحت عنوان: «عِلْم ابن عبد الهادي الواسع وبحثه وتأليفه» قال: «قلّ من عني في الأعصر الأخيرة بالتدقيق والبحث، فإن العلماء في هذه الأعصر كان ينصرف أحدهم إلى صنف من العلم فيدرسه ويؤلف فيه، فيختصر كتاباً لمؤلف سابق، أو يشرحه، أو يضع عليه الحواشي والتقارير، ولا كذلك كان ابن عبد الهادي؛ فقد ثقف علوم عصره كلها، وكان معلمة إسلامية حية تعنىٰ بالتعليم والكتابة والتأليف، ولا أدل على ذلك من إلقاء نظرة على ما أبقى لنا الدهر من مؤلفاته الكثيرة»[٢].

---

(١) «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء (٢) ص (٧٨٠).

(٢) «ثمار المقاصد»ـ المقدمة ـ (ص١٩).

وقال الدكتور طلس أيضاً في معرض حديثه عن رسالة «العشرة من مرويات صالح بن الإمام أحمد بن حنبل وزياداتها» ليوسف بن عبد الهادي:

(جمع منها عشرة أحاديث من مرويات صالح بن الإمام، وزاد عليها ستة عشر حديثاً، فأصبحت (٢٦) حديثاً كما يتضح من ختم الرسالة إذ يقول فيه:

«وفرغ منها مخرجها يوسف بن حسن بن عبد الهادي في(١٥) جمادىٰ الأولىٰ سنة (٨٩٠هـ) بالسهم الأعلى من صالحية دمشق، وهو يقول: من صبر ظفر، ومن صابر الأشياء قدر عليها، فإن هذه الأحاديث عشرة، ولم يقع لي منها غير الحديثين الأولين، ثم بعد ذلك وقع لي بعد مدة بقية هذه الأحاديث...»، وهي رسالة تكشف عن اطلاع واسع وتدقيق عظيم من البحث والرواية)[١].

وقال أيضاً عند ذكره كتاب «الإرشاد إلى موت الأولاد» لشيخنا: «والكتاب تحفة نفيسة أدبية في نحو (٥٠٠) صفحة»[٢].

وقال الدكتور طلس ـ رحمه الله ـ في موضع آخر: «فإن الرجل كان آية الآيات في العلم والمعرفة»[٣].

وتقدم ثناء الدكتور طلس ـ رحمه الله ـ على مؤلفات ابن عبد الهادي في الطب؛ حيث قال: «ولا عجب، فإن الرجل آية الآيات ـ رضوان الله عليه ـ»[٤].

---

(١) المرجع السابق، (ص ٢٨).
(٢) المرجع السابق، (ص ٤٧).
(٣) المرجع السابق، (ص ٤٣).
(٤) المرجع السابق، (ص ٤٨).

ثالثاً ـ مصنفات ابن عبد الهادي:

ويمكننا تعداد بعض كتب ابن عبد الهادي التي عثرنا عليها، وربما تصل إلى السبع مئة، وسنوردها مرتبة على حروف الهجاء[1]:

---

(١) الأغلبية العظمى من هذه الكتب وردت في «فهرست الكتب» ليوسف بن عبد الهادي، نشره الأستاذ صلاح الخيمي في مجلة «معهد المخطوطات العربية»، مجلد (٢٦) الجزء (٢) ص (٧٨٠) وما بعدها سنذكرها كما جاءت.

أما المؤلفات التي لم ترد في هذا «الفهرست»، فسنذكرها أيضاً مع التنويه بعدم ورودها فيه، فإذا ورد ذكر بعض هذه المؤلفات ـ وردت في الفهرس أم لم ترد ـ في كتب أخرى نذكر هذه الكتب مع الترميز لها كالتالي:

☆ «النعت الأكمل»: ونرمز له بحرف (ن) ص (٦٩ ـ ٧٢) ولا نذكر الصفحة.

☆ «مختصر طبقات الحنابلة»: ونرمز له بحرف (م) ص (٨٤ ـ ٨٦) ولا نذكر الصفحة.

☆ «السحب الوابلة» وما جاء في «سكردان الأخبار»: ونرمز له بحرف (س) (ص٤٨٦ ـ ٤٨٩) ولا نذكر الصفحة.

☆ «فهرس الفهارس» ونرمز له بحرف (ف) (٢/ ١١٤١ ـ ١١٤٢)، ولا نذكر الصفحة.

☆ «الأعلام»: ونرمز له بحرف (ع) (٨/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، ولا نذكر الصفحة.

☆ «معجم المؤلفين»: ونرمز له بحرف (و) (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، ولا نذكر الصفحة.

☆ «هدية العارفين»: ونرمز له بحرف (هـ) (٦/ ٥٦١ ـ ٥٦٢)، ولا نذكر الصفحة.

☆ «كشف الظنون»: ونرمز له بحرف (ك)، ثم نذكر الجزء والصفحة التي ورد فيها المؤلف.

☆ «إيضاح المكنون»: ونرمز له بحرف (ح)، ثم نذكر الجزء والصفحة التي ورد فيها المؤلف.

ثم إذا ورد بعض هذه المؤلفات في كتب أخرى غير التي ذكرناها أعلاه، فإننا سنذكرها بعون الله تعالىٰ.

١ ـ الهمزة :

١) الابتهاج .

٢) الآثار المرهونة .

٣) إجماع السائل عن كتب النبي ﷺ .

٤) إجماع الأمة .

٥) إجابة السائل الحثيث .

٦) الأحاديث المئة .

٧) أحاديث ابن عبد الهادي .

٨) الأحاديث الرحبية .

٩) الأحاديث المسطورة .

١٠) الأحاديث المنتقاة .

١١) أحكام الذراع .

١٢) أحكام الترياق .

١٣) احتساب الكاغد والحبر .

١٤) أحكام العمامة .

١٥) أحكام الحمّام . (ع ، و) .

١٦) إخبار الإخوان عن أحوال الجان . (ن ، م ، هـ ، ح٣/ ٣٩) .

١٧) أخبار الشهداء .

١٨) الأخبار الملتقطة من أخبار السراج .

١٩) الأخبار والعصابة الآثمة .

٢٠) اختصار أحوال القيامة.

٢١) الاختيار في بيع العقار.

٢٢) الآداب الصغرى.

٢٣) الأدب الكبير.

٢٤) أدب المريض.

٢٥) الأذكار.

٢٦) أربعين الأحمدين.

٢٧) أربعين أسماء المهاجرين لله.

٢٨) أربعين الإمام أحمد.

٢٩) أربعين أنس.

٣٠) الأربعين في أعمال الأبرار.

٣١) أربعين أبي يعلى.

٣٢) أربعين جابر بن عبد الله (ن، م).

٣٣) الأربعين بأربعة أسانيد.

٣٤) أربعين أبي حنيفة(و).

٣٥) أربعين الأنصاري.

٣٦) أربعين عن أربعين.

٣٧) أربعين الحميدي.

٣٨) أربعين الحجار.

٣٩) أربعين ابن حجر.

٤٠) أربعين الحافظ عبد الغني المقدسي.

٤١) أربعين أبي بكر .
٤٢) الأربعين بسند واحد .
٤٣) الأربعين بسندين .
٤٤) أربعين التوحيد .
٤٥) أربعين الزبير .
٤٦) أربعين سعد .
٤٧) أربعين أبي عبيدة .
٤٨) أربعين الشيخ أبي عمر .
٤٩) أربعين ابن الجوزي .
٥٠) الأربعين الحرستانية .
٥١) الأربعين الدمشقية .
٥٢) أربعين الخلفاء .
٥٣) أربعين ابن تيمية .
٥٤) أربعين الترمذي .
٥٥) أربعين الدارمي .
٥٦) أربعين ابن زيد .
٥٧) الأربعين الزاهرة .
٥٨) أربعين زينب بنت الكمال .
٥٩) الأربعين البغدادية .
٦٠) أربعين ابن جوارش .
٦١) الأربعين من سنن ابن ماجه .

٦٢) أربعين السلفي .

٦٣) أربعين السراج .

٦٤) أربعين مسلمة .

٦٥) أربعين السليمي .

٦٦) أربعين ابن أبي شيبة .

٦٧) الأربعين المختارة من «صحيح مسلم» (ن، م) .

٦٨) الأربعين الصالحية (القلائد الجوهرية٢/ ٥٩٦ـ٦١٦) .

٦٩) الأربعين في صفات رب العالمين .

٧٠) أربعين الضياء المقدسي .

٧١) أربعين طلحة .

٧٢) أربعين الطبراني .

٧٣) أربعين عبد بن حميد .

٧٤) الأربعين المختارة من عوالي جدي (ن، م) .

٧٥) أربعين عائشة .

٧٦) أربعين عمر .

٧٧) الأربعين العوالي .

٧٨) أربعين الشيخ عبد القادر .

٧٩) أربعين عبد الرحمن بن عوف .

٨٠) أربعين عثمان .

٨١) أربعين علي .

٨٢) أربعين عبد الله بن أحمد .

٨٣) الأربعين المسلسلة بالعوالي .

٨٤) أربعين القاضي سليمان .

٨٥) أربعين القاضي أبي بكر .

٨٦) الأربعين في فضل الأربعين .

٨٧) أربعين ابن الفراء .

٨٨) الأربعين المختارة من عوالي شيخة النظام بن مفلح (ن، م، ف) .

٨٩) الأربعين المسلسلة بالأحمدين .

٩٠) الأربعين المسلسلة بالمحمدين .

٩١) الأربعين المسلسلة بالقضاء .

٩٢) الأربعين المسلسلة بالوصف .

٩٣) الأربعين المخصوصة .

٩٤) أربعين أبي مصعب .

٩٥) الأربعين المختارة من البخاري .

٩٦) أربعين المِزي .

٩٧) أربعين ابن المحب .

٩٨) الأربعين المغنية عن المئين .

٩٩) أربعين مسدد .

١٠٠) أربعين لمحمد بن تيمية .

١٠١) الأربعين المكية .

١٠٢) الأربعين المختارة من مسند أبي حنيفة (و) .

١٠٣) أربعين الشيخ موفق الدين .

١٠٤) الأربعين النقلية .

١٠٥) أربعين ابن البخاري .

١٠٦) أربعين ابن ناصر الدين .

١٠٧) الأربعين اليلدانية .

١٠٨) أربعين النسائي .

١٠٩) أربعين أبي هريرة .

١١٠) الأربعين المدنية .

١١١) إرشاد الإخوان .

١١٢) إرشاد الحريص .

١١٤) إرشاد الحمقى .

١١٥) إرشاد الثقات .

١١٦) إرشاد الحي .

١١٧) الإرشاد والتعديل .

١١٨) إرشاد من ظان أهله .

١١٩) إرشاد النظراء .

١٢٠) إرشاد الملا إلى أن من عرف الناس خص بالبلا (هـ، ح ٣/ ٦٤، ق، م).

١٢١) إرشاد المنابر .

١٢٢) استحباب تتريب الكتَاب .

١٢٣) إزالة الضجر [باختصار معجم الدهر] معجم تراجم لعلماء القرن الثامن والتاسع (المؤرخين الدمشقيين للمنجد ص٢٧٢) .

١٢٤) أشعار ابن عبد الهادي .

١٢٥) أشعار شيخنا الباعوني .

١٢٦) الأشعار وبعض الحكايات الملتقطة من الأفواه .

١٢٧) أشراط الساعة .

١٢٨) إرشاد المريد .

١٢٩) الأسئلة الفائقة .

١٣٠) أسوأ الحال .

١٣١) إشغال البال .

١٣٢) إظهار الأسرار والأخبار .

١٣٣) الإعانات على معرفة الخانات (ن، م، ع، و) .

١٣٤) الأعلام .

١٣٥) الأفواه .

١٣٦) الاقتباس [في وصيته عليه الصلاة والسلام لابن عباس] (ن، م) .

١٣٧) اقتراب الساعة .

١٣٨) الإقناع [في أدوية القلاع] (ن، م، هـ، ح ٣/ ١١٢ ، و) .

١٣٩) الأمثال .

١٤٠) إمساك قول القائل .

١٤١) الأمور المهمة .

١٤٢) أنس النفوس .

١٤٣) الاهتمام وحسن العبارة .

١٤٤) إيضاح أقوى المذهبين .

١٤٥) إيضاح كذب المفترين العجزة.

١٤٦) إيضاح المشكل.

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرست» ووردت في غيره.

١٤٧) الإتقان في أدوية اللثة واللسان (ع، ن، م، هـ، ح٣/ ٢٢).

١٤٨) الإتقان لأدوية اليرقان (ع، ن، م، هـ، ح٣/ ٢٢).

١٤٩) أحاديث متباينة الأسانيد عسرة الوضع(و).

١٥٠) أحوال القبور (ك١/ ٤٩٧).

١٥١) الاختلاف بين رواة البخاري (ع).

١٥٢) الاختيار في بيع العقار (هـ، ح٣/ ٤٩).

١٥٣) أخبار الأذكياء (ن، م، هـ).

١٥٤) أدب العالم والمتعلم (ن، م).

١٥٥) أدب المرتعىٰ (هـ، ح٣/ ٥).

١٥٦) الأدوية المفردة للعلل المعقدة (ن، م).

١٥٧) الأدوية الوافدة إلىٰ الحمّىٰ الباردة (ن، م).

١٥٨) أربعين خديجة بنت عبد الكريم الأرموية (الضوء اللامع ١٠/١٠٨).

١٥٩) الأربعين المختارة من حديث ابن أبي عمر (ن، م).

١٦٠) الأربعين المختارة من حديث مالك بن أنس (هـ، ح٣/ ٥٥).

١٦١) الأربعين للآجري (س).

١٦٢) الأربعين المختارة من «صحيح مسلم» (ن، م).

١٦٣) الأربعين المسلسلة المتباينة الأسانيد (س، و).

١٦٤) الأربعين المسلسلات من حديث سيد السادات (ن، م).

١٦٥) الأربعين المسلسلة بالقول (ن، م).

١٦٦) الأربعين المسلسلة بالخلفاء (ن، م).

١٦٧) الأربعين النووية بالأسانيد (س).

١٦٨) الإرشاد إلى اتصال بانت سعاد بزكي الإسناد (هـ، ح٣/ ٥٩).

١٦٩) الإرشاد إلى حكم موت الأولاد (ن، م، هـ، ح٣/ ٥٩).

١٧٠) إرشاد الحائر إلى علم الكبائر (و، هـ، ح٣/ ٥٩).

١٧١) إرشاد السالك إلى مناقب مالك (ف، ع).

١٧٢) إرشاد الفتى إلى أحاديث الشتا (ن، م، هـ، ح٣/ ٦٢).

١٧٣) إرشاد المعتمد إلى أدوية الكبد (ن، م).

١٧٤) الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور (هـ، ح٣/ ٧١).

١٧٥) الأعشاب، وهو في علم الطب (الفلك المشحون ص ٥١).

١٧٦) الإعراب في أحكام الطلاب (و).

١٧٧) الإغراب في أحكام الكلاب (ن، م، هـ، ح٣/ ١٠٦).

١٧٨) الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس (ف، ع، هـ، ح٣/ ١١٠).

١٧٩) أمالي ابن عبد الهادي في الحديث ـ أربعة أجزاء ـ (هـ، ح٣/ ١٢٤).

١٨٠) إيضاح القضية بمعرفة الأدوية الطبية (هـ، ح٣/ ١٥٦).

١٨١) إيضاح القضية بمعرفة الأدوية القلبية (ن، م).

١٨٢) إيضاح المقالة فيما ورد بالإمالة (هـ، ح٣/ ١٥٧).

٢ـ الباء :

١٨٣) بحر الدم [فيمن تكلم فيه أحمد بمدح أو ذم] (هـ، ع).

١٨٤) البردة والأشربة المعرقة.

١٨٥) بردة الزبيرة.

١٨٦) البشارة بالخزي والنار.

١٨٧) بعض مسموعاتي

١٨٨) البغية العليا.

١٨٩) بغية الحثيث في فضل أهل العلم.

١٩٠) بلغة الحثيث إلى علم الحديث (ع).

١٩١) البلاء [بحصول الغلاء] (ن، م).

١٩٢) بيان الشبه والتزاميك .

١٩٣) بيان فضيلة شهر نيسان.

١٩٤) البيان في بديع خلق الإنسان (ن، م، هـ، ح٣/١٠٦، و).

١٩٥) بيان القول السديد [في أحكام تسري العبيد].

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرست»، ووردت في غيره :

١٩٦) بلغة الآمال بأدوية قطع الإسهال(ن. م).

٣ـ التاء :

١٩٧) التاج الملكي والعسس.

١٩٨) التبيين وكمال الدين.

١٩٩) التجديد في القضاء.

٢٠٠) التجريد.

٢٠١) التحدث والنبأ.

٢٠٢) التحذير.

٢٠٣) تحريم الحالف.

٢٠٤) تحفة الإخوان.

٢٠٥) تحفة المنتظر.

٢٠٦) تخريج أحاديث «المقنع» (ن، م، ف).

٢٠٧) التخريج الصغير والتحبير الكبير (ن، م).

٢٠٨) تدارك الفرط.

٢٠٩) تذكرة الحفاظ [وتبصرة الأيقاظ]. (ف، ع).

٢١٠) التشديد على النساء.

٢١١) التصريح.

٢١٢) التصحيح المصدق.

٢١٣) تفريج القلوب.

٢١٤) التقريب في إحياء الدين.

٢١٥) التقرير وطلب الرزق من الخبايا.

٢١٦) تعجيل المنفعة.

٢١٧) التمهيد [في الكلام على التوحيد] (و، هـ، ح٣/ ٣٢٢).

٢١٨) تنبيه الإنسان.

٢١٩) تنبيه المنتبه.

٢٢٠) تهذيب النفس [للعلم وبالعلم] (ن، م، ح٣/ ٣٤٢).

٢٢١) التواضع والنشر.

٢٢٢) التوعد بالرجم والسياط لفاعل اللواط (هـ، ح٣/ ٣٤٠).

٢٢٣) التيسير والطب الروحاني.

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرست»:

٢٢٤) تاريخ الصالحية (ع، «المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» وغيرهم).

٢٢٥) التبيين في طبقات المحدِّثين المتقدمين والمتأخرين، في سبع مجلدات (و، ن، م، «القلائد الجوهرية» (٢/ ٣٩٩٨)، «عصر سلاطين المماليك» (٣/ ١٠٣).

٢٢٦) تاريخ الإسلام، كل قرن في مجلد (ن، م، س، ع، و).

٢٢٧) تحفة الوصول إلى علم الأصول (هـ، ع).

٢٢٨) تعريف الغادي ببعض فضائل أحمد بن عبد الهادي (ع، هـ، ح٣/ ٢٩٩).

٢٢٩) تعريف المجروح بما يدمل القروح (ن، م).

٢٣٠) التغريد بمدح السلطان بايزيد (هـ، ح٣/ ٢٩٩).

٢٣١) تمام النوال في أدوية الطحال (ن، م).

٢٣٢) ترجمة مسند الدنيا الإمام علي بن أحمد المقدسي الشهير بابن البخاري «القلائد الجوهرية» ٢/ ٣٨٨).

٢٣٣) ترتيب مفردات ابن البيطار على العلل (س).

٢٣٤) تلخيص توضيح المشتبه للحافظ ابن ناصر الدين، في ثلاث مجلدات (س).

٢٣٥) تخريج حديث لا تردُّ يدَ لامس (ن، م).

٤ـ الثاء:

٢٣٦) الثلاثين المروية عن أحمد [في صحيح مسلم] (ن، م).

٢٣٧) ثلاثين الطبراني الأوسط.

٢٣٨) الثمار الشهية الملتقطة من آثار خير البرية (هـ، ح٣/ ٣٤٦).

٢٣٩) ثمار المقاصد في ذكر المساجد (ن، م، ع، و، هـ، ح٣/ ٣٤٦).

٢٤٠) الثمرة الرائقة.

٢٤١) الثقفيات.

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرس»:

٢٤٢) الثغر الباسم لتخريج أحاديث مختصر أبي القاسم (ن، م).

٢٤٣) ثلاثيات الإمام أحمد (س).

٥ـ الجيم:

٢٤٤) جامع العلوم [لخصه في زبد العلوم]، موسوعة.

٢٤٥) جامع الفوائد.

٢٤٦) جبل قاسيون.

٢٤٧) جزء في الحكايات.

٢٤٨) جزء طالوت.

٢٤٩) جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر.

٢٥٠) جمع العدد [لرد قول المنكر بغير مستند] (ن، م).

٢٥١) جواب اللاس ونزهة القرطاس وصرف الحراس.

٢٥٢) جواز التحديث والتنويه.

٢٥٣) جواز الزيادة

٢٥٤) جواز الدرر.

٢٥٥) جواهر اللغات.

٢٥٦) الجوهر المنضد [في طبقات متأخري أصحاب أحمد] (هـ، ك، ٢/ ١٠٩٧).

٢٥٧) الجوهر النفيس.

٢٥٨) جوهرة الزمان.

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرست»:

٢٥٩) جزء فيه عشرة أحاديث مختارة من مرويات والده (ن، م).

٢٦٠) الجول على معرفة أدوية البول (ن، م، هـ، ح٣/ ٤٢٤).

٢٦١) جزء فيما عند الرازي من حديث الإمام أحمد (ن، م).

٢٦٢) جزء في الرواية عن الجن وحديثهم (ن، م).

٢٦٣) جزء في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله (ن، م).

٢٦٤) جزء في تخريج حديث الشفاه (ن، م).

٢٦٥) جمع الجوامع في الفقه (س) في (١٢٠) مجلد.

٦ـ الحاء:

٢٦٦) الحجة والإخبار.

٢٦٧) حديث أبي ثابت.

٢٦٨) حديث علي بن الجعد.

٢٦٩) حديث العصيدة.

٢٧٠) الحزن والكمد.

٢٧١) حسن السير.

٢٧٢) حسن الكد والإنذار.

٢٧٣) حسن المقال.

٢٧٤) الحظ الأسعد.

٢٧٥) الحكايات الجمة.

٢٧٦) الحكايات السارة.

٢٧٧) الحكايات المختارة.

٢٧٨) الحكايات المنثورة.

٢٧٩) حلاوة السير.

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرست»:

٢٨٠) الحسبة. كتاب (ع).

٧ـ الخاء:

٢٨١) خبر أبي الفضل.

٢٨٢) خبر المقالة.

٢٨٣) الخمسة الإسكندرية.

٢٨٤) الخمسة الأنطاكية.

٢٨٥) الخمسة البيروتية.

٢٨٦) الخمسة التلتيائية.

٢٨٧) الخمسة الجبْلية.

٢٨٨) الخمسة الجليلية.

٢٨٩) الخمسة الحردانية.

٢٩٠) الخمسة الحورانية.

٢٩١) الخمسة الدمياطية.

٢٩٢) الخمسة السرمدية.

٢٩٣) الخمسة السوسية.

٢٩٤) الخمسة العسقلانية.

٢٩٥) الخمسة العكاوية.

٢٩٦) الخمسة العين ترماوية.

٢٩٧) الخمسة الفلسطينية.

٢٩٨) خمسة القابون.

٢٩٩) خمسة اللاذقية.

٣٠٠) الخمسة المحصورة.

٣٠١) الخمسة الملطية.

٣٠٢) الخمسة النابلسية.

٣٠٣) الخمسة الهيتية.

٣٠٤) الخمسة اليمانية.

المؤلفات التي لم ترد في «الفهرست»:

٣٠٥) الخمسة العَمَّانية [عمّان البلقاء] (هـ، ح٣/ ٤٣٩، ن، م).

٨ ـ ٩ ـ الدال والذال:

٣٠٦) الدرة المضية [والعروس المرضية]، كتاب في الشجرة النبوية (ع، ف، و، هـ، ك١/ ٧٤٣).

٣٠٧) الدعاء والذكر.

٣٠٨) الذل والخمول.

المؤلفات التي لم تذكر في «الفهرست»:

٣٠٩) الدرة المضية في فضائل الصالحية (س).

٣١٠) الدرة المضيئة [تراجم] (القلائد الجوهرية ٢/ ٤٩٥، ٥٤٠).

٣١١) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي (و، ن، م).

٣١٢) الدر النفيس في أصحاب محمد بن إدريس (ن، م).

٣١٣) الدرر البهية المنتقاة من ألفاظ الأئمة المرضية (هـ، ح٣/ ٤٦٤).

٣١٤) الدر الكبير (ع).

٣١٥) دواء المكترب بعضّة الكَلْب الكَلِب (ن، م، هـ، ح٣/ ٤٨١).

٣١٦) ذم التعبير وآفة الأضرار (ن، م).

٣١٧) ذم الهوى والدعر من أحوال «الزعر» (ه، ح٣/ ٥٤٤).

١٠ـ الراء:

٣١٨) رائق الأخبار [ولائق الحكايات والأشعار] (هـ، ح٣/ ٥٤٧).

٣١٩) الرد على من شدد وعسر [في جواز الأضحية بما تيسر] (ع، هـ).

٣٢٠) الرد على من قال بفناء الجنة والنار.

٣٢١) رسالة خانية.

٣٢٢) رسم الشكل.

٣٢٣) الرعاية [في اختصار تخريج أحاديث «الهداية» للزيلعي] (ن، م).

٣٢٤) الرغبة والاهتمام.

٣٢٥) روض الحدائق.

٣٢٦) الرياض المرنقة.

٣٢٧) الرياض اليانعة في أعيان المئة التاسعة (ك١/ ٩٣٨، ح٣/ ٤٠٦، هـ، م، ن، ف، وغيرهم).

المؤلفات التي لم يرد ذكرها في الفهرست:

٣٢٨) رأي في أخذ الطريقة عن أكثر من شيخ (و).

٣٢٩) الرسا للصالحات من النسا (هـ، ن، م، ح٣/ ٥٧٢).

١١ـ الزاي:

٣٣٠) زاد الأريب.

٣٣١) زاد المعاد.

٣٣٢) زبد العلوم (و، هـ، ح٣/ ٦٠٨).

٣٣٣) زهر الحدائق ومراقي الجنان.

٣٣٤) زهرة الوادي.

٣٣٥) زوال البأس.

٣٣٦) زوال الضجر والملالة.

٣٣٧) زوال اللبس.

٣٣٨) زينة العرائس (هـ، ح٣/ ٦٢٢).

١٢ـ السين:

٣٣٩) السبعة البغدادية.

٣٤٠) السبعة المسلسلة بالأنا.

٣٤١) السداسيات والخماسية.

٣٤٢) سر كذب المفترين.

٣٤٣) سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث (ع، هـ، ح٤/ ٣٣).

المؤلفات التي لم يرد ذكرها في الفهرست:

٣٤٤) السباعيات الواردة عن سيد السادات (ن، م، هـ).

١٣ـ الشين:

٣٤٥) الشرب الزلال.

٣٤٦) شجرة بني عبد الهادي.

٣٤٧) شدّ المحزم.

٣٤٨) الشدة والناس.

٣٤٩) شر الأيام عند اقتراب الساعة.

٣٥٠) شرح التحيات.

٣٥١) شرح حديث قس بن ساعده (ف).

٣٥٢) شرح اللؤلؤة.

٣٥٣) شرح المكمل.

٣٥٤) شرح النخبة [في مصطلح الحديث] (ف).

٣٥٥) الشفا.

٣٥٦) شفاء الصدر.

٣٥٧) شفاء العليل.

٣٥٨) شواهد ابن مالك.

٣٥٩) شيوخ ابن المحب .

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست :

٣٦٠) شد الظهر لذكر ما تحتاج إليه من الزهر (ن، م) .

٣٦١) شرح ألفية ابن مالك، في النحو (س) .

٣٦٢) شرح ألفية العراقي، في الحديث (س) .

٣٦٣) شرح تجريد العناية (س) .

٣٦٤) شرح الخلاصة الألفية (ن، م) .

٣٦٥) شرح مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام (س) .

١٤ـ١٥ـ الصاد والضاد :

٣٦٦) الصارم المغني [في الرد على الحصني] (ن، م، ف) .

٣٦٧) صبر المحتاج .

٣٦٨) صدق التشوف [إلى علم التصوف] (ن، م، الفلك المشحون ص ١٧) .

٣٦٩) صدق الوعود .

٣٧٠) صفة اللها .

٣٧١) صفات الكلب المفروت .

٣٧٢) ضبط من غبر فيمن قيده ابن حجر (ف، ع) .

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست :

٣٧٣) الصوت المسمع للطالب على تخريج أحاديث «المقنع» (ن، م) .

٣٧٤) الضبط والتبيين لذوي العلل والعاهات من المحدِّثين (ن، م، ع، هـ، ح ٤/ ٧٣) .

١٦-١٧- الطاء والظاء :

٣٧٥) الطب النبوي (الفلك المشحون (ص ٣٥١)، تاريخ المزة وآثارها (ص ١٩).

٣٧٦) طبع الكرام.

٣٧٧) طرح التكلف.

٣٧٨) الطواعين.

٣٧٩) طوالع الترجيح.

٣٨٠) الظفر.

٣٨١) ظلال الأسحار.

٣٨٢) ظهور البيان.

٣٨٣) ظهور السرر باختصار «الدرر» [وهو مختصر «الدرر» لابن حجر] «قضاة دمشق» (ص ٢٠١، ك١/ ٧٤٨)، «معجم المؤرخين الدمشقيين» (ص ٢٧٣).

٣٨٤) ظهور المخبأ [ظهور الخبايا بتعداد البقايا] (هـ، ح٤/ ٩٠).

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست :

٣٨٥) الطباخة (ع).

٣٨٦) طب الفقراء والجمع لهم بين الأسرار الإلهية والأدوية الطبية (هـ، و، ح٤/ ٧٨).

١٨- العين :

٣٨٧) عدة الرسوخ.

٣٨٨) عدة الملمات [في تعداد حمامات دمشق] (ع، ن، م).

٣٨٩) العدد والزين .

٣٩٠) عشرة ابن الباعوني .

٣٩١) عشرة التعقيبات .

٣٩٢) العشرة الجمّاعيلية .

٣٩٣) العشرة الحرّانية .

٣٩٤) العشرة الحرستانية .

٣٩٥) عشرة الحسن .

٣٩٦) عشرة الحسين .

٣٩٧) عشرة الخطباء .

٣٩٨) العشرة الدارانية .

٣٩٩) العشرة الربانية .

٤٠٠) العشرة الدومانية .

٤٠١) عشرة السهم .

٤٠٢) عشرة ابن الصدر .

٤٠٣) عشرة ابن الصيفي .

٤٠٤) العشرة الطبرية .

٤٠٥) عشرة فاطمة .

٤٠٦) العشرة القدسية .

٤٠٧) عشرة قصر اللباد .

٤٠٨) عشرة المنظور .

٤٠٩) عشرة ابن ناظر الصاحبة .

٤١٠) العشرة المسلسلة بالحنابلة.

٤١١) العشرة المسلسلة بالحفاظ.

٤١٢) العشرة من مرويات صالح [ابن الإمام أحمد].

٤١٣) العشرة الطرابلسية.

٤١٤) العشرين بسند واحد.

٤١٥) عشرين حمداني.

٤١٦) العشرين الحموية.

٤١٧) العشرين الحلبية.

٤١٨) عشرين ابن الحبّال.

٤١٩) عشرين الشيخ خليل.

٤٢٠) عشرين ابن السني.

٤٢١) عشرين ابن الشريفة.

٤٢٢) عشرين الشيخ عماد الدين.

٤٢٣) عشرين اللؤلؤي.

٤٢٤) عشرين ابن منجا.

٤٢٥) عشرين ابن هلال.

٤٢٦) العشرين اليمانية.

٤٢٧) عشرين يوسف بن خليل.

٤٢٨) العطرة المنعشة.

٤٢٩) عظيم المنة بنزه أهل الجنة (ن، م، هـ، ح٤/ ١٠٣ ٤/ ٥٩٥).

٤٣٠) العقد التام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام (ن، م، هـ، ع، ح٤/ ١٠٤).

٤٣١) العلم.

٤٣٢) عوالي النظام، في الحديث (ف).

٤٣٣) عوالي الرّقة.

٤٣٤) عوالي أبي بكر الشافعي.

٤٣٥) عين الإصابة

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٤٣٦) العطاء المعّجل [في طبقات الإمام المبجل أحمد بن حنبل] (ع).

٤٣٧) عمدة المبتدي في الفقه الحنبلي (هـ، ك٢/ ١١٧١).

٤٣٨) العهدة لأدوية المعدة (ن، م).

١٩ـ الغين:

٤٣٩) غاية السول وتحفة الوصول [إلى علم الأصول] (ع، هـ).

٤٤٠) غاية السول وشرحه.

٤٤١) غاية النهى.

٤٤٢) غدق الأفكار في ذكر الأنهار (ن، م).

٤٤٣) غراس الآثار وثمار الأخبار (ع، و، ن، م، هـ، ح٤/ ١٤٣).

٤٤٤) غرر الأخبار.

٤٤٥) الغليظ الشديد.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٤٤٦) الغلالة في مشروعية الدلالة(ن، م).

٢٠ـ الفاء :

٤٤٧) فائدة الحكم .

٤٤٨) الفائق في الشعر الرائق .

٤٤٩) فتاوي سنة (٨٩٢هـ) .

٤٥٠) فتاوي سنة (٨٩٣هـ) .

٤٥١) فتاوي ابن أبي الفوراس .

٤٥٢) فتح الرحمن .

٤٥٣) فتوح الغيب .

٤٥٤) الفحص والإظهار .

٤٥٥) فرائض سفيان الثوري .

٤٥٦) فرض الفطر .

٤٥٧) فضل الأئمة الأربعة .

٤٥٨) فضل سقي الماء .

٤٥٩) فضل صوم ست من شوال .

٤٦٠) فضائل أبي بكر .

٤٦١) فضل السمر والعلالة .

٤٦٢) فضل عاشوراء .

٤٦٣) فضل العالم العفيف .

٤٦٤) فضل العنب .

٤٦٥) فضل قضاء حوائج الإخوان .

٤٦٦) الفضل المسلم.

٤٦٧) فضل يوم عرفة.

٤٦٨) فنون المنون [في الوباء والطاعون] (هـ، ك٢/ ١٢٩٢).

٤٦٩) الفوائد البديعة.

٤٧٠) فوائد ابن أبي الفوارس.

٤٧١) الفوائد الحسان.

٤٧٢) فوائد الرفاق.

٤٧٣) فوائد من حياة الحيوان.

٤٧٤) فوائد من طبقات أبي الحسين.

٤٧٥) فيمن حدَّث عن النبي ﷺ هو وأبوه.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٤٧٦) فتاوي ابن عبد الهادي (ح٤/ ١٥٥).

٤٧٧) الفتاوي الأحمدية (ن، م).

٤٧٨) فضائل القرآن (و).

٤٧٩) فضل السمر في ترجمة شيخ الإسلام ابن أبي عمر (ن، م).

٤٨٠) الفنون من أدوية العيون (ن، م، ح٤/ ٢٠٢).

٤٨١) فهرست الكتب (ع، س، و).

٢١-٢٢- القاف والكاف:

٤٨٢) قرة العين [في مناقب السبطين] (ف).

٤٨٣) القول السداد.

٤٨٤) القول السديد.

٤٨٥) القول المسدد والانتصار الأحمد

٤٨٦) العجب والبرهان.

٤٨٧) كذب المفترين الفجرة.

٤٨٨) كراريس وأجزاء مختلفة.

٤٨٩) كشف الغطا.

٤٩٠) كشف اللبس.

٤٩١) الكفاية.

٤٩٢) الكلام على حديث المزرعة.

٤٩٣) الكياسة.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست .

٤٩٤) القواعد الكلية والضوابط الفقهية (هـ، ح٤/ ٢٤٣).

٤٩٥) كمال الإصغا إلى معرفة أدوية الأمعا (و، ن، م).

٤٩٦) الكمال في أدوية الصدر والسعال (ن، م).

٢٣ـ اللام:

٤٩٧) لائق المعنىٰ.

٤٩٨) لذة الموت.

٤٩٩) لفظ الفوائد المختارة.

٥٠٠) لقط السنبل في أخبار البلبل (ن، م، هـ، ح٤/ ٤٠٧).

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٥٠١) اللثق في أدوية الحلق (ن، م).

٢٤ـ الميم :

٥٠٢) مارواه البخاري عن أحمد وسبب إقلاله .

٥٠٣) ما ورد في يوم الثلاثاء .

٥٠٤) ما ورد في يوم الأربعاء .

٥٠٥) ما في كلام أكمل الدين من الإشكال .

٥٠٦) ما ورد في مهور الحور العين .

٥٠٧) المتحابين .

٥٠٨) مجالس ابن البحري .

٥٠٩) المجتبىٰ من الأثمار .

٥١٠) محض البيان في مناقب عثمان (ف، س) .

٥١١) مختصر ذم الهوىٰ .

٥١٢) مختصر من شفاء الغليل .

٥١٣) مختصر النبات .

٥١٤) مذلة الزمان في أوهام المشايخ والأعيان .

٥١٥) مراقي الجنان [بقضاء حوائج الإخوان] (ع، ح٤/ ٤٦٤) .

٥١٦) مرويات جوبر .

٥١٧) مرويات شيخنا ابن هلال .

٥١٨) مرويات الكرسي .

٥١٩) مرويات مقرا .

٥٢٠) مسألة أولاد المشركين .

٥٢١) مسألة الحيض أيام الحج .

٥٢٢) مسألة دباغ أهل الكتاب .

٥٢٣) مسألة إجازة المشغول .

٥٢٤) المسألة السفياوية .

٥٢٥) المسألة العبيدية .

٥٢٦) مسائل في العبيد .

٥٢٧) المسائل الشمالية .

٥٢٨) المسائل النجدية .

٥٢٩) مسائل ابن هاني عن أحمد .

٥٣٠) المستجاد .

٥٣١) المسلسلة بالأسماء .

٥٣٢) المسلسلة الدمشقية .

٥٣٣) المسلسلة بالعاهات .

٥٣٤) المسلسلة بالكوفة .

٥٣٥) المسلسلات بالمحمدين .

٥٣٦) مشاكلة النمط في تهذيب الملتقط .

٥٣٧) المشيخة الكبرى .

٥٣٨) المشيخة الوسطىٰ (ن، م . هـ) .

٥٣٩) المعارج .

٥٤٠) معجم الضياء .

٥٤١) المعجم الكبير .

٥٤٢) معجم الكتب.

٥٤٣) معرفة الأصول البشيشة.

٥٤٤) معجم البلدان (س).

٥٤٥) المعدة والولوع.

٥٤٦) المغني عن الحفظ والكتاب.

٥٤٧) معلوف الأنعام.

٥٤٨) مقامة الأمان.

٥٤٩) مقامة لائقة.

٥٥٠) مقبول المنقول [من علمي الجدل والأصول]

٥٥١) مناقب الإمام أحمد (س، ف، الفلك المشحون ص٦).

٥٥٢) مناقب أبي عبيدة (ف، س).

٥٥٣) مناقب أبي حنيفة (س).

٥٥٤) مناقب الزبير (ف، س).

٥٥٥) مناقب سعد (ع، ف، س، هـ، ح٤/ ٤٤٣).

٥٥٦) مناقب سعيد (ف، س، ع، هـ، ح٤/ ٤٤٣).

٥٥٧) مناقب الشافعي (ف، س).

٥٥٨) مناقب طلحة (ف، س).

٥٥٩) مناقب عبد الرحمن بن عوف (ف، س).

٥٦٠) مناقب علي (ف، س).

٥٦١) مناقب عمر (ف، س، ع، هـ، ن، م).

٥٦٢) المنتخب من مشيخة ابن طرخان.

٥٦٣) المنتقىٰ من البخلاء.

٥٦٤) الملتقط.

٥٦٥) المنديل والصابون.

٥٦٦) من صفة المؤمن والإيمان.

٥٦٧) من أحاديث مسانيد أبي حنفية.

٥٦٨) من سرّ فثواب ماأسداه المنار.

٥٦٩) المنتخب من معجم أبي العز.

٥٧٠) المنهاج.

٥٧١) المنهل الأهنى.

٥٧٢) الميل والخبر المعجل.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٥٧٣) المخرجات الميسرة في حل مشكلات السيرة (ف).

٥٧٤) مجمع الأصول، مطبوع.

٥٧٥) مرآة الزمان في أوهام المشايخ والأعيان (ف).

٥٧٦) المسلسل بالأولية (س، «الأربعون في فضل الرحمة والراحمين» (ص١٥).

٥٧٧) المشتبه في الطب (ن، م، هـ، ح٤/ ٤٨٦).

٥٧٨) مشيخة السيد كمال الدين محمد بن حمزة الدمشقي «المؤرِّخين الدمشقيين» (ص ٢٧٣).

٥٧٩) مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول (ع).

٥٨٠) معارف الأنعام في فضائل الشهور والصيام (هـ).

٥٨١) معجم البلدان (س).

٥٨٢) معجم تراجم الشوافعة (ع).

٥٨٣) معجم الصنائع(س).

٥٨٤) معجم مشايخ يوسف بن عبد الهادي (س).

٥٨٥) مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام (س، ن، م).

٥٨٦) مناقب أبي بكر (ف، س).

٥٨٧) المنحة في تضمين الملحة(س).

٥٨٨) الميرة في حل مشكل السيرة (ن، م، ع، و، هـ، ح٤/ ٦١١).

٢٥ـ النون:

٥٨٩) الناس وتأذي الأبرار.

٥٩٠) النافع في الطب والمنافع.

٥٩١) النبذة المرضيّة.

٥٩٢) نبذة من سيرة الشيخ تقي الدين.

٥٩٣) نتف الحكايات والأخبار (هـ، ح٤/ ٦٢٢).

٥٩٤) الندب والنياحة.

٥٩٥) نزهة الرفاق [في شرح حال الأسواق] (ن، م، ع).

٥٩٦) نزهة السامر [في أخبار مجنون عامر] (ع).

٥٩٧) نغمات نسيم الأنيس.

٥٩٨) النشاط.

٥٩٩) نقل الرواة.

٦٠٠) النكت.

٦٠١) نهاية المرام.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٦٠٢) النجاة بحمد الله (ن، م، هـ، ح٤/ ٦٢٥).

٦٠٣) النجوم الزاهرة في أعيان المئة العاشرة، لم يتمه؛ لوفاته (س).

٦٠٤) النصيحة في تخريج أحاديث النواوية بالأسانيد الصحيحة (ن، م).

٦٠٥) النصيحة المسموعة في أدوية العلقة المبلوعة (هـ، ح٤/ ٦٥٥).

٦٠٦) النهاية في اتصال الرواية (ع).

٢٦ـ الهاء:

٦٠٧) هدايا الأحباب، في عشرة أجزاء (هـ، ح٤/ ٧١٨).

٦٠٨) هداية الإنسان [إلى الاستغناء بالقرآن] (و).

٦٠٩) هدية المسترشدين.

٦١٠) هداية المحبين.

٦١١) هدية الإخوان [لمعرفة أدوية الآذان] (ن، م، هـ، ح٤/ ٧٢٥).

٦١٢) هدية الإنسان.

٦١٣) هدية الحبيب.

٦١٤) هدية الرؤساء.

٦١٥) هدية الرفاق.

٦١٦) الهم والنكد.

٦١٧) الهناء والشدة.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٦١٨) هداية الأشراف لمعرفة ما يقطع الرعاف (ن، م).

٦١٩) الهدية في أدلة المسائل الخفية (ن، م، هـ، ح٤/ ٧٢٧).

٢٧ـ الواو:

٦٢٠) الواسطية.

٦٢١) وجوب إكرام الجد.

٦٢٢) الوصايا المهدية.

٦٢٣) الوعد بالضرب والفراق.

٦٢٤) الوقوف والتشديد.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٦٢٥) الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب (هـ، ح٤/ ٧١٠).

٦٢٦) وفاء العهود بأخبار اليهود (ن، م).

٦٢٧) وفاة النبي ﷺ (هـ، ح٤/ ٧١٣).

٦٢٨) وقوع البلا بالبخل والبخلا (هـ، ح٤/ ٧١٤).

٦٢٩) الوقوف على لبس الصوف (ن، م).

٢٨ـ الياء:

٦٣٠) ياقوتة العصر.

المؤلفات التي لم ترد في الفهرست:

٦٣١) يد العلقة بلبس الخرقة «الفلك المشحون» (ص١٧).

* * *

* ونعود ونذكّر أن فهرس ما كتب ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ناقص من آخره، لا نعلم مقدار نقصه، ولا تاريخ نسخه كما تقدم، وعليه فهو لا يحوي جميع ماكتبه، وبعض ما تملكه الظاهرية وغيرها من مؤلفاته غير مذكور في هذا «الفهرست».

* * *

رابعاً: الكتب والرسائل التي ألفها ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ والتي تملكها دار الكتب الظاهرية، مرتبة على الحروف الهجائية، مع ذكر أرقامها العامة، والموضوع الذي كتبت فيه[1]:

١ـ حرف الألف

١) الإتقان في أدوية اللثة واللسان. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

٢) الإتقان لأدوية اليرقان. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٣٢/ ٣)[2] اثنان وأربعون حديثاً. (٩٣٩٠). حديث.

(٦٣٣/ ٤) إجازات من يوسف بن عبد الهادي لعبد الرحمن بن شمس الدين الكتبي ببعض مسموعاته ومروياته. (٣٢٤٩). حديث.

(٦٣٤/ ٥) أحاديث وأشعار وحكايات منتقاة. (١٣٧٢). حديث وأدب.

٦) أحكام الحمّام وآدابه. (٤٥٤٩). فقه.

٧) إخبار الإخوان عن أحوال الجانّ. (٣٢٥٦). أدب.

٨) أخبار الأذكياء. (٣٤٢٨). أدب.

---

(١) انظر: «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء (٢) ص (٧٨٨) وما بعدها.

(٢) متابعة لتعداد الكتب التي لم تذكر سابقاً.

(٦٣٥/ ٩) أخبار وأشعار متفرقة. (٣٢٤٩). أدب.

١٠) الاختيار في بيع العقار. (٣٢٤٩). أحاديث الأحكام.

(٦٣٦/ ١١) أدب الدعاء. (٣٧٧٣). الوعظ والتصوف.

١٢) الأدوية المفردة للعلل المعقدة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٣) الأدوية الوافدة على الحمىٰ الباردة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

(٦٣٧/ ١٤) أربعون حديثاً. (٢٧٠٢). حديث.

١٥) الأربعون المتباينة الأسانيد. (٣٧٩٤). حديث.

١٦) الأربعون المختارة من حديث أبي حنيفة. (٣٧٩٥). حديث.

١٧) الأربعون المختارة من حديث مالك بن أنس. (٣١٩٤). حديث.

١٨) الأربعون المسلسلة المتباينة الأسانيد. (٣٧٩٤). حديث.

١٩) الإرشاد إلى اتصال بانت سعاد بزكي الإسناد. (٣٧٩٤). حديث.

٢٠) الإرشاد إلى حكم موت الأولاد. (٣٢١٤). أدب.

٢١) إرشاد الحائر إلى علم الكبائر. (٧٤٠٣). حديث.

٢٢) إرشاد السالك إلى مناقب مالك. (٣٤٦١). تراجم.

٢٣) إرشاد الفتىٰ إلى أحاديث الشتا. (٣٢١٦). حديث وأدب.

٢٤) إرشاد المعتمد إلى أدوية الكبد. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٢٥) إرشاد الملا إلى أن من عرف الناس خصّ بالبلا. (٣٢١٦). وعظ وتصوف.

٢٦) الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور. (٣٢١٥). وعظ.

(٦٣٨/ ٢٧) أسماء بعض النباتات ومعانيها. (٣١٦٥). علوم وطب.

٢٨) الإعانات على معرفة الخانات. (٤٥٣٦). جغرافيا.

٢٩) الإغراب في أحكام الكلاب. (٣١٨٦). فقه وأدب.

٣٠) الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس. (٣٧٩٤). علوم الحديث واللغة والسير.

٣١) الإقناع في أدوية القلاع. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٣٩/ ٣٢) أوراق في التصوف. (٣٢٤٩). تصوف.

٣٣) إيضاح القضية لمعرفة الأدوية القلبية. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

٣٤) إيضاح المقالة فيما ورد بالإمالة. (٣٢٤٩). حديث.

٣٥) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاة والإمامة. (٣٣٠١). أدب وفقه.

٢ـ حرف الباء:

٣٦) بلغة الآمال بأدوية قطع الإسهال. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٣٧) البيان لبديع خلق الإنسان. (٣١٩٦). أدب وتصوف وطب وصيدلة.

٣٨) بيان القول السديد في أحكام تسري العبيد. (٣١٩٤). فقه.

٣ـ حرف التاء:

٣٩) تخريج حديث الخشكنانك. (٩٣٩٠). حديث.

٤٠) تخريج حديث الشتا. (٣٢١٦). حديث.

٤١) تخريج حديث «لا تردُّ يدَ لامِس». (٣٢١٦). حديث.

٤٢) التخريج الصغير والتحبير الكبير. (١٠٣٢). حديث.

٤٣) تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ. (٤٥٤٣). رجال.

٤٤) تعريف الغادي ببعض فضائل أحمد بن عبد الهادي. (٣٢١٦). تراجم المتصوفة ومناقبهم وكراماتهم.

٤٥) تعريف المجروح بما يدمل القروح. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٤٦) التغريد بمدح السلطان السعيد أبي النصر أبي يزيد. (٣١٩٤). أدب وتراجم.

٤٧) تمام النوال في أدوية الطحال. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٤٨) التمهيد في الكلام على التوحيد. (٣٧٧٣). عقيدة.

٤٩) تهذيب النفس للعلم وبالعلم. (٣٢١٦). حديث وأدب.

٥٠) التوعد بالرجم والسياط لفاعل اللواط. (٣٢١٥). فقه.

٤ـ حرف الثاء:

٥١) الثمار الشهية الملتقطة من آثار خير البرية. (٣٢٤٩). حديث وأدب.

٥٢) ثمار المقاصد في ذكر المساجد. (٣٢٥٧). تاريخ وجغرافيا وفقه.

٥ـ حرف الجيم:

(٦٤٠/٥٣) جزء فيه أحاديث وحكايا وأشعار منتقاة. (١٣٧٢). حديث وأدب.

٥٤) جزء من تاريخ الإسلام. (٤٥٥٢). تاريخ وسير وتراجم.

٥٥) جزء في الرواية عن الجن وحديثهم. (٩٣٩٠). حديث.

٥٦) جزء فيما عند الرازي من حديث الإمام أحمد وولديه، ومن حديث الإمام الشافعي عن مالك، ومن حديث أبي حنيفة. (٩٣٩٠). حديث.

(٦٤١/ ٥٧) جزء من المصاحف. (٣٢١٣). علوم وقرآن.

(٦٤٢/ ٥٨) جزء فيما عند المخلص في مجالسه السبعة عن الإمام أحمد والشافعي ومالك. (٩٣٩٠). حديث.

٥٩) جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر. (١١٣٢).

(٦٤٣/ ٦٠) جواب بعض الخدم لأهل النعم عن تصحف حديث احتجم. (٣٧٧٦). حديث.

(٦٤٤/ ٦١) جواب عن سؤال في النصر. (٣٢٤٩). تفسير وحديث.

٦٢) الجول على معرفة أدوية البول. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

٦ـ حرف الحاء :

(٦٤٥/ ٦٣) حديث وقع في الصحيحين عن الإمام أحمد. (٣٢١٦).

٧ـ حرف الخاء :

٦٤) الخمسة العمّانية، عمان البلقا. (٣٢١٦). حديث.

(٦٤٦/ ٦٥) خواص الحمام وفصول في القولنج والسموم. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٨ـ٩ـ حرف الدال والذال :

٦٦) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي. (٢٧٤٨). لغة وفقه.

٦٧) ذم الهوى والذعر من أحوال «الزعر». (٣٢٤٣). اجتماع وتصوف.

٦٨) دواء المكترب بعضة الكَلْب الكَلِب. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

١٠ـ١١ـ حرف الراء والزاي :

٦٩) رائق الأخبار ولائق الحكايات والأشعار. (٣٢١٣). أدب.

٧٠) الرسا للصالحات من النسا . (٣٢١٢) . تصوف .

(٦٤٧/ ٧١) رسالة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله . (٩٣٩٠) . عقيدة .

٧٢) زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم . (٣١٩٢) . موسوعة .

٧٣) زينة العرائس من الطرف والنقائس . (٣٢٠٩) . فقه .

١٢ـ١٣ حرف السين والشين :

٧٤) السباعيات الورادة عن سيد السادات . (٣٢١٦) . حديث .

٧٥) سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث . (٣٨٣٥) . فقه .

٧٦) الشجرة النبوية في نسب خير البرية . (١٨٧٧) . سير .

٧٧) الشجرة النبوية . . . . (٧٥٤٣) . سير .

١٤ـ١٥ـ حرف الصاد والضاد :

(٦٤٨/ ٧٨) صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله . (١١٤١) . حديث وتصوف .

(٦٤٩/ ٧٩) صفة مفرج وفوائد مختلفة . (٣١٦٥) . أدب .

٨٠) الضبط والتبيين لذوي العلل والعاهات من المحدِّثين . (٣٢١٦) . رجال .

٨١) ضبط من غبر فيمن قيّده ابن حجر . (١١٨٢) . رجال .

١٦ـ حرف الطاء :

٨٢) طب الفقراء . (٣١٥٥) . طب وصيدلة .

(٦٥٠/ ٨٣) طبائع المفردات . (٣١٥٦) . طب وصيدلة .

١٧ـ١٨ـ حرف العين والغين :

٨٤) طب الفقراء . (١٣٥٥) . طب وصيدلة .

٨٥) العشرة من مرويات صالح بن الإمام أحمد وزياداتها. (٣٧٧٦). حديث.

٨٦) العطاء المعجل في طبقات الإمام المبجل أحمد بن حنبل: قطعة منه. (٤٥٥٠). تراجم.

٨٧) عظيم المنة بنزه الجنة. (٣٢١٦). حديث وتصوف.

٨٨) العقد التام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام. (٣٢٤٩). السيرة النبوية.

٨٩) العهدة لأدوية المعدة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٩٠) غدق الأفكار في ذكر الأنهار. (٤٥٥٧). جغرافيا.

٩١) غراس الآثار وثمار الأخبار ورائق الحكايات والأشعار أدب وتصوف.

١٩ـ حرف الفاء:

(٦٥١/ ٩٢) فتاوىٰ سنة (٩٠٢هـ). (٣٢١٢). فقه.

(٦٥٢/ ٩٣) فتاوىٰ سنة (٩٠٥هـ). (١٩٠٤). فقه.

(٦٥٣/ ٩٤) فتاوى وأسئلة فقهية. (٣٢١٢). فقه.

(٦٥٤/ ٩٥) فصل في أدوية البهق وفوائد عامة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

(٦٥٥/ ٩٦) فصل في الأدوية المفردة. (٢٧٠٢). طب وصيدلة.

(٦٥٦/ ٩٧) فصل فيما ينفع من داء الثعلب، وفصل في الباه. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٥٧/ ٩٨) فصل فيما ينفع الشرا والاستسقا والفالج. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

(٦٥٨/ ٩٩) فصل فيما ينفع الصرع والسموم. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٥٩/ ١٠٠) فصل فيما ينفع الفواق وما ينفع الجذام. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

(٦٦٠/ ١٠١) فصل فيما ينفع القوبا. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٦١/ ١٠٢) فصل فيما ينفع الكلف. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٦٢/ ١٠٣) فصل فيما ينفع وجع الظهر والخاصرة. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٦٣/ ١٠٤) فصل فيما ينفع وجع المفاصل وعرق النسا[ء]. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٦٤/ ١٠٥) فصول مختلفة في الطب. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

(٦٦٥/ ١٠٦) فصول في منافع بعض الفواكه والأزهار. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

(٦٦٦/ ١٠٧) فوائد طبية. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

(٦٦٧/ ١٠٨) فوائد طبية. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٠٩) فوائد عامة لبعض الحيوانات. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١١٠) فضل لا حول ولا قوة إلا بالله. (٤٥٥٨). وعظ وحديث.

(٦٦٨/ ١١١) فضائل القرآن. (١٣٧٢). علوم وقرآن وتصوف.

(٦٦٩/ ١١٢) فضيلة إنظار المعسر. (٣٢١٦). حديث ووعظ.

١١٣) الفنون من أدوية العيون. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

١١٤) فهرست الكتب. (٣١٩٠). علم الفهرسة والمكتبات.

٢٠-٢١- حرف القاف والكاف :

(٦٧٠/ ١١٥) قصيدة في مدح السلطان محمد بن عثمان. (٣١٩٢). أدب.

١١٦) قواعد فقهية وهي الفهرس لـ «زينة العرائس». (٣٢٠٩). فقه.

١١٧) القواعد الكلية والضوابط الفقهية. (٣٢١٦). فقه.

١١٨) كشف الغطا عن محض الخطا. (١١٣٢). عقيدة.

١١٩) الكمال في أدوية الصدر والسعال. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٢٠) كمال الإصغاء إلى معرفة أدوية الأمعاء. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

٢٢- حرف اللام :

١٢١) اللثق في أدوية الحلق. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٢٢) لقط السنبل في أخبار البلبل. (٣١٨٦). تراجم وحديث.

٢٣- حرف الميم :

(٦٧١/ ١٢٣) مجموعة من الأحاديث الشريفة. (٣٢١٢). حديث.

(٦٧٢/ ١٢٤) مجموعة من الأحاديث الشريفة. (٣٢١٣). حديث.

(٦٧٣/ ١٢٥) مجموعة من الأحاديث الشريفة. (٣٢٤٩). تراجم وحديث.

(٦٧٤/ ١٢٦) مجموعة من الأحاديث الشريفة. (٣٢٤٩). حديث.

(٦٧٥/ ١٢٧) مجموعة من التراجم. (٣٧٧٦). تراجم.

(٦٧٦/ ١٢٨) مجموعة من التراجم والشعر. (٣٢٥٧). تراجم وأدب.

١٢٩) محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص. (٣٢٤٨). تراجم.

١٣٠) محض الشيد في فضائل سعيد بن زيد. (٣٢٤٨). تراجم.

(٦٧٧/ ١٣١) مسائل فقهية وأجوبتها. (٣٢٤٩). فقه.

١٣٢) المشتبه في الطب. (٣٢١٦). لغة وطب وصيدلة.

١٣٣) المشيخة الوسطىٰ. (٣٢٥٦). سيرة.

١٣٤) المطول في تاريخ القرن الأول. الجزء السادس منه. (٧٤٣٩). سيرة.

(٦٧٨/ ١٣٥) معاجين وسفوفات ومنافع عامة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٣٦) معارف الأنعام وفضل الشهور والصيام. (١٤٦٣). وعظ وتصوف.

١٣٧) معجم تراجم الشوافعة. (٤٥٥١). تراجم

١٣٨) مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام. (٢٧٠٢). فقه.

١٣٩) مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام. (٢٧٠٣). فقه.

١٤٠) الميرة في حل مشاكل السيرة. (١٩٠٤). سيرة.

٢٤ـ حرف النون:

١٤١) نتف الحكايات والأخبار ومستطرف الآثار والأشعار. (٣٢١٦). تصوف وأدب.

١٤٢) النجاة بحمد الله. (٣٢١٦). حديث و وعظ.

١٤٣) النصيحة المسموعة في أدوية العلقة المبلوعة. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

٢٥ـ حرف الهاء:

١٤٤) هدايا الأحباب وتحف الإخوان والأصحاب. (٣١٩٤). أدب.

١٤٥) هداية الإخوان لمعرفة أدوية الآذان. (٣١٥٦). طب وصيدلة.

١٤٦) هداية الأشراف لمعرفة ما يقطع الرعاف. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٤٧) هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن. (١٤٥). علوم وقرآن وتصوف.

١٤٨) الهدية في حلّ المسائل الخفية. (٣٢١٦). فقه.

٢٦ـ حرف الواو:

١٤٩) وقوع البلا بالبخل والبخلا [ء]. (٣٢١١). وعظ وأدب.

*** ونذكر بعض المخطوطات التي لم ترد في القائمة عثرنا عليها في أثناء بحثنا، وكلها في الظاهرية:**

(٦٧٩/ ١٥٠) الأحاديث. (٣٧٩٤). حديث.

(٦٨٠/ ١٥١) أحاديث وتراجم. (٣٨٠٦). حديث وتراجم

١٥٢) الأدب. كتاب في الأدب لعله «الأدب الكبير». (٣٢٤٩). أدب.

١٥٣) الأدوية المفردة لعلل معقدة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٥٤) الأدوية الوافدة على الحمىٰ الباردة. (٣١٦٥). طب وصيدلة.

١٥٥) جزء في فضل يوم التروية وعرفة وأحاديث مجموعة مخرجة من الأصول «ناقص». (١٠٣٩). وعظ وحديث.

١٥٦) الحديث المسلسل بالأولية. (٣٢٤٩). حديث.

(٦٨١/ ١٥٧) ذكر أولادي. (٣٢١٢). تراجم أولاده.

١٥٨) الشجرة النبوية. (١٣٥٤٦). سيرة.

١٥٩) الشجرة النبوية. (١٣٥٤٧). سيرة.

١٦٠) الشجرة النبوية. (٧٧٧٠). سيرة.

(٦٨٢/ ١٦١) شرح منظومة في الفقه الحنبلي. (٣٧٨٣). فقه.

(٦٨٣/ ١٦٢) شعر في التصوف. (٣١٨٦). أدب وتصوف

١٦٣) فتاوىٰ ابن المبرد. (٣٢١٢). فقه.

(٦٨٤/ ١٦٤) فصل في الطلاق الثلاث يقع واحدة «ناقص». (٣٢١٢). فقه.

(٦٨٥/ ١٦٥) فوائد طبية مختارة. (٣٧٤٩). طب.

(٦٨٦/ ١٦٦) في تراجم الرجال. (٣٧٨٨). تراجم.

(٦٨٧/ ١٦٧) في ذكر الرجال. (٣٧٨٣). تراجم

١٦٨) وفاة النبي ﷺ. (٤٥٤٤). سيرة.

(٦٨٨/ ١٦٩) الإتقان في معرفة أدوية السرطان في (١٢) ورقة، مجموع (٣١) طب، ذكرها في ثمار المقاصد[١]

* * *

(١) «ثمار المقاصد» ص (٤٩).

وبعد، فهذه بعض مؤلفات شيخنا الإمام يوسف بن عبد الهادي التي وقفها على المدرسة العمرية، والتي نقلت فيما بعد إلى المكتبة الظاهرية الخالدة، **ثم إلى مكتبة الأسد الوطنية العامرة**. ولولا ضيق الوقت، لعثرنا على عدد أكبر من هذا، كما أننا لم نذكر بعض المخطوطات المأخوذة من الظاهرية، وسنذكرها في المطبوعات ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

* * *

خامساً: مخطوطاته خارج الظاهرية[1]: ومنها:

(٦٨٩/١) «إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء». رقم (٤٤٠٦١ز) (١٧) ورقة. مخطوطات دار الكتب المصرية.

٢) «الاختلاف بين رواة البخاري». ذكرها في الأعلام (٨/ ٢٢٧).

٣) «إزالة الضجر باختصار معجم الدهر». مخطوطة في شستربتي رقم (٣٥٠٤) (٢). ذكرها الدكتور المنجد في «معجم المؤرِّخين الدمشقيين» (ص٢٧٢ وما بعدها).

٤) «بحر الدم فيمن تكلم فيه أحمد بن حنبل بمدح أو ذم» ـ برلين (٩٩٥٧)

٥) «بلغة الحثيث إلى علم الحديث» ـ برلين ـ (١١١٩).

٦) «تاريخ الصالحية»، وهو باختصار محمد بن عيسى بن كنان ـ برلين ـ (٩٧٨٩).

---

(١) معظم الكتب التي سنوردها ذكرها «بروكلمان» في «تاريخ الأدب العربي» (٢/١٠٧ـ ١٠٨)، ونقلها الدكتور طلس ـ رحمه الله ـ في «ثمار المقاصد» (ص٤٩ـ ٥٠)، ومنه نقلت، أما التي لم يذكرها، وذكرها غيره، فسأنوه إلى ذلك.

٧) «تحفة الوصول إلى علم الأصول» ـ برلين ـ (١١٢٨) بخط المؤلف سنة(٨٦٥هـ).

(٨/٦٩٠) «الثمرة الرائقة في علم العربية» ـ برلين ـ (٦٧٦٨).

(٩/٦٩١) الجزء فيه منتقىً من «عوالي المختصر». وفي «الأعلام» للزركلي صورة عن ورقة مفردة منها. قال الزركلي ـ رحمه الله ـ: «أطلعني عليها الشيخ حمدي السفرجلاني في دمشق». «الأعلام» (٨/ ٢٢٦).

١٠) «الدرر الكبير» جزء منه في التراجم والسير. ذكره في «الأعلام» (٨/ ٢٢٥).

١١ـ ٢٠) «الدرة المضية والعروس المرضية والشجرة النبوية والأخلاق المحمدية» أـ باريس (٥٨٥٧). ب ـ باريس (٥٩٥٩). ج ـ بومباي (١٢٨٩). د ـ الجزائر (٨٠٦). هـ ـ القاهرة (٥/ ١٨١). و ـ المكتبة الأحمدية في حلب. ز ـ أحمد الثالث (٢٨٢٩). ح ـ جامعة إستانبول القسم العربي (٥٥٠). ط ـ سالا جنح، حيدر آباد في الهند (١٠٧)، صورها معهد المخطوطات. ي ـ طوب قبو أمانة خزينة سي (١١٥٢). ك ـ طوب قبو (R ١٥٥١)[1].

٢١) «الرد على من شدد وعسّر في جواز الأضحية بما تيسر» ـ برلين (٤٠٥١).

٢٢) «الزهور البهيجة في شرح الفقهية ؟»، واختصره محمد بن كنان الحنفي (١١٣٥هـ) ـ برلين ـ (٤٤٢٠).

٢٣) «غاية السول إلى علم الأصول» ـ برلين ـ (٤٤١٨) بخط المؤلف سنة (٨٦٥هـ).

---

(١) من (ز ـ ك) ذكرها المنجد في «معجم المؤرِّخين الدمشقيين» ص (٢٧٢، ٤٥١).

٢٤) «محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب» ـ برلين ـ (٩٧٠٤).

٢٥) «مراقي الجنان بقضاء حوائج الإخوان»، الإسكوريال (٢/ ٧٧٠).

(٦٩٢/ ٢٦) «مشيخة ابن حمزة»، قسطموني (٩٧٠/ ٤)، ذكرها المنجد في «معجم المؤرخين الدمشقيين» (ص٢٧٢ وما بعدها).

٢٧) «مقبول المنقول في علمي الجدل والأصول»، برلين (٤٤١٩).

٢٨) «نزهة السامر في أخبار مجنون عامر»، غوتا (١٨٣٦).

٢٩) «النهاية في اتصال الرواية»، دار الكتب المصرية (٢٢٢ حديث تيمور) وفي «الأعلام» للزركلي (٨/ ٢٢٦) صورة عن الورقة الأخيرة منها.

* * *

سادساً: الكتب والرسائل المنشورة لابن عبد الهادي، منها:

(٦٩٣/ ١) «إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء» ـ تحقيق يسري عبد الغني ـ مكتبة ابن سينا ـ القاهرة ط «د. ت».

٢) «أحكام الحمّام وآدابه»، لم ينشر كله، بل عدد أبوابه فقط صلاح الدين المنجد ـ مجلة المشرق لسنة (١٩٤٣م) مجلد (٤١/ ٤٢٣ـ ٤٢٥).

٣) «الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور» ـ تحقيق عبد الهادي الخرسة، ومحمد الخرسة ـ دمشق ـ مكتبة البيروتي. ط «د. ت».

٤) «الإعانات على معرفة الخانات»، نشره حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ـ مجلة المشرق لسنة (١٩٣٨م) مجلد (٣٦/ ٦٩ـ ٧٠)، ثم حققها الأستاذ صلاح الخيمي مع (٣) رسائل أخرىٰ في «رسائل دمشقية» لابن عبد الهادي ـ دار ابن كثير ط١ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦) «تاريخ الصالحية»، لخصه ابن كنان الحنفي (١١٥٣هـ) في «المروج

السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية» تحقيق محمد أحمد دهمان ـ دمشق ـ ط (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م).

٧) «ثمارالمقاصد في ذكر المساجد» ـ تحقيق الدكتور أسعد طلس ـ دمشق ط١ (١٣٦٦هـ ـ ١٩٨٩م).

٨) «الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد»، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين ـ القاهرة ـ مكتبة الخانجي ط (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٧م).

٩) «كتاب الحسبة»، نشره الأستاذ حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ـ مجلة المشرق لسنة (١٩٣٧م) مجلد (٣٥/ ٣٨٤ ـ ٣٩٠).

١٠) «الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي». كتب إليّ أستاذي المشرف الدكتور محمد الزحيلي مانصه: [كتاب «الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي» لابن عبد الهادي (٩٠٩هـ) تحقيق رضوان بن غربية ـ رسالة دكتوراه في جامعة أم القرىٰ عام (١٤٠٨هـ)].

١١) «الدرة المضية والعروس المرضية والشجرة النبوية والأخلاق المحمدية»، طبعت عدة طبعات، الأخيرة منها بتحقيق محيي الدين مستو ـ دار ابن كثير، ط٣(١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

١٢) «الرسا للصالحات من النساء، تحقيق محمد الخرسة، مكتبة البيروتي، ط «د.ت».

١٣) «رسائل دمشقية»، وتحوي (٤) رسائل وهي: أـ غدق الأفكار في ذكر الأنهار. ب ـ عدة الملمات في تعداد الحمامات. ج ـ الإعانات في معرفة الخانات. دـ نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق، وكلها بتحقيق الأستاذ صلاح الخيمي ـ دار ابن كثير، ط١ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م).

١٤) «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»، نشرها محمد بهجت البيطار، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية ط (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م).

١٥) «كتاب الصنائع»، مقالة، نشرها الأستاذ حبيب الزيات في الخزانة الشرقية توطئة لكتاب «الحسبة» لابن عبد الهادي، مجلة المشرق لسنة (١٩٣٧م) مجلد (٣٥/ ٣٨٤).

١٦) «كتاب الطباخة»، نشره حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ـ مجلة المشرق لسنة (١٩٣٧م) مجلد(٣٥/ ٣٧٠ـ٣٧٦).

١٧) «عدة الملمات في تعداد الحمامات»، نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة الشرق لسنة (١٩٤٣هـ) مجلد (٤١/ ٤١٨)، وطبع حديثاً بتحقيق الأستاذ الخيمي، قد ذكرناه في «رسائل دمشقية».

١٨) «عظيم المنّة بنزه الجنة»، تحقيق عبد الهادي الخرسة، دمشق، مكتبة البيروتي، ط١ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

١٩) «غدق الأفكار في ذكر الأنهار»، تحقيق الأستاذ صلاح الخيمي، وهي مطبوعة مع «رسائل دمشقية»، وقد تقدم ذكرها.

٢٠) «فضل لا حول ولا قوة إلا بالله»، تحقيق عبد الهادي محمد منصور، دار السنابل، دمشق، ط١ (١٤١٦مـ ١٩٩٥م).

٢١) «فهرس الكتب»، تحقيق محمد خالد الخرسة، مكتبة دار البيروتي، دمشق ط١ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م). وقد نشر حديثاً، أطلعني عليه أستاذي الدكتور محمد الزحيلي بعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة.

٢٢) «مجمع الأصول»، جمع وتعليق جمال الدين القاسمي الدمشقي، دمشق، مطبعة الفيحاء، ط١ (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٢م).

٢٣) «معجم الكتب»، تحقيق يسري البشري، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ط «د. ت».

٢٤) «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام»، طبع عدة مرات، وسنأتي على ذكرها في الفصل الأول من الباب الأخير ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٢٥) «نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق»، نشره حبيب الزيات في الخزانة الشرقية لسنة (١٩٣٩م) مجلد (٣٧/ ١٨ـ ٢٨)، كما حققه الأستاذ صلاح الخيمي في «رسائل دمشقية».

وبعد: فهذه هي الكتب المطبوعة التي عثرنا عليها لشيخنا الإمام يوسف بن عبد الهادي حتىٰ تاريخه، أما الكتب التي لم أعثر عليها فهي:

٢٦) كتاب «التبيين في طبقات المحدِّثين المتقدمين والمتأخرين»، ذكره الأستاذ محمود رزق سليم في موسوعته «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي»، وقال: إنه مطبوع في سبع مجلدات[١]، ولم أعثر عليه.

٢٧) «الرياض اليانعة في أعيان المئة التاسعة»، ذكره أيضاً الأستاذ محمود رزق سليم في موسوعته التي تقدم ذكرها، وقال: إنه مطبوع[٢]، ولم أعثر عليه أيضاً، ولكني عثرت على تعليق لابن طولون ـ رحمه الله ـ على هذا الكتاب، ذكره الريان في «فهرس التاريخ بالظاهرية» باسم «تعليقات ابن طولون» وقال: «بأنها رسالة مرتبة على حروف المعجم، وهي تراجم أشخاص توفوا بين سنة (٨٨٠هـ)، وقبل سنة (٩٠٩هـ)، تبتدىء بإبراهيم بن أطرز الأقماعي، وتنتهي بيوسف بن محمد بن طولون، وهي مسودة ابن طولون»[٣].

وقال الدكتور المنجد بعد أن ذكر ماقاله الريان: وأرجح أنها كتاب

---

(١) «عصر سلاطين المماليك» (٣/ ١٠٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «فهرست مخطوطات التاريخ بالظاهرية» للريان(٢/ ٣٣٦).

«التمتع»[1]، وقد حقق هذا الكتاب، وطبع سنة(١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م)، وهو بخط ابن طولون، لكن الباحث لا يحتاج إلى كبير عناء ليعلم أنه تعليق لابن طولون على كتاب «الرياض اليانعة» لابن عبد الهادي بلفظه[2].

ومن الملاحظ أن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ قد نسخ الكثير من المؤلفات لغيره بخطه تعج بها «مجاميع العمرية»، ويمنعنا ضيق المقام من سردها.

هذا ما استطعنا جمعه مما أبقته لنا الأيام من مؤلفات شيخنا ابن عبد الهادي، مع العلم أن الجداول التي ذكرناها تحوي جزءاً مما ألَّف، ولعل السبب الرئيسي في ضياع مؤلفاته، وكذا مؤلفات غيره من علماء دمشق المحمية، يعود إلى الحادثتين التاليتين:

* **الأولىٰ**: دخول الجيش العثماني دمشق وضواحيها في يوم الثلاثاء (١١) رمضان سنة (٩٢٢هـ)، وفي ذلك يقول المؤرِّخ ابن طولون: «... وهجمت العساكر عليها، وعلى ضواحيها؛ للسكنىٰ بها، فأُخرجت أناس كثيرة من بيوتها، ورميت حوائجهم ومؤنهم، وطَرَح جمع من النساء الحبالىٰ، وحصل على الناس شدَّة لم تقع لأهل دمشق وضواحيها قط، حتىٰ سافر من له قدرة، وبعضهم سكن الجوامع والمدارس بحريمهم، وأُخْرِجْتُ من بيتي ورُميت كتبي، ولم يوقروا أحداً، لا صغيراً ولا كبيراً، ولا أهل القرآن، ولا أهل العلم، ولا الصوفية، ولا غيرهم، واستمر الأمر هكذا إلى يوم الخميس ثالث عشرة»[3]، ومن المعلوم أن ابن طولون ـ رحمه الله ـ كان يقطن الصالحية.

---

(١) «معجم المؤرخين الدمشقيين» (ص٢٩٦).

(٢) الكتاب متوفر في مكتبة الأسد الوطنية رقم (٢٣٧٧٠).

(٣) «إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرىٰ» ص (٢٠٨).

* **الثانية**: دخول الجيش العثماني دمشق وضواحيها مرة أخرىٰ في يوم الثلاثاء (١٦) صفر سنة (٩٢٧هـ)، ويطلق المؤرخون على هذه الحادثة اسم «الفتنة الغزالية»[١]، ويصف لنا ابن طولون ما جرىٰ في تلك الحادثة حيث قال: «خرج السلطان جان بردي الغزالي إلى ملاقاة العسكر الرومي، وتلقاه بأرض النمور شرقي قرية «برزة» من ضواحي دمشق، فما كان إلا لحظة، وانكسر عسكر السلطان جان بردي الغزالي، وقطع رأسه، ثم تلاحق العسكر الرومي ببقية الهاربين، وارتجف الناس رجفة عظيمة، وقتل نحو الثلاثة آلاف نفس وستين، ونهبت الحارات والقرىٰ حوالي دمشق، وأخذ بعض نساء وأولاد»[٢].

ويؤكد ذلك ما رواه ابن طولون في موضع آخر، وذلك بعد ذكره علومه وشيوخه حيث قال: «وقد كتب لي كل واحد من هؤلاء الأشياخ الذين اشتغلت عليهم في هذه العلوم إجازة، وبعضهم إجازتين، وبعضهم ثلاثاً، جمعتهم في مجلدة، وفقدت في «الفتنة الغزالية»، خلا بعض الإجازات كتبت على الكتب المقروءة، فمنها ما كتبه الجمال بن المبرد على «شرح النخبة» . . . »[٣].

ولا شك بأن رمي الكتب يؤدي إلى ضياعها وانفراطها، وتبعثر أوراقها، حيث يصعب تجميعها، وبالتالي فقدان العلم الذي فيها، وقد أورد الزركلي ـ رحمه الله ـ في «أعلامه» صورة عن ورقة مفردة، أول ما فيها «الجزء فيه

---

(١) نسبة إلى المملوك جانبرد الغزالي الذي وقف مع العثمانيين ضد أبناء جنسه المماليك في معركة «مرج دابق» ثم تسلطن وخرج على العثمانيين بعد وفاة السلطان سليم واستلام سليمان مقاليد الحكم.

(٢) «إعلام الورىٰ» (ص٢٥٢).

(٣) «الفلك المشحون في أحوال ابن طولون» (ص١٨).

منتقىٰ من عوالي المختصر» لابن عبد الهادي، أطلعه عليها الشيخ حمدي السفرجلاني في دمشق، وقد تقدم ذلك[1].

ومن المؤكد أن هناك أسباباً أخرىٰ كثيرة أدت إلى ضياع الكثير من مؤلفات علماء دمشق المحمية، نعرض عن ذكرها لضيق المقام، مع العلم أن عدداً من مؤلفات ابن عبد الهادي أصبحت تعليقات لغيره من العلماء، وقد تقدم ذلك أيضاً.

* * *

سابعاً: منهج ابن عبد الهادي في التأليف بشكل عام:

لا يحتاج الباحث إلى كبير عناء ليجد أن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قد سلك مسلك المحدِّثين وطريقتهم في التأليف، وهو أن يسند ما يقول بالأسانيد المتصلة، ويصدر الكتاب بما جاء فيه من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، مع التخريج، ثم يذكر أقوال أهل اللغة، فأقوال العلماء والرواة محاولاً بذلك استيعاب جميع الأقوال في الموضوع على قدر الاستطاعة.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدل على عمقه وتثبته وسعة اطلاعه العجيبة، وذلك أنه بعد أن يستوعب أقوال المتقدمين يورد ما جاء حول هذه الأقوال من مناقشات وردود، ثم يعقب على ذلك في عبارة سهلة جيدة، وكثيراً ما يستشهد بالأشعار له ولغيره.

أما مقدمات كتبه، فيتحدث فيها بإيجاز عن الغرض من وضع الكتاب وفائدته، ثم يسميه، وبعدها يذكر طريقة وضعه للكتاب، وغالباً ما تكون كالتالي: [... وضعته على قاعدة أرباب الحديث بالأسانيد المتصلة،

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٨/ ٢٢٦)، وقد ذكرناها في المخطوطات.

«فَإِنَّ الإِسْنَادَ منَ الدّين، ولولاهُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»[1] . . .[2]]، وأحياناً يختصر ذلك بقوله: «جمعتها بالأسانيد»[3]، ثم يذكر عدد هذه الأبواب وترتيبها، وغالباً ما يخصص الورقة الأولى لسرد هذه الأبواب، أو الكتب إذا كان المؤلَّف موسوعة علمية، أو مختصراً لها، وهو بمثابة فهرست للمؤلَّف، وقد تقدم مثال ذلك[4].

هذا فيما عدا الكتب الفقهية البحتة، فإنه يخصص لها مساحات أكبر في مقدمته، يتحدث فيها عن منهجه في كتابه بما يغني القارىء، وربما تصل مقدمة الكتاب الفقهي إلى (١٠) أوراق إذا لزم الأمر، وذلك من أجل الفهرست، وسنأتي على ذلك ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

أما مقدمات الكتب والرسائل الجغرافية والطبية وغيرها، والتي تنبع ـ في الغالب ـ من ملاحظاته ومشاهداته الشخصية؛ كذكر مساجد دمشق، وأنهارها وحماماتها، وخاناتها، وأسواقها، وصناعاتها، وغيرها، فإنها تكون مقتضبة للغاية، لا تتجاوز الحمدلة والصلاة على النبي ﷺ، ثم يذكر الموضوع ويشرع فيه، وقد يذكر الغرض في تآليفه الطبية.

وينهي المقدمة بعد أن يسأل الله الإعانة محسبلاً متوكلاً على الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وأما الخاتمة، فيذكر فيها تاريخ ومكان فراغه من تأليف الكتاب باليوم

---

(١) الخبر رواه مسلم في «صحيحه» بإسناده عن عبد الله بن المبارك ـ مقدمة الصحيح ـ باب بيان الإسناد من الدين (١/ ١٥).
(٢) انظر: مقدمة كتاب «هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن» ـ خ(٣٤٥) ظاهرية ـ وغيرها.
(٣) انظر: مقدمة «ثمار المقاصد» ص (١٩ـ٤٧).
(٤) انظر ما تقدم.

والليلة والشهر والسنة الهجرية، فإذا كان الكتاب شرحاً لكتاب آخر، أو ضبطاً له، أو حلا لمُشْكِلِهِ، فيذكر الكتب التي استقى منها معلوماته في الخاتمة أيضاً، ومثاله كتابه «الميرة في حل مشكل السيرة» لابن هشام، حيث يقول في آخر النسخة: [. . . وهذا آخر ما يسر الله من جمعه على سيرة النبي من كتب اللغة والغريب وغير ذلك، وحواشٍ على نسخ كثيرة معتمدة، و«شرح أبي ذر»، و«الحاشية على السير»، و«صحاح الجوهري»، و«النهاية» لابن الأثير، و«القاموس»، و«شرح العيني الكبير على الشواهد»، وشرح دواوين البلغاء والعرب، وكتب الحديث، وكتب الأنساب، و«الروض الأنف» للسهيلي، وكتاب «دلائل النبوة»، وأشياء أخرىٰ، ومن تأمل ذلك، عرفه، وعرف ما حررناه فيه، وفرغ منه مؤلفه سنة(٩٠٥هـ)، والحمد لله][١].

أما إجازاته لتلاميذه، فأحياناً تجدها في أول الكتاب بعد المقدمة، وأحياناً أخرى تجدها بعد الخاتمة، وهو الغالب.

وأما سماعاته لتلاميذه بخطه، أو قراءتهم عليه بخطهم، وكذا سماعاتهم عليه بخطهم أيضاً، فهي في آخر الكتاب حصراً، وقد يكتب التلاميذ قراءاتهم أو سماعاتهم لأكثر من مرة، وفي تواريخ مختلفة على الكتاب نفسه[٢].

وقبل أن نختم حديثنا عن مصنفات ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالى ـ أُحبّ أن أوضح أمرين لعلهما يشكلان على بعض المعاصرين:

الأمر الأول: نقل في «السحب الوابلة» عن الشيخ جار الله، عن النعيمي

---

(١) «ثمار المقاصد» (ص٣٧) ورقم المخطوطة (٩٠٤) ظاهرية.

(٢) مثال ذلك انظر: كتاب «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ(٣٢١٦) ظاهرية ـ ورقة (٦٥) وما بعدها.

في تاريخه «العنوان» ما نصه: [الشيخ العالم المصنف المحدِّث جمال الدين يوسف بن القاضي بدر الدين حسن بن أحمد بن عبد الهادي الشهير بابن المبرد، ميلاده سنة(٨٤٠هـ)، وتوفي في سادس المحرم سنة (٩٠٩هـ)، وقد صنف كثيراً من غير تحرير ـ انتهىٰ ـ»[١]. ولم يرضَ صاحب «السحب» بقوله، فقال معقباً: «قلت: بل تصانيفه في غاية التحرير، منها...».][٢].

ونحن نجيب فنقول: إنه لا يخفىٰ على أحد أن النعيمي ـ رحمه الله ـ إن صح النقل عنه ـ قد انفرد عن غيره من تلاميذ ابن عبد الهادي بروايته، بل عن باقي الخلق، ولم يخبر بذلك أحد سواه، ومنذ عصر ابن عبد الهادي وحتى الآن، بل اعتبر العلماء ابن عبد الهادي حجة في الضبط والإتقان، عديم النظير في التحرير والتقرير، وحجة من حجج الإسلام كبرىٰ، وسنأتي على ثناء العلماء عليه في الفصل القادم ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

ويؤخذ على النعيمي ـ رحمه الله ـ أنه ترجم لشيخه بسطرين خلافاً للعادة.

ثم إنه لا يخفىٰ على أحد أن مصنفاته أُلقيت دروساً في المساجد والمدارس وغيرها من الأمكنة على الجم الغفير والجمع الكثير من التلاميذ والعلماء على حد سواء لمدة تزيد على (٥٠ عاماً)، ولو كانت من غير تحرير، كما ذكر، لتحررت من تلقاء نفسها، ثم إن الكتاب لا يدرَّس ولا يجاز لمثل هذا العدد من العلماء إلاّ إذا كان محرراً، ولو لم يكن كذلك، لتعرض للنقد، واضطر صاحبه للرد، ولم نسمع بذلك.

ثم إن مصنفات ابن عبد الهادي المتبقية تعرّف على نفسها، وإنّ كل من

---

(١) «السحب الوابلة» ص (٤٨٦).

(٢) «المرجع السابق».

قام بدراستها أثنى عليها، منهم الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ الذي اعتبر ابن عبد الهادي من خلالها معلمة إسلامية حية، بل آية الآيات في العلم والمعرفة والبحث الدقيق والضبط والإتقان(١).

أما الأستاذ صلاح الخيمي، فقد اعتبره من خلالها حياً خالداً ميت الجسد(٢).

ولعل سوء خط ابن عبد الهادي، ورداءة الحبر والورق، والعوامل الجوية التي أدت إلى تفشي الأحماض، مع سوء الحفظ والتخزين طوال خمسة قرون، وجهل من كان يقوم عليها قبل انتقالها إلى الظاهرية ومكتبة الأسد، إضافة إلى النقص الناتج عن بعثرة الأوراق للأسباب التي ذكرناها، وبعض أخطاء الفهرسة، وغير ذلك من الأمور التي لا دخل لابن عبد الهادي فيها، قد يجعل البعض يظن بأن مصنفاته من غير تحرير، ومع ذلك نقول: أعطونا كتاباً واحداً مما أبقاه لنا الدهر من غير تحرير.

الأمر الثاني: قال الغزي ـ رحمه الله ـ في ترجمة ابن عبد الهادي: «... وكان الغالب عليه علم الحديث، والفقه، وشارك في النحو والتصريف والتصوف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة، وغالبها أجزاء»(٣).

فماذا قصد الغزي ـ رحمه الله ـ بكلمة «أجزاء»، وهل هي صفة عائدة على غالب مؤلفات ابن عبد الهادي في جميع الفنون، أم هي مصطلح يطلق على نوع معين من العلوم، وبالتالي هل الجملة الأخيرة التي ذكرها الغزي: «وغالب مؤلفاته أجزاء» في صالح الإمام ابن عبد الهادي أم غير ذلك؟ فما هو الجزء؟

---

(١) انظر: مقدمة «ثمار المقاصد» ص (١٤ـ٤٩).

(٢) مجلة «معهد المخطوطات العربية» مجلد(٢٦) الجزء (٢) ص (٨٠٧).

(٣) «الكواكب السائرة» (١/٣١٦).

قال الدكتور محمود الطحان: [الأجزاء جمع «جزء»، والجزء الحديثي في اصطلاح المحدِّثين يعني كتاباً صغيراً يشتمل على أحد أمرين:

١ـ إما جمع الأحاديث المروية عن واحد من الصحابة، أو من بعدهم، مثل «جزء ما رواه أبو حنيفة عن الصحابة» للأستاذ أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (١٧٨هـ).

٢ـ وإما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد على سبيل البسط والاستقصاء، مثل «جزء رفع اليدين في الصلاة» للبخاري، و«جزء القراءة خلف الإمام»][(١)].

وهل يطلق هذا المصطلح فيما عدا ذلك إذا استثنينا أجزاء القرآن الكريم؟

الجواب: لا، على ما نعلم، فالكتب الصغيرة في باقي العلوم يطلق عليها اسم «كتب»، أو «رسائل»، وما شابه، أما إذا أطلق الجزء، فيراد به الجزء الحديثي حصراً، ودليله متوفر في جميع كتب التراجم، بل لا تخلو ترجمة لحافظ أو محدِّث منه، وقد أوردنا هذا المصطلح في التراجم التي ذكرناها في بحثنا هذا، ونذكر عدداً منها على سبيل المثال:

١ـ ورد في ترجمة الشيخة زينب بنت أحمد المقدسية (٧٢٢هـ): [وتفردت في وقتها بأجزاء؛ «كالثقفيات»، و«مسندي عبد، والدارمي»].

٢ـ وفي ترجمة الشيخة فاطمة بنت الكمال(٧٤٠هـ) قال الذهبي: «تفردت بقدر وقر بعير من الأجزاء».

٣ـ وفي ترجمة الشيخة فاطمة بنت عبد الهادي (٨٠٣هـ) قال ابن حجر: «قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء».

---

(١) «أصول التخريج ودراسة الأسانيد» (ص١٢١).

٤ـ وفي ترجمة الشيخ أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي (٧٠٠هـ) قال الصفدي: «وتفرد المذكور بأشياء أسمعها، وبرواية أجزاء في سماء السماع أطلقها».

٥ـ وفي ترجمة الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الهادي (٧٦٩هـ): [وأحضر على الفخر البخاري «جزء ابن نجيد»، و«رابع الجنائيات»، و«حديث بقرة بني إسرائيل»، وتفرد عنه بالأجزاء الثلاثة].

والأمثلة كثيرة، وقد ذكرنا العديد من أسماء هذه الأجزاء في ترجمة الشيخة فاطمة الحرستنانية (٨٧٣هـ) أخذها ابن عبد الهادي عنها.

وهل الإكثار من تحصيل الأجزاء وجمعها ثم كتابتها لحفظها له أم عليه ؟

في الواقع أن هذا الأمر أصعب من أخوض فيه، فهو يتعدىٰ فهمي القاصر ولكن كل ماأستطيعه هو أن أورد بعض الأمثلة:

١ـ ورد في ترجمة مؤرِّخ الشام الحافظ محمد بن أحمد الذهبي (٧٤١هـ): [وعني بالحديث من سنة (٨٩٢هـ)، فسمع ما لا يحصىٰ كثرة من الكتب الكبار والأجزاء على خلق. . ومصنفاته ومختصراته وتخاريجه تقارب المئة][1]، وبالتالي فغالب كتبه أجزاء.

٢ـ وجاء في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) مانصه: [وارتحل إلى دمشق في سنة (٨٠٢هـ)، فسمع بها على الحجار بالصالحية، وأجاز له القاضي سليمان بن أبي عمر، وأقام بها مئة يوم حصّل فيها نحو ألف جزء غير الكتب الكبار، ثم رجع إلى مصر. . . قدم إلى الصالحية في ابتداء طلبه للحديث، وسمع بها الكثير من الأجزاء، وقدم إليها أيضاً طالباً

(١) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٥٠ـ ٤٥١).

زيارة من بالسفح من الأنبياء والعلماء والمحدِّثين والصلحاء][1]، وعليه فغالب كتبه أجزاء.

٣ـ و ورد في ترجمة الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ) صاحب «طرح التثريب» الآتي: «وهو كثير الكتب والأجزاء، إلا أنه يقال: إن السراج بن الملقن أكثر منه، وأكثر منهما أجزاءً الحافظ أبو بكر بن المحب الصامت»[2]، كذلك فإن غالب كتبهم أجزاء أيضاً، والأمثلة كثيرة، وهي إن دلت على شيء، فإنها تدل على تسابق كبار الحفاظ والمحدِّثين على جمع الأجزاء إلى جانب تصانيفهم في باقي العلوم، وكذلك كان ابن عبد الهادي، بل فاقهم في عدد التصانيف، وتنوعها وحجمها، إلى جانب الأجزاء التي كتبها، وقد تقدم ذلك.

❑ ❑ ❑

---

(١) «المرجع السابق» (٢/ ٤٥٤ـ ٤٥٧).

(٢) «المرجع السابق» (٢/ ٤٤٤ـ ٤٤٩).

الفصل الخامس

صفات ابن عبد الهادي ووفاته والثناء عليه

أولاً ـ صفات ابن عبد الهادي:

تمتع ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ بمواهب فطرية متميزة، جبله الله عليها، وأكرمه بها، كما حفلت حياته بقدر من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، كما صرح بذلك الفضلاء، ومنها:

١ ـ الحفظ والاستحضار:

وهب الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ابن عبد الهادي ذاكرة قوية عجيبة، وحافظة متميزة، وموهبة متفوقة إلى جانب الذكاء النادر؛ مما جعله قادراً على حفظ العلوم المتنوعة، ومتون الأحاديث، ورجالها، وأحوالهم، واختزان العلوم، وبالتالي استحضارها سريعاً عند الطلب، ويظهر أثر ذلك جلياً في مصنفاته.

والواقع أنه من الصعوبة بمكان إحصاء الأشياء التي حفظها ابن عبد الهادي وخزنها في ذاكرته، فقد كان ـ رحمه الله ـ أشبه ما يكون بالحاسوب «الكومبيوتر» في وقتنا الحالي، فلا يقع بصره على شيء، أو يلتقطه سمعه إلا وسجله، ولذلك وصفه العلماء بالمحدِّث الحافظ[1]، بل

---

(١) انظر: جميع مصادر ترجمته، و«تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ(٣٢١٦) =

نخبة المحدِّثين وعمدة الحفاظ المسندين[1]، وبالتالي فقد كان ـ رحمه الله ـ يستحضر المتون والعلوم والكتب، والأقوال من ذاكرته، ثم يعزوها إلى أصحابها، لكنه غالباً ما يضع المعلومات بصيغته وأسلوبه؛ مما يدل على استيعابه وفهمه، ودليله سرعة قلمه وكثرة تآليفه، ولو لم يكن الاستحضار نابعاً من حفظه وذاكرته، لأدركه الوقت، ولَما صنف بهذه الكثرة، إلى جانب عبادته ووعظه وتدريسه، وفتياه، وقضائه، ونسخه للكتب الكثيرة، وعمله، وقيامه بشؤون عائلته الكبيرة، وغيرها مما سبق ذكره، ولا شك أن الحفظ والاستحضار هما من أهم صفات المحدِّثين والعلماء المصنفين.

٢ـ الفهم الجيد:

وهذه الصفة ظاهرة فيه، ودليله عبارته وآراؤه واجتهاده وترجيحاته وتصنيفاته، وأعماله، ومواقفه، وغيرها، يؤكد أقوال العلماء فيه.

قال تلميذه ابن طولون الحنفي في ترجمته: «العلامة الفهّامة»[2].

وقال تلميذه أبو القاسم بن علي السبتي الأندلسي المالكي: «الشيخ الإمام العالم العلامة البحر الفهّامة»[3].

و وصفه الكمال الغزي الشافعي بأنه: «آية عظمىٰ، وحجة من حجج الإسلام كبرىٰ، بحر لا يلحق له قرار، وبر لا يشق له غبار، أعجوبة عصره في الفنون، ونادرة دهره الذي لم تسمح بمثله السنون...»[4].

= ظاهرية ـ ورقة (٦٦).

(١) انظر: «النعت الأكمل» ص (٦٨)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨٣).

(٢) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص٤٨٧).

(٣) كتاب «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ (٣٢١٦) ظاهرية ـ ورقة (٦٦).

(٤) «النعت الأكمل» ص (٦٨).

وبه قال الشيخ الشطي ـ رحمه الله ـ[1].

وقال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «. . . ثقف علوم عصره كلها، وكان معلمة إسلامية حية. . .»[2].

وقال الأستاذ صلاح الخيمي ـ حفظه الله ـ: «يملك ذكاء نادراً، وذاكرة قوية، وعقلاً خصباً كبيراً، وسع جميع علوم ومعارف عصره. . .»[3].

٣ـ الضبط:

وهذه الصفة ملازمة له، وهي نابعة من إخلاصه، وعلمه الواسع، وحفظه واستحضاره، وفهمه الجيد، وسعة إطلاعه، وتقصيه وبحثه وتحريه الدقة العلمية، وغير ذلك.

وقد صنف ابن عبد الهادي الكتب الكبار والرسائل في ضبط المتون والرجال منها:

١ـ كتاب: [جواب بعض الخدم لأهل النعم عن تصحيف حديث «احتجم»] خ(٣٧٧٦) ظاهرية، قال في أوله: [. . . فقد سألتم ـ رضي الله عنكم ـ عن الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «مسند زيد بن ثابت»: أنه عليه السلام «احتجم في المسجد»، وأنه تصحيف، وإنما هو «احتجر»، وبيان ذلك وإيضاحه والفحص عنه. . .][4].

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: [والرسالة جد نفيسة، برهن فيها على أن الصواب «احتجر»، وأن الميم تحريف. . .][5].

---

(١) «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨٣).

(٢) «ثمار المقاصد» ـ المقدمة ـ (ص١٩).

(٣) «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء (٢) (ص٧٧٧).

(٤) «ثمار المقاصد» (ص٢٨).

(٥) «المرجع السابق».

٢ـ «تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ»، خ(٤٥٤٣) ظاهرية، ويقع في (٦١) ورقة.

٣ـ «الضبط والتبيين في طبقات المحدِّثين»، في سبع مجلدات، ذكرناه في المطبوعات.

٤ـ «الضبط والتبيين لذوي العلل والعاهات من المحدِّثين»، خ(٣٢١٦) ظاهرية في (١٥) ورقة.

٥ـ «ضبط من غبر فيمن قيده ابن حجر»، خ(١١٨٢) ظاهرية، ويقع في (٩١) ورقة، قال في أوله: [... وبعد: فإني قد وضعت كتاباً في تقييد الأسماء، ثم اطلعت على كتاب ابن حجر في «تهذيب التهذيب»، فيه تغيير كثير، فأردت أن أذكره، فرأيت ذلك يطول، فأفردته هنا...].

قال الدكتور أسعد طلس: «والكتاب مرتب على حروف الهجاء، بدأ به بحرف الألف، وختمه بباب النساء، وتراجمه مختصرة، وقد فرغ منه سنة (٧٨٨هـ)»(١)، وغيرها من الكتب.

٦ـ «المشتبه في الطب»، خ(٣٢١٦) ظاهرية، قال في أوله: «وبعد: فإني رأيت جماعة من أطباء زماننا لا معرفة لهم بالعلوم، يصفون أشياء كثيرة ـ لا سيما الغريبة ـ للاشتباه، فأحببت أن أبين المشتبه من ذلك، ورتبته على حروف المعجم».

ثم إنه ضبط وصحح وأكمل وحلَّ إشكال العديد من كتب السلف الصالح، وقد يطلب العلماء منه فعل ذلك، ومنها:

١ـ «الشجرة النبوية» قال في أوله: [... أما بعد: فيقول عُبيد الدار، المعروف بالذنوب والأوزار، صاحب الذنب الكبير، والإصر الخطير،

---

(١) «المرجع السابق» (ص٣٤).

المطروح بالنادي، يوسف بن حسن بن عبد الهادي:

إن أخاً من الإخوان، ومحباً من الخلان، وعيناً من الأعيان، وقفني على هذه الشجرة النبوية، والدرةالمضية، فرأيتها جوهرة من الجواهر، تحير فيها الأفكار، وتقف عندها الأذهان والأسرار، غير أن بعض بيوتها ناقصة التراجم، وبعض عقدها غير مشدودة البراجم، وقد أخلّ فيها بأشياء من الأمور النبوية، والأحوال الزكية المرضية، والآثار الشريفة، والأمور اللطيفة، فطلب من العبد إتمام ذلك وتكميله، وسرعة وضعه وتعجيله، فزدتُ فيه من الورقات خمس صفحات: الأولىٰ: تحتوي على خدامه وعبيده، والثانية: تحتوي على أمرائه وجنوده، والثالثة: تحتوي على سلاحه وعدده، والرابعة: تحتوي على خيله ومراكبه وآثاره وعُدده، والخامسة: تحتوي على جدول وسيم، مبجل عظيم، قد احتوى على جميع السيرة الشريفة والجواهرالمنيفة.

فصار بذلك هذا الكتاب جوهرة فائقة، ودرة لائقة، استحلاه الأحباب، واستحسنه الأصحاب، والله الموفق للصواب، وسميته: «الدرة المضية والعروس المرضية والشجرة النبوية المحمدية» على صاحبها أفضل الصلاة وأزكىٰ التحية][1].

٢ـ «الاقتباس لحل مشكلة سيرة ابن سيد الناس»، وذكرناه في المطبوعات.

٣ـ «الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي»، وذكرناه في المطبوعات.

٤ـ «الميرة في حل مشكلة السيرة» «سيرة ابن هشام» خ(١٩٠٤) ظاهرية، ويقع في (١٧٢) ورقة، وغيرها من الكتب.

---

(١) «الشجرة النبوية» ص (٣١ـ٣٢).

كما أنه اشتهر بضبط المواقع الجغرافية وغيرها، وخاصة مدينة دمشق، فقد كان ـ رحمه الله ـ عاشقاً لهذه المدينة، فضبط مواقع مساجدها، وأنهارها، وأسواقها، وصناعاتها، وخاناتها، وحماماتها، وحتى مأكولاتها، وقد ذكرنا كتبه ورسائله في ذلك، أهمها كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»، وفي ذلك يقول الأستاذ حبيب الزيات: [لا نعلم كتاباً واحداً جُمعت فيه أوصاف مصانع دمشق وخططها بين دور وقصور وأبواب، وأسوار، وقلاع، وأسواق وسويقات، وأزقّة ومحلات، ورحبات، وحارات، ودروب، وقياسر، ودهشات، وخانات وبيمارستانات، ومدافن، ومزارات، ومنتزهات، وجنان، وبساتين، وحانات وحمامات، وأنهار، وعيون وقنيّ، وجسور، على نمط الكتب الموضوعة في تعداد جوامعها، ومساجدها، وتاريخ مدارسها، وزواياها، ورُبُطها، وخوانقها وتربها، نظير كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» ليوسف بن عبد الهادي][1]، لذلك وصفه العلماء «بالمتقن»[2]، عديم النظير في التحرير والتقرير والضبط، وقد تقدم أقوال العلماء في ذلك.

٤ـ علو الهمة:

وهذه أيضاً صفة ملازمة له، فقد تقدم أنه ـ رحمه الله ـ أمضىٰ حياته كلها بين علم وعبادة، وتصنيف، وتدريس، وإفادة، لم ين ولم يفتر، ووقف بجانب الحق بكل قواه الروحانية وغيرها ليحصل الكمال له أو لغيره، وظل كذلك إلى أن توفاه الله ـ سبحانه ـ، ولم يقصد بذلك إلا وجه ربه، وأحواله تدل عليه.

ولقد ذكرنا سابقاً أن آخر ما عثرنا عليه من تدريسه وإجازاته لعدد من

---

(١) «مجلة الشرق» لسنة (١٩٣٩) مجلد (٣٧/ ١٨).

(٢) «سكردان الأخبار نقله في السحب الوابلة» (ص٤٨٧).

تلاميذه كان بتاريخ (٣) المحرم سنة (٩٠٩هـ)، علماً بأن وفاته كانت في (١٦) المحرم من السنة نفسها؛ أي: قبيل وفاته بـ (١٣) يوماً فقط، ولعله ظل يدرّس إلى ما بعد هذا التاريخ، والله أعلم[١]، ولذلك وصفه العلماء «بالهمام»[٢].

٥ـ خفة الروح:

وهذه الصفة من أجمل ما يتحلى به المرء، والأساتذة بشكل خاص، فهي تنبىء عن شخصية قوية واثقة، وهذا ما يريده الطلبة، كما أنها تبعد السأم والضجر، وتساعد على الفهم، وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي: «وهذه صفة شائعة على الألسنة في عصرنا الحاضر، وتعتبر من الصفات الحسنة للإنسان عامة، ومن عوامل التفوق والنجاح في التدريس والوعظ خاصة، وتدل على سماحة النفس، والاهتمام بالطلاب، والتخفيف عنهم، والترويح في التدريس»[٣].

ويلاحظ أن ابن عبد الهادي كان يتمتع بهذه الصفة، وربما كانت وراثية، ويظهر ذلك في تصانيفه، وفي حكاياته الطريفة لتلاميذه، فمن تصانيفه في هذا الجانب:

١ـ «إتحاف النبلاء بأخبار الكرماء والبخلاء»، وتقدم ذكره في المطبوعات.

٢ـ «أخبار الأذكياء»، خ(٤٣٢٨) ظاهرية في (٦٠) ورقة.

٣ـ «أخبار وأشعار متفرقة»، خ(٣١٤٩) ظاهرية في (٥٠) ورقة.

٤ـ «إرشاد الفتىٰ إلى أحاديث الشتا»، خ(٣٢١٦) ظاهرية في (٥) ورقات.

---

(١) انظر: «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ(٣٢١٦) ظاهرية ـ ورقة ٦٦.

(٢) «النعت الأكمل» (ص٦٨).

(٣) «ابن كثير الدمشقي» (ص ١٢٣).

٥ـ «رائق الأخبار ولائق الحكايات والأشعار»، خ(٣٢١٣) ظاهرية في (٦١) ورقة.

٦ـ «غراس الآثار وثمار الأخبار ورائق الحكايات والأشعار»، خ(٣١٩٣) ظاهرية، في (٨٧) ورقة، وغيرها من الكتب.

وقد ينفرد ببعض الأخبار الطريفة من مسموعاته يخبر بها تلاميذه، نذكر منها ما أخبر به تلاميذه من بعض حكايات العلامة شيخ الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين بن قدامة، «ابن قاضي الجبل (٧٧١هـ)»، قال ابن طولون: [ومن حكاياته ما أخبرنا به شيخنا جمال الدين بن عبد الهادي، «أنا» شيخنا الشيخ تقي الدين بن قندس: أنه كان مرة عنده في الدرس صاحب «الفروع»، فذكر مرة مسألة، فقال صاحب «الفروع»: يا مولانا قاضي القضاة! في المسألة قول آخر، فقال: اسكت، هذا القول أسود مثل وجهك، فسكت، فلما فرغ الدرس، قام فخرج، فرئي عند المصطبة السلطانية، فقال له من لقيه: إلى أين؟ قال: إلى البيت، قال: وأين البيت؟ فردَّه، وحصل له ذلك من الغيظ الذي حصل له في الدرس.

ومنها ما قال شيخنا ابن عبد الهادي: «أنا» والدي: أن الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية كان إذا بحث معه في مسألة يقول له: ستَّ العيش! أرخي نقابك، فيسكت ولا يعود يتكلم، وأن الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي (٧٤٤هـ) لما كان يثبت معه في البحث ربما تنخَّم وبصق في وجهه، فيمسحه بيده، ويقول: طاهر بإجماع المسلمين، هات إن كان معك شيء. وبلغنا عنه: أنه لقيه مرة السبكي الكبير، فقال له: يا مولانا! لما رأيناكم من بعيد، حسبناكم يهوداً، فقال: لكنا لما رأيناكم حسبناكم مسلمين، فسقط في يد السبكي، وندم على ما قال له][١].

(١) «القلائد الجوهرية» (٢/ ٤٩٢ـ٤٩٣).

ونُقل عن ابن عبد الهادي ترجمة إبراهيم بن الشيخ تقي الدين بن قندس (٨٨٧هـ) بأنه حفظ «تجريد العناية» وغيره، واشتغل ولم يحصل على كثير علم. قال ابن طولون: «قال شيخنا ابن المبرد: وسمعت والده عدة مرات يقول: خاب ظني، خاب ظني، ربيته فقيه، طلع مغني»[(١)].

وهذه الحكايات وغيرها تدل على خفة الروح التي يتمتع بها علماؤنا المسلمون، كما تدل على خفة الروح لدى الناقل ـ رحمهم الله وإيانا ـ.

٦ـ الالتزام بالحديث والسنة:

ومن صفاته ـ رحمه الله ـ أنه كان شديد الالتزام بالسنة، والدعوة إلى اتباع السلف الصالح، ولا غرابة في ذلك، فهو من بني قدامة بيتِ الرواية والمشيخة، وهو المحدِّث الرحلة المسند الحافظ لأحاديث رسول الله، مع العقل النير من العادات الباطلة والأعراف الفاسدة، والبدع والخرافات.

وهذا ما يدعونا للتوقف عند عقيدته ـ رحمه الله ـ، يقول في مقدمة «مغني ذوي الأفهام»: «صانع العالم واحد أحد، فرد صمد، سميع، بصير، متكلم، حيٌّ، قادر، عالم، مُريد، متعالٍ في علاه، صفاتُه قديمة كذاته، أول لا بداية لوجوده، آخر لا نهاية لبقائه، ظاهر لا خفاء لربوبيته، باطن لا شك في وحدانيته، نؤمن بما صح من صفاته، ونؤمن بما وصف به نفسه على مراده، وما وصفه به رسوله على مراد رسوله، لا نتأول ذلك، ولا نعطله، ولا نشبهه بخلقه، ولا نمثله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، أرسل رسله بكلامه المنزل، وهو حقيقة كلامه، نزل به جبريل على سيد المرسلين...»[(٢)].

---

(١) «التمتع بالأقران» (ص٩٩).

(٢) «مغني ذوي الأفهام» (ص٢٢).

وقد شن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ حرباً لا هوادة فيها على البدع والمبتدعين، وصنف في ذلك كثيراً نذكر منها:

١ـ كتاب «كشف الغطا عن محض الخطا» خ(١١٣٢) ظاهرية.

٢ـ كتاب «جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر» خ(١١٣٢) ظاهرية.

ولذلك وصفه العلماء ببقية السلف، قدوة الخلف[١].

٧ـ الخلق والفضيلة والموضوعية:

كانت أخلاقه ـ رحمه الله ـ حميدة، ويلتزم الفضائل والقيم، وسعة الصدر والحلم، والصداقة المخلصة، والوفاء لأصدقائه، والتقدير والاحترام لشيوخه؛ فقد ترجم لعدد كبير منهم، وأثنىٰ عليهم خيراً، وعدد مناقبهم، وأثبت فضائلهم، واعترف بالأخذ عنهم، وذكرهم جميعاً في «معجم شيوخه»، وكذا فعل مع تلاميذه ومعاصريه، ومعظم ماقدمناه من تراجم لشيوخه وتلاميذه في الفصل السابق كان من خطه، كما أنه يلاحظ عند ترجمته لتلاميذه من مختلف المذاهب يبدأ بقوله: «أخونا وصاحبنا»، كما تقدم.

ولذلك أفرده بالترجمة تلميذه المحدِّث شمس الدين بن طولون بمجلد كبير سماه: «الهادي في مناقب الإمام يوسف بن عبد الهادي»[٢]، ونعته في موضع آخر بـ «الفاضل»[٣]، كما وصفه بخير صفة يمكن أن يتصف بها عالم فقال: «العالم العامل»[٤].

وقال تلميذه أبو القاسم بن علي السبتي الأندلسي المالكي: «...

---

(١) «النعت الأكمل» (ص٦٨)، «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨٣).

(٢) انظر: جميع مصادر ترجمة ابن عبد الهادي.

(٣) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص٤٨٧).

(٤) المرجع السابق.

سيدنا ومولانا، وشيخنا ومفيدنا الشيخ الإمام...»[1].

وقال الغزي الشافعي: «... بقية السلف، قدوة الخلف... وأجمعت الأمة على تقدمه وإمامته، وأطبقت الأئمة على فضله وجلالته»[2].

وبه قال الشيخ الشطي ـ رحمه الله[3] ـ.

وزاد الشيخ الشطي ـ رحمه الله ـ: «... كان إماماً جليلاً عالماً نبيلاً»[4].

٨ـ مواقف ابن عبد الهادي:

سبق وذكرنا ـ في مواضع عدة من بحثنا هذا ـ بعض مواقف ابن عبدالهادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ؛ كموقفه من أولاده، وزوجاته، وقلنا بأنه أحسن تربيتهم منذ أيامهم الأولىٰ، ودليله إجازاته لهم، وهي كثيرة ومتوفرة، وكذلك كان موقفه من تلاميذه، وقد تقدم موقفه من شيوخه ومعاصريه في الفقرة السابقة.

وتقدم أيضاً موقفه من المذاهب الإسلامية، وذكرنا عدم ممانعته من دخول المذاهب الثلاثة المدرسة العمرية إلى جانب مذهبه، كما أنه أخذ عنهم، وأخذوا عنه، ثم قمنا بتقديم نماذج من تصانيفه في محاربة البدع والمبتدعين.

وقلنا: إنه ـ رحمه الله ـ كان يتألم من الأوضاع السياسية السائدة في عصره، والتي جعلته يمدح السلطان العثماني محمداً الفاتح وابنه بايزيد، ويحثهما على الجهاد في أوروبا وفي غيرها، وكأنه يدعوهما للقدوم إلى

---

(١) «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ(٣٢١٦) ظاهرية ـ ورقة (٦٦).

(٢) «النعت الأكمل» (ص ٦٨ـ ٦٩).

(٣) «مختصر طبقات الحنابلة» (ص ٨٣).

(٤) «المرجع السابق» (ص٨٣).

بلاد الشام لتخليصها من حكم المماليك، وهذا ما حصل، ولكنْ بعد موته بـ (١٣) عاماً، وفي ذلك يقول الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «. . . وكان يوسف صلباً في الحق، قوياً في الدين، لا يهاب ملكاً ولا ذا سلطان، فقد ألّف كتاباً في سيرة السلطان السعيد محمد بن عثمان ضَمَّنه طائفة من سيرته، وشيئاً من غزواته، وطرفاً من المواعظ ساقها للسلطان بلهجة قوية صادقة تدل على حزم وعزم، ولا عجب فأتباع أحمد بن حنبل هم زهاد المسلمين وأصدعهم بالحق»[١].

وقال الأستاذ صلاح الخيمي ـ حفظه الله ـ: «. . كان بعيداً عن الدنيا وزخارفها، راغباً في الآخرة، كارهاً للمناصب، لم يسمع عنه أنه وقف بباب أمير أو حاكم، فقد كان صلباً في الحق، قوياً في الدين، لا يهاب ملكاً ولا ذا سلطان، حتى توفاه الله. . .»[٢].

ونستخلص من كل ذلك أن مواقفه ـ رحمه الله ـ كانت في غاية الجرأة والشجاعة، فالحياة موقف. قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الجِهادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائِرٍ.»[٣].

* * *

ثانياً: وفاة ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ:

أجمع المؤرِّخون علىٰ أن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ توفي بصالحية دمشق يوم الاثنين (١٦) محرم من سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، وصُلِّي عليه بجامع الحنابلة، و ودعته دمشق في جنازة مهيبة حافلة

---

(١) «ثمار المقاصد» (ص١٥).

(٢) مجلة «معهد المخطوطات العربية» مجلد(٢٦) الجزء(٢) (ص٨٠٨).

(٣) رواه النسائي (٧/١٦١)، ورجاله ثقات، وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/١٦٨).

مشهودة، ودفن بسفح قاسيون، عند أسلافه ـ رحمهم الله وإيانا رحمة واسعة، وجمعنا وإياهم في دار الإقامة ـ آمين.

قال ربنا عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٦ـ٢٨].

***

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

ونذكر هنا بعض أقوال العلماء والمؤرِّخين فيه، مبتدئين ببعض تلاميذه، ثم من بعدهم:

١ـ كتب تلميذه العلامة أبو القاسم بن علي بن محمد السبتي الأندلسي الوادي آشي المالكي (كان حياً ٨٩٣هـ) سماعه بخطه على كتاب «تهذيب النفس للعلم وبالعلم»[1] للإمام يوسف بن عبد الهادي قال: «الحمد لله وكفى، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفى، وبعد: فقد سمعت من لفظ سيدنا ومولانا وشيخنا ومفيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة، البحر الفهّامة، المسند، المحدِّث، المكثر، ذي التصانيف العديدة، والتآليف المفيدة، جمالِ الدين أبي المحاسن يوسف بن عبد الهادي الحنبلي الصالحي ـ أعاد الله علينا من بركاته، وبركة علومه في الدنيا والآخرة ـ كتابه هذا، وترصيفه «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» من أوله إلى آخره في ليلة الخميس لستٍّ خلون من شهر ربيع الآخر في سنة (٨٩٣هـ)، وذلك بمنزله من

---

(١) «تهذيب النفس للعلم وبالعلم» ـ خ(٣٢١٦) ظاهرية ـ ورقة (٦٦).

صالحية دمشق المحروسة، وأجاز المسمعُ ـ نفع الله به ـ لمن سمعه أن يرويه عنه وجميع ما يجوز له عنه روايته بشرطه المعتبر عند أهل الفن والأثر.

قال ذلك، وَزَبَرَهُ بيده الفانية أبو القاسم بن علي السبتي الأندلسي الوادي آشي المالكي ـ وفقه الله تعالىٰ ـ مصلياً، مسلماً، محسبلاً، محوقلاً، معظماً، مبجلاً»[1].

٢ـ وكتب تلميذه الحافظ شمس الدين بن طولون الحنفي (٩٤٤هـ) سماعه بخطه على الكتاب نفسه «تهذيب النفس للعلم وبالعلم»، قال: «قرأت هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبي المحاسن بن القاضي بدر الدين حسن بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادي العمري القرشي الحنبلي ـ أدامه الله للأنام، ونفع به الخاص والعام ـ فسمعه البرهان أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الوهاب بن محمد الخطيب المرداوي. . .»[2].

وفي سماع بخطه على الكتاب نفسه، قال: «ثم قرأته عليه أيضاً. . . أدام الله بهجته، وحرس للأنام مهجته. . .»[3].

وترجم ابن طولون لشيخه ابن عبد الهادي، فقال بعد أن ساق نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «هو الشيخ الإمام، علم الأعلام، المحدِّث، الرحلة العلامة، الفهّامة، العالم العامل، المتقن الفاضل، جمال الدين أبو المحاسن وأبو عمر ابن أقضىٰ القضاة بدر الدين

---

(١) المرجع السابق، ورقة (٦٦).
(٢) «المرجع السابق» ورقة (٦٥).
(٣) «المرجع السابق» ورقة (٦٦).

حسن بن الشيخ المعمَّر المسند الرحالة شهاب الدين الشهير بابن المِبْرد . . . »[1] .

وقد ألّف ابن طولون مجلداً ضخماً في مناقب شيخه وسيرته سماه: «الهادي في مناقب الإمام يوسف بن عبد الهادي» .

قال الغزي: «وقد ألف تلميذه الشيخ شمس الدين بن طولون في ترجمته مؤلفاً ضخماً وقفتُ عليه في تعاليقه»[2] .

٣ـ وقال تلميذه المؤرِّخ عبد القادر النعيمي (٩٢٧هـ) في ترجمته: «الشيخ العالم المصنف المحدِّث»[3] .

٤ـ وقال الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، وقد ترجم له وهو حي: « . . . وناب في القضاء، وهو حي في سنة (٨٩٦هـ)»[4] .

٥ـ وقال ابن الملا بعد أن ذكر اسمه: « . . . المقدسي الأصل، الصالحي الحنبلي، الشيخ العالم، المحدِّث، المصنف، العلاّمة، جمال الدين أبو المحاسن، كتب كثيراً، وجمع أشياء كثيرة، وأوقف الجميع بمدرسة أبي عمر»[5] .

٦ـ و وصفه الحافظ محمد بن أحمد بن نجم الدين الغيطي (٩٨١هـ) في مشيخته بـ «الحافظ»[6] .

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله «في السحب الوابلة . . » (ص٤٨٦) .

(٢) «الكواكب السائرة» (١/ ٣١٦)، وانظر: جميع مصادر ترجمة ابن عبد الهادي .

(٣) «العنوان»، خ نقله في «السحب الوابلة» ص (٤٨٦) .

(٤) «الضوء اللامع» (١٠/ ١٠٨) .

(٥) «متعة الأذهان»ـ خ ورقة (١٠٧) ب .

(٦) «فهرس الفهارس» (٢/ ١١٤١) .

٧ـ وقال الشيخ الإمام محمد بن محمد بن نجم الدين الغزي (١٠٦١هـ) في ترجمته: «. . . . الشيخ الإمام العلامة، المصنف، المحدِّث، . . . وصلىٰ بالقرآن ثلاث مرات. . وكان الغالب عليه علم الحديث والفقه، وشارك في النحو والتصريف والتصوف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة، ودرَّس وأفتىٰ، وقد ألّف تلميذه الشيخ شمس الدين بن طولون في ترجمته مؤلفاً ضخماً وقفتُ عليه في تعاليقه. . . وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ»[1].

٧ـ وقال الإمام ملا كاتب جلبي، الحاج خليفة (١٠٦٧هـ): «الشيخ الإمام العلاّمة جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن عبد الهادي وابن المبرد»[2].

٨ـ وقال الإمام المؤرِّخ الفقيه، الأديب المحدِّث أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) في ترجمته: «. . . وصلّى بالقرآن ثلاث مرات. . . وكان إماماً علامة يغلب عليه علم الحديث والفقه، ويشارك في النحو والتصريف والتصوف، والتفسير، وله مؤلفات كثيرة، ودرّس وأفتىٰ، وألف تلميذه شمس الدين بن طولون في ترجمته مؤلفاً ضخماً»[3].

وتقدم قول ابن العماد ـ رحمه الله ـ بأن الحنابلة يعتبرون حديث تلاميذ ابن عبد الهادي عنه عن جده من أصح الأحاديث المسلسلة بالحنابلة التي يقال لها: سلسلة الذهب، ولا يوجد حديث عندهم أصح منه[4].

---

(١) «الكواكب السيارة» (١/ ٣١٦).
(٢) «كشف الظنون» (١/ ٧٤٣، ٩٣٨، ٢/ ١٠٩٧، ١١٧١، ١٢٩٢).
(٣) «شذرات الذهب» (٨/ ٤٣).
(٤) المرجع السابق (٥/ ٤١٥).

٩ـ ووصفه الشيخ المؤرِّخ محمد بن عيسىٰ بن كنان الصالحي (١١٥٣هـ) بقوله: «الإمام الحافظ»[١].

١٠ـ وقال الشيخ الإمام العلاّمة الأديب المتفنن مفتي الشافعية بدمشق وابن مفتيها أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد الغزي العامري (١٢١٤هـ) في ترجمة ابن عبد الهادي بعد أن ساق نسبه بالتفصيل إلى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ما نصه: «هو الشيخ الإمام العالم العلاّمة، الهمام، نخبة المحدِّثين، عمدة الحفاظ المسندين، بقية السلف، قدوة الخلف، كان جبلاً من جبال العلم، وفرداً من أفراد العالم، عديم النظير في التحرير والتقرير، آية عظمىٰ، وحجة من حجج الإسلام كبرىٰ، بحر لا يلحق له قرار، وبر لا يشق له غبار، أعجوبة عصره في الفنون، ونادرة دهره الذي لم تسمح بمثله السنون، أفرده تلميذه المحدِّث شمس الدين بن طولون بالترجمة في مجلد حافل سماه: «الهادي إلىٰ ترجمة يوسف بن عبد الهادي...»، وقرأ القرآن العظيم، وصلىٰ بالقرآن ثلاث مرات، وأخذ العلم عن مشايخ كثيرة جداً، وقد جمعهم في معجمين كبير وصغير، وحضر دروس خلائق لا يكادودن يحصون كثرة... وكان إماماً علاّمة، يغلب عليه علم الحديث والفقه، وله يد في غيرهما؛ كالتفسير والتصوف والنحو والتصريف، والمعاني والبيان، وغير ذلك من أنواع العلوم، ثم أخذ في قراءة العلوم وإقرائها حتى حظي بالشيء الكثير، ودرّس وأفتىٰ، وأجمعت الأمة على تقدمه وإمامته، وأطبقت الأئمة على فضله وجلالته»[٢].

ثم عقد مطلباً في مؤلفات ابن عبد الهادي فقال: «مطلب في أسماء

---

(١) «المروج السندسية» تلخيص «تاريخ الصالحية» ص (١، ٢) وغيرها.
(٢) «النعت الأكمل» (ص٦٨ـ٦٩).

مؤلفات المترجم مولانا يوسف بن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ»[1].

١١ـ و وصفه إسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩هـ) بقوله: «الأديب المعروف بابن عبد الهادي»[2].

١٢ـ وقال الشريف عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (١٣٤٥هـ): «هو الحافظ جمال الدين... من أعيان محدِّثي القرن العاشر، والمشهورين بكثرة التصنيف وسعة الرواية، وقد أفرده تلميذه الحافظ ابن طولون بمؤلف ضخم سماه: «الهادي إلى ترجمة المحدِّث الجمال بن عبد الهادي...»، ومن تآليفه في علوم الحديث...، وغير ذلك مما أفرد تعداده في رسالة مخصوصة، تتصل به من طريق ابن طولون عنه»[3].

١٣ـ و وصفه الشيخ العلاّمة محمد جميل بن عمر الشطي بمثل ما قاله الغزي في «النعت الأكمل»، وزاد عليه بقوله: «وبالجملة فقد كان إماماً جليلاً، عالماً نبيلاً، أفنىٰ عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وإفادة»[4].

١٤ـ و وصفه المؤرِّخ خير الدين الزركلي ـ رحمه الله ـ (١٣٩٦هـ) بقوله: «علاّمة، متفنن، من فقهاء الحنابلة...»[5].

١٥ـ وقال المؤرِّخ عمر رضا كحالة: «محدث، فقيه، متكلم، نحوي، صرفي، صوفي، مشارك في عدة علوم، ودرّس وأفتىٰ»[6].

١٦ـ وأثنى عليه الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ ثناء جميلاً في كثير

---

(١) المرجع السابق (ص٦٩).

(٢) «هدية العارفين» (٦/ ٥٦٠ـ ٥٦٢)، «إيضاح المكنون» (٣/ ٢٢) وغيرها.

(٣) «فهرس الفهارس» (٢/ ١١٤١ـ ١١٤٢).

(٤) «مختصر طبقات الحنابلة» (ص٦٨).

(٥) «الأعلام» (٨/ ٢٢٥).

(٦) «معجم المؤلفين» (٤/ ١٥٣).

من المواضع نقتطف منها: «وكان يوسف كأكثر الحنابلة بعيداً عن الدنيا، راغباً في الآخرة، كارهاً للمناصب، صلباً في الحق، قوياً في الدين، لا يهاب ملكاً ولا ذا سلطان»[1].

ثم قال: «. . . . وقد ثقف علوم عصره كلها، وكان معلمة إسلامية حية تعنىٰ بالتعليم والكتابة والتأليف، ولا أدل على ذلك من إلقاء نظرة على ماأبقى لنا الدهر من مؤلفاته الكثيرة»[2].

وقال رحمه الله أيضاً: «. . . . فإن الرجل كان آية الآيات في العلم والمعرفة. . .»[3]،

وقال أيضاً: «. . . ولا عجب فإن الرجل آية الآيات ـ رضوان الله عليه ـ»[4].

١٧ـ وقال الأستاذ صلاح الخيمي ـ حفظه الله ـ: «إنه ـ في رأيي ـ عالم موهوب، ومفكر عظيم، يملك ذكاءً نادراً، وذاكرة قوية، وعقلاً خصباً كبيراً، وسع جميع علوم ومعارف عصره، وقد صاغ هذه العلوم والمعارف كتباً ورسائل خطتها أنامله، ورددها لسانه دروساً ألقاها على طلابه الكثيرين في المساجد، وفي المدرسة العمرية، وفي بيته، وفي أماكن أخرى. . .»[5].

وقال أيضاً: «وأخيراً وبعد حوالي ثلاثة أرباع قرن من الزمن مات يوسف جسداً، ولكنه ظل خالداً على مدىٰ الأيام، جاور في المدرسة

---

(١) «ثمار المقاصد» (ص١٥).
(٢) «المرجع السابق» (ص١٩).
(٣) «المرجع السابق» (ص٤٣).
(٤) «المرجع السابق» ص (٤٨).
(٥) مجلة «معهد المخطوطات العربية» المجلد (٢٦) الجزء (٢) ص (٧٧٧).

العمرية أكثر حياته، وفيها كتب الكثير من مؤلفاته، كان بعيداً عن الدنيا وزخارفها، راغباً في الآخرة، كارهاً للمناصب، لم يسمع عنه أنه وقف بباب أمير أو حاكم، فقد كان صلباً في الحق، قوياً في الدين، لا يهاب ملكاً، و لا ذا سلطان، حتى توفاه الله، فسلام عليك، ورحمة من الله وبركات، فقد عشت عالماً، وستبقىٰ آثارك تذكر الناس بك أبد الأبدين»[(١)].

١٨ـ وقال الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي ـ حفظه الله ـ: «الفقيه الحنبلي، العلاّمة، المحدِّث، المتفنن، الباحث، المصنف، القاضي، غلب عليه الحديث والفقه، وشارك في النحو والتصريف، والتصوف، والتفسير، وكان شاعراً، صنف في علوم كثيرة. . .»[(٢)].

١٩ـ وإني أقول عنه: «الشيخ الإمام العالم العامل العارف الزاهد العابد الأوحد العلاّمة، حجة الإسلام، ومفتي الأنام، سيد العلماء والحكام، الهمام الموسوعي المتفنن، المقرىءالمجود، الضابط الحاذق، المحدِّث المسند المتقن، الحافظ الفقيه الأصولي، المفسر، النحوي، المؤرِّخ، الأديب، البليغ، المتصوف، الواعظ، المصلح، المجاهد، الورع، الطبيب. . . . المتقي، عبد الله».

ومهما قلنا، فلن نوفيه حقه ـ رحمه الله رحمةً واسعة، ونفعنا وجميع المسلمين بعلمه وسيرته العطرة، وجمعنا وإياه في دار الإقامة ـ آمين.

قال ربنا سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ـ ٥٥]. صدق الله الملك القدير العظيم الرحيم.

❑ ❑ ❑

---

(١) «المرجع السابق» (ص٨٠٧ـ ٨٠٨).
(٢) «مرجع العلوم الإسلامية» (ص٤٥٨).

الباب الثالث

آثار ابن عبد الهادي الفقهية

تمهيد

نظرة عامة
على إسهامات ابن عبد الهادي في علم الفقه
من خلال بعض ما تبقى من مؤلفاته

نشأ ابن عبد الهادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ على دراسة الفقه على المذهب الحنبلي، وحفظ «المقنع» و«الطوفي» في الأصول[1]، وغيرها، وصار من فقهاء الحنابلة في عصره، ويلاحظ من دراسة مؤلفاته الفقهية أنه كان عالماً بفقه المذاهب جميعها كما سنبين.

وتظهر إسهامات ابن عبد الهادي في علم الفقه بالأمور التالية[2]:

١) تدريس الفقه للطلبة في الأمكنة التي تقدم ذكرها.

٢) ممارسة الفتوىٰ طوال حياته، وقد ذكرنا بعضاً من فتاويه المتبقية.

٣) توليه القضاء، وتقدم ذلك أيضاً.

٤) شرح غريب الألفاظ في كتب السلف الفقهية، ومثاله كتابه «الدر النقي في شرح غريب ألفاظ الخرقي»[3].

---

(١) «الطوفي في الأصول».

(٢) ذكرنا فيما سبق أن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ قام بتصنيف الكثير من الكتب الفقهية، وفي مختلف الحجوم من الرسالة الصغيرة وإلى المئة وعشرين مجلداً، وقد ذكرناها في إنتاجه، وسوف نتعرض في هذا الفصل لكتبه المتبقية فقط.

(٣) رسالة دكتوراه، وقد ذكرناها في المطبوعات.

٥) شرح الكتب والمنظومات الفقهية، ومثاله كتابه «الزهور البهيجة في شرح الفقهية» ـ خ(٤٤٢٠) برلين ـ و«شرح منظومة في الفقه الحنبلي» خ(٣٧٨٣) ظاهرية ـ.

٦) تناول الأحكام الفقهية عند التعرض لها في مختلف كتبه.

ففي كتب التراجم والمناقب تعرض للأحكام الفقهية، فذكر الأحكام والآثار التي قالها الأئمة، نذكر منها كتابه «إرشاد السالك إلى مناقب الإمام مالك» خ(٣٤٦١) ظاهرية ـ رتبه على (٧٠) باباً، وجعل الباب (١٢) في كلام الإمام مالك في الفقه، ورتب كتابه «محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص» ـ خ (٣٢٤٨) ظاهرية ـ على (٦٥) باباً، جعل الباب الـ (٢٣) في مسائل اختارها سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ، كذلك الأمر في كتابه «محض الشيد في مناقب سعيد» ـ خ (٣٢٤٨) ظاهرية ـ وغيرها من الكتب.

وفي علوم القرآن كتابه «البيان لبديع خلق الإنسان» ـ خ (٣١٩٦) ظاهرية ـ قال في أوله: «. . . هذا كتاب أذكر فيه الآدمي وتراكيبه، وما يتعلق بها من الفوائد والأمور الطبية والفقهية واللغوية وغير ذلك. . . وعجائب تركيبه وما يحتوي عليه، وسميته «كتاب البيان لبديع خلق الإنسان»، والله أسأل أن ينفعني به ومن نظر فيه. . . وجعلته عشرة أبواب. . . »[1].

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «وكل باب من هذه ينتظم فصولاً عديدة، ينقل فيها كثيراً عن أئمة اللغة كالأصمعي وابن الأنباري، وعن رجال الطب كأبقراط وسقراط وغيرهما، والكتاب مجموعة قيمة في الطب والتصوف واللغة والفقه، وإليك نبذة من الفصل الذي ذكر فيه أجزاء

---

(١) «ثمار المقاصد» (ص٣٨).

الإنسان من لدن أعلاه إلى أسفله: [... أعلى شيء في الإنسان شعر الرأس، يقال لشعر الرأس: شعر، ويقال له: قرون إذا كان مضفوراً، وذؤابة، ويتعلق بالشعر أمور، منها أن المرأة يحرم عليها حلقه، والرجل الأفضل له اتخاذه، ويباح حلقه... وله ترجيله ودهنه وغسله وخضابه بغير السواد، ومنها أنه يحرم على المرأة أن تصل شعرها، ومنها أن شعر الآدمي طاهر، سواء اتصل أو انفصل من الحي أو الميت، ومنها أنه هل يجب نقضه في الغسل؟ اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال... ومنها أنه يجب مسحه في الوضوء، واختلف العلماء في قدر الواجب على خمسة أقوال...].

وقد استغرق هذا الفصل في أوصاف أعضاء الإنسان نحواً من مئة صفحة كبيرة، والكتاب من أثمن الكتب وأنفعها، وهو في (٢٥٠) صفحة، كتبه يوسف بالسهم الأعلى من الصالحية»[١].

وتعرض أيضاً للأحكام الفقهية في كتابه الثمين «هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن» ـ خ (٣٤٥) ظاهرية ـ ويقع في (١٠٠٠) صفحة، قال عنه الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «والكتاب من أكثر الكتب فائدة وأثمنها، لأنه معلَمة قرآنية جليلة ينبغي نشرها»[٢].

وفي الطرف والأدب كتابه «الإرشاد إلى ذكر موت الأولاد» ـ خ (١٤٣٢) ظاهرية ـ جعل فيه «باب ماينهى عن الندب والنوح والحلق وشق الثياب ولطم الخدود وخمشها وتسخيم الوجوه وكل هذه الأمور الرَّدِيَّة الشيطانية»[٣].

---

(١) «المرجع السابق» (ص٣٩ـ ٤٠).

(٢) «المرجع السابق» (ص٤٢).

(٣) «المرجع السابق» (ص٤٦) ومابعدها.

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «والكتاب تحفة نفيسة في نحو (٥٠٠) صفحة، فرغ منه بمدرسة أبي عمر في (١١) رمضان سنة (٨٩٧هـ)، وفي آخره إجازة لأولاده، ولابن طولون، والشهاب السهروردي، وغيرهم»[١].

ويلاحظ تناوله للأحكام الفقهية عند التعرض لها في مختلف كتبه ـ رحمه الله ـ.

٧) تصنيفه كتباً ورسائل مستقلة في أحاديث الأحكام، وصلنا منها رسالتان:

الأولى: رسالة «جواب بعض الخدم لأهل النِّعم عن تصحيف حديث احتجم» ـ خ(٣٧٧٦) ظاهرية ـ وقد تقدم ذكره، قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: [. . . ثم ذكر اختلاف الناس في هذا الحديث، وهل هو بالراء أم بالميم، فإن كان بالميم، فهو دليل على جواز الاحتجام في المسجد، وإذا كان بالراء، فمعناه «احتجر في المسجد بخصٍّ أو حصير حجرة يصلي فيها، فصحفه ابن لهيعة لكونه أخذه بغير سماع»، ثم قال: وذكر ذلك مسلم في كتاب «التمييز»، وذكر أيضاً أن ممن يقولون أنه بالراء الحافظ ابن العراقي إذ يقول في ألفيته:

وَأَطْلَقُوا التَّصْحِيفَ فِيما ظَهَرَا   كَقَوْلِهِ احْتَجَمْ مَكَانَ احْتَجَرَا

والرسالة جد نفيسه برهن المؤلف فيها على أن الصواب احتجر، وأن الميم تحريف][٢].

الثانية: رسالة «الاختيار في بيع العقار» ـ خ (٣٢٤٩) ظاهرية ـ ذكر فيها جميع ماورد عن النبي ﷺ في بيع العقار.

(١) «المرجع السابق».
(٢) «المرجع السابق» (ص٢٨).

٨) كتابة عدد من الكتب والرسائل إما بشكل مستقل، وإما ضمن كتبه، وهي كثيرة، منها:

أـ كتاب «أحكام الحمّام وآدابه» ـ خ(٤٥٤٩) ظاهرية ـ ويقع في (١٠٢) ورقة بخطه، سنة (٨٨٥هـ)، عدّد أبوابه الخمسين الدكتور صلاح الدين المنجد في «مجلة المشرق»[١]، غَطّىٰ ابن عبد الهادي فيها جميع مايتعلق بالحمام من أحكام إلى جانب أشياء أخرى.

قال الدكتور المنجد: «... وهو يدل في جملته، على مبلغ عناية السلف بالحمامات، واهتمامهم بأمرها»[٢].

ب ـ كتاب «الإغراب في أحكام الكلاب» ـ خ(٣١٨٦) ظاهرية ـ ويقع في (٥٩) ورقة، ذكر فيه جميع ما يتعلق بالكلاب من أحكام فقهية، وجملة من أخبار الكلاب كذكر الله الكلب باسمه، وكلب أهل الكهف وغيرها.

ج ـ كتاب «إيضاح طرق السلامة في بيان أحكام الولاية والإمامة» ـ خ (٢٣٠١) ظاهرية ـ ويقع في (١٦٧) ورقة، قال في أوله: «... أما بعد: فإن الله ـ عز وجل ـ فضل الآدمي على سائر المخلوقات، وجعله المقصود، وميزه من المخلوقات.. فجعل الله ـ عز وجل ـ أرفع الخلق وأعلاهم وأتمهم فضلاً الأنبياء، وجعلهم أصح الناس مزاجاً وأعظمهم كما قال عز وجل لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وجعل أفضل الخلق وأعلاهم في الدارين العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وجعل فيهم صفة من صفاته... وقد أحببت أن أضع كتاباً يحتوي على الخلافة والإمامة والولايات وما فيها من خير أو شر، وكيفية انعقادها

---

(١) «مجلة المشرق» لسنة(١٩٤٣م) مجلد (٤١/ ٤٢٣ـ ٤٢٥).

(٢) «المرجع السابق».

وشروطها وثوابها، وقد جعلته عشرة أبواب (١) في مسميات الحكام والولاة (٢) في شرط الولاة والحكام ومن يصلح للولاية (٣) في فضل الولاية وثوابها (٤) في الخوف منها وإثم الجور والظلم (٥) فيما يلزم كل واحد منهم فعله، وما لا يلزمه، وما يتعلق به (٦) فيما لكل واحد من الحق والطاعة (٧) في أئمة جور أخبر عنهم النبي ﷺ (٨) في حكم أموال المسلمين وبلادهم وما يجوز لكل من الأحكام (٩) فيمن تمنىٰ ذلك ومن كرهه (١٠) في ولاة وملوك وتواريخهم و ولايتهم. . . وقد قسم كل باب من هذه فصولاً متعددة[١].

د ـ كتاب «التوعد بالرجم والسياط لفاعل اللواط» ـ خ (٣٢١٥) ظاهرية ـ ويقع في (٩٧) ورقة، وهو كتاب جمع فيه أحوال هذا الأمر، وأحوال المرد والمخنثين.

قال الدكتور أسعد طلس ـ رحمه الله ـ: «ومن الغريب أن عليه إجازة بخطه لأولاده، وأمهم بلبل، وابنته عائشة»[٢].

هـ ـ خاتمة كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» وتقدم في المطبوعات في (١٥) فصلاً غطىٰ فيها جميع ما يتعلق بالمساجد من أحكام، وهذه الفصول جد قيمة، وجديرة بالتحقيق والنشر بشكل مستقل.

و ـ خاتمة كتاب «مغني ذوي الأفهام» ذكر فيها (٦٦) قاعدة فقهية سمّاها «في قواعد كلية يترتب عليها مسائل جزئية في جمع الفقه».

ز ـ كتاب «الرد على من شدد وعسّر في جواز الأضحية بما تيسر» ـ خ (٤٠٥١) برلين ـ لم أطلع عليه.

---

(١) «ثمار المقاصد» (ص٤٣ـ ٤٤).

(٢) «المرجع السابق» (ص٣١).

ح ـ موسوعته «زبد العلوم» ـ خ (٣١٩٢) ظاهرية ـ ضمنها كتابه «أصول الفقه»، وهو الكتاب الثاني فيها، وكتابه «فروع الفقه»، وهو الكتاب الثالث فيها أيضاً.

ط ـ كتاب «الصنائع» وقد ذكرناه في المطبوعات، وهو عبارة عن مقالة ذكر فيها آراء الفقهاء في أفضل الصنائع في الإسلام، قال الأستاذ حبيب الزيات: «لا تخلو تلاوته من بعض الفائدة والإغراب»[١].

٩) التصنيف المستقل في أحكام الفقه وأصوله، كذا في القواعد الفقهية والأصولية، وتخريج الفروع على الأصول، نذكر منها لا على الترتيب الهجائي:

أـ كتاب «مختصر مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام»، وقد تقدم في المطبوعات، كما سنأتي على دراسته في الفصل القادم.

ب ـ كتاب «زينة العرائس من الطرف والنفائس» ـ خ(٣٢٠٩) ظاهرية ـ.

ج ـ كتاب «القواعد الكلية والضوابط الفقهية» ـ خ (٣٢١٦) ظاهرية ـ، وتقدم ذكره في المطبوعات، كما سنأتي على دراسته في الفصل القادم.

د ـ رسالة «بيان القول السديد في **أحكام** تسري العبيد» ـ خ(٣١٩٤) ظاهرية ـ.

هـ ـ رسالة «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث» ـ خ(٣٨٣٥) ظاهرية ـ وطبعت سنة (١٩٥٢م) دون تحقيق، وهي التي سنأتي على تحقيقها في الفصل الأخير ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وـ كتاب «الزهور البهية على قواعد الأصول» ـ خ(٤٠٤١) ظاهرية ـ.

---

(١) «الخزانة الشرقية» ـ كتاب «الحسبة» ليوسف بن عبد الهادي ـ نشره الأستاذ الزيات في مجلة المشرق لسنة (١٩٣٧م) مجلد (٣٥/ ٣٨٤ـ ٣٩٠).

ز ـ كتاب «باب قواعد أصول الفقه التي يعلم منها حاله» طبع سنة (١٩١٢م) دون تحقيق.

ح ـ كتاب «تحفة الوصول إلى علم الأصول» ـ خ(١١٢٨) برلين ـ بخط المؤلف سنة (٨٦٥هـ).

ط ـ كتاب «غاية السول إلى علم الأصول» ـ خ(٤٤١٨) برلين ـ بخط المؤلف سنة (٨٦٥هـ) أيضاً.

ي ـ كتاب «مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول» ـ خ (٤٤١٩) برلين ـ.

وسنأتي على دراسة ما اطلعنا عليه من هذه الكتب في الفصل القادم إن شاء الله تعالىٰ.



الفصل الأول

دراسة بعض مؤلفات ابن عبد الهادي الفقهية

ونخصص هذا الفصل لدراسة بعض مؤلفات ابن عبد الهادي الفقهية المتبقية بإيجاز وعلى قدر الاستطاعة، منها:

الأول: كتاب «مختصر مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام»

ـ موضوع الكتاب:

هذا المختصر عبارة عن مجلد ضخم في الفقه المقارن، يحتوي على مهمات مسائل الدين في المذاهب الأربعة، ويشير إلى الإجماع والوفاق والخلاف بنفس الألفاظ على طريقة «مجمع البحرين» و«درر البحار» للسادة الأحناف.

ـ سبب تأليفه:

بيّن ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ سبب تأليفه للكتاب بقوله: «... جعلته عُمدة للطالب، وكافياً للمنتهي»[1].

ـ شروحه:

١ـ شرح لابن عبد الهادي نفسه، عمل منه (١٢٠) مجلداً، قال تلميذه ابن طولون الحنفي: [وألف في الفقه مختصراً سماه: «المغني لذوي

---

(١) انظر: مقدمة الكتاب (ص١٩) في الطبعة الجديدة.

الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام»، وشَرَحه، ولخص ذلك من كتابه «جمع الجوامع»، ولو تم هذا الكتاب لبلغ ثلاث مئة مجلد، عمل منه مئة وعشرين مجلداً][1].

٢ـ شرح للشيخ عبد المحسن بن ناصر آل عبيكان سماه: «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام»، ولم يتمه، وصل فيه إلى نهاية «كتاب الطهارة» في مجلدين ضخمين يقعان في (١٢١٢) صفحة من القطع الكبير، ولم يقم بشرح المقدمة، ونطلب من الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يعينه في إتمامه، نشر هذا الشرح مكتبة العبيكان ـ المملكة العربية السعودية، ط١ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

ـ طبعاته:

١ـ طبع لأول مرة بتعليق الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش على نفقة دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية عام (١٣٨٨هـ) بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة، وقد حذفت الرموز من هذه الطبعة، وفي نهايتها شرح للقواعد الفقهية التي في خاتمة الكتاب لعالم لم يذكر اسمه.

٢ـ ثم طبع للمرة الثانية بمطبعة السنّة المحمدية بتعليق الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ عام (١٣٩١هـ) مع الرموز.

٣ـ وطبع أخيراً بعناية الأخ أشرف عبد المقصود، نشرته مكتبة طيبة ـ الرياض ط١ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، وهي الطبعة التي بين أيدينا.

ـ تقسيم الكتاب: «خطة بحثه»:

قام المصنف بتقسيم كتابه إلى قسمين رئيسيين وخاتمة:

الأول: المقدمة: وتشمل:

---

(١) «سكردان الأخبار» نقله في «السحب الوابلة» (ص٤٨٩).

١ـ خطبة الكتاب، بين فيها سبب تأليفه، ومنهجه ورموزه، وسنأتي على ذلك في الفقرة التالية.

٢ـ فصل في أنواع العلوم، وكيفية التعلم والتعليم.

٣ـ باب فيما يجب على الإنسان معرفته من أصول الديانات، ذكر فيها عقيدته في الأسماء والصفات والقرآن والرسالة والصحابة، ثم ذكر علامات أهل الديانات والفرق.

٤ـ باب معرفة الإعراب، ذكر فيه قواعد الإعراب بإيجاز، وهو باب جِدُّ قيم.

٥ـ باب في قواعد أصول الفقه التي يعلم منها حاله، ذكر فيه الأصول المتفق عليها، والأصول المختلف فيها، وذكر فيه أيضاً ما يشترك فيه الكتاب والسنة من نسخ وأمر ونهي، وعام، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين ومفهوم، ونص ومشترك وحقيقة، وألفاظ، وتواتر، مع تعريف كل منها مع ذكر شيء من أحكامها، ثم ذكر ما يختص به الكتاب من أحكام، وتختص به السنة من أحكام أيضاً، وبعد الأصلين المذكورين ذكر الأصل الثالث وهو الإجماع، والرابع وهو القياس، ثم ذكر الاجتهاد والتقليد، ثم ذكر المرجحات، وأن ما ترجع قُدِّم، وضابطها اقتران أحد الطرفين بأمر نقلي أو اصطلاحي أو عقلي. قال. . . . . . «والله أعلم»[1].

٦ـ باب ما يستعمل من الآداب، وذكر فيه فصولاً عديدة، وفيه فوائد كثيرة.

٧ـ فصل في الرواية عن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، وطريقتها، وطريقة التوفيق بين الروايات المتعارضة.

---

(١) «مغني ذوي الأفهام» (ص٣٨).

القسم الثاني:

وهو مقصوده الذي هو الفقه المرموز مرتباً إياه على الترتيب المعهود في الكتب الفقهية، ابتدأه بكتاب الطهارة، وأنهاه بكتاب الإقرار.

الخاتمة:

وتشمل فصلاً في قواعد كلية يترتب عليها مسائل جزئية في جميع الفقه، ذكر فيه (٦٦) قاعدة فقهية.

ـ منهج ابن عبد الهادي في «مغني ذوي الأفهام»:

بيّن ابن عبد الهادي منهجه في مقدمة كتابه حيث يقول: «... فهذا مختصر في الفقه على مذهب الإمام الرباني، والصدّيق الثاني ابن عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، جعلته عُمْدةً للطالب المبتدي، وكافياً للمنتهي، اكتفيت فيه بالقول المختار، وأشير إلى المسألة المجمع عليها بأن أجعل حكمها «اسم فاعل» «ع» أو «مفعول» «ع»، وما اتفق عليه الأئمة بـ «صيغة المضارع»، وربما وقع ذلك لنا فيما اتفق فيه أبو حنيفة والشافعي في بعض مسائل لم نعلم فيها مذهب الإمام مالك، أوله فيها أو في مذهبه ثمّ قول غير المشهور، فإن كان لا خلاف عندنا في المسألة، «فالياء»، وإن كان فيها خلاف عندنا «فبالتاء»، ووفاق الشافعي، فقط «بالهمزة»، وأيضاً: «وش»، وأبي حنيفة فقط بـ «النون»، وأيضاً بـ «الحاء»، وخلاف المذاهب الثلاثة بـ «صيغة الماضي»، ولا أكرر فيه مسألة في علم واحد إلاّ لزيادة فائدة، ولا يمتنع تكرارها في علْمين تكرار ما في علمه فائدة؛ لأن كل علم تجري فيه على أصله، فربما اختلف حكمها في العلْمين، وربما اتفق»[1].

---

(١) «مغني ذوي الأفهام» (ص٧)، «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام» (١/ ٢١ـ٢٢).

ونظم ابن عبد الهادي اصطلاحه فيه في أبيات فقال[1]:

نُونُ المُضَارِعِ نُعْمانٌ، وَهَمْزَتُهُ ... للشّافِعِيِّ وِفَاقاً فاسْتَمِعْ خَبَرِي
وَاليَا وِفَاقُ الثَّلاثَةِ والخلافُ أَتَىٰ ... مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِنَا بالتَّا عَلى خُطْرِي
وَإِنْ بَـدأْتُ بِمـاضٍ فَهْـوَ مُنْفَـرِدٌ ... وَإِنْ بَـدأْتُ بـاسْـمٍ غَيْـرُ مُنحَصِـرِ

وقال ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [وقد زدنا فيه رموزاً بالحروف تدل من لا معرفة له بالنحو على المعنىٰ الذي أردنا: الإجماع: «ع»، و وفاق الثلاثة: «و»، وأبي حنيفة: «وه»، والشافعي: «وش»، وخلاف الثلاثة: «خ»، والمسائل الغريبة التي عدتهاأربعة آلاف: «ء»، وما فيه خلاف عندنا: «ود»][2].

ويتبين من ذلك أنه سلك في منهجه سبيل الاختصار والترميز، لذلك لم يتطرق إلى الأدلة، أما الأدلة، فقد ذكرها بتوسع في شرح الكتاب، كذلك في موسوعته الفقهية «جمع الجوامع» كما تقدم.

ـ أهمية الكتاب وثناء العلماء عليه:

وتتجلىٰ أهمية الكتاب:

١ـ في كونه كتاباً في الفقه المقارن، واحتوائه على مهمات مسائل الدين في المذاهب الأربعة.

٢ـ وفي إشارته للإجماع والوفاق والخلاف مكتفياً بالقول المختار، مع الإشارة أيضاً إلى الخلاف في مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

٣ـ وفي منهجه الذي سار عليه من اختصار وترميز، مع الضبط والدقة

---

(١) «السحب الوابلة» (ص٤٨٦).
(٢) «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام» (٢/ ٥)، مغني ذوي الأفهام تجدها على رأس جميع صفحاته.

والتحرير، وبذلك فقد حصر الراجح من فقه المذاهب في مجلد لطيف يمكن الاستغناء به عن الكثير من الكتب الفقهية.

٤ـ وفي مقدمته التي حوت الكثير من العلوم الشرعية بشكل موجز، وقد تقدم ذلك.

٥ـ وفي خاتمته التي ذكر فيها (٦٦) قاعدة كلية يترتب عليها مسائل جزئية في جمع الفقه.

٦ـ وفي اشتماله على غريب المسائل الفقهية التي عدتها (٤٠٠٠)، ورمز إليها بالحرف «ء».

٧ـ وفي اشتماله على مسائل لم يُسبَق إليها المؤلف، قال في مقدمة «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام»: [وإنه من خلال قراءتي لكتاب «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» لمؤلفه الشيخ العلامة جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الحنبلي ـ رحمه الله ـ وجدته كتاباً نافعاً جداً، وقد اشتمل على مسائل لم يُسبق إليها المؤلف][1].

ونذكر منها:

أـ قال ابن عبد الهادي [. . . ويباح استعمال خواص «ء» نبات، وحيوان «ء» في أمر ينجح فيه مماتدعو إليه الحاجة، فإن كان الحيوان «ء» محرّماً أو نجساً «ء»: لم يجز على قاعدة مذهبنا، وعندي: إن جرب نجحه في خلاص نفس «ء» من علّة مُتْلِفَة، أو خلاص من «ء» سم ونحوه: جاز استعماله في ذلك، وإلاّ فلا][2].

ب ـ وقال ـ رحمه الله ـ: [وأقطع «وش» بعدم صحة الطهارة بالماء

(١) «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام» (١/ ٥).
(٢) «مغني ذوي الأفهام» ـ مقدمة ابن عبد الهادي ـ فصل في التداوي (ص٥٦ـ ٥٧).

الطاهر الذي تغير جميع صفاته بطاهر، وتصح «ود» بمتغير صفة][1].

قطع المصنف ـ رحمه الله ـ بعدم صحة الطهارة بالماء الطاهر الذي تغيرت صفاته الثلاث: لونه، وطعمه، وريحه بطاهر، وقد أشار المؤلف إلى موافقة الشافعي ـ رحمه الله ـ حيث أتى بصيغة المضارع المبدوء بالهمزة، ورمز بالواو والشين، ثم قال: فإن تغير بصفة واحدة، فقد صحت الطهارة به، وقد أشار أيضاً إلى وجود خلاف في مذهبه، حيث أتى بصيغة الماضي، ورمز بالواو والدال.

قال في «غاية المرام»: «هذا القسم الثاني من أقسام المياه، وهو الطاهر، وظاهر كلام المؤلف أنه يرىٰ عدم صحة الطهارة بالماء الطاهر الذي تغيرت صفاته الثلاث: لونه، وطعمه، وريحه بطاهر، فإن تغيرت بصفة واحدة، فقد صحت الطهارة به، وهذا ما لم أجده عند غيره»[2].

قلت: يعني في المذاهب الأربعة.

ج ـ وقال في «باب الغسل»: [خروج المني الدافق بلذة، موجب «ع» للغسل... ويجب «و» بالتقاء الختانين، قُبُلاً «و» كان أو دُبُراً «و» من آدمي أو بهيمة، حي أو ميت، وفي نوم غير «ء» مُوجب][3].

قال في «غاية المرام»: [وقول المؤلف: «وفي نوم غير«ء» موجب»؛ أي: إن التقاء الختانين في النوم لا يوجب الغسل، وذلك بأن يغيب الرجل الحشفة في المرأة وهما نائمان، هذا هو المراد فيما ظهر لي، والله أعلم][4].

---

(١) «المرجع السابق» كتاب الطهارة (ص٨١).

(٢) «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام (١/ ١١٤).

(٣) «مغني ذوي الأفهام» (ص٩٢).

(٤) «غاية المرام» (٢/ ٢٤٨).

قلت: ولم يجد هذه المسألة أيضاً.

د ـ وقال في «باب الوضوء»: [ومن عجز عن غسل «ء» أعضاء الوضوء بنفسه لقطع «ء» أو شلل «ء»: يلزمه «و» تحصيل من يوضئه «ء» بأجرة أو شراء «ء»، فإن عجز: أدخل «خ» الأعضاء «ء» في الماء، فإن عجز: تيمم «و»، فإن عجز: يصلي «و» «ء» على حسب حاله][1].

قال في «غاية المرام»: «قلت: وبعض أحكام هذه القطعة لم أجدها عند غير المؤلف، مثل قوله: أو شراء، وقصده شراء عبد، والله أعلم»[2]، وغيرها من المسائل.

وقد أثنىٰ على هذا الكتاب المبارك كثير من العلماء:

١ ـ يقول الكمال الغزي: «وهو كتاب جليل احتوىٰ على مهمات مسائل الدين في المذاهب الأربعة، وقد رأيت بخط مؤلفه صاحب الترجمة على ظهر هذا الكتاب هذين البيتين وهما:

هذا كتابٌ قد سَمَا في حَصْرِهِ ... أوْراقُــهُ مِــن لُطْفِــهِ مُتَعَــدِّدَهْ
جَمَـعَ العُلُـومَ بِلُطْفِـهِ فَبِجَمْعِـهِ ... يُغْنِيكَ عَنْ عِشْرِينَ أَلْفَ مُجَلَّدَهْ

ولابن قاضي أذرعات مقرظاً لهذا الكتاب المزبور:

يَـاكِتَـابـاً أَزْرىٰ بِكُـلِّ كِتَـابِ ... هُوَ في الأَرْضِ لوْحُنا المَحْفُوظُ
زَادَ رَبـي مُنْشِيـهِ عِلْمـاً وَفَضْـلاً ... ثُـمَّ لازَالَ سَعْـدُهُ الْمَحْظـوظُ[3]

وبه قال الشيخ الشطي ـ رحمه الله ـ، غير أن الشطر الثاني من البيت الثاني يختلف عنه في النعت الأكمل، ونقله كالتالي:

---

(١) «مغني ذوي الأفهام» (ص٨٧ـ٨٨).
(٢) «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام» (١/ ٤٧٠).
(٣) «النعت الأكمل» (ص٦٩).

زَادَ رَبِّـي مُنْشِيـهِ عِلْمـاً وَفَضْـلاً وَهْــوَ بـالعِــزِّ وَالعُــلا مَلْحُــوظُ

٢ـ وقال ابن حميد النجدي: [. . . له تصانيف في غاية التحرير، منها «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» في مجلد في الفقه، ويشير إلى الإجماع والوفاق والخلاف بنفس الألفاظ على طريقة «مجمع البحرين» و«درر البحار» للحنفية، بديع الوصف في ذكر الراجح عند أهل المذاهب].

٣ـ وقال الأستاذ محمود رزق سليم: [«مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» لجمال الدين يوسف، يحتوي على مهمات مسائل الدين في المذاهب الأربعة «طن»].

* * *

الثاني: كتاب «زينة العرائس من الطرف والنفائس».

ـ وصف النسخة المخطوطة:

ـخ (٣٢٠٩) ظاهرية ـ ويقع في (٨٣) ورقة من (١ـ٨٣) (١٦٦) صفحة.

ـ موضوع الكتاب:

وهو في تخريج الفروع الفقهية على قواعد بعض ألفاظ العربية، أو فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

ـ تقسيم الكتاب:

قسم المصنف كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

الأول: ويشمل فهارس الكتاب، ويقع في (١٠) ورقات من (١ـ١٠) عنونها باسم: «فوائد فقهية»؛ مما جعل المفهرسين يعتقدون بأنها مخطوطة مستقلة، والصحيح كما ذكرنا، وسنأتي على ذلك ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

القسم الثاني: ويقع في (٦٥) ورقة من (١١ـ ٧٥)، ويشمل:

١ـ المقدمة: وفيها خطبة الكتاب وموضوعه.

٢ـ القواعد وما يندرج تحتها من فروع، وعدتها (١١٢) قاعدة.

القسم الثالث:

ويقع في (٨) أوراق من (٧٦ـ ٨٣) ويشمل:

١ـ المقدمة: وهي مقدمة الفوائد الفقهية.

٢ـ الفوائد وما يندرج تحتها من فروع، وعدتها (١٠) فوائد.

ـ منهج ابن عبد الهادي في هذا الكتاب:

ويظهر منهج ابن عبد الهادي في هذا الكتاب من خلال الآتي:

١ـ بدأ المصنف ـ رحمه الله ـ بوضع فهارس قيمة لهذا الكتاب، وتقع في (١٠) أوراق، وطريقته في الفهرسة كالتالي:

أـ قام بوضع عنوان لهذه الفهارس سماه: «فوائد فقهية».

ب ـ عدّد جميع القواعد والفوائد في الورقة الأولىٰ من المخطوط، وقسماً من الورقة الثانية، وأعطىٰ لكل قاعدة منها رقماً متسلسلاً ورمزاً، ومثاله كالآتي:

القاعدة الأولى: الكلمة لا تطلق على الكلام (أ).

القاعدة الثانية: لا يشترط في الكلام صدوره من ناطق واحد (ب).

القاعدة الثانية عشرة: «من» في إطلاقها على العاقل، وتقع على المختلط به (ب ي).

القاعدة الخامسة والستون: الصفة المتعقبة للجملتين لا تعود إليهما (د ص).

القاعدة السادسة والستون: فائدة التوكيد بـ «كل» رفع احتمال التخصيص (٥ ص)

ومن الفوائد:

الفائدة الثانية: الترك هل هو من قسم الأفعال أم لا؟ (ب).

الفائدة الرابعة: يثبت تبعاً ما يثبت استقلالاً (د).

الفائدة السادسة: يخصص العام بالشرع (و).

الفائدة السابعة: المنع أسهل من الدفع (ز).

ج ـ عمل فهرساً آخر، ورتبه على الكتب الفقهية، ردّ فيه كل فرع من الفروع التي ذكرها إلى كتابه الفقهي، مع رمز القاعدة التي ورد فيها في الكتاب، ابتداء من كتاب الطهارة، ويقع هذا الفهرس في (٩) ورقات، من الورقة (٢ـ ١٠)، ونذكر بعض الأمثلة:

من كتاب الطهارة:

الجنب لا يقرأ القرآن، فلو أتىٰ بقلبه (ح).

الجنب لا يجوز أن يقرأ، وبجوز أن يكتب (د).

إذا تيمم ينوي الصلاة (زي).

ومن كتاب الصلاة:

إذا قال: «أنعمت» بكسر التاء (ح).

إذا أتىٰ بالتشهد بالرسول بضمير، فقال: ورسوله (ي).

ومن كتاب الجنايات:

إذا قال: أنا قاتل زيد، ووجد مقتولاً (ط ي).

ومن كتاب الأضاحي:

الأكثر عدداً أفضل من الأحسن (ب ك).

وهكذا، وقد ذكر جميع الفروع التي تندرج تحت كل كتاب فقهي، ولا يخفىٰ ما لهذه الفهارس من فائدة.

٢ـ ثم شرع ـ رحمه الله ـ بذكر القاعدة، ورمزها، فأقوال النحاة فيها، وقد يذكر استدلالهم بالآية القرآنية، أو الحديث الشريف، أو بالشواهد الشعرية، وقد يأتي بمثال يوضح تلك القاعدة.

٣ـ ثم ذكر الفروع الفقهية التي تندرج تحت هذه القاعدة محاولاً استيعاب أكبر عدد ممكن من أقوال علماء الحنابلة وغيرهم في كل مسألة، وإذا لم يجد نقلاً يذكره.

٤ـ وبعد أن أنهىٰ القواعد، عقد فصلاً قدّم فيه للفوائد العشرة، قال ـ رحمه الله ـ: «وهذه فوائد تلحق بهذه القواعد رجاء كثرة الفائدة والانتفاع، فإن كل مسألة قدرها لا يحصىٰ، وخيار العلم الكثرة والانتشار، وأردؤه ما قلّ، مع أن هذا كله شيء يسير، لكن قدره لأجل العلم الذي فيه كثير، وقد قصرت فيه مع ما فيه من جهل وخطأ إلى غير ذلك، فمن رأىٰ شيئاً فليصلحه، ومن رأىٰ شيئاً في حال الجهال، فليكف عنه، ولا يشرحه، ولو كان لنا عقل لما دخلنا في هذا الباب، ولكنّا كما قال الشاعر:

وَلَو كَانَ لِي رَأْيٌ لَما حُمْتُ بالْحِمَىٰ ... وَوَافَقْتُ أَرْبَابَ الذَّكا بِتَبَلُّدِ

ولكن الله قدّر هذا، وماقدّر الله ما منه مهرب، فنسأل الله العفو والعافية، وأن يسترنا في الدنيا والآخرة، وهذه عشر فوائد تلحق بهذه القواعد»[1].

وقد ذكرتها لبيان سبب إكثاره ـ رحمه الله ـ من التأليف.

---

(١) «زينة العرائس من الطرف والنفائس» ـ خ(٣٢٠٩) ظاهرية ـ ورقة (٧٦).

٥ـ ثم ذكر الفوائد العشر وما يندرج تحتها من فروع فقهية.

٦ـ ثم ختم الكتاب بقوله: «والحمد لله وحده، وصلىٰ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، وهو مؤلفه، وذلك في يوم الخميس في آخره، ليلة الجمعة من أول شهر ذي القعدة المحرم سنة (٨٦٠هـ)، جعلها الله مباركة، والحمد لله وحده، وصلىٰ الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[١].

ويلاحظ المطلع على هذا الكتاب وما يحتويه من قواعد وفوائد وفروع فقهية مكانة ابن عبد الهادي النحوية والأصولية والفقهية على الرغم من صغر سنه، فقد فرغ من كتابه وهو في سن العشرين، كما يلاحظ قوة حفظه، وسعة اطلاعه، واستحضاره العجيب للكثير من الكتب والنصوص بجميع أصنافها، وبخاصة كتب كبار النحويين، والكتب الفقهية والأصولية للسادة الحنابلة وللسادة الشافعية ـ رحمهم الله وإيانا ـ.

وأذكر فرعاً استوعب فيه ابن عبد الهادي أكثر من (١٥) قولاً للسادة الشافعية إلى جانب بعض الأقوال للحنابلة، ففي القاعدة (٣١)، ورمزها «ب ل» قال: «بَعْد: ظرف زمان يدل على تأخر ما قبله، إذا علمت ذلك، فمن فروع القاعدة: . . .، ومنها: إذا قال: وقفت على أولادي وأولاد أولادي بطناً بعد بطن، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية (٧٢٨هـ): هذا ترتيب جملة، قال صاحب «الفروع»[٢]: مع أنه محتمل. . .، وفي

---

(١) المرجع السابق ـ ورقة (٨٣).

(٢) «الفروع» للإمام شمس الدين عبد الله بن محمد بن مفلح الراميني المقدسي الحنبلي (٧٦٢هـ).

«الانتصار»[1]...، وعند الشافعية هو ترتيب، صرح به البندنيجي (٤٢٥هـ)، والماوردي (٤٥٠هـ)، وإمام الحرمين (٤٧٨هـ)، والغزالي (٥٠٥هـ)، والقاضي حسين (٤٦٢هـ)، وصاحب «الذخائر»[2]، وصححه صاحب «التعجيز»[3]، ونقله الرافعي (٦٢٣هـ) عن الزيادي (٤١٠هـ)، وذهب العبادي (٤٥٨هـ)، والفوراني (٤٦١هـ)، والبغوي (٥٦١هـ) تقليداً للرافعي. قال الإسنوي (٧٧٢هـ): وهو باطل نقلاً وبحثاً، والذي يظهر لي من كلامهم أن اختلافهم هل هو ترتيب أم لا؟...»[4]. والأمثلة على ذلك كثيرة.

ونذكر بعض الأمثلة نبين فيها مدى استيعابه واستحضاره لكتب النحو المعتمدة:

الأول: القاعدة (١١)، ورمزها «أي»، قال:

«الفصل صيغة ضمير مرفوع يؤتىٰ به بين المبتدأ والخبر، نحو: زيد هو القائم، أو ماأصله المبتدأ والخبر: كان زيد هو القائم.

وهو حرف عند الأكثرين، وصححه ابن عصفور (٦٦٣هـ)، وقيل: هو اسم، وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب، وقيل: محله محل ما قبله، وقيل: ما بعده، وفائدته التأكيد على المشهور، قاله أبو حيان (٧٤٥هـ)،

---

(١) «الانتصار في المسائل الكبار»، أو«الخلاف الكبير» لأبي الخطاب الكلوذاني (٥١٠هـ).

(٢) «الذخائر» لأبي المعالي بهاء الدين مجلي بن جميع بن نجا المخزومي الأرسوفي (٥٥٠هـ).

(٣) «التعجيز» لتاج الدين عبد الرحيم بن عبد الملك بن عماد بن يونس، الفقيه الأصولي الشافعي (٦٦٩هـ).

(٤) «زينة العرائس من الطرف والنفائس»، ورقة (٢٩ـ ٣٠).

وقال السهيلي (٥٨١هـ): الحصر، إذا علمت هذا فمن فروع القاعدة. . . .»[١].

مثال ثان: القاعدة (١٢) ورمزها«ب ي»، قال:

[«مَنْ» في إطلاقها على العاقل، وتقع أيضاً بالمختلط بمن يعقل، وذهب قطرب (٢٠٦هـ) إلى أن «من» تقع على ما لا يعقل، وتقع أيضاً كما قاله ابن مالك (٦٧٢هـ) على المختلط بالعاقل، وذهب جماعة أيضاً إلى أنها تقع على من يعقل بلا شرط، وادعىٰ ابن خروف (٦٠٩هـ) أنه مذهب سيبويه (٤٨٠هـ)، وتطلق «ما» على العاقل إذا كان مبهماً لا يعلم أذكر هو أم أنثىٰ، إذا علمت هذا، فمن فروع القاعدة. . .][٢].

ـ أهمية الكتاب:

ولبيان موقع الكتاب وأهميته يتوجب علينا أن نعرض للكتب التي صنفت في فن بناء الفروع على الأصول على ما نعلم، وهي:

١ـ كتاب «تأسيس النظر» للإمام أبي زيد عبيد الله بن عمر بن عيسىٰ الدبوسي الحنفي (٤٣٠هـ) ط.

٢ـ كتاب «تخريج الفروع على الأصول» للإمام أبي المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني الشافعي (٦٥٦هـ) ط.

٣ـ كتاب «مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول» للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني المالكي (٧٧١هـ) ط.

٤ـ كتاب «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول» للإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن القرشي الإسنوي الشافعي (٧٧٢هـ) ط.

---

(١) «المرجع السابق» ورقة(١٨).

(٢) «المرجع السابق» ورقة (١٩).

٥ـ كتاب «القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية» للإمام أبي الحسن علي بن عباس البعلي الحنبلي «ابن اللحام» (٨٠٣هـ) ط.

٦ـ كتاب «زينة العرائس من الطرف والنفائس» للإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي (٩٠٩هـ)، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

٧ـ كتاب «كشف الفوائد من تمهيد القواعد» لأحد أئمة الشيعة، ذكر في مقدمته: أنه صنفه على نمط الإسنوي للتمهيد، فرغ منه سنة (٩٦٨هـ) ـ خ بدار الكتب المصرية[١].

٨ـ كتاب «الوصول إلى قواعد الأصول» للإمام محمد بن عبد الله التمرتاشي الحنفي (١٠٠٤هـ) ـ خ[٢].

٩ـ كتاب «أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء» ط.

لأستاذنا الدكتور مصطفىٰ الخن ـ حفظه الله، ونفعنا به ـ، وهو الكتاب المقرر في قسم الدراسات العليا ـ شعبة الفقه المقارن ـ جامعة أم درمان الإسلامية.

وجميع هذه الكتب، عدا «زينة العرائس»، قد صنفت في بناء الفروع الفقهية على القواعد الأصولية.

أما «زينة العرائس»، فهو الكتاب الوحيد من الكتب التي وصلت إلينا الذي صنف جميعه في بناء الفروع الفقهية على قواعد ألفاظ العربية التي نشأ عنها قواعد أصول الفقه، وفي ذلك يقول الإمام القرافي (٦٨٤هـ) ـ

---

(١) انظر: «تخريج الفروع على الأصول» للزنجاني ـ المقدمة (ص ٢١)، «التمهيد» للإسنوي ـ المقدمة ص (١٦).

(٢) انظر: المرجعين السابقين.

رحمه الله ـ: «أما بعد: فإن الشريعة المعظمة المحمدية ـ زاد الله منارها شرفاً وعلواً ـ اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان:

أحدهما: المسمىٰ بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس له إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح، نحو: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم، ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط إلا كون القياس حجة وخبر الواحد، وصفات المجتهدين.

والقسم الثاني: قواعد كلية فقهية جليلة، كثيرة العدد، عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه...»[1]، وقال الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ) ـ رحمه الله ـ: ولعل الإمام الإسنوي (٧٧٢هـ) ـ رحمه الله ـ هو أول من صنف في ذلك، ذكر ذلك بعد فراغه من مقدمة «التمهيد» حيث قال: «... ثم شرعت في أثناء ذلك في كتاب آخر على هذا الأسلوب بالنسبة إلى علم العربية، مسمىٰ «بالكوكب الدري» ليقوىٰ به الاستمداد والتدريج، ويتم به الاستعداد للتخريج...»[2].

ومما يؤسف له أن كتابه هذا لم يصل إلينا بعد، ولعله يوجد كتب أخرىٰ صنفت على هذا النمط، والله أعلم.

ثم أطلعني الأستاذ الدكتور محمد علي سلطاني على نسخة مطبوعة من «الكوكب الدري» بتاريخ (١٠/٨/١٩٩٧م)[3].

---

(١) «الفروق» (١/٢).

(٢) «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول» (ص٤٧).

(٣) «الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية» للإمام جمال الدين الإسنوي، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد، رسالة دكتوراه، طبع بدار عمان ـ الأردن ـ عمان، ط(١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

الثالث: كتاب القواعد الكلية والضوابط الفقهية:

- وصف النسخة الخطية:

خ(٣٢١٦) ظاهرية، ويقع في (١٥) ورقة، من (١٠١- ١١٥)، وطبع هذا الكتاب بدار البشائر الإسلامية سنة (١٤١٥هـ).

١- موضوع الكتاب والغرض من تأليفه وعدد قواعده:

بين ابن عبد الهادي كل ذلك في مقدمة كتابه الموجزة حيث قال: «... فهذه قواعد فقهية، وضوابط لا يستغني عنها طالب العلم، وتنفعه على ضبط الأشياء وحصرها، استخرجتها وحررتها، ولم أرَ من سبق إلى ضبطها، والله أسأل الاستعانة، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، وجعلتها مئة قاعدة»[١].

٢- منهج المؤلف في الكتاب:

رتب المؤلف كتابه على الأبواب حسب الترتيب الفقهي المعهود، ثم شرع بذكر القواعد والضوابط لكل باب منها بطريقة لم يسبق إليها، بحيث لخص بأسلوب سهل ومبسط ما يلزم لطالب العلم حفظه من كل موضوع، وقد يذكر بعض القواعد المألوفة في أبوابها إذا استدعىٰ الأمر، وهذه بعض النماذج من القواعد عند المؤلف - رحمه الله -.

القاعدة الأولىٰ: الحدث حدثان: حدث أكبر، وحدث أصغر. الحدث الأكبر سبعة أشياء: ١- خروج المني. ٢- التقاء الختانين. ٣- الكفر. ٤- الحيض. ٥- النفاس. ٦- الموت. ٧- الولادة بلا دم.

والحدث الأصغر ثمانية أشياء: ١- الخارج من السبيلين. ٢- الخارج

---

(١) «القواعد الكلية والضوابط الفقهية» - المقدمة - ورقة (١٠٢) (ص١).

النجس الفاحش من غيرهما. ٣ـ زوال العقل حتى بالنوم. ٤ـ مس الفرج. ٥ـ مس الأنثىٰ بشهوة. ٦ـ غسل الميت. ٧ـ الردة والعياذ بالله. ٨ـ أكل لحم الإبل.

القاعدة الثانية: الطهارة طهارتان: كبرىٰ وصغرىٰ. الكبرىٰ: الغسل. والصغرىٰ: الوضوء. وكل واحدة منهما إما عن حدث، أو عن غير حدث، وكل واحدة إما واجبة أو مستحبة.

القاعدة الثالثة: الطهارة عشرة: ١ـ الإسلام. ٢ـ العقل. ٣ـ التمييز. ٤ـ النية. ٥ـ الماء الطهور. ٦ـ عدم الحيض. ٧ـ عدم النفاس. ٨ـ عدم مانع حسي. ٩ـ إباحة الماء. ١٠ـ عدم نجاسة على السبيلين، على الخلاف في ذلك. وضابط ذلك عدم الاقتران بمانع معنوي أو حسي.

القاعدة التاسعة: يخرج من الذكر خمسة أشياء:

١ـ البول، وهو نجس. ٢ـ والودي، وهو نجس. ٣ـ والمذي، وهو نجس. ٤ـ والمني، وهو طاهر. والأمور النادرة وهي أربعة: ١ـ الدود. ٢ـ والشعر. ٣ـ والحصىٰ. ٤ـ والدم.

القاعدة الثالثة عشرة: المتطهر به خمسة أقسام: ١ـ ماء مفرد. ٢ـ وماء وتراب. ٣ـ وتراب مفرد. ٤ـ وأحجار وما في معناها. ٥ـ وأرض في دلك الخف والحذاء.

القاعدة الثالثة والعشرون: أسباب سجود السهو ثلاثة:

١ـ زيادة. ٢ـ ونقص. ٣ـ وشك.

القاعدة الخامسة والعشرون: الصلاة وقت النهي ثلاثة أقسام: ١ـ قسم يفعل بغير خلاف كالفرائض. ٢ـ وقسم لايفعل بغير خلاف كالنفل المطلق. ٣ـ وقسم مختلف فيه، وهو الرواتب.

القاعدة الثالثة والثلاثون: للحج ميقات مكاني، وهو مختلف باختلاف الطرق، وميقات زماني، وهو شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذي الحجة، ويصح قبل ميقاته المكاني، ولا يصح قبل ميقاته الزماني.

القاعدة الخامسة والثلاثون: أركان الحج ركنان: ١ـ الوقوف. ٢ـ وطواف الزيارة. وواجباته سبعة: ١ـ الإحرام من الميقات. ٢ـ والوقوف إلى الليل. ٣ـ والمبيت بمزدلفة. ٤ـ والمبيت بمنىٰ. ٥ـ والرمي. ٦ـ والحلاق. ٧ـ وطواف الوداع. وما عدا ذلك سنة، ومن ترك ركناً، لم يصح حجه، ومن ترك واجباً، جبره بدم، ومن ترك سنة، فلا شيء عليه.

القاعدة السادسة والثلاثون: العقود أربعة: ١ـ لازم من الطرفين؛ كالنكاح والبيع بعد مدة الخيار. ٢ـ وجائز من الطرفين؛ كالوكالة والوديعة. ٣ـ وجائز في حق العاقد لازم في حق المعقود معه، وهو فيما إذا شرط الخيار له دون المشتري. ٤ـ وعكسه، وهو اللازم في حق العاقد جائز في حق المعقود معه؛ كالرهن والوقف.

القاعدة الثانية والثمانون: قال الفقهاء: يجوز ارتكاب أدنى المشقتين لا أعلاهما، وذلك في مواضع متعددة، **منها**: جواز تزوج الأمة مع عدم الطول إذا خاف الزنا. **ومنها**: جواز الاستمناء باليد إذا عجز عن التزوج ونكاح الأمة وخاف الزنا. **ومنها**: جواز الوطء للزوجة في رمضان إذا خاف من الشبق. **ومنها**: جواز الخروج للمعتكف إذا خاف من الوقوع في فتنة. وهذه القاعدة يطرد فيها أكثر من ألف فرع من فروع الفقه.

القاعدة السادسة والتسعون: السكوت يقوم مقام النطق في مواضع: **منها**: سكوت المأموم لاستماع قراءة الإمام تقوم له مقام القراءة. **ومنها**: إذا استؤذنت البكر للتزوج. **ومنها**: .النكول عن اليمين. **ومنها**: البيع بالمعاطاة من غير نطق.

القاعدة السابعة والتسعون: من استعجل شيئاً قبل أوانه، عوقف بحرمانه. **منها**: إذا قتل مورثه لم يرثه. **ومنها**: إذا قتل المدبر سيده بطل بدبيره. **ومنها**: إذا قتل الموصىٰ له الموصي بطلت الوصية.

٣ـ أهمية الكتاب:

يعتبر هذا الكتاب من أنفع ما صنف في فن القواعد والضوابط الفقهية، على الرغم من صغر حجمه، حيث خرج به صاحبه على النمط الذي تواضع عليه الكثيرون من أصحاب التصنيف في هذا الميدان ـ وإن لم يخل الكتاب من بعض القواعد المألوفة ـ كما تظهر فيه مقدرة ابن عبد الهادي وخبرته التعليمية، إضافة إلى علمه الواسع وضبطه، ويتضح ذلك من خلال تفهمه العميق لما يريده طالب العلم من هذا الفن حصراً.

وتتجلىٰ أهمية الكتاب:

١ـ في كونه صنف لغرض تعليمي بحت، قصد به نفع الطالب، وإعانته على ضبط الأشياء وحصرها، وقد أشار المصنف إلى ذلك في مقدمة الكتاب.

٢ـ وفي احتوائه على قواعد وضوابط فقهية لا يستغني عنها طالب العلم، استخرجها المصنف وحررها تحريراً دقيقاً لم يسبقه أحد إلى ضبطها.

٣ـ وكونه تلخيصاً لمذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في ورقات قليلة.

٤ـ وقد جاء الكتاب صغير الحجم، جيد الترتيب والتنظيم، سهل العبارة مبسطاً بعيداً عن التعقيد لا يشكل على طالب العلم، ولا يحتاج إلى شروح وغيرها، يسهل حفظه، وبحفظه يتمكن الطالب من الإمساك بثلاثة أرباع مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

٥ـ ولم أقف على كتاب يشبهه في قواعده وضوابطه حتى ساعته، والله أعلم.

* * *

الرابع: «رسالة مجمع الأصول ـ باب قواعد أصول الفقه التي يعلم منها حاله»[1]:

ـ طبعت هذه الرسالة مع رسالتين أخريين هما:

١ـ «رسالة في أصول التفسير» للإمام جلال الدين السيوطي.

٢ـ «رسالة في أصول الفقه» للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي.

جمع هذه الرسائل وعلق عليها جمال الدين القاسمي الدمشقي ـ دمشق ـ ط١ (رجب ١٣٣١هـ ـ ١٩١٢م).

ويبدو أن جامع هذه الرسائل قد اقتطف هذا الباب من مقدمة كتاب «مغني ذوي الأفهام» وطبعه مستقلاً مع الرسائل المذكورة، وقد تقدم الحديث عنه.

* * *

الخامس: كتاب «بيان القول السديد في أحكام تسرّي العبيد»:

ـ خ(٣١٩٤هـ) ظاهرية ـ ويقع في (٧) ورقات من (٨٩ـ ٩٥).

ـ موضوع الكتاب:

في بيان أحكام تسري العبيد.

ـ سبب تأليفه:

ونترك للمصنف بيان ذلك، يقول ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه: «...

---

(١) «مجموع رسائل في أصول الفقه والتفسير» (ص٥٣ـ ٥٤)، ورقمها في مكتبة الأسد (ص٥١٧٩)، «مغني ذوي الأفهام» (ص٣٠ـ٣٨).

يقول العبد الفقير المذنب الحقير يوسف بن عبد الهادي: إن شيخنا وقدوتنا أبا الفضل ـ أدام الله له النعم، وأسبغ عليه من مزايد الفضل والكرم ـ ذكر للعبد الفقير مسألة وقعت حصل فيها الإشكال، وكثر فيها القيل والقال، وهي:

في عبد أذن له سيده في التجارة، فاتَّجَر، ثم أذن له في التسرِّي فتسرَّىٰ بإذن سيده، وأقامت الأمة معه، يطؤها بذلك، ثم مات السيد وتركهما، وانتقل الأمر إلى الوارث، فوجده قد حصَّل مالية كثيرة، فأعتقهما، وزوجه بها في الحال. فهل وطؤه لهذه الأمة مباح أو محرم؟ وهل نكاحه عقيب العتق بها صحيح، أو لا بد من عدّة ؟ وأنه وقع في ذلك كلام. فمنهم من قال: إن وطأه محرم؛ لكونه لا يملك، أو إنه وطء بشبهة، وإن الأمر يحتاج إلى انقضاء عدة؛ لكون وطئه غير مباح، وإنه قد وقع في هذه المسألة القيل والقال، والعبد يذكر في ذلك ما في مذهبه من حكم هذه الأمور، وما تحرر عنده في ذلك، وما يقوى عنده فيه، فأقول وبالله التوفيق. . . .»[1].

ـ منهج المؤلف:

ويتبين منهج ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ في الكتاب من خلال الآتي:

١ـ بدأ المصنف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ هذا الكتاب بخطبة بيّن فيها سبب تأليفه، وكان قد ذكر قبل ذلك عنوان الكتاب، واسم واضعه، وكاتبه، مع سماع للكتاب بخطه، وإجازة لبعض أولاده، ولإحدىٰ زوجاته، يقول: «سمع بعضه من لفظي ولدي عبد الله أبو بكر، وبدر الدين حسن، وأمه بلبل بنت عبد الله، وصح ذلك في يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة

(١) «بيان القول السديد» ـ ورقة (٩٠) ص (١ـ ٢).

(٨٧٩هـ)، وأجزت لهم أن يرووه عني، وجميع ما يجوز لي روايته، وكتب يوسف بن عبد الهادي»[١].

٢ـ ثم شرع في بيان أحوال تسري العبيد، وهي ثلاثة أحوال:

أحدها: إذا كان بغير إذن السيد، وللحنابلة في ذلك طرق:

أ ـ لا يجوز مطلقاً، وهو ظاهر كلام الأكثر.

ب ـ إن قلنا: لا يملك، لم يجز، وإلا جاز.

ج ـ إن كان في أمة وهبها له السيد، وقلنا: يملك بالتمليك، جاز، وإلا فلا.

الحال الثاني: إذا كان بإذن السيد من مال قد حصله العبد.

الحال الثالث: إذا كان بإذن السيد من مال السيد.

٣ـ ثم ذكر أقوال علماء الحنابلة في ذلك، مع ذكر كتبهم، محاولاً استيعاب جميع الأقوال والروايات، ومن أطال منهم في ذلك ذكره أيضاً؛ كابن رجب (٧٩٥هـ) في «قواعده»، ومجد الدين بن تيمية (٦٥٢هـ) في «المحرر»، ثم ساق روايات أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في ذلك.

٤ـ وبعد أن تحرر أن تسري العبد ينقسم إلى عدة أقسام، ذكر أنه يتفرع فيها (١٣) صورة، ذكرها، وذكر فيها هل يملك العبد أو لا يملك؟ مع أقوال علماء الحنابلة في ذلك واختياراتهم واختياراته.

٥ـ ثم ساق بالإسناد المتصل جملة من الأخبار، وعدتها (١٣) خبراً عن الصحابة والتابعين في هذا الشأن، واختلافهم في ذلك.

٦ـ ثم عقد فصلين صغيرين، ذكر فيهما نتائج شِقَّي المسألة.

---

(١) المرجع السابق ـ ورقة (٨٩).

٧ـ وأخيراً ختم الكتاب بخاتمة، يقول فيها: «والحمد لله وحده، وصلىٰ الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. فرغ منه يوسف بن حسن بن عبد الهادي ليلة الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول سنة (٨٨٩هـ)، والحمد لله وحده، وصلىٰ الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[١].

* * *

الكتاب السادس: كتاب «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»:

وهو الذي سنأتي على تحقيقه في الفصل القادم والأخير من هذا الرسالة ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ، والحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑

(١) «المرجع السابق» ورقة (٩٥).

الفصل الثاني

تحقيق كتاب

«سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»

تأليف

الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي

*** وصف النسخة المخطوطة:**

المخطوطة المعتمدة في التحقيق هي نسخة وحيدة ونادرة ـ على ما نعلم ـ كتبها المصنف بخط يده وهو في العشرين من عمره، فرغ من كتابتها سنة (٨٦٠هـ) كما ذكر في خاتمة الكتاب.

وقد كانت من مقتنيات دار الكتب الوطنية الظاهرية ضمن مجموع رقم (٣٨٣٥) عام، ثم نقلت إلى مكتبة الأسد الوطنية العامرة مع بقية مخطوطات الظاهرية. تتألف هذه النسخة من (١٩) ورقة ـ من (٢٠٣ـ ٢٢١) ـ قياس الصفحة (٢١× ١٥) سم، وفي كل صفحة منها ما بين (٢٢ ـ ٢٥) سطراً، في السطر نحو (١٧) كلمة، وهي بحالة جيدة، عدا بعض المواقع أصابتها الرطوبة.

*** وصف النسخة المطبوعة:**

طبعت بالقاهرة، بمطبعة السنة المحمدية سنة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م) تحت عنوان «مجموعة علمية» بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمه الله ـ.

وتشمل هذه المجموعة على :

١ـ رأس الحسين ـ رضي الله عنه ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٢ـ محنة شيخ الإسلام ابن تيمية في سجنه، ودفاعه عن نفسه بقلمه وخط أخيه .

٣ـ أحكام الطلاق لابن عبد الهادي، وهي هذا الكتاب .

٤ـ علاوة ثانية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم الأستاذ محمد بهجت البيطار .

وتقع في (٤٥) صفحة ـ من (٦٧ـ ١١٢) من القطع الكبير ـ قياس الصفحة (٢٦×١٩) سم، وفي كل صفحة نحو (٢٢) سطراً، في السطر نحو (١٣) كلمة، وهي جِدُّ قيمة ومفيدة، على أنها لا تخلو من بعض الأخطاء المطبعية وغيرها، كما أنها من غير تحقيق بالمعنى المتواضَع عليه عند المحققين، حيث اقتصر عمل المحقق ـ رحمه الله ـ على نسخ المخطوطة، إضافة إلى تخريج الآيات الكريمة فقط، أما باقي أعمال التحقيق؛ من تخريج للأحاديث، وترجمة للأعلام، وضبط للنصوص وإرجاعها إلى مصادرها، وكذا التعريف بالكتب الواردة في النص وغيرها، فهي من عملنا بعون الله كما سنذكر ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ، والله الموفق .

*** الغرض من تأليف الكتاب :**

وهو بيان الطلاق الثلاث، وحكمه، وبيان اختلاف الناس فيه .

يقول ابن عبد الهادي في المقدمة :

« . . . فهذا كتاب في بيان الطلاق الثلاث، وحكمه، وبيان اختلاف الناس فيه، سميته . . . »[1] .

---

(١) «سير الحاث» ـ ورقة (٢٠٤) ص١، وفي المطبوعة ص (٦٩) .

ويقول ـ رحمه الله ـ في خاتمة الكتاب: «. . . وإنما عملت هذا الكتاب لأنصف بين الفريقين»[1].

*** منهج المصنف في الكتاب:**

ويظهر منهجه من خلال النقاط الآتية:

١) بدأ المصنف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ الكتاب بخطبة بيّن فيها سبب تأليفه، وأنه جعل فيه (١٢) فصلاً، ذكرها جميعاً في مقدمة الكتاب.

٢) ثم عقد بعد المقدمة (٣) فصول،

الأول: في أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثاً.

والثاني: فيمن قال بهذا القول، وأفتىٰ به.

الثالث: في ذكر ما احتجت به هذه الطائفة.

٣) ثم عقد (٣) فصول أخرى:

الأول: في أنه إنما يقع بالثلاث واحدة.

والثاني: فيمن قال بهذا القول، وأفتى به.

والثالث: في ذكر ما احتجت به هذه الطائفة.

٤) ثم جعل فصلاً في ذكر فصل النزاع بين الفريقين.

٥) ثم ذكر فصلاً في مذاهب الناس في ذلك.

٦) ثم عقد فصلاً في ذكر الثلاث إذا أتت متفرقة.

٧) ثم جعل فصلاً في ذكر أنها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

٨) وجعل الفصل الحادي عشر في ذكر المحلل وأحكامه.

٩) ثم جعل الفصل الأخير في أن الثلاث هل تحرم، أم لا؟.

---

(١) «المرجع السابق» ورقة (٢٢١) (ص١)، وفي المطبوعة (ص١١٢).

١٠) وقد ختم الكتاب بخاتمة أشار إليها بفصل، ذكر فيها أنه إنما عمل هذا الكتاب لينصف بين الفريقين كما تقدم، كما ذكر فيها تاريخ فراغه من جمعه.

ويتضح من طريقة ترتيبه وجمعه للكتاب أنه ـ رحمه الله ـ يذكر المسألة أولاً، ثم يذكر أقوال العلماء في ذلك ثانياً، ثم أدلتهم النقلية والعقلية محاولاً استيعاب جميع الأقوال الواردة في المسألة، وكثيراً ما ينقل ذلك بتمامه من كتبهم المعتمدة مشيراً إلى ذلك.

*** أهمية الكتاب:**

وتتجلىٰ أهمية الكتاب:

١) في كونه في الفقه المقارن.

٢) وفي احتوائه بشكل مستقل جُلَّ ما يتعلق بمسائل الطلاق الثلاث، وحكمه وبيان اختلاف العلماء فيه، وكذا بيان المحلل وأحكامه، وحرر مصنفه هذه المسائل تحريراً بالغ الدقة، مستوفياً أقوال العلماء وأدلتهم.

٣) ولما تضمنه من ذكر عدد من الكتب المفقودة.

*** عملي في التحقيق:**

١) ضبط النص والتأكد من سلامته، وذلك بالمقارنة بين النسختين المخطوطة والمطبوعة.

٢) إرجاع النص إلى مصدره إن أمكن، والتأكد من صحة العبارة.

٣) تخريج الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة.

٤) التعريف بالكتب الواردة في النص على قدر المستطاع.

٥) شرح المفردات الغريبة.

٦) التعريف بالأعلام بإيجاز خوفاً من الإطالة.

وأسأل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يجعله في صحيفة أعمالي، وأن يتقبله مني عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني، ويرضىٰ عني؛ إنه سميع قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين.



صورة الورقة الأولى من المخطوط

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

كتاب

سير الحاث

إلى[1]

علم الطلاق الثلاث

جمع

يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي[2]

---

(١) ولّى «حَثيثاً» أي: مسرعاً حريصاً، و«تَحَاثّوا»: تحاضوا. «لسان العرب» (٢/ ١٢٧)، «تاج العروس» (١/ ٦١٠)، «مختار الصحاح» (ص١٢٢).

(٢) في «ط» عبد الرحمن. والصحيح ما ذكرناه إن شاء الله تعالى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي أوضح منهاج الحق للراغب، وكشف ظلمة الباطل للطالب، وحسن التجائر[1] للجالب[2]، وكسر الجبابرة وقهرهم، فما تقرب إليه أحد إلاّ ورجع بالمكاسب، ولا بَعُد عنه أحد إلاّ ورجع بالمصائب، استوى على عرشه كما قال، لا كما يقول أولو المصائب، وارتفع فوق سماواته فيا سعادة الآيب، «ويَنْزِلُ رَبُّنا ـ تَبارَكَ وتَعالى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنْيا فَيَسْأَلُ: هَلْ منْ مُسْتَغْفرٍ؟ هَلْ منْ تَائِبٍ؟»[3] فقُم وسل حوائجك، فإن الباب بلا حاجب.

---

(١) جأر الرجل إلى الله ـ عز وجل ـ إذا تضرع بالدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، «لسان العرب» (٤/ ١١٢).

(٢) «الجَلَبُ» و«الجَلَبَةُ»: الأصوات. وقيل: هو اختلاط الصوت. والفعل «أجْلَبُوا» و«جَلَبُوا» من الصياح. و«جَلَّبَ» على الفرس: هو إذا ركب فرساً وقاد خلفه آخر يستحثه، وفي الحديث «لا جَلب ولا جَنب». «فالجلب» أن يتخلف الفرسُ في السباق، فيتحرك وراءهُ الشيء يُسْتَحَثُّ فَيَسبِق. «لسان العرب» (١/ ٢٦٩).

(٣) رواه البخاري «كتاب الجمعة» باب الدعاء والصلاة من آخر الليل «١١٤٥» (١/ ٣٤٧). ورواه مسلم «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨) (١/ ٥٢٣). واللفظ لمسلم.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ولا ضِدَّ، ولا نِدَّ، ولا شبيه، ولا مقارب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كلما أمطرت السحائب.

وبعد: فهذا كتاب في بيان الطلاق الثلاث، وحكمه، وبيان اختلاف الناس فيه، سميته: كتاب «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث» وأسأل الله الإعانة، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وجعلت فيه اثني عشر فصلاً:

الفصل الأول: في أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثاً.

الفصل الثاني: فيمن قال بهذا[1] القول، وأفتى به.

الفصل الثالث: في ذكر ما احتجت به هذه الطائفة.

الفصل الرابع: في أنه إنما يقع بالثلاث واحدة.

الفصل الخامس: فيمن قال بهذا[2] القول، وأفتى به.

الفصل السادس: في ذكر ما احتجت به هذه الطائفة.

الفصل السابع: في ذكر فصل النزاع بين الفريقين.

الفصل الثامن: في ذكر مذاهب الناس في ذلك.

الفصل التاسع: في ذكر الثلاث إذا أتت[3] متفرقة.

---

(١) في «ط» هذا.

(٢) في «ط» هذا.

(٣) في «ط» ثلث.

الفصل العاشر: في ذكر أنها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

الفصل الحادي عشر: في ذكر[1] المحلل وأحكامه.

الفصل الثاني عشر: في أن الثلاث: هل تحرم، أم لا؟

❑ ❑ ❑

---

(١) في «ط» ذنب.

الفصل الأول

في أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثاً

هذا هو الصحيح من المذهب، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره؛ كما سيأتي، وهذا القول مجزوم فيه في أكثر كتب أصحاب الإمام أحمد؛ كـ«الخرقي»[1]، و«المقنع»[2]، و«المحرر»[3]، و«الهداية»[4]، وغيرهم من كتب أصحاب الإمام أحمد، ولا يعدل عنه.

قال الأثرم[5]: (سألت أبا ....

---

(١) «المقنع في شرح مختصر الخرقي» (٣/ ٩٧٤-٩٧٥)، «المغني» (٨/ ٢٤٣) وما بعدها.

(٢) «المقنع» (٣/ ١٢٧) وما بعدها.

(٣) «المحرر» (٢/ ٥١) وما بعدها.

(٤) «الهداية» في الفقه، يحوي المسائل الفقهية والروايات عن الإمام أحمد مع تصحيحها، يجعلها مرسلة حيناً، ومبينة الاختيار مرة أخرى، وتقع في مجلد ضخم جليل، ولعله مفقود. ومؤلفه: هو محفوظ بن أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو الخطاب الكلوذاني البغدادي، أحد أئمة المذهب وأعيانه، وصنف كتباً حساناً في المذهب والأصول والخلاف. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٥١٠هـ) «معجم الكتب» (ص٧٠) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٥٨)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٨٠)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٥٦)، «الشذرات» (٤/ ٢٧).

(٥) الأثرم: هو أحمد بن محمد بن هانىء الطائي الأثرم، أبو بكر، الفقيه، الحافظ، نقل عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ مسائل كثيرة، وصنفها، ورتبها على الأبواب، =

عبد الله[1] عن حديث ابن عباس[2] «كان الطَّلاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وأَبِي بَكْرٍ [وَسنَتَيْنِ منْ خِلافَةَ[3]] عُمَرَ، [طلاقُ الثَّلاثُ] واحدة»[4] بأي شيء تدفعه؟ فقال: برواية الناس عن ابن عباس أنها ثلاث)، وقدمه في «الفروع»[5]، وجزم به في «المغني»[6] (٢٠٤ـ ب)، وأكثرهم لم يحك[7] غيره. والله أعلم بالصواب.

❑ ❑ ❑

= وله تصانيف كثيرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٦١هـ). «طبقات الحنابلة» (١/ ٦٦)، «تاريخ بغداد» (٥/ ١١٠)، «تهذيب التهذيب» (١/ ٧٨)، «معجم الكتب» (ص١٩).

(١) يعني الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

(٢) ابن عباس: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أدرك ابن عمه رسول الله ﷺ وهو غلام، ولقبه حبر الأمة. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٦٨هـ). «تقريب التهذيب» (ص٣٠٩)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٩٤)، «الإصابة» (٤/ ١٢٢).

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من صحيح مسلم.

(٤) رواه مسلم «كتاب الطلاق» باب طلاق الثلاث (١٥/ ١٤٧٢) (٢/ ١٠٩٩). ورواه أبو داود «كتاب الطلاق» باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث (٢٢٠٠) (٢/ ٦٤٩).

(٥) قال في «تصحيح الفروع»: «وقدم الوقوع والتحريم، ورواية ثالثة بعدم التحريم». «الفروع» (٥/ ٣٧٥).

(٦) «المغني» لابن قدامة، قال الموفق: «وإن طلق ثلاثاً بكلمة واحدة، وقع الثلاث، وحرمت عليه، حتى تنكح زوجاً غيره، ولا فرق بين قبل الدخول وبعده». «المغني» (٨/ ٢٤٣).

(٧) في «ط» لم يحكي.

الفصل الثاني

فيمن قال بهذا القول وأفتى به

قال به ابن عباس غير مرة، وابن عمر[1]، وعبد الله بن عمرو[2]، وعثمان[3]، وعلي[4]، وابن مسعود[5]، وأنس[6]، ذكره[7] في «المغني»،

---

(١) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل. توفي - رضي الله تعالى عنه - سنة (٧٣هـ). «تقريب التهذيب» (ص٣١٥)، «الشذرات» (١/ ٣١٥)، «الإصابة» (٤/ ١٥٠).

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص، صحابي جليل. تُوفي - رضي الله تعالى عنه - سنة (٦٥هـ)، «تقريب التهذيب» (ص٣١٥) «الشذرات» (١/ ٢٩٠)، «الإصابة» (٤/ ١٦٥).

(٣) سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - (٣٥هـ).

(٤) سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - (٤٠هـ).

(٥) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن. صحابي جليل. توفي - رضي الله تعالى عنه - سنة (٣٢هـ). «الشذرات» (١/ ١٩٥)، «التقريب» (ص٣٢٣)، «الأعلام» (٤/ ١٣٧)، «شذرات الذهب» (١/ ١٩٥)، «الإصابة» (٤/ ١٩٨).

(٦) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، مشهور. توفي - رضي الله تعالى عنه - سنة (٩٣هـ). «التقريب» (ص١١٥)، «شذرات الذهب» (١/ ٣٦٥)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٩٥)، «الإصابة» (١/ ٢٧٥).

(٧) لم يذكر في «ط» جملة: «وأنس ذكره في المغني».

وقال: «هو قول أكثر أهل العلم»[1]، وبه قال أحمد، والشافعي[2]، وأبو حنيفة[3]، ومالك[4]، وابن أبي ليلى[5]، والأوزاعي[6].

وقال به من أصحابنا الخرقي، والقاضي[7]، وأبو بكر[8]، وابن حامد[9]، وابن ....

---

(١) انظر: «المغني» (٨/ ٢٤٣).

(٢) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٠٤هـ). «وفيات الأعيان» (١/ ٦٣)، «الشذرات» (٣/ ١٨٥)، «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ١٩٢)، «معجم المؤلفين» (٣/ ١١٦).

(٣) هو الإمام النعمان بن ثابت بن زوطي، «أبو حنيفة» أحد الأئمة الأربعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٥٠هـ). «الشذرات» (٢/ ٢٢٩)، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١/ ٧٣)، «العبر» (١/ ٢١٤)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٣٢).

(٤) هو الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٧٩هـ). «الشذرات» (٢/ ٣٥٠)، «التقريب» (ص٥١٦)، «شجرة النور الزكية» (ص٤٨) وما بعدها، «معجم المؤلفين» (٣/ ٩).

(٥) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي. قاض، فقيه مشهور، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٤٨هـ). «الأعلام» (٦/ ١٨٩)، «الشذرات» (٢/ ٢٢٢)، «العبر» (١/ ٢١١).

(٦) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، أبو عمر. إمام الديار الشامية في الفقه والزهد. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٥٧هـ). «الشذرات» (٢/ ٢٥٦)، «العبر» (١/ ٢٢٧)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٤)، «الأعلام» (٣/ ٣٢٠).

(٧) القاضي أبو يعلى، تقدمت ترجمته.

(٨) أبو بكر الخلال، تقدمت ترجمته.

(٩) ابن حامد: هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله البغدادي، إمام الحنابلة في زمنه، وأستاذ القاضي أبي يعلى. له العديد من المصنفات، أهمها «الجامع في المذهب» في الفقه، نحو (٤٠٠) جزء. توفي ـ رحمه الله ـ سنة =

عقيل[١]، وأبو الخطاب، والشيرازي[٢]، والشيخ موفق الدين[٣]، والشيخ مجد الدين[٤] ـ وليس مطلقاً كما سيأتي ـ، والشريف[٥]، حتى أكثر أصحاب الإمام أحمد على هذا القول. وفي «إجماع» ابن المنذر[٦] ما يدل على أنه إجماع، ليس بصريح فيه. وهذا القول اختاره ابن رجب[٧]، وقد صنف رداً على من قال بخلافه. والله أعلم بالصواب.



= (٤٠٣هـ). «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٧١)، «الشذرات» (٣/ ١٦٦)، «معجم الكتب» (ص٥٩)، «المدخل» (ص٨٦١)، «العبر» (٣/ ٨٦).

(١) ابن عقيل: تقدمت ترجمته.

(٢) الشيرازي: تقدمت ترجمته.

(٣) موفق الدين بن قدامة: تقدمت ترجمته.

(٤) مجد الدين بن تيمية: تقدمت ترجمته.

(٥) الشريف أبو جعفر عبد الخالق: تقدمت ترجمته.

(٦) ابن المنذر: هو محمد بن إبراهيم، الحافظ الأوحد العلاّمة أبو بكر بن المنذر النيسابوري، شيخ الحرم ومفتيه، ثقة مجتهد فقيه، صاحب التصانيف التي لم يصنف مثلها، مثل «المبسوط» في الفقه، و«الإجماع»، وغيرهما. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٠٩هـ) أو (٣١٠هـ)، وفي «الشذرات»: (٣١٨هـ). «الشذرات» (٤/ ٨٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٩٠)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٤١). وطبع كتاب «الإجماع» عدة طبعات، منها طبعة دار طيبة ـ الرياض ـ ط١ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). قال ابن المنذر: «وأجمعوا على أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً أنها لا تحل له إلاّ بعد زوج، على ما جاء به حديث النبي ﷺ». «الإجماع» (ص١٠٢).

(٧) ابن رجب: تقدمت ترجمته.

الفصل الثالث

في ذكر ما احتجت به هذه الطائفة، ومالَها، وما عليها[1]

قال في «أعلام الموقعين»[2] ـ بعد ذكره دليل الطائفة الأولى ـ ثم قال: (لكن رأى أمير المؤمنين عمر أن الناس استهانوا بأمر الطلاق، وكثر منهم إيقاعه جملة واحدة، فرأى من المصلحة عقوبتهم بإمضائه عليهم؛ ليعلموا أن أحدهم إذا أوقعه جملة، بانت المرأة، وحرمت عليه حتى تنكح زوجاً غيره نكاح رغبة، يراد للدوام[3]، لا نكاح تحليل؛ فإنه كان من أشد الناس فيه، فإذا علموا ذلك، كفوا عن الطلاق [المحرَّم][4].

فرأى عمر أن هذا مصلحة لهم في زمانه، ورأى أن ما كان عليه في عهد النبي ﷺ وعهد الصدّيق وصدر من خلافته كان لا يليق[5] بهم؛ لأنهم لم

---

(١) جملة: «وما عليها» سقطت من «ط».

(٢) انظر: «أعلام الموقعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٥) وما بعدها، وهو الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر (٧٥١هـ)، وهو غني عن التعريف ـ رحمه الله وإيانا ـ. «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٧)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ١٧٠)، «الشذرات» (٧/ ٢٨٧).

(٣) في «ط»: «يراد لله وأمره» والصحيح ما ذكرناه؛ للمعنى، وانظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٦).

(٤) الزيادة من «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٦).

(٥) في «أعلام الموقعين»: الأليق. والصحيح ما ذكرناه؛ للمعنى.

يتتابعوا فيه، وكانوا يتقون الله في الطلاق، وقد جعل الله لكل من اتقاه مخرجاً، فلما تركوا تقوى الله، وتلاعبوا بكتاب الله، وطلقوا على غير ما شرعه الله، ألزمهم بما التزموه؛ عقوبة لهم؛ فإن الله إنما شرع الطلاق مرة بعد مرة، ولم يشرعه كله مرة واحدة، فمن جمع الثلاث في مرة واحدة، فقد تعدى حدود الله، وظلم نفسه، ولعب بكتاب الله، فهو حقيق أن يعاقب، ويلزم[1] بما التزمه، ولا يقر على رخصة الله وسعته[2]، وقد صعبها[3] على نفسه، ولم يتق الله ويطلق[4] كما أمره الله وشَرَعه له، بل استعجل فيما جعل الله له الأناة فيه، رحمةً منه وإحساناً، ولبس[5] على نفسه، واختار الأغلظ والأشد.

وهذه قاعدة، وهي: «من تعجل شيئاً قبل أوانه، عوقب بحرمانه»[6] وهذه من حسن سياسة عمر[7] وتأديبه لرعيته، وقد وافقه الصحابة على ما ألزم به[8]، وصرحوا لمن استفتاهم بذلك.

قال عبد الله بن مسعود [٢٠٥ـ أ]: «مَنْ أَتَى الأَمْرَ على وَجْهِه، فقد بَيَّنَ

---

(١) سقطت من «ط».

(٢) في «ط» وسنته.

(٣) في «ط» ضيعها.

(٤) في «أعلام الموقعين» ولم يطلق. والصحيح ما ذكرناه للمعنى.

(٥) «لَبَسَ» عليه الأمر: خلط، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وفي الأمر «لُبْسَةٌ» أي: شُبهة، يعنى ليس بواضح. «لسان العرب» (٦/ ٢٠٢)، «مختار الصحاح» (ص٥٩٠).

(٦) لم يذكر القاعدة في «أعلام الموقعين» لعله ذكرها في نسخة أخرى. قال: «فهذا ما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان» (٣/ ٣٦).

(٧) في «ط» محمد.

(٨) في «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٦): «وعلم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حسن سياسة عمر، وتأديبه لرعيته في ذلك، فوافقوه على ما ألزم به».

[اللهُ لهُ[1]]، ومَنْ لَبَسَ عَلَى نفسه جعلنا عليه لَبْسَهُ، والله لا تَلْبِسُون على أَنْفُسِكُم فَنَحْمِلَهُ عَنْكُم. هُوَ كَمَا تَقُولُونَ»[2].

وقال النبي ﷺ لمن فعل ذلك:

«أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكم؟» حتى قام رجل وقال: يا رسول الله! ألا أَقْتُلُهُ[3]؟.

ولما توقف عبد الله بن الزبير[4] في الإيقاع، وقال للسائل: «إِنَّ هذا لأمرٌ مَا لَنَا فيهِ قَوْلٌ، فَاذْهَبْ إلى عَبْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ[5]، فلما جَاءَ إِلَيْهِمَا، قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ لأبي هُرَيْرَةَ: أَفْتِهِ؛ فَقَدْ جاءتْكَ مُعْضِلَةٌ»[6]، ثم أفتياه بالوقوع.

---

(١) الزيادة من «الموطأ»، وسيأتي تخريجه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» ـ كتاب الطلاق ـ باب ما جاء في البتة (١٥٧٠) (١/ ٦٠٥). ورواه البيهقي «كتاب الطلاق» باب إمضاء الثلاث إن كن مجموعات (٧/ ٣٣٥). ورواه عبد الرزاق «كتاب الطلاق» باب المطلق ثلاثاً (١١٣٤٢) (٦/ ٣٩٤). وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: «إسناده منقطع»، «جامع الأصول» (٧/ ٥٨٨).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» ـ كتاب الطلاق ـ باب طلاق الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ (٥٥٩٤) (٣/ ٣٤٩). قال النسائي: «لا أعلم أحداً روى هذا الحديث غير مخرمة»، وقال ابن حجر: «ورواته موثوقون». «بلوغ المرام» (ص١٩٨). انفرد به النسائي.

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، ولي الخلافة (٩) سنين. توفي سنة (٧٣هـ). «الشذرات» (١/ ٣٠٦)، «التقريب» (ص٣٠٣)، «تهذيب الأسماء» (١/ ٣٦٧).

(٥) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل، مكثر لحفظ الحديث وروايته. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٥٩هـ). «التقريب» (ص٦٨٠)، «الشذرات» (١/ ٢٦١)، «الأعلام» (٣/ ٣٠٨).

(٦) رواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب إمضاء الثلاث وإن كن مجموعات =

فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب، لما رأوا الناس قد استهانوا بأمر الطلاق، وأرسلوا ما بيدهم منه، ولبسوا على أنفسهم، فلم يتقوا الله في التطليق الذي شرعه لهم، فأخذوا بالتشديد على أنفسهم، ولم يقفوا على ما حد لهم، ألزموهم بما التزموه، وأمضوا عليهم ما اختاروه لأنفسهم من التشديد الذي وسع الله عليهم ما شرعه لهم بخلافه، ولا ريب أن من فعل هذا حقيق بالعقوبة، بأن ينفذ عليه ما أنفذه على نفسه، ولم يقبل رخصة الله وتيسيره ومهلته.

ولهذا قال ابن عباس لمن طلق مئة: «عَصَيْتَ رَبَّكَ، وَبَانَت مِنْكَ امْرَأَتُكَ، إِنَّكَ لَمْ تَتَّقِ الله فَيَجْعَلَ لَكَ مَخْرَجاً. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1] [الطلاق: ٢]»[2].

وأتاه رجل، فقال: إن عمي طلق ثلاثاً. فقال:

«إِنَّ عَمَّكَ عَصَى اللهَ، فَأَنْدَمَهُ اللهُ، وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. فَقَالَ: أَفَلا تُحِلُّهَا لَهُ؟ فَقَالَ: مَنْ يُخَادِعِ اللهَ يَخْدَعْهُ اللهُ»[3].

وقال سعيد بن جبير[4]: «جاء رجلٌ إلى ابْن عبَّاس فقال: إني طَلَّقْتُ

= (٧/ ٣٣٥). فيه أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي متروك. «التقريب» (ص١٩٥). ورواه معاوية بن أبي عياش الأنصاري عن ابن عباس، مجهول لم أهتد إلى اسمه حتى في كتب التراجم.

(١) في «ط» ومن يتق الله يعطه مخرجاً.

(٢) رواه الدارقطني «كتاب الطلاق والخلع والإيلاء» (٣٧) (٤/ ١٣). ورواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب الاختيار ألاّ يطلق واحدة (٧/ ٣٣١)، قال ابن التركماني: «سنده صحيح». «الجوهر النقي ذيل البيهقي» (٧/ ٣٣٢).

(٣) رواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب من جعل الثلاث واحدة (٧/ ٣٣٧)، قال ابن التركماني: «سنده صحيح». «الذيل على البيهقي» (٧/ ٣٣٢).

(٤) هو سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الثالثة، قتل ـ=

امْرأَتِي أَلْفاً، فقال: أَمَّا ثَلاَث، فَتَحْرُمُ عَلَيْكَ امْرَأَتُكَ، وبَقِيَّتُهُنَّ وِزْرٌ، اتَّخَذْتَ آياتِ اللهِ هُزُواً»[١].

وقال مجاهد[٢]: «كُنْتُ عندَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إنَّهُ طَلَّق امْرَأَتَهُ ثَلاَثاً، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَهُ رَادُّهَا إِلَيْه، ثُمَّ قَالَ: يَنْطَلِقُ أَحَدُكُمْ فَيَرْكَبُ الحَمُوقَةَ[٣] ثُمَّ يَقُولُ: يا ابْنَ عَبَّاسٍ! وَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]؛ فإنك لم تتق الله، فلم أجد لك مخرجاً، عَصَيْتَ رَبَّكَ، فَبَانَت مِنْكَ امْرأَتُك»[٤].

وليتدبر العالم الذي قصدهُ معرفةُ الحق واتباعُه من الشرع والقدر في

= رحمه الله ـ بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ). «التقريب» (ص٢٣٤)، «الشذرات» (١/ ٣٨٢)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٢١).

(١) رواه الدارقطني «كتاب الطلاق والخلع والإيلاء» (٣٥) (٤/ ١٢). ورواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب الاختيار ألاّ يطلق واحدة (٧/ ٣٣٢)، قال ابن التركماني: «سنده صحيح». «الذيل على البيهقي» (٧/ ٣٣٢).

(٢) هو مجاهد بن جبر المخزومي المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، أخذ التفسير عن ابن عباس. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٤٩)، «التقريب» (ص٥٢٠)، «الشذرات» (٢/ ٢٩).

(٣) «الحَمُوقَةَ» هي فَعولَةٌ من الحُمْقِ، أي خصلةً ذات حُمْق. وحقيقة الحمق: وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه. والأحموقة منه. «لسان العرب» (١٠/ ٦٨).

(٤) رواه أبو داود «كتاب الطلاق الثلاث» باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث (٢١٩٧) (٢/ ٦٤٦). ورواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب الاختيار ألاّ يطلق واحدة (٧/ ٣٣١). ورواه الدارقطني «كتاب الطلاق» (٣٨) (٤/ ١٣). قال العظم أبادي: قال الحافظ في «الفتح»: «إسناده صحيح». «الدارقطني ٤/ ١٣». وقال الشوكاني: «هذا الأثر إسناده صحيح كما قال صاحب الفتح». «نيل الأوطار» (٦/ ٢٣١).

قبول الصحابة هذه الرخصة والتيسير على عهد رسول الله ﷺ، وتقواهم ربهم ـ تبارك وتعالى ـ في التطليق، فجرت عليهم رخصته وتيسيره شرعاً وقدراً، فلما ركب الناس الأحموقة، وتركوا تقوى الله، ولبسوا على أنفسهم، وطلقوا على غير ما شرعه الله لهم، أجرى الله الحكيم[١] على لسان الخليفة الراشد، والصحابةُ معه، شرعاً، وقد ألزمهم[٢] بذلك، وإنفاذه عليهم، وإبقاءه الإصر[٣] الذي جعلوه في أعناقهم، وهذه أسرار من أسرار الشرع والقدر لا تناسب عقول أبناء الزمان، فجاء أئمة الإسلام على آثار الصحابة، سالكين مسلكهم، قاصدين رضاء الله ورسوله، وإنفاذ دينه، فمنهم من ترك القول بحديث ابن عباس، لظنه أنه منسوخ، وهذه طريقة الشافعي)[٤].

وقال الشيخ موفق الدين في «المغني» مثل هذا، واستدل بما روي عن عبادة بن الصامت[٥]، قال: («طَلَّق بَعْضُ آبَائي امْرأَتَهُ أَلْفاً، فَانْطَلَقَ إلى رَسُول الله ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله! [٢٠٥ـب] إنَّ أَبَانَا طلَّق أُمّنَا أَلْفاً، فَهَلْ لَهُ مَخْرَجٌ؟ فقَالَ: إنَّ أَباكُمْ لمْ يتَّقِ اللهَ فَيَجْعَلَ لَهُ منْ أَمْرِه مَخْرَجاً، بانَتْ منْهُ

---

(١) زيادة على النص.

(٢) في «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٧): «شرعاً وقدراً إلزامهم بذلك» ولعله الصحيح؛ لسياق الكلام.

(٣) في «ط» الأمر، والصحيح ما أثبتناه.

(٤) «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٥) وما بعدها. قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «فإن كان معنى قول ابن عباس أن الثلاث كانت تحسب على عهد رسول الله ﷺ واحدة، يعني أنه بأمر النبي ﷺ فالذي يشبه ـ والله أعلم ـ أن يكون ابن عباس قد علم إن كان شيئاً فنسخ». «السنن الكبرى» للبيهقي (٧/ ٣٣٨).

(٥) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ بالرملة سنة (٣٥هـ). «الإصابة» (٥/ ٣٢٤)، «التقريب» (ص٢٩٢)، «الشذرات» (١/ ٢٠٠).

بِثَلاثٍ عَلَى غَيْرِ[1] السُّنَّةِ، وَتِسْعُ مِئَةٍ وَسَبْعَةٌ وتِسْعُونَ إِثْمٌ في عُنُقِهِ»[2]؛ ولأن النكاح ملك يصح إزالته متفرقاً، فيصح مجتمعاً كسائر الأملاك. فأما حديث ابن عباس، فقد صحت الرواية عنه بخلافه، وأفتى أيضاً بخلافه. قال الأثرم: «سأَلْتُ أبا عبْد الله عن حديث ابن عباس: بأي شيء تدفعه؟ قال: أدفعه برواية الناس عن ابن عباس من وجوه أنها ثلاث»[3].

وقيل[4]: «معنى حديث ابن عباس أن الناس كانوا يطلقون واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، فلا يجوز أن يخالف عمر ما كان في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، ولا يسوغ لابن عباس أن يروي هذا عن رسول الله ﷺ ويفتي بخلافه)[5].

قال ابن رجب في كتاب «مشكل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث واحدة»[6]:

(الحديث الأول: حديث طاوس[7] عن ابن عباس قال: «كان الطلاقُ

---

(١) في «ط» يمين.

(٢) رواه الدارقطني «كتاب الطلاق والخلع والإيلاء» (٣٥) (٤/ ٢٠). قال الدراقطني: «رواته مجهولون ضعفاء إلاّ شيخنا وابن عبد الباقي». وقال الشوكاني: «في إسناده يحيى بن العلاء ضعيف، وعبد الله بن الوليد هالك، وإبراهيم بن عبيد الله مجهول، فأي حجة في رواية ضعيف عن هالك عن مجهول؟! ثم والد عبادة بن الصامت لم يدرك الإسلام، فكيف بجده؟!». «نيل الأوطار» (٦/ ٢٣٢).

(٣) انظر: ما تقدم.

(٤) في «ط» وجعل.

(٥) انظر: «المغني» (٨/ ٢٤٣) وما بعدها.

(٦) هذا الكتاب مفقود، والله أعلم.

(٧) هو طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الحميري، مولاهم، الفارسي، ثقة فقيه فاضل، من الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٦هـ). «التقريب» =

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبي بَكْرٍ وَ سَنَتَيْنِ مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ: طلاقُ الثَّلاثِ وَاحدةٌ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا في أَمْرٍ كَانَتْ لَهُمْ فيه أَنَاةٌ، فَلَو أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِم؟ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِم»[1]، وأخرجه أيضاً من طريق إبراهيم بن ميسرة[2] عن طاوس، بنحوه).

فهذا الحديث لأئمة الإسلام فيه طريقان:

أحدهما: وهو مسلك الإمام أحمد ومن وافقه، ويرجع إلى الكلام في إسناد الحديث بشذوذه، وانفراد طاوس به، وأنه لم يتابع عليه، وانفراد الراوي بالحديث، وإن كان ثقة، هو علة في الحديث يوجب التوقف فيه، وأن يكون شاذاً ومنكراً إذا لم يرو معناه من وجه يصح. وهذه طريقة أئمة الحديث المتقدمين؛ كالإمام أحمد، ويحيى القطان[3]، ويحيى بن معين[4]، وعلي بن المديني[5]، وغيرهم، وهذا الحديث لا يرويه عن ابن عباس غير طاوس.

= (ص٢٨١)، «الشذرات» (٢/ ٤٠)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٨).

(١) الخبر سبق تخريجه.

(٢) هو إبراهيم بن ميسرة الطائفي، نزيل مكة، ثبت حافظ، من الخامسة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٣٢هـ) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٢٣)، «التقريب» (ص٩٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٤٦).

(٣) هو يحيى بن سعيد بن فرّوخ القطان، أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ إمام قدوة، من كبار التاسعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٩٨هـ). «شذرات الذهب» (٢/ ٤٦٠)، «التقريب» (ص٥٩١)، «تاريخ بغداد» (٤١/ ١٣٥).

(٤) هو يحيى بن معين بن عَوْن الغطفاني، مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، من العاشرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٣٣هـ). «التقريب» (ص٥٩٧)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٥٥)، «العبر» (١/ ٤١٥)، «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٧٧).

(٥) هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي، أبو الحسن المديني، ثقة ثبت إمام، أعلم=

قال الإمام أحمد في رواية ابن منصور[1]: «كل أصحاب ابن عباس ـ يعني: روى عنه ـ خلاف ما روى طاوس».

وقال الروشنائي[2]: «هو حديث شاذ، قال: وقد عنيت بهذا الحديث في قديم الدهر، فلم أجد له أصلاً».

قال المصنف[3]: «ومتى أجمع[4] الأمة على اطِّراح العمل بحديث، وجب اطِّراحه، وترك العمل به».

وقال ابن مهدي[5]: «لا يكون إماماً في العلم من عمل بالشاذ».

= أهل عصره بالحديث وعلله. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٣٤هـ). «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤١)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٥٩)، «التقريب» (ص٤٠٣).

(١) ابن منصور: هو محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم، أبو جعفر، العابد المعروف بالطوسي، فقيه صالح، عابد، صاحب صلاة، محدث ثقة، روى عن أحمد أشياء لم يروها غيره. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٥٤هـ). «طبقات الحنابلة» (١/ ٣١٩)، «العبر» (١/ ٤١٥)، «التقريب» (ص٥٠٨).

(٢) في «ط» الجوزجاني. والصحيح ما أثبتناه إن شاء الله تعالى. ـ والروشنائي، وفي طبقات الحنابلة: الروشناني، وهو أحمد بن موسى بن عبد الله بن إسحاق، أبو بكر الزاهد المعروف بالروشنائي، كان ذا فضل ودين وصلاح وعبادة، له «المختصر في أصول الدين من كتاب أبي عبد الله بن حامد». توفي ـ رحمه الله ـ ليلة السبت (٢٩) رجب سنة (٤٠١هـ). «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٧٩)، «تاريخ بغداد» (٥/ ١٤٩)، «معجم المؤلفين» (١/ ٣١٥).

(٣) يعني: ابن رجب ـ رحمه الله ـ.

(٤) لعل الصواب: أجمعت.

(٥) ابن مَهْديّ: هو عبد الرحمن بن مَهْديّ بن حسان العنبري، أبو سعيد البصري، ثقة، ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث، أحد أركان الحديث، مشهور. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٩٨هـ). «التقريب» (ص٣٥١)، «الشذرات» (٢/ ٤٦٧)، «تهذيب الكمال» للمِزي (٣/ ٤٧٧)، «جامع الأصول» (١٥/ ٣٨٥).

وقال النخعي[1]: «كانوا يكرهون الغريب من الحديث».

وقال يزيد بن أبي حبيب[2]: «إذا سمعت الحديث، فانشده كما تنشد الضالة، فإن عرف، وإلاّ فدعه».

وعن مالك قال: «شر العلم الغريب، وخير العلم [٢٠٦-أ] الظاهر الذي قد رواه الناس».

وفي هذا الباب شيء كثير، لعدم جواز العمل بالغريب وغير المشهور.

قال ابن رجب: «وقد صح عن ابن عباس - وهو راوي الحديث - أنه أفتى بخلاف هذا الحديث، ولزوم الثلاث مجموعة. وقد علل بهذا أحمد والشافعي كما ذكره في «المغني»[3]، وهذه أيضاً علّة في الحديث بانفرادها، فكيف وقد ضم إليها علة الشذوذ والإنكار وإجماع الأمة؟!».

وقال القاضي إسماعيل[4] في كتاب «أحكام القرآن»: «طاوس مع فضله وصلاحه يروي أشياء منكرة، منها هذا الحديث».

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد النَّخَعي، من كبار التابعين. توفي - رحمه الله - سنة (٩٥هـ)، وقيل: (٩٦هـ). «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٣٣)، «شذرات الذهب» (١/ ٣٨٧)، «التقريب» (ص٩٥).

(٢) هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب الأزدي، فقيه مصر وشيخها وفقيهها، كان من جلة العلماء العاملين ارتفع، بالتقوى، ثقة، ثبت. توفي - رحمه الله - سنة (٣١٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣١)، «الشذرات» (٢/ ١٢٤)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٢٨-١٢٩)، «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣١٨).

(٣) انظر: «المغني» (٨/ ٢٤٣) وما بعدها.

(٤) هو العلاّمة أبو إسحاق إسماعيل بن حماد الأزدي، الفقيه المالكي، قاضي بغداد، صنف في مختلف العلوم، وله «أحكام القرآن»، وكان إماماً بالعربية. توفي - رحمه الله - سنة (٢٨٤هـ). «الشذرات» (٣/ ٣٣٤)، «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨٤)، «الديباج المذهب» (١/ ٢٨٢).

وعن أيوب[1]: «أنه كان يعجب من كثرة خطأ طاوس».

وقال ابن عبد البر[2]: «شذ طاوس في هذا الحديث».

قال ابن رجب: «وكان علماء أهل مكة ينكرون على طاوس ما ينفرد به من شواذ الأقاويل».

المسلك الثاني: وهو مسلك ابن راهويه[3] ومن تابعه، وهو الكلام في معنى الحديث، وهو أن يحمل على غير المدخول بها، نقله ابن منصور عن إسحاق[4]، وأشار إليه إسحاق في كتاب «الجامع»، وبوب عليه أبو بكر الأثرم في «سننه»، وأبو بكر الخلال يدل عليه.

وفي «سنن أبي داود» من رواية حماد بن زيد[5] عن أيوب، عن غير

---

(١) أيوب بن أبي تميمة: كيسان السّختياني، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة، أحد الأعلام، من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٣١هـ). «التقريب» (ص١١٧)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٥).

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، أبو عمر، إمام علاّمة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام ـ صاحب التصانيف الفائقة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٤٦٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٥٣)، «شذرات الذهب» (٣/ ٣١٤)، «وفيات الأعيان» (٧/ ٦٦)، «الديباج المذهب» (٢/ ٣٦٧).

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب، من أصحاب الإمام أحمد، وروى عنه أشياء، ثقة، حافظ مجتهد، عالم. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٣٨هـ). «التقريب» (ص٩٩)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٧٢)، «طبقات الحنابلة» (١/ ١٠٩).

(٤) يعني: إسحاق بن راهويه المتقدم ذكره.

(٥) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي، أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، أحد الأعلام، من كبار الثامنة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٧٩هـ). «التقريب» (ص١٧٨)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٥٤)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٥٦).

واحد، عن طاوس: أن رجلاً يقال له أبو الصهباء كان كثير السؤال لابن عباس، قال: «كَانَ الرَّجُلُ إذا طلَّقَ امْرأَتَهُ ثلاثاً قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بها، جَعَلُوهَا وَاحِدَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وأَبِي بَكْرٍ، وصَدْراً مِنْ إمَارَةِ عُمَرَ، فلما رَأى النَّاسَ قَدْ تَتَابَعُوا فيها، قَالَ: أَجِيزُوهُنَّ عَلَيْهِم»[1]، وأيوب إمام كبير.

فإن قيل: لكن الرواية مطلقة، قلنا: الجمع بين الدليلين، ونقول: هذا قبل الدخول.

قال ابن رجب: (الحديث الثاني: «رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ[2] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ[3]: أَخْبَرَنِي بَعْضُ بَنِي أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عِكْرِمَةَ[4] مولى ابن عباس، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: طَلَّقَ عَبْدُ يَزِيدَ أَبُو رُكَانَةَ وَإِخْوَتِه أُمَّ رُكَانَةَ، وَنَكَحَ امْرَأَةً منْ مُزَيْنَةَ، فجاءتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: ما يُغْني عني إلاّ كما تُغْني هذه الشَّعْرةُ ـ لشعْرةٍ أخذَتْها منْ رأْسها ـ ففرِّقْ بَيْني وبَيْنَهُ.

فَأَخَذَتِ النَّبِيِّ ﷺ حَمِيَّةٌ، فَدَعَا بِرُكَانَةَ وإِخْوَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِجُلَسَائِهِ: أَتَرَوْنَ

---

(١) رواه أبو داود «كتاب الطلاق» باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث (٢١٩٩) (٢/ ٢٦١)، وروراه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب من جعل الثلاث واحدة (٧/ ٣٣٨). قال ابن التركماني: «رواية أيوب ضعيفة».

(٢) هو عبد الرزاق بن همّام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء، له «الجامع الكبير» في الحديث المعروف بـ«المصنف». توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢١١هـ). «الوفيات» (٣/ ٢١٦)، «الشذرات» (٣/ ٥٥)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٦٣).

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، من السادسة، عالم كبير. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٥٠هـ). «التقريب» (ص٣٦٣)، «الشذرات» (٢/ ٢٢٦)، «العبر» (١/ ٢١٣).

(٤) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، ثقة، ثبت تابعي، من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٥هـ). «الشذرات» (٢/ ٣٢)، «الأعلام» (٤/ ٢٤٤) «التقريب» (ص٣٩٧).

فُلَانًا يُشْبِهُ مِنْهُ كَذَا وكَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ لِعَبْدِ يَزِيدَ: طَلِّقْهَا ففعل، فقال: راجِع امْرَأَتَكَ أُمَّ رُكَانَةَ وإخوتهِ، فقال: إنّي طلَّقْتُها ثلاثاً يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ، راجِعْها، وَتلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]»[1]. أخرجه أبو داود).

قال: (والكلام على هذا الحديث من وجوه:

أحدها: أن إسناده مجهول [٢٠٦ـب].

الثاني: أن الرجل الذي لم يسم في رواية عبد الرزاق، وهو محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، وهو رجل ضعيف الحديث بالاتفاق، وأحاديثه منكرة، وقيل: إنه متروك، فسقط هذا الحديث حينئذٍ.

الثالث: أنه محمد بن ثور الصاغاني، ثقة كبير عابد، ولم يذكر محمد بن ثور في روايته أنه طلقها ثلاثاً، وإنما قال: «إنّي طَلَّقْتُها»، وعبد الرزاق حدَّث في آخر عمره [أحاديث] منكرة جداً في فضائل أهل البيت وذم غيرهم، وكان له ميل إلى التشيع، وهذا الحكم مما يوافق هوى الشيعة.

الرابع: أن حديث عبد الرزاق لو صح متنه، فليس فيه أنه طلقها ثلاثاً

---

(١) رواه أبو داود «كتاب الطلاق» باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث (٢١٩٦) (٢/ ٢٥٩ـ٢٦٠). قال أبو داود (حديث «البتة» أصح من هذا؛ لأن ولد الرجل وأهله أعلم به إن ركانة إنما طلق امرأته البتة، فجعلها النبي ﷺ واحدة). ورواه أحمد في «المسند» (٢٣٨٧) (٣/ ٩١). قال الشيخ محمد أحمد شاكر: «إسناده صحيح، رواه الضياء في «المختارة»، كما نقله ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (ص٥٨)». وقال الحافظ ابن حجر: (وفي سندهما ابن إسحاق، وفيه مقال، وقد روى أبو داود من وجه آخر أحسن منه: «أَنَّ أَبَا رُكَانَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ سُهَيْمَةَ البَتَّةَ، فَقَالَ: والله مَا أَرَدْتُ بِهَا إِلاَّ وَاحِدَةً، فَرَدَّهَا النَّبِيُّ ﷺ»). «بلوغ المرام» (ص١٩٨). وتبعه الشوكاني في «نيل الأوطار (٦/ ٢٢٧)». انفرد به أبو داود.

بكلمة واحدة، فيحمل أنه طلق ثلاثاً في مرات متعددة، ولكن هذه الواقعة قبل حصر عدد الطلاق في الثلاث.

الخامس: أن أبا داود عارض حديث عبد الرزاق بما روى ولد ركانة عنه: «أَنَّهُ طَلَّق امْرأَتهُ البتَّةَ»[1] قال: «وهو أصح من حديث والد أبي رافع»).

ثم قال ابن رجب في هذا الكتاب: «فصل: اعلم أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من أئمة السلف المعتد بقولهم في الفتاوى في الحلال والحرام شيءٌ صريح في أن الطلاق الثلاث بعد الدخول يحسب واحدة، ما إذا سيق بلفظ واحد».

وعن الأعمش[2] قال: «كَانَ بالْكُوفَةِ شَيْخٌ يقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أبي طَالِبٍ يَقُولُ: إِذَا طَلَّق الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلاثاً في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ فَتُرَدُّ إلى وَاحِدَةٍ، والنَّاسُ عُنُقٌ وَاحِدٌ إِلى ذلِكَ، يَأْتُونَهُ وَيَسْتَمِعُونَ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يقُولُ: إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ

---

(١) رواه أبو داود «كتاب الطلاق» باب في البتة (٢٢٠٦) (٢/ ٢٦٣). ورواه ابن حبان «كتاب الطلاق» باب الرجعة (٤٢٧٤) (١٠/ ٩٧). ورواه الحاكم «كتاب الطلاق» (٢/ ١٩٩). ورواه الترمذي «كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله» باب ما جاء في الرجل يطلق امرأته البتة (١١٧٧) (٣/ ٤٧١). قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وسألت محمداً ـ يعني البخاري ـ عن هذا الحديث فقال: فيه اضطراب»، وقد ذكرنا قول الحافظ ابن حجر في الحديث الذي قبله. وقال الشوكاني: «وفي إسناده الزبير بن سعيد الهاشمي، وقد ضعفه غير واحد، وقيل: إنه متروك». «نيل الأوطار» (٦/ ٢٢٦).

(٢) هو سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد الكوفي، الأعمش، ثقة حافظ، إمام، وشيخ الإسلام. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٤٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٦)، «التقريب» (ص٢٥٤)، «الشذرات» (٢/ ٢١٧).

امْرَأَتَهُ ثَلاثاً فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، فإنَّهَا تُرَدُّ إلى وَاحِدَةٍ، فَقُلْتُ: أَيْنَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ عَلِيٍّ؟ فقَالَ: أُخْرِجُ إلَيْكَ كِتَابِي، فَأَخْرَجَ كِتَابَهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا سَمِعْتُ عَلِيَّ ابْنَ أبي طَالِبٍ يَقُولُ: إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلاثاً فِي مَجْلسٍ وَاحِدٍ، فَقَدْ بَانَت مِنْهُ، ولا تَحِلُّ لَهُ حَتى تَنْكِح زَوْجاً غَيْرَهُ، قُلْتُ: وَيْحَكَ! هَذَا غَيْرُ الذِي تَقُولُ، قَال: الصَّحِيحُ هُو هَذَا، وَلَكِنْ هَؤُلاءِ أَرَادُونِي عَلَى ذَلِكَ»[1].

وعن إبراهيم بن عبد الأعلى[2] عن سويد بن غَفَلَة[3] قال:

«كَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ الفَضْلِ عِنْدَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا بُويعَ بالْخِلافَة هَنَّأَتْهُ، فَقَالَ: لا تُظْهِرِنَّ الشَّمَاتَةَ بِقَتْلِ أَمِيرِ المُؤْمِنين، أَنْتِ طَالِقٌ ثَلاثاً، وَمَتَّعَهَا بعَشَرَةِ آلافٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَدِّي ـ أَوْ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ جَدِّي ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلاثاً عِنْدَ الأَقْرَاء، أَوْ طَلَّقَها ثَلاثاً مُبْهَمَةً، لَمْ تَحِلَّ لَهُ حتى تَنْكِح زَوْجاً غَيْرَهُ، لَراجَعْتُها»[4].

---

(١) رواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب من جعل الثلاث واحدة (٧/ ٣٣٩).
رواه علي بن سلمة اللبقي، صدوق، عن أبي أسامة زيد بن علي بن دينار النخعي، صدوق، عن الأعمش، ثقة حافظ. والله أعلم بالصواب. انظر: «التقريب» (ص٢٢٤، ٢٥٤، ٤٠١).

(٢) هو إبراهيم بن عبد الأعلى الكوفي، ثقة، من السادسة، ولم أعثر على تاريخ وفاته. «التقريب» (ص٩١)، «الجرح والتعديل» للرازي (٢/ ١١٢)، «تاريخ أسماء الثقات» (ص٥٨).

(٣) هو سويد بن غفلة، أبو أمية الجُعفي، مخضرم، من كبار التابعين، قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ، وكان مسلماً في حياته، وكان إماماً فقيهاً عالماً، ثم نزل الكوفة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨١هـ). «التقريب» (ص٢٦٠)، «الشذرات» (١/ ٣٣٢)، «الجرح والتعديل» للرازي (٤/ ٢٣٤).

(٤) رواه البيهقي «كتاب الخلع والطلاق» باب إمضاء الثلاث وإن كن مجموعات =

قال ابن رجب: «وإسناده صحيح».

ثم قال ابن رجب بعد هذا: (فصل: وقد استدل على وقوع الثلاث المجمعة بأدلة متعددة من الكتاب والسنة، أما الكتاب، فمواضع:

أحدها: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ١-٢] فاستنبط ابن عباس من قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أن من طلق على ما أمره الله لاستقبال العدة طلاقاً رجعياً وتركها حتى تنقضي عدتها، أو استرجعها، فقد جعل الله له مخرجاً، أما مراجعتها في العدة، أو نكاحها بعدها من غير زوج ولا إصابة، ومن طلق على غير ما أمر به الله، فطلق ثلاثاً، فلم يجعل الله فرجاً ولا مخرجاً، وهذا ثابت عن ابن عباس.

الموضع الثاني: قوله في سياق آيات: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، قال الحسن[(١)]: «كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يُطَلِّقُ وَيَقُولُ: كُنْتُ لاعِباً، ويُعْتِقُ وَيَقُولُ: كُنْتُ لاعِباً، وَيُزَوِّجُ ابْنَهُ وَيَقُولُ: كُنْتُ لاعِباً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ثَلَاثٌ مَنْ قَالَهُنَّ لاعِباً جائزاتٌ عليهم: العِتاقُ، والطَّلاقُ، والنِّكاحُ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾»[(٢)].

= (٧/ ٣٣٦)، في إسناده سلمة بن الفضل، وهو منكر الحديث، مجهول، وعمرو بن شمر ليس بثقة، منكر الحديث جداً، ضعيف، لا يشتغل به، متروك. انظر: «الجرح والتعديل» (٤/ ١٧٠)، (٦/ ٢٣٩-٢٤٠).

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، إمام أهل البصرة، وخير أهل زمانه، وإذا أُطلق «الحسن» عند أهل الحديث، فهو المعني. توفي - رحمه الله - سنة (١١٠هـ). «شذرات الذهب» (٢/ ٤٨)، «التقريب» (ص١٦٠)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٦٣).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»: حنش عن فضالة بن عبيد (٧٨٠) (١٨/ ٣٠٤). قال في مجمع الزوائد (٤/ ٣٣٥): «وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله =

الموضع الثالث: قال: وهو ما يظهر لي بحمد الله من الآية على أن المطلِّق مرتين مأمورٌ بالإمساك بالمعروف، أو تسريح بإحسان، فدلت الآية على أن المطلِّقَ مرتين مأمورٌ بالإمساك بالمعروف، وهو الرجعة باتفاق المفسرين، أو التسريح بإحسان.

وقد اختلف العلماء في المراد بالإحسان، فقالت طائفة: هو الطلقة الثالثة، وهو قول مجاهد وقتادة وغيرهما، واختاره أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا[1].

والقول الثاني في الآية: أن المراد بالتسريح بالإحسان: تخلية سبيلها حتى تنقضي عدتها، فيخلي بينها وبني الأزواج).

وقد جعل ابن رجب في آخر [٢٠٧ـ ب] كتابه هذا في إحداث عمر للطلاق، وأنه مقبول قوله، فقال: (فصل: أخرج البخاري من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ كَانَ فيمَا قَبْلَكُمْ منَ الأُمَم

= رجال الصحيح». ورواه عبد الرزاق «كتاب النكاح» باب ما يجوز من اللعب في النكاح والطلاق (١٠٢٤٩) (٦/ ١٣٥). قال الحافظ ابن حجر: (عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكاحُ والطَّلاَقُ والرَّجْعَةُ». رواه الأربعة إلاّ النسائي، وصححه الحاكم، وفي رواية لابن عَدِيٍّ من وجهٍ آخر ضعيف: «الطَّلاَقُ والنِّكاحُ والعِتَاقُ»، وللحارث بن أبي أسامة من حديث عبادة الصامت رَفَعَهُ: «لاَ يَجُوزُ اللَّعِبُ في ثَلاثٍ: الطَّلاَقُ والنِّكاحُ والعِتاقُ، فَمَنْ قَالَهُنَّ فَقَدْ وَجَبْنَ» إسناده ضعيف). «بلوغ المرام» (ص١٩٨).

(١) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف، المعروف بغلام الخلال، أحد أهل العلم والفهم والرواية، مشهور بالديانة والأمانة والعبادة، وله مصنفات كثيرة، منها: «مختصر الخرقي». توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٦٣هـ). «طبقات الحنابلة» (٢/ ١١٩)، «العبر» (٢/ ٣٣٦)، «الشذرات» (٤/ ٣٣٥).

نَاسٌ مُحَدَّثُون، فإنْ يَكُ في أَمَّتي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ»[١].

وفي رواية ذكرها تعليقاً: أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ كَانَ فيمنْ [كان][٢] قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَعُمَرُ»[٣]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من نبيٍّ ولا محدث».

وأخرج مسلم من حديث أبي سلمة، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «قدْ كَانَ يَكُونُ في الأُمَمِ [قَبْلَكُمْ][٤] مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»[٥]، وعنده: قَالَ ابْنُ وَهْبٍ[٦]: «تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ»[٧].

وقال الترمذي عن سفيان بن عيينة[٨] قال: «يعني مُفَهَّمون»[٩].

---

(١) رواه البخاري «كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ» باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ (٣٦٨٩) (٤/ ٥٦٧ـ٥٦٨).

(٢) الزيادة من البخاري.

(٣) المرجع السابق (٤/ ٥٦٨).

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من «الصحيح».

(٥) رواه مسلم «كتاب فضائل الصحابة» باب من فضائل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ (٢٣٩٨) (٤/ ١٨٦٤).

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم، أبو محمد، فقيه ثقة حافظ عابد، من التاسعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٩٧هـ). «التقريب» (ص٣٢٨)، «الشذرات» (٢/ ٤٥٥)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٢٣).

(٧) ملحق بالحديث السابق، قاله مسلم (٢٣٩٨) (٤/ ١٨٦٤).

(٨) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدِّث الحرم المكي، كان حافظاً ثقة واسع العلم. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٩٨هـ). «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٩١)، «الشذرات» (٢/ ٤٦٦)، «الأعلام» (٣/ ١٠٥).

(٩) رواه الترمذي «كتاب المناقب» باب إن يكن محدثون فعمر (٣٦٩٤) (٩/ ٢٨٧).

وعن أبي سعيد[1] عن النبي ﷺ، زاد فيه: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ مُحَدَّثٌ؟ قَالَ: المَلائِكَةُ عَلَى لِسَانِهِ»[2]. والله أعلم.

فصل

قال ابن رجب في آخر كتابه: «اعلم أن ما قضى به عمر على قسمين:

أحدهما: ما لم يُعْلَم للنبي ﷺ فيه قضاء بالكلية، وهذا على نوعين:

أحدهما: ما جمع فيه عمر الصحابة وشاورهم فيه، فأجمعوا معه عليه.

فهذا لا يشك أنه الحق، كهذه المسألة، والعمريتين، وكقضائه فيمن جامع في إحرامه أنه يمضي في نسكه، وعليه القضاء والهَدْيُ، ومسائل كثيرة.

والثاني: ما لم يجمع الصحابة، بل مختلفين فيه في زمنه، وهذا يسوغ فيه الاختلاف، كمسائل الجَدِّ مع الإخوة.

القسم الثاني: ما روي عن النبي ﷺ فيه قضاء، بخلاف قضاء عمر، وهو على أربعة أنواع:

أحدها: ما رجع فيه عمر إلى قضاء النبي ﷺ، فهذا لا عبرة فيه بقول عمر الأول.

---

(١) هو سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، صحابي جليل، روى الكثير. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٣) أو(٤) أو(٥) و(٦٠هـ)، أو (٧٤هـ)، وقيل غير ذلك. «الإصابة» (٣/ ٦٥)، «التقريب» (ص٢٣٢)، «الشذرات» (١/ ٣١١).

(٢) لم أعثر على رواية أبي سعيد الخدري ـ رحمه الله ـ، ولكن روي الحديث من وجه آخر، قال ﷺ: «إن الله جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وقَلْبِهِ»، رواه الترمذي «كتاب المناقب» باب الحق على لسان عمر (٣٦٨٣) (٩/ ٢٨٠). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه ابن حِبان «كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب ذكر إجراء الله الحق على قلب عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ولسانه (١٥/ ٣١٨).

الثاني: ما روي عن النبي ﷺ فيه حكمان، أحدهما موافق لقضاء عمر، فإن الناسخ من النصين ما عمل به عمر.

الثالث: ما صح عن النبي ﷺ أنه رخص في أنواع [٢٠٨ـ أ] من جنس العبادات، فيختار عمر للناس ما هو الأفضل والأصلح، ويلزمهم به، فهذا يمنع من العمل بغير ما اختاره.

الرابع: ما كان قضاء النبي ﷺ لعلة، فزالت العلة، فزال الحكم بزوالها، أو وجد مانع يمنع ذلك الحكم».

قال: «فهذه المسألة إما أن تكون من الثاني، وإما أن تكون من الرابع».

وقال: «لا يُعلم من الأمة أحد خالف في هذه المسألة مخالفة ظاهرة، ولا حكماً ولا قضاء، ولا علماً ولا إفتاء، ولم يقع ذلك إلاّ من نفر يسير جداً، وقد أنكره عليهم من عاصرهم غاية الإنكار، وكان أكثرهم يستخفي بذلك، ولا يظهره، فكيف يكون إجماع الأمة على إخفاء دين الله الذي شرعه على لسان رسوله، واتباعهم اجتهاد من خالفه برأيه في ذلك؟ هذا لا يحل اعتقاده البتة، وهذه الأمة كما أنها معصومة من الاجتماع على ضلالة، فهي معصومة من أن يظهر أهل الباطل منهم على أهل الحق، ولو كان ما قاله عمر في هذا حقاً، للزم في هذه المسألة ظهور أهل الباطل على أهل الحق في كل زمان ومكان، وهذا باطل قطعاً.

فصل

ولا زال علماء مذهبنا يفتون بهذا إلى زماننا، إلاّ جماعة منهم»، فذكرهم، وقد رأيت شيخنا الشيخ تقي الدين بن قندس يجنح إليه، ويقول به، وكذلك عامة شيوخنا، إلاّ ما يأتي. والله أعلم بالصواب.



الفصل الرابع

في أنه إنما يقع بالثلاث باللفظ الواحد واحدة

وهذه رواية عن أحمد، ورواياتها باطلة، لكنها قول في المذهب، حكاه الشيخ شمس الدين بن القيم في كتاب «أعلام الموقعين»، وذكره في «الفروع»، وقال: «إنه اختيار شيخه»[١].

وهو اختاره بلا خلاف، وهو الذي إليه جنح الشيخ شمس الدين بن القيم في كتاب «الهدى»[٢]، و«أعلام الموقعين»، و«إغاثة اللهفان»[٣]، وقواه جدنا جمال الدين الإمام[٤]، وقد صنف فيه مصنفات، وهو اختيار

---

(١) قال: «ولم يوقع شيخنا طلاق حائض، وفي طهر وطىء فيه، وأوقع من ثلاث مجموعة، أو مفرقة قبل رجعة واحدة. وقال: إنه لا يعلم أحداً فرق بين الصورتين [أي: الشيخ تقي الدين، حكى عدم وقوع الطلاق الثلاث، بل واحدة في المجموعة أو المفرقة]، وحكاه فيها عن جده». «الفروع» (٥/ ٣٧٢).

(٢) كتاب «الهدى» لم أعثر عليه، لعله مفقود، والله أعلم.

(٣) كتاب «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» طبع بالقاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ سنة (١٩٨٥م).

(٤) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي، أخو مسند عصره صلاح الدين الصالحي، الإمام العلاّمة المفيد، جمال الدين المعروف بالإمام؛ لأنه كان إماماً لمدرسة جده شيخ الإسلام أبي عمر، وهو جد=

شيخه الشيخ تقي الدين بن تيمية، وحكاه أيضاً عن جده الشيخ مجد الدين وغيره.

[٢٠٨ـ ب] قال ابن القيم في «أعلام الموقعين»[١]: (قال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس: «كان الطَّلاقُ على عهْد رسُول الله ﷺ وأَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ واحداً» بأَيِّ شيءٍ تَدْفَعُهُ؟ فَقَال: بِرِواية النَّاس عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ وُجُوه خِلافهِ»[٢]، ثم ذكر عن عدّة[٣] عن ابن عباس: «أنها ثلاث»[٤]؛ فقد صرح بأنه إنما ترك القول به لمخالفة راويه له. وأصله مذهبه وقاعدته التي بنى عليها أن الحديث إذا صح، لم يرده لمخالفة راويه له، بل الأخذ عنده بما رواه، كما فعل في رواية ابن عباس وفتواه في بيع الأمة، فأخذ بروايته أنه لا يكون طلاقاً، وترك رأيه.

وعلى أصله يخرج له قول: إن الثلاث واحدة، فإنه إذا صرح بأنه إنما ترك الحديث لمخالفة الراوي، وصرح في عدة مواضع أن مخالفة الراوي

= صاحب رسالتنا أبو أمه زينب، سمع من الحجار وغيره، ومهر في مذهبه، وكان فاضلاً، جيد الذهن، صحيح الفهم معروفاً بذلك، أجاز لابن حجر وغيره، وله تصانيف فقهية كثيرة غالبها في مسائل الطلاق، منها: كتاب «التحفة والفائدة في الأدلة المتزايدة على أن الطلاق الثلاث واحدة». توفي ـ رحمه الله ـ يوم الأحد (١٨) رمضان سنة (٧٩٨هـ)، ودفن بالسفح. «تاريخ ابن قاضي شهبة» (١/ ٣٥٥)، «إنباء الغمر» (١/ ٥٢١)، «الدرر» (٥/ ٢٢١)، «الجوهر المنضد» (ص١٧٣)، «الشذرات» (٨/ ٦٠٦).

(١) «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٥).

(٢) الخبر سبق تخريجه.

(٣) في «ط» عكرمة، والصواب ما أثبتناه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٤) ذكرنا عدة أخبار عن ابن عباس في ذلك، انظر ما تقدم.

لا توجب ترك الحديث، خرج له في المسألة قولان، وأصحابه يخرجون على مذهبه أقوالاً دون ذلك.

والمقصود: أن هذا القول قد دل عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم، ولم يأت بعده إجماع يبطله)[1]. والله أعلم.

❑ ❑ ❑

(١) وانظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٥).

الفصل الخامس

فيمن قال بهذا القول وأفتى به

روي عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وجميع الصحابة إلى سنتين من خلافة عمر.

قال في «أعلام الموقعين»: «وكل صحابي من لدن خلافة الصديق إلى ثلاث سنين من خلافة عمر كان على أن الثلاث واحدة، فتوى أو إقرار أو سكوت، ولهذا ادعى بعض أهل العلم أن هذا إجماع قديم، ولم تجمع الأمة ـ ولله الحمد ـ على خلافه، بل لم يزل فيهم من يفتي به قرناً بعد قرن»(١). قال فيه(٢): «وإلى يومنا هذا، فأفتى به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، كما رواه حماد بن زيد عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس: إذا قال: «أَنْتِ طالِقٌ ثَلاثاً بِفَمٍ واحدٍ، فَهِيَ وَاحِدةٌ»(٣). [وأفتى أيضاً بالثلاث، أفتى بهذا وهذا(٤)] وأفتى به [بأنها واحدة] الزبير بن العوام(٥)،

(١) انظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٤).

(٢) «المرجع السابق» (٣/ ٣٤ـ٣٥).

(٣) رواه أبو داود «كتاب الطلاق» باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث (٢١٩٧) (٢/ ٢٦٠). قال أبو داود: «رواه حماد بن زيد عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس. ورواه إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب، عن عكرمة هذا، قوله، لم يذكر ابن عباس، وجعله قول عِكرمة». انفرد به أبو داود.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من «أعلام الموقعين».

(٥) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي =

وعبد الرحمن بن عوف[1]، حكاه عنهما ابن وضاح[2]. وعن علي، وابن مسعود [روايتان، كما عن ابن عباس].

وأما التابعون، فأفتى به عكرمة، رواه إسماعيل بن إبراهيم[3]، عن أيوب، عنه، وأفتى به طاوس.

وأما تابعو التابعين، فأفتى به محمد بن إسحاق[4]، حكاه الإمام أحمد وغيره عنه، وأفتى به خلاس بن عمرو[5]، والحارث [٢٠٩ـأ] العُكلي[6].

= الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٣٦هـ) بعد منصرفة من وقعة الجمل. «التقريب» (ص٢١٤)، «الإصابة» (٢/ ٤٥٧)، «الشذارت» (١/ ٢٠٧).

(١) هو عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٣٢هـ). «التقريب» (ص٣٤٨)، «الإصابة» (٤/ ٢٩٠)، «الشذرات» (١/ ١٩٤).

(٢) هو الإمام الحافظ، محدِّث الأندلس، أبو عبد الله، محمد بن وضاح المرواني، مولى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن معاوية الداخل. كان ورعاً زاهداً صبوراً على نشر العلم. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٨٧هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٤٥)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٤٦)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٩٤).

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهلالي، أبو معمر القطيعي، وأصله هروي. ثقة مأمون من العاشرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٣٦هـ). « التقريب» (ص١٠٥)، «الشذرات» (٣/ ١٦٦)، «الجرح والتعديل» (٢/ ١٥٧).

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطّلبي، مولاهم، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، وهو صاحب السيرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٥١هـ). «الجرح والتعديل» (٧/ ١٩١)، «التقريب» (ص٤٦)، «الشذرات» (٢/ ٢٣٠).

(٥) هو خلاس بن عمرو الهَجَري البصري، ثقة، وكان يرسل، من الثانية، خرجوا له في الصحاح. ولم أعثر على تاريخ وفاته ـ رحمه الله ـ. «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٦٤)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٩١)، «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٤٩).

(٦) هو الحارث بن يزيد العُكْلي، الكوفي، ثقة فقيه، من السادسة، إلاّ أنه قديم =

وأما أتباع تابعي التابعين، فأفتى به داود بن علي[1] وأكثر أصحابه، حكاه عنهم ابن المُغلِّس[2]، وابن حزم[3] وغيرهما.

وأفتى به بعض أصحاب مالك، حكاه التلمساني[4] في شرح «تفريع» ابن الجلاب[5] قولاً لبعض المالكية.

= الموت ـ رحمه الله ـ. «تهذيب الكمال» للمِزي (٥/ ٣٠٨)، «التقريب» (ص١٤٨)، «تاريخ الإسلام» للذهبي، طبقة (١٢) (١٠١ـ١٢٠هـ/ ٣٤٠).

(١) هو داود بن علي، الإمام أبو سليمان الأصبهاني ثم البغدادي، الفقيه الظاهري، صاحب التصانيف. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٧٠هـ). «الشذرات» (٣/ ٢٩٧)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٥٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٩٧).

(٢) هو الإمام العلاّمة، فقيه العراق، أبو الحسن عبد الله بن المحدِّث أحمد بن المُغَلِّس البغدادي الداودي الظاهري، صاحب التصانيف، وعنه انتشر مذهب الظاهرية في البلاد. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٢٤هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٧٧)، «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٨٥)، «الشذرات» (٢/ ٣٠٢).

(٣) هو الإمام الأوحد البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، الفقيه الحافظ صاحب التصانيف. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٤٥٩هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٤٦)، «العبر» (٣/ ٢٣٩).

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي، التلمساني، المالكي، نزيل ثغر الإسكندرية، كان من صلحاء العلماء. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٥٦هـ). ومن آثاره «شرح الجلاب». قال التنبكتي: والله أعلم. «نيل الابتهاج» للتنبكتي (ص٢٢٩)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٣٣).

(٥) هو عبيد الله بن الحسن، أبو القاسم بن الجلاب، فقيه، تفقه بأبي بكر الأبهري، له كتاب في «مسائل الخلاف»، وكتاب «التفريع» في المذهب، مشهور. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٧٨هـ). «الديباج المذهب» (١/ ٤٦١)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ١٥٤)، «معجم المؤلفين» (٢/ ٩٦، ٦٣٩)، وكتاب «التفريع» لابن الجلاب، طبع بدار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ سنة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

وأفتى به بعض الحنفية، حكاه أبو بكر الرازي[1] عن محمد بن مقاتل[2].

وأفتى به بعض أصحاب الإمام أحمد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [رحمه الله]: «وكان الجد[3] يفتي به أحياناً»[4].

قلت: وقد كان يفتي به فيما يظهر لي ابن القيم، وكان يفتي به شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بلا خلاف، وكان يفتي به جدنا جمال الدين الإمام، ولم يرد عنه أنه أفتى بغيره.

قلت: وقد كان يفتي به في زماننا الشيخ علي الدواليبي البغدادي[5]،

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحد أئمة المذهب الحنفي، وتلميذ الكرخي، وصاحب التصانيف، منها: «أحكام القرآن»، وغيره. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٧٠هـ). «الشذرات» (٣/ ٧١)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٤٠)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٩٧).

(٢) محمد بن مقاتل، أبو الحسن الكسائي المروزي، نزيل بغداد، ثم مكة، من العاشرة، ثقة، وهو شيخ البخاري بمكة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٢٦هـ). «التقريب» (ص٥٠٨)، «الشذرات» (٣/ ١٢٠)، «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٧٥).

(٣) يعني الشيخ مجد الدين بن تيمية صاحب «المحرر»، وتقدم ذكره.

(٤) انظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٤ـ٣٥).

(٥) هو علي بن عبد المحسن بن الدواليبي البغدادي ثم الشامي الحنبلي، عفيف الدين، أبو المعالي، وكان إماماً عالماً ذا سند عال في الحديث مؤرخاً خطيباً، ولي خطابة جامع الحنابلة، ومشيخة مدرسة الشيخ أبي عمر. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٥٨هـ) ودفن بالسفح، ومن آثاره: «الإرشاد في فضل أرباب الذكر والجهاد»، و«ترجمة محمد بن إسماعيل البخاري». «الشذرات» (٧/ ٢٩٣)،

=

وجرى له من أجله محنة ونكاية فلم يدعه، وقد سمعت بعض شيوخنا يقويه. وظاهر إجماع ابن حزم أنه إجماع، لكنه لم يصرح به.

❑ ❑ ❑

= «كشف الظنون» (١/ ٧٠)، «فهرس مخطوطات الظاهرية» للعش (٦/ ٢٢٢)، «معجم المؤلفين» (٢/ ٤٧١).

الفصل السادس

فيما احتجت به هذه الطائفة، وما لَها وما عليها

قال في «أعلام الموقعين» و«الهدى»: (إذا جمع الطلاق الثلاث بفم واحد، جعلت واحدة، كما ثبت في «صحيح مسلم» عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: «كَانَ الطَّلاَقُ [الثَّلاثُ[1]] عَلَى عَهْد رَسُولِ الله ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَسنتيْـن مِـنْ خِـلافـةِ عُمَـرَ، طـلاقُ الثَّـلاثِ وَاحِـدَةً، فَقَـالَ عُمَـرُ [بْـنُ الخَطَّاب[2]]: إِنَّ النَّاس قَد اسْتَعْجَلُوا في أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فيهِ أَنَاةٌ، فَلَو أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهم! فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِم»[3]، وهذا الحديث لا دافع له؛ فإن مسلماً قد رواه في «صحيحه»، ومسلم ملتزم الصحة، وإن كان ابن رجب قد قال فيه شيئاً، فهو خطأ؛ لأنه ليس شاذاً، ولا منكراً، ولا غريباً، ولا فيه أحد منكر؛ لأنه لو كان فيه علة، لم يكن في «صحيح مسلم».

وفي «صحيحه» أيضاً عن طاوس: «أَنَّ أَبَا الصَّهْبَاءِ[4] قَالَ لابْنِ عَبَّاسٍ:

---

(١) زيادة على ما في الصحيح.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الصحيح.

(٣) الخبر سبق تخريجه.

(٤) وهو صهيب، أبو الصهباء البكري، مولى ابن عباس، ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال ابن حجر في «التقريب»: مقبول، وهو من الرابعة. «التقريب» (ص٢٧٨)، «تهذيب الكمال» (٣٣/ ٤٣٠) «الثقات» (٧/ ٦٥٧).

أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ الثَلاثَ كَانَتْ تُجْعَلُ وَاحِدَةً عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ وَأَبي بَكْرٍ وَثلاثاً منْ إِمَارَة عُمَرَ ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَعَم»[(1)](2).

قلت: وهذا الحديث أيضاً لا دافع فيه، فإن مسلماً قد رواه في «صحيحه». والله أعلم.

[٢٠٩ ـ ب](3) وفي «صحيحه» عنه: «أنَّ أبَا الصَّهْبَاءِ قَالَ لابْن عَبَّاسٍ: هات منْ هَنَاتِكَ، أَلَمْ يكُن الطَّلاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ وَأَبي بَكْرٍ وَاحِدَةً ؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ ذَلكَ، فَلَمَّا كَانَ في عَهْدِ عُمَرَ تَتَابَعَ النَّاسُ في الطَّلاق، فَأَجَازَهُم»(4). وهذا الحديث أيضاً لا دافع فيه؛ لكونه في «صحيح مسلم».

فهذه ثلاثة أحاديث في «صحيح مسلم» صحاح؛ لأن مسلماً شرطه الصحة، ومن قال غير هذا، فقد أخطأ، ونحن لنا هذه الثلاثة أحاديث من «مسلم»، فأْتونا أنتم بحديث واحد منه أو من «الصحيح»(5).

وفي سنن أبي داود عن طاوس: «أنَّ رجُلاً يُقالُ لهُ أَبُو الصَّهْباء كان كثير السُّؤالِ لابْنِ عَبَّاس، قال: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الرجُلَ كان إذا طَلَّق امْرَأَتَهُ ثلاثاً قَبْلَ أَن يَدْخُلَ بِهَا جَعَلُوهَا وَاحِدَةً عَلَى عَهْد النَّبيِّ ﷺ وَأَبي بَكْرٍ، وَصَدْراً منْ إمارة عُمَرَ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلَى، كَانَ الرَّجُلُ إذا طَلَّقَ امْرأَتَهُ ثَلاثاً قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بهَا، جَعَلُوها وَاحِدَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وأَبي بَكْرٍ، وصَدْراً منْ إمَارة عُمَرَ، فلما رَأى النَّاسَ قدْ تتابعُوا فيه، قال: أجيزُوهُنَّ عَلَيْهم»(6).

---

(١) رواه مسلم «كتاب الطلاق» باب طلاق الثلاث (١٤٧٢) (٢/ ١٠٩٩).

(٢) وانظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٠).

(٣) متابعة لكلام ابن القيم بعد انقطاعه.

(٤) رواه مسلم «كتاب الطلاق» باب طلاق الثلاث (١٤٧٢) (٢/ ١٠٩٩).

(٥) إذا أطلق الصحيح فهو «صحيح البخاري».

(٦) الخبر سبق تخريجه.

وفي «مستدرك» الحاكم من حديث عبد الله بن المؤمل[1] عن ابن أبي مليكة[2]، «أنَّ أَبَا الجَوْزَاءِ[3] أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَال: أَتَعْلَمُ أنَّ الثَّلاثَ كُنَّ يُرْدَدْنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى وَاحِدَةٍ؟ [قَال: نَعَمْ[4]] قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح»[5]. هذا الحديث قد صححه الحاكم، وتصحيح الحاكم له يدل على أنه ليس فيه علة، لكنهم لا يتنازعون فيه كل النزاع، وهذه الطريق غير طريق طاوس عن أبي الصَّهباء.

وقال الإمام أحمد في «مسنده»: «حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ إبْراهيمَ[6] حَدَّثَنَا أبي[7]

---

(١) هو عبد الله بن المؤمل بن وهب الله، المخزومي، المكي، ضعيف الحديث، من السابعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٦٠هـ). «التقريب» (ص٣٢٥)، «الجرح والتعديل» (٥/ ١٧٥)، «الكاشف» (٢/ ١٢٠).

(٢) هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة ـ بالتصغير ـ أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه، من الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٧هـ). «التقريب» (ص٣١٢)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٨٨)، «الشذرات» (١/ ١٥٣)، «الكاشف» (٢/ ٩٥).

(٣) هو أوس بن عبد الله الرَّبَعي، أبو الجوزاء، بصري، يرسل كثيراً، من الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٨٣هـ). «التقريب» (ص١١٦)، «الشذرات» (١/ ٣٤١)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٧١).

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل.

(٥) رواه الحاكم «كتاب الطلاق» (٢/ ١٩٦).

(٦) هو سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو إسحاق البغدادي، ثقة، ولي قضاء واسط وغيرها، من التاسعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٠١هـ). «التقريب» (ص٢٣٠)، «الشذرات» (٣/ ٦)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٩٣).

(٧) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو إسحاق المدني، نزيل بغداد، ثقة حجة، من الثامنة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٨٥هـ). «التقريب» (ص٨٩)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٥٢)، «العبر» (١/ ٢٨٨)، «سير =

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثني داوُدُ بْنُ الحُصَيْن[1] عنْ عِكْرمة ـ مولَى ابْن عَبَّاس ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: طَلَّقَ رُكانَةُ بْنُ عَبْدِ يزيدَ ـ أخُو بَنِي المُطَّلِب ـ امْرأتَهُ ثَلاثاً في مَجْلِسٍ واحد، فَحزنَ عليْها حُزْناً شديداً، قال: فسألهُ رسُولُ الله ﷺ: كيْف طَلَّقْتَها؟ قال: طَلَّقْتُها ثَلاثاً في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ. قال: نَعَمْ. فقال: إنَّ تِلْكَ واحِدَةٌ، فأرْجعْها إنْ شِئْت، قَالَ: فَرَاجَعَهَا، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَى الطَّلاَقَ عنْدَ كلِّ طُهْرٍ»[2].

وقد صحح الإمام أحمد هذا الإسناد، وحسّنه، فقال في حديث عمرو بن شعيب[3] عن أبيه[4] عن جده[5]: «أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ زينبَ عَلَى ابْنِ أَبِي العاصِ بِمَهْرٍ جديدٍ، ونِكَاحٍ جَدِيدٍ»[6]. هذا حديث ضعيف،

= أعلام النبلاء» (٨/ ٣٠٤).

(١) هو داود بن الحصين الأموي، مولاهم، أبو سليمان المدني، ثقة إلاّ في عكرمة، ورمي برأي الخوارج، من السادسة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٣٥هـ). «التقريب» (ص١٩٨)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٠٦)، «الشذرات» (١/ ١٩٢).

(٢) الخبر سبق تخريجه.

(٣) هو عمرو بن شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، من الخامسة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٨هـ). «التقريب» (ص٤٢٣)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٦٥)، «الشذرات» (١/ ١٥٥).

(٤) هو شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، ثَبَتَ سماعه من جده، من الثالثة، لعله مات بعد الثمانين ـ رحمه الله وإيانا ـ. «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٨١)، «التقريب» (٢٦٧)، «التاريخ الكبير» (٤/ ٢١٨).

(٥) هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي، مقبول، من الثالثة، والظاهر موته في حياة أبيه ـ رحمه الله ـ. «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٨١) وما بعدها، «التقريب» (ص٤٨٩)، «تهذيب الكمال» للمِزي (٢٥/ ٥١٤) وما بعدها.

(٦) رواه أبو داود «كتاب الطلاق» باب إلى من ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها (٢٢٤٠) (٢/ ٢٧٢). ورواه ابن ماجه «كتاب النكاح» باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر (٢٠١٠) (٢/ ٤٩٥ـ٤٩٦). ورواه الترمذي «كتاب النكاح» =

أو قال: واهٍ، لم يسمعه الحجاج[1] من عمرو بن شعيب، وإنما سمعه من محمد بن عبد الله العزرمي [والعزرْمي][2] لا يساوي حديثه شيئاً.

والحديث الصحيح الذي روى: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَرَّهُمَا عَلَى النِّكَاحِ الأَوَّلِ»[3]، وإسناده عنده[4] هو إسناد حديث ركانة بن عبد يزيد هذا، وقد

= باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما (١١٤٢) (٤/١٠٨ـ١٠٩).
قال الترمذي: «هذا حديث في إسناده مقال، وفي الحديث الآخر ـ الآتي بعده ـ أيضاً مقال، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم، أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها، ثم أسلم زوجها وهي في العدة أن زوجها أحق بها ما كانت في العدة، وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق»، والحديث لا يوجد في مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ، لعله في مكان آخر. والله أعلم.

(١) هو الحجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة، النخعي، أبو أرطاة الكوفي، القاضي، أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطأ والتدليس، من السابعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٤٥هـ). «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٨١) «الجرح والتعديل» (٣/ ١٥٤)، «الشذرات» (٢/ ٢٣٢). قال ابن المبارك: «كان الحجاج يدلس، فكان يحدثنا بالحديث عن عمرو بن شعيب مما يحدثه العزرمي، متروك». «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٨٢). وقال يحيى بن معين: «الحجاج بن أرطاة كوفي صدوق ليس بالقوي، يدلس عن محمد بن عبد الله العزرمي عن عمرو بن شعيب». «الجرح والتعديل» (٣/ ١٥٦).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من «أعلام الموقعين» والعزرمي هو محمد بن عبيد الله.

(٣) رواه الترمذي «كتاب النكاح» باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما (١١٤٣) (٤/ ١٠٩).
قال الترمذي: «هذا حديث ليس بإسناده بأس، لكن لا نعرف وجه هذا الحديث، ولعله قد جاء هذا من قبل داود بن حصين من قبل حفظه». وقال يزيد بن هارون: «حديث ابن عباس [هذا الحديث] أجود إسناداً [من الحديث الذي سبقه] والعمل على حديث عمرو بن شعيب». ورواه ابن ماجه «كتاب النكاح» باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر (٢٠٠٩) (٢/ ٤٩٥).

(٤) في «ط»: منه.

قال الترمذي فيه: ليس بإسناده بأس، فهذا إسناد صحيح عند أحمد، وليس به بأس عند الترمذي، فهو حجة، ما لم يعارضه ما هو أقوى منه، فكيف إذا عضده ما هو نظيره وأقوى منه؟

قال أبو داود: «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ[(١)] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ بَنِي أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ ـ عَنْ عِكْرِمَةَ ـ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ـ قَالَ: طَلَّقَ [٢١٠ـ أ] عَبْدُ يَزِيدَ أَبُو رُكَانَةَ وإِخْوَتِهِ أُمَّ رُكَانَةَ، وَنَكَحَ امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا يُغْنِي عَنِّي إِلاَّ كَمَا تُغْنِي هَذِهِ الشَّعْرَةُ ـ لِشَعْرَةٍ أَخَذَتْهَا مِنْ رَأْسِهَا ـ فَفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. فَأَخَذَتِ النَّبِيَّ ﷺ حميَّةٌ، فَدَعَا بِرُكَانَةَ وَإِخْوَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِجُلَسَائِهِ: أَتَرَوْنَ فُلاناً يُشْبِهُ مِنْهُ كَذَا وكَذَا مِنْ عَبْدِ يَزِيدَ، وفُلاَناً مِنْهُ كَذَا وكَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ يَزِيدَ: طَلِّقْهَا، ففَعَلَ، قَالَ: رَاجِع امْرَأَتَكَ أُمَّ رُكَانَةَ وَإِخْوَتِهِ، فَقَالَ: إِنِّي طَلَّقْتُهَا ثَلاثاً يَا رَسُولَ الله، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ، رَاجِعْهَا، وَتَلاَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[(٢)] [الطلاق: ١].

وقال أبو داود: «حديث نافع بن جبير[(٣)]، وعبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة[(٤)]، عن أبيه عن جده: أنّ ركانة طلق امرأته، فردها إليه النبي ﷺ،

---

(١) هو أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر بن الطبري، ثقة حافظ، من العاشرة، وهو غني عن التعريف. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٤٨هـ). «التقريب» (ص٨٠)، «الجرح والتعديل» (٢/ ٥٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٦٠)، «شذرات الذهب» (٣/ ٢٢٢).

(٢) الخبر سبق تخريجه.

(٣) هو نافع بن جبير بن مطعم النوفلي، أبو محمد وأبو عبد الله المدني، ثقة فاضل، من الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩٩هـ). «التقريب» (ص٥٥٨)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٥١)، «الشذرات» (١/ ٣٩٨).

(٤) هو عبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة المطلبي، ليّن الحديث، من السادسة =

أصح؛ لأنهم ولد الرجل وأهله، وأعلم به، وأن ركانة إنما طلق امرأته البتة، فجعلها النبي ﷺ واحدة»[1]. وأما قول ابن رجب: إسناد حديث ركانة مجهول، فهذا ليس بمجهول، ومن أين جهله ؟ فوا عجباً لإمام يقول هذا، لا يبين الجهل، وقد قال النبي ﷺ: «لَوْ يُعْطى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى أُنَاسٌ دِمَاءَ قَوْمٍ وَأَمْوَالَهُم»[2]. وأما قوله: إنه لم يطلقها ثلاثاً، فهذا خطأ بإجماع المسلمين؛ فإن أهل بيته رووا عنه الحديث، وذكروا فيه الثلاث، فعجب لك تقول: مجهول، ثم تثبته وتقول: ليس الثلاث فيه؟!

وأما قولك: إنه ولو صح فليس فيه أنه طلقها ثلاثاً بكلمة واحدة، فيحتمل أن تكون ثلاثاً متفرقة، ويكون قبل حصر الثلاث، فهذا ليس مسلَّماً؛ فإن النبي ﷺ لم يثبت عنه أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاثٌ، وفي زمنه كان واحدة، ومن أين لك أنه كان قبل حصر الثلاث ؟

وأما قولك: البتة، فليس البتة واحدة، بل قال غير واحد من العلماء: كانت البتة عندهم ثلاثاً، وأنتَ قد صححت هذا الحديث)[3].

قال في «أعلام الموقعين» بعد ذكر هذا الحديث وتصحيحه: (قال

= ـ أي: في المئة الهجرية الثانية ـ ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد. «التقريب» (ص٣١٤)، «الجرح والتعديل» (٥/ ١١٤)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٤٩).

(١) «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٢).

(٢) رواه البخاري «كتاب تفسير القرآن» (٦٥) في تفسير سورة آل عمران، باب ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾ [٣/ ٧٧]، الحديث (٤٥٥٢) (٥/ ١٩٩) لفظة «الذهب» للبخاري. ورواه مسلم «كتاب الأقضية» باب اليمين على المدعى عليه (١٧١١) (٣/ ١٣٣٦). وانظر: «المحرر في الحديث» ـ كتاب القضاء ـ باب الدعاوي والبينات (١١٨٠) (٢/ ٦٤١).

(٣) انظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٠ـ٣٢).

شيخنا [رحمه الله][1]: وأبو داود [لمّا] لم يرو في «سننه» الحديث الذي في «مسند» أحمد ـ يعني الذي ذكره [آنفاً] ـ فقال: حديث «البتة» أصح من حديث ابن جريج أن رُكانة طلق امرأته ثلاثاً؛ لأنهم أهل بيته، ولكن الأئمة الأكابر العارفين بعلل الحديث والفقه؛ كالإمام أحمد، وأبي عبيد[2]، والبخاري[3] ضعفوا حديث «البَتَّةَ»، وبينوا أن رواته قوم مجاهيل لم تعرف عدالتهم وضبطهم، وأحمد ثبَّت حديث الثلاث، وبين أنه الصواب، وقال: حديث ركانة لا يثبت أنه طلق امرأته البتة، وفي رواية عنه: حديث ركانة في البَتَّة ليس بشيء؛ لأن ابن إسحق يرويه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: أن ركانة طلق امرأته ثلاثاً، وأهلُ المدينة يسمون الثلاث: البَتَّة)[4]، قلت: فانظر إلى ابن رجب كيف ضعف [٢١٠ـ ب] الحديث الذي قوته الأئمة، وقوى الحديث الذي ضعفوه، وهذا يكفيه.

قال الأثرم: «قلت لأحمد: حديث ركانة في البَتَّة ؟ فضعفه».

([5] والمقصود: أن عمر بن الخطاب لم يخفَ عليه أن هذا هو السنة،

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من «أعلام الموقعين» (٣٠/ ٣٢). ويعني الشيخ تقي الدين بن تيمية ـ رحمه الله ـ.

(٢) هو القاسم بن سلاّم، البغدادي، أبو عبيد، الإمام المشهور، ثقة فاضل، مصنف، من العاشرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٢٤هـ). «التقريب» (ص٤٥٠)، «الجرح والتعديل» (٧/ ١١١)، «الشذرات» (٣/ ١١١).

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي، أبو عبد الله البخاري، صاحب «الصحيح» جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، وهو غني عن التعريف، من الحادية عشرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٥٦هـ). «التقريب» (ص٤٦٨)، «العبر» (٢/ ١٨)، «الشذرات» (٣/ ٢٥٢).

(٤) انظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٢ـ٣٣).

(٥) متابعة لكلام ابن القيم بعد انقطاعه.

وأنه توسعة من الله لعباده؛ إذ جعل الطلاق مرة بعد مرة، وما كان مرة بعد مرة، لم يملك المطلق[1] إيقاع مرّاته كلها جملة واحدة، كاللعان، فإنه لو قال: أشهد بالله أربع شهادات إني لمن الصادقين، كان مرة واحدة. ولو حلف في القسامة [وقال: أقسم][2] بالله خمسين أن هذا قاتله، كان ذلك يميناً واحدة، ولو قال المقرّ بالزنا: أنا أقر أربع مرات [أني] زنيت، كان مرة واحدة، فمن اعتبر الأربع، لا يجعل ذلك إلاّ مرة واحدة. وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ في يَوْمِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[3]، فلو قال: سبحان الله وبحمده مئة مرة، لم يحصل له هذا الثواب حتى يقولها مرة بعد مرة، وكذلك قوله: «مَنْ سَبَّحَ الله [في] دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثلاثاً وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَهُ ثَلاثاً وثَلاثِينَ ـ الحديث»[4]، لا يكون عاملاً به حتى يقول ذلك مرة بعد مرة، لا يجمع الكل بلفظ واحد، وكذلك قوله: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ: لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ مئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ»[5]، لا يحصل هذا إلاّ بقولها مرة بعد مرة، وهكذا قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ

---

(١) في «أعلام الموقعين»: «المكلف»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من «أعلام الموقعين».

(٣) رواه البخاري «كتاب الدعوات» باب فضل التسبيح، (٦٤٠٥) (٧/ ٢١٥)، ورواه في «كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩١) (٤/ ٢٠٧).

(٤) رواه مسلم «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٥٩٧) (١/ ٤١٨).

(٥) رواه مسلم في «كتاب الذكر والدعاء» باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩١) (٤/ ٢٠٧١).

مَرَّتٍ﴾ [النور: ٥٨]، وهكذا قوله في الحديث: «الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلاَّ فَارْجِعْ»[1]، لو قال الرجل ثلاث [مرات] هكذا، كانت مرة واحدة، حتى يستأذن مرة بعد مرة، وهكذا كما أنه في الأقوال والألفاظ، فكذلك هو في الأفعال سواء؛ كقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١].

إنما هو مرة بعد مرة، وكذلك قول ابن عباس: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[2]، وكذلك قول النبي ﷺ: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مَنْ جُحْرٍ [واحدٍ] مَرَّتَيْنِ»[3]، فهذا المعقول من اللغة والعرف والأحاديث المذكورة.

وهذه النصوص المذكورة من قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، كلها من باب واحد، ومشكاة واحدة، والأحاديث المذكورة تفسر المراد من قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾، كما أن حديث اللعان يفسر قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٦].

فهذا كتاب الله، وهذه سنة رسول الله، وهذه لغة العرب، وهذا عرف التخاطب، وهذا خليفة رسول الله ﷺ، والصحابة كلهم معه [٢١١ـ أ] من عصره، وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب، فلو عدّهم العادّ

---

(١) رواه البخاري في «كتاب الاستئذان» باب التسليم والاستئذان ثلاثاً (٦٢٤٥) (٧/ ١٦٩). ورواه مسلم في «كتاب الآداب» باب الاستئذان (٢١٥٣) (٣/ ١٦٩٤)، واللفظ لمسلم. ورواه أبو داود في «كتاب الأدب» باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان؟ (٥١٨٠ـ٥١٨١) (٤/ ٣٤٥ـ٣٤٦). ورواه الترمذي في «كتاب الاستئذان» باب ما جاء في الاستئذان ثلاث (٢٦٩٠ـ٢٦٩١) (٥/ ٥٣ـ٥٤).

(٢) رواه مسلم في «كتاب الإيمان» باب معنى قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ (٢٨٥) (١/ ١٥٨).

(٣) رواه البخاري في «كتاب الأدب» باب: لا يلدغ. . . (٦١٣٣) (٨/ ٥٨). ورواه مسلم في «كتاب الزهد والرقاق» باب: لا يلدغ. . . (٢٩٩٨) (٤/ ٢٢٩٥).

بأسمائهم واحداً واحداً، [لوجدَ][1] أنهم كانوا يرون الثلاث واحدة، إما بفتوى، وإما بإقرار عليها، ولو فرض فيهم من لم يكن يرى ذلك، فإنه لم يكن منكراً للفتوى به، بل كانوا ما بين مُفْتٍ، ومقرٍّ بفتيا[2]، وساكت غير منكر، وهذا حال كل صحابي من عهد الصديق إلى ثلاث سنين من خلافة عمر، وهم يزيدون على الألف قطعاً)[3].

قلت: فألوف كثيرة، فكل صحابي من لدن خلافة الصديق إلى ثلاث سنين من خلافة عمر كان على أن الثلاث واحدة، فَتْوى أو إقرار أو سكوت، ولهذا قال بعض أهل العلم: هذا إجماع قديم، ولم تجتمع الأمة على خلافه، بل لم يزل فيهم من يفتي به قرناً بعد قرن، وإلى يومنا هذا، ولله الحمد، انتهى.

فصل

وأما قول ابن رجب: لم يقل بهذا القول أحد من الصحابة والتابعين، ولا من السلف، فليس بِمُسَلَّم، بل صحَّ عن النبي ﷺ، والصحابة بأجمعهم، وقد ثبت عن جماعة كما في الفصل الذي قبله، وأفتى به من التابعين خلق كثير.

وأما استدلاله بالآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، فاستدلاله بها فليس بمسلم؛ لأن في حديث ركانة لما قال له «رَاجِعْهَا» تلا هذه الآية، فهذه الآية دليل لنا لا لكم؛ لأن النبي ﷺ لما قضى له بهذا، استدل بالآية، فلو يكون[4] فيها دليل عليه، لم يستدل بها،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من «أعلام الموقعين».
(٢) في «ط»: يقيناً.
(٣) انظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٣٢-٣٤).
(٤) لعل الصواب: كان.

واستدلاله في الآية بقول ابن عباس، فإن ابن عباس قد صح عنه أنه كان يفتي بهذا القول كما تقدم، فليس لكم في الآية دليل.

وأما استدلاله بقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]، واستدلاله بالحديث، فالآية والحديث ليس فيهما دليل له؛ لأنه لم يثبت طلاق الثلاث بالكلية، وإنما كان يطلق ويقول لاعباً، فنزلت هذه الآية: أن الطلاق لا لعب فيه، فليس في هذا دليل.

وأما استدلاله بالآية الأخرى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فليس فيهادليل أيضاً؛ لأن الطلاق هنا لم يذكر أنه بلفظ واحد، بل الآية فيها إذا أتى بالطلاق مرة بعد أخرى، وليس في الآيات دليل له، بل كلها دليل عليه، والله أعلم بالصواب.

فصل

[٢١١ـ ب] قال الشيخ جمال الدين الإمام ـ رضي الله تعالى عنه ـ في أول أحد كتبه في هذا: «وقد جعلت لله عليّ إن وجدت ما يقويه أصل أو دليل يردني أن أتصدق بألف أو نحوه».

ثم قال: «الطلاق الثلاث واحدة، كما صحت به السنة، واجتمعت عليه الصحابة في زمن رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر، وبعض خلافة عمر، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، إلى قوله سبحانه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، إلى قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فقد حكم الله ـ تعالى ـ في هذه الآيات الكريمات في هذه المسألة ثلاثة أحكام، فمن فهمها، وتصورها على حقيقة ما هي عليه ـ وقد أراد الله هدايته إلى قبول الحق إذا ظهر إلى القول به ـ صح كلامه.

واعلم أن كتاب الله نص صريح أن الطلاق الثلاث واحدةٌ شرعاً، لا يحتمل خلافاً صحيحاً، وهذا هو النص شرعاً، فإن كل كلام له معنى لا يحتمل غيره، فهو نص فيه، فإن كان لا يحتمل غيره لغة، فهو نص لغة، وإن كان لا يحتمل غيره شرعاً، فهو نص شرعاً، وكتاب الله في هذه الآيات لا يحتمل شرعاً غير أن الطلاق الثلاث واحدة.

ومن تصور هذه الأحكام وفهمها، عرف موارد الشرع ومصادره، وكل واحد من هذه الدلائل السبعة على انفراده حجة، وهي: الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، ومقتضى القياس، والاعتبار الصحيح، وقواعد المذاهب، ولغة العرب، وقد دلت عليه السبعة، وقد قال الله ـ تعالى ـ أيضاً: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقد قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، معناه: وإلا فلستم بمؤمنين حقاً، والألف واللام في قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] للعهد، والمعهود هنا هو الطلاق المفهوم من قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهو الرجعي بقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فصار المعنى: الطلاق الذي الزوجُ أحقُّ فيه بالرد مرتان فقط، فقد تقيد الرد الذي كان مُطْلَقاً، في كل مرة من الطلاق بمرتين منه فقط، فلم يعرف، ولا فرق في الآية بين قوله في كل مرة: طلقتك واحدة، أو ثلاثاً، أو ثلاثين ألف.

فمن تصور معاني هذه الأحكام من الألفاظ، وأراد الله هدايته، علم أن لله نصاً صريحاً شرعاً في أن الطلاق الثلاث واحدة؛ لأن هذه الآيات لا تحتمل شرعاً غير ذلك [٢١٢ـ أ] عند من يفهم النص الشرعي، وينصف فيه، ويريد الله هدايته إلى قبول الحق، وينزع من قلبه الهوى والحمية في الانتصار للمذاهب، أو على ابن تيمية. وكتاب الله في هذه الآيات شرعاً

لا يحتمل غير أن الطلاق الثلاث واحدة عند من يفهم، وينصف، ويعرف قوته من الصحة من جهة سنده، وموافقة الأصول لمعناه، ويخاف الله فيما يقضي به في دينه أو في عباده، ويعرف أن الله قد استرعى العلماء على دينه[1]، كما أنه استرعى الحكام على عباده. «وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2]، ويتهيأ للاحتجاج بين يدي الله ـ تعالى ـ إذا سأله عما قضى به في دينه أو في عباده، وهو حاف عُريان مكشوفُ الرأس بادي السوءَة أقلف، يدُه مغلولة إلى عنقه. وليس في شريعة الإسلام ما يدل على أن الله شرع طلاق الثلاث جملة، لا لفظاً ولا معنًى ولا حكماً، ومن زعم هذا، ولم يقم عليه دليلاً صحيحاً، فقد قال على الله بغير علم. وقد دلت الآية التي في «الأعراف» على أن القول على الله بغير علم أشدُّ من الشرك، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وذلك عند من يفهم وينصف، ويفهم معنى هذه الآية الكريمة، وما فيها من عطف البعض على الكل، وأنه قد تكرر فيها تحريم القول على الله بغير علم، بالعطف خمس مرات، والشرك أربع مرات، والبغي بغير حق ثلاث مرات، والإثم مرتين، والفاحشة مرة».

ثم قال: «فصل: الكلام هنا على معنى الآيات الكريمات في حكم الطلاق الثلاث جملة، سواء كانت ثلاث مرات، أو مئة مرة، أو ثلاثين ألفاً». ثم قال: «وذلك أن ضمير الآية في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ

---

(١) قال الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي: «هل هذا الكلام ينطبق على سيدنا عمر والصحابة الذين وافقوه والأئمة والعلماء الذين اتبعوه ؟».

(٢) رواه البخاري «كتاب الجمعة» باب الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣) (٢/ ٣٣)، ورواه أيضاً في كتاب: «العتق، والاستقراض والجنائز والوصايا». ورواه مسلم «كتاب الإمارة» باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١٨٢٩) (٣/ ١٤٥٩).

لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، أ، إن طلقها مرة ثالثة، فلا تحل له بعدها، المفهوم من قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، لا يجوز فيه شرعاً غير ذلك، وهذا الحكم مختص به شرعاً؛ أي: بتحريم المطلقة عليه حتى تنكح زوجاً غيره، ويلزم أن يكون التحريم فيما بعد المرتين الأوليين، فإن كل واحدة من الأوليين له فيها الخيار بين الإمساك والتسريح بنص الآية، فيكون التقدير: فإن طلقها مرة ثالثة، فلا تحل له، هذا لا يحتمل خلافاً».

[٢١٢ـب] قلت: فهذه الآية صريحها على هذا أن الثلاث متفرقات، والله أعلم.

ثم قال: «ويدل على التقدير لزوم أنه لا يجوز في الآية أن يقال: فإن طلقها، فلا تحل له. لا يجوز أن يكون مستقلاً بنفسه، منفصلاً عما قبله؛ لما في ذلك من لزوم نسخ مشروعية الرجعة في الطلاق من دين الإسلام، ولا قائل به، وذلك لما فيه من عود ضمير المُطَلِّق فيه إلى غير موجود في الكلام قبله، مُعَيِّنٍ له، مختصٍّ بحكمة، فيكون عاماً في كل مطلِّق ومطلَّقة، ولا قائل به، وذلك أن قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، جملة مقيدة، والجملة نكرة، وهي في سياق شرط ونفي، فتعم كل مطلِّق ومطلَّقة، فيكون ذلك ناسخاً لمشروعية الرد في الطلاق في دين الإسلام، ولا قائل به، فتعين أن يكون قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] إتماماً لما قبله؛ أي: متصلاً به، ويكون الضمير فيه عائداً على موجود في الكلام قبله، معين له، مختص بحكم تحريمه في طلاقه إن طلق، وليس فيما قبله ما يصلح عود هذا الضمير إليه، واختصاصه بهذا الحكم من التحريم شرعاً إلا المطلق المفهوم من قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ لأنه لو عاد إلى من يطلق في صورة المفاداة المذكورة قبله، كان التحريم مختصاً بطلاق المفاداة، ولا قائل به، ولو عاد إلى من يطلق في صورة الإيلاء المذكورة

قبل هذه الآيات، كان التحريم مختصاً بطلاق المُؤلي، ولا قائل به، فتعين أن يكون الضمير عائداً إلى المطلق المفهوم من قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وهو في نظم الكلام متعين له شرعاً، لا يجوز عوده إلى غيره شرعاً، وأن يكون تقدير الكلام: فإن طلقها مرة ثالثة، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

وقد تبين أن معنى هذا الكلام وتقديره: أن الطلاق الرجعي مرتان، فإن طلقها بعدهما مرة ثالثة، فلا تحل له به بعدها[١] حتى تنكح زوجاً غيره، فلم يشرع الله التحريم إلاّ بعد المرة الثالثة من الطلاق، والمرة الثالثة لا تكون إلاّ بعد مرتين شرعاً ولغة، وعرفاً، وإجماعاً، إلاّ ما وقع في هذه المسألة بقضاء الله وقدره».

ثم قال: «فصل: ومما يبين ويوضح بطلان تركيبهم شرعاً ولغة في الطلاق الثلاث وفي غيره أن لفظ التعدد فيه منصوب نصب المصدر، فإن تقدير الكلام: طلقتك طلاقاً، ومعنى المصدر في الكلام، طلقتك تطليقات [٢١٣ـ أ] ثلاثاً، ومعنى المصدر في الكلام إنما هو حكاية حال الفعل في صدوره عن الفاعل، والفعل له حالتان في صدوره عن الفاعل: حالة يكون فيها خبراً عما صدر وقوعه من الفاعل في الماضي، وحالة يكون فيها أداة لما يستعمل فيه من إنشاء العقود والفسوخ استعارة أو اشتراكاً، فإذا أريد به الحكاية والخبر عن الماضي، فإن أريد به إخبار عن حقيقة الفعل ونفي المجاز عنه، أتبع بالمصدر مطلقاً، وأما إذا استعمل الماضي في إنشاء عقد أو فسخ عقد، سواء قيل: إنه على وجه الاستعارة أو الاشتراك، فإن أريد العقد أو الفسخ، أتبع المصدر مطلقاً؛ مثل: طلقتها تطليقاً، وأما إن أريد تعدد العقد أو الفسخ بلفظ واحد في مرة واحدة بمنزلة تعدده بالتكرار مرة

(١) في «ط»: بعدهما.

بعد مرة، وأتبع بالعدد وحده، أو مضافاً إلى المصدر المجموع؛ مثل: طلقتك ثلاثاً، وقصد به التعدد، أو قال في اللعان: أشهد بالله خمساً أو خمس شهادات، أو قال في القسامة: أقسم بالله خمسين يميناً، أو قال بعد الصلاة: سبحان الله مرة، ثم قال: ثلاثاً وثلاثين، وكذا: الحمد لله، وكذا الله أكبر، وكذا لو قال في اليوم مرة واحدة: سبحان الله وبحمده، وأتبعها: مئة مرة، لم يكن بتكراره في الأيام والأوقات والعدد، فأما غير الطلاق، فلا خلاف فيه، وأما الطلاق، فوقع الغلط فيه من بعد الصحابة».

ثم قال: «فصل: وليس في شريعة الإسلام أن الله ـ سبحانه ـ شرع للرجل في طلاق امرأته ثلاث طلقات، ولا أنه حرمها عليه بثلاث طلقات، حتى يقع الشك في جواز جمعها بمثل هذا التركيب مرة واحدة، أو أنه لا يجوز، والطلاق أبغض الحلال إلى الله، والله أعلم».

ثم قال: «فصل: والقول في هذه المسألة بوقوع الطلاق جملة قد شذ، وهو غريب منفرد عن أمثال هذه المسألة، ليس له دليل في الشرع، ولا نظير في اللغة، ولا في قواعد المذاهب، بل كل مسألة تماثل هذه المسألة فقواعد المذاهب فيها بخلافه».

ثم قال: «وإنما غلط الناس [٢١٣ـب] في معاني دلائل هذه المسألة، وفي معنى سنة عمر في العقوبة بإمضاء طلاق الثلاث جملة، لما أكثر الناس منه على ما فيه من التلاعب بحكم الله، كما غضب منه عمر، وغضب منه رسول الله ﷺ أيضاً.

وقد ذكر الشيخ شمس الدين بن القيم في «ذم مصائد الشيطان» لما تكلم على هذه المسألة: «أن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ ندم على ما فعله فيها من إمضاء الثلاث»[١].

---

(١) قال ابن القيم: «قال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في «مسند عمر»: أخبرنا أبو =

فإن صح ذلك فهو ـ والله أعلم ـ خوفاً من مثل ما وقع فيها بسبب ذلك، من قيام سوق التحليل بتيوس اللعنة، فإنه إنما سن العقوبة بإمضاء الثلاث لما تمكن الشيطان من التلاعب بالناس في ذلك كثيراً، بخلاف ما كان قبل ذلك في زمن النبوة، وفي خلافة النبوة، فإنه كان قليلاً في ذلك الوقت»[1].

ثم قال: «فصل: وقد قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحكمته البالغة التي لا تدركها عقول عباده غلط أكثر الناس بعد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في معنى ما سنه عمر من إمضاء الثلاث، واتخذوه شرعاً محتوماً من الشارع، وقضوا به على الناس، وفي هذا حرج عظيم على الناس، ولا ريب عند من يفهم وينصف ويريد الله هدايته إلى قبول الحق إذا تبين أن دلائل الشرع تدل على أنه واحدة شرعاً بالكتاب والسنة، فجعل الله غلط الغالطين في سنة عمر سبباً لما قدره من تضييع حكم هذه المسألة، كما قد يضيع حكم غيرها».

ثم قال في آخر هذا الكتاب: «فصل: فقد اجتمع عندي من الدلائل الصحيحة على صحة القول بأن الطلاق الثلاث واحدة سبعةُ أبواب من دلائل صحيحة، لا يعرف اجتماع مثلها على قول في مسألة خلافية، بل ولا في مسألة إجماعية فيما عرفت، ولا أعرف للقول [٢١٤ـ أ] بمضي طلاق الثلاث في مثل هذا الوقت ـ وقد قامت سوق التحليل ـ له مجالاً في دين الإسلام[2]، ولا فيه شبهة صحيحة ولا قوية، ولا هذا يشكل على من يفهم

= يعلى، حدثنا صالح بن مالك، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما ندِمْتُ عَلى شَيْءٍ نَدَامَتِي عَلَى ثَلاث: أَلاَّ أَكُون حَرَّمْتُ الطَّلاقَ، وعلى ألاَّ أكون أَنْكَحْتُ المَوَالي، وعلى ألاَّ أكون قَتَلْتُ النوائِحَ». «إغاثة اللهفان» (ص٢٨١).

(١) انظر: «إغاثة اللهفان في ذم مصائد الشيطان» لابن القيم (ص٢٨١).

(٢) قال الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي: «هذا الكلام مقبول، ويمكن الأخذ به، وهو ما فعله كبار العلماء في عصرنا الحاضر، وأقروه في قوانين الأحوال =

وينصف ويريد الله هدايته إلى قبول الحق إذا تبين بعد نظره في هذه الدلائل، فإن كل باب منها على انفراده يكفي حجة بين يدي الله وعند من يفهم وينصف على القضاء في دينه بأن الطلاق الثلاث واحدة، مع معرفة حديث (بُرَيْدَةَ)[1]:

أحدهما: كتاب الله على وجه التنصيص، كما تقدم.

الثاني: السنة، وهي الأحاديث الثلاثة الصحيحة[2] التي رواها طاوس عن ابن عباس وأبي الصهباء: «أَنَّ الطَّلاقَ الثَّلاثَ كَانَتْ وَاحِدةً في زَمَنِ النُّبُوَّةِ، وفي خِلاَفةِ النُّبُوَّةِ، وفي بَعْضِ زَمَنِ عُمُرَ»[3]، ولم يصح في الباب شيء غيرها، وليس للطعن فيها مجال.

الثالث: الإجماع في زمن النبوة، وخلافة النبوة، وبعض زمن عمر، ولا تشريع بعد رسول الله ﷺ، وليس في الإجماعات أصح من هذا الإجماع.

الرابع: القياس الصحيح على مواقع الإجماع في كل ما يماثل حكم هذه المسألة.

الخامس: الاعتبار الصحيح بأحكام الله في عباده، الموافقة لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

= الشخصية في البلاد العربية، كدواء لهذه المشاكل المستعصية».

(١) رواه مسلم «كتاب الحدود» باب من اعترف على نفسه بالزنا (١٦٩٥) (٣/ ١٣٢١). وهو قصة ماعز بن مالك الأسلمي، ولعله يقصد أن رسول الله ﷺ ردَّ ماعزاً ثلاث مرات، وفي الرابعة رجمه. والله أعلم.

(٢) انظر: الأحاديث الثلاثة التي وردت في: «صحيح مسلم» فيما تقدم.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

السادس: قواعد المذاهب بالحكم في كل ما يماثل هذه المسألة بما يماثل هذا القول: بأن الطلاق الثلاث واحدة.

السابع: قواعد اللغة كما تقدم».

قال: (وقد بسط الكلام في كتاب «التحفة والفائدة»)[1] ثم قال: «وقد جعلت على نفسي في كل مسألة من هذه المسائل التي أراني الله فيها أن قول ابن تيمية هو شريعة الإسلام، من يريني شريعة إسلامية يصح الاعتماد عليها في مخالفتي، أو أجد أحداً فاهماً لبيباً يفهم ما يقول، وما يقال، وكيفية الاستدلال، بحيث يعرف من نفسه فيما يعرفه أنه يعرفه [٢١٤ـ ب]، فلا يتمارى فيه، وفيما لا يعرفه أنه لا[2] يعرفه، فلا يماري فيه، ولا أجد إلاّ من لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فلا حول ولا قوة إلا بالله». ولم يذكر شيئاً هنا.

فصل

قال الشيخ جمال الدين في كتاب «التحفة والفائدة»: «أما بعد، فإن الله ـ تعالى ـ قد أطلعني بفضله ورحمته على شيء من غوامض علمه المخزون في غوامض شريعته التي أرسل إلينا بها عبده ورسوله محمداً ﷺ، وهي كتابه وسنة رسوله، وذلك في أصول الدين وفروعه، وذلك مع بعد ذهني، وقلة علمي وقدري، وقد أطلع الله من شاء من عباده على ما يشاء من علمه، ويسَّر من شاء منهم للقيام فيه بالقسط، وانظر إلى تواضعه، ولطافته؛ فإنه كان في الزهد والورع والعبادة والتأله، والصدقة والخير، على ما لا

---

(١) كتاب «التحفة والفائدة في الأدلة المتزايدة على أن الطلاق الثلاث واحدة» مفقود، انظر: «الجوهر المنضد» (ص١٧٣).

(٢) لا، سقطت من «ط».

يعلمه إلاّ الله تعالى[1]. وأما ابن رجب، فإنه كان زاهداً ورعاً أيضاً، لكن بلغني أنه ما عمل كتابه إلاّ حمية، وذلك أنه كان متباغضاً هو وأولاد مفلح والحنابلة المقادسة، فعمل هذا الكتاب لأجلهم، وبلغني أنه كان شخص يقال له «الحريري»[2]، وكان حنبلياً، وكان يفتي بهذا، فآذاه ابن رجب وضربه».

كما جرت للدواليبي على زماننا كما تقدم[3]، والذي يظهر أن أولاد مفلح والحنابلة المراودة، والذين كانوا على زمانه كانوا يفتون بهذا، وهذا الذي فعله لا يجوز له، فإن أحداً لا يجوز له أن يلعب في دين الله لأجل معاداة الغير. والله أعلم.

ثم قال الجد في هذا الكتاب: «فصل: وقد أجهدت نفسي في هذه المسألة، وأطلت النظر فيها من نحو العشرين سنة، ولاسيما في هذا الوقت بسبب ما وقع من الرجل الظالم في حق الرجل الصالح فيها»، قلت: وأظن الرجل الظالم ابن رجب، والرجل الصالح الحريري.

ثم قال: «وددت أن أجد في شريعة الإسلام نصاً يصح الاعتماد عليه والاحتجاج به بين يدي [٢١٥ـ أ] الله في موقف القيامة، على صحة المنقول في المذاهب، من القول بوقوع الطلاق الثلاث جملة».

ثم قال في آخر هذا الكتاب: «فصل: وقد ألجأني الغضب لله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولرسوله في هذه المسألة، ولنفسي أيضاً، واللجاج من حدَّة النفس[4] إلى أن جعلت على نفسي جعالة شرعية ألف درهم لمن يعرف

---

(١) لعله يعني شيخ الإسلام ابن تيمية، والله أعلم بالصواب.

(٢) في «ط» الخديوي، والصواب ما أثبتناه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٣) انظر ما تقدم.

(٤) في «ط»: واللجاج وحدّة النفس.

شريعة من شرائع الإسلام يصح الاحتجاج بها بين يدي الله على صحة القول بوقوع الطلاق الثلاث جملة شرعاً، أو على جواز العقوبة بإمضائه في هذا الوقت، مثل جوازها لعمر، أو على جواز التمسك في ذلك بالمنقول في المذاهب بعد بيان مخالفة دلائل الشرع له، فيتحقق بها، ويعلمني أنها بالتحرير والتحقيق، ولم أجعل ذلك لوهم تلبد، ولا لمشاغب مصادر، يماري ويكابر بدعوى التقليد بالتلفيق، من غير تحرير ولا تحقيق، ولذلك جعلت على نفسي في مسألة الحلف بالطلاق بأداة الشرط والجزاء وغيرها مما وهم فيه الغالطون على شيخ الإسلام ابن تيمية مثل مسألة الوقف المترتب على الذرية إذا مات منهم أحد قبل قبول الوقف إليه، وخلف ولداً، ومسألة الزيارة، ومسألة الحوادث، فكل منها قد جعلت على نفسي فيه مثلما جعلت على نفسي في هذه المسألة على هذا الوجه، وهذا القدر المجعول هو قدري بالنسبة إلى حالي، لا قدر[1] هذه الدلائل، ولا قدر[2] من يعرفها ويعلمها؛ فإن الدنيا لا تقوم عندي لذلك؛ لما أجده في قلبي من الهم والحزن من تعطل هذه المسائل عن العمل فيها بمقتضى دلائل الشرع[3] ظاهراً، ولا أجد للحق ناصراً، حتى إن خوفي من إظهار الحق في ذلك أشد من خوفي من أرباب المنكر المجمع على تحريمه، وليس فيه إلاّ ما قدره الله [٢١٥ـ ب]، وحكمته اقتضت بتسلط الشيطان على هذا النوع الآدمي من خلقه، حتى صاروا حطباً إلى النار، إلاّ واحداً من كل ألف إلى الجنة، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، والله الموفق».

---

(١) في «ط»: والأقدر.

(٢) في «ط»: والأقدر.

(٣) في «ط»: السنة، واليوم قد عاد العمل بها والحمد لله، ولكن ليس بإطلاق الفتوى مع الورع.

الفصل السابع

في فصل النزاع بين الفريقين

فصل النزاع أن يقال: إن كانت مدخولاً بها، وقع ثلاثاً، وإن لم يكن مدخولاً بها، وقع واحدة، كما قد ذكره ابن رجب وأقره. وقد ثبت عن أكثر أهل العلم، فقد وردت أحاديث بالوقوع، وأحاديث بعدمه، فنجمع بين الأحاديث ونقول: يقع بالمدخول بها ثلاثاً، وبغير المدخول بها واحدة، فكيف وقد وردت أحاديث أنه يقع بالمدخول بها ثلاثاً، وبغير المدخول بها واحدة؟ فلو لم ترد أحاديث، وجمعنا بين الأدلة، لجاز، فكيف وقد ورد في هذا أحاديث غير واحد؟ والله أعلم.

فصل

وفصل النزاع أيضاً أن يقال: يقع بالبكر واحدة، وبغير البكر ثلاثاً، جمعاً بين الأدلة، وهذا قد ورد عن طائفة من العلماء.

قال في «المغني»: و«كان عطاء[1]، وطاوس، وسعيد بن جبير، وأبو

(١) هو عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل، إمام فقيه، صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٣هـ)، «التقريب» (ص٣٩٢)، «العبر» (١/ ١٢٥)، «الشذرات» (٢/ ١٩).

الشعثاء[1]، وعمرو بن دينار[2]، يقولون: من طلق البكر ثلاثاً، فهي واحدة»[3]. وهذا قد ورد عن هؤلاء، فنجمع بين الأدلة، والله أعلم بالصواب.

فصل

وفصل النزاع أيضاً أن يقال: إن كان متقي الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الطلاق، ولا يطلق كثيراً، وقع واحدة، وإن كان ممن لا يتقي الله ـ تعالى ـ في الطلاق، ويطلق كثيراً، وقع ثلاثاً، ردعاً له، كما هو ظاهر الحديث، فإنهم قالوا: إنما كان الطلاق واحدة، على عهد النبي ﷺ، وأبي بكر؛ لأنهم كانوا يتقون الله في الطلاق، وإنما أحدثه عمر لتهاونهم فيه وكثرته منهم. فهذا فصل النزاع فيها، وهو ظاهر، ونص الشارع، وأكثر [٢١٦ـ أ] الأحاديث تدل عليه، والله أعلم بالصواب.

فصل

وفصل النزاع أيضاً أن يقال: إن كان الزوجان زاهدين في بعضهما، وقع ثلاثاً، وإن كانا راغبين في بعضهما؛ لوجود الولد أو نحوه، وقع واحدة، كما هو صريح حديث «رُكَانَةَ»، وهو قوي أيضاً، ويجمع بين الأدلة فيه أيضاً. والله أعلم بالصواب.

---

(١) هو جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدي ثم الجوْفي، البصري، مشهور بكنيته، ثقة فقيه، من الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩٣هـ). «التقريب» (ص١٣٦)، «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٩٤)، «الشذرات» (١/ ٣٦٥).

(٢) هو عمرو بن دينار المكي، أبو محمد الأثرم، الجُمحي، مولاهم، فقيه ثقة ثبْت، من الرابعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٢٦هـ). «التقريب» (ص٤٢١)، «العبر» (١/ ١٦٣)، «الشذرات» (٢/ ١١٥).

(٣) «المغني» (٨/ ٤٣).

فصل

قال الإمام جمال الدين عن ابن القيم: «إن عمر ندم على ما فعل، وصح».

والله أعلم بصحة هذا، والله أعلم بالصواب.



الفصل الثامن

في مذاهب الناس في ذلك

المذهب الأول: أن الثلاث تقع باللفظ الواحد ثلاثاً، وهو مذهب من تقدم ممن ذكر أنه أفتى به.

المذهب الثاني: أنه لا يقع إلاّ واحدة، وهذا مذهب من تقدم أنه أفتى به أيضاً.

المذهب الثالث: يقع بالمدخول بها ثلاثاً، وبغير المدخول بها واحدة، وهذا قواه ابن رجب في كتابه، ونصره.

المذهب الرابع: يقع بالبكر واحدة، وبغيرها ثلاثاً، وهو مذهب عطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، وأبي الشعثاء، وعمرو بن دينار.

المذهب الخامس: أن يقال: يقع بالمتقي الله واحدة، وبالمطلق كثيراً ثلاثاً، كما هو ظاهر الواقعة.

المذهب السادس: إن كانا راغبين في بعضهما من وجود ولد ونحوه، وقع واحدة، كما هو صريح حديث «رُكَانَةَ».

المذهب السابع: الوقف في هذه المسألة، وهو قول عبد الله بن الزبير، فإنه لما جاءته، توقف فيها، وقال: «إِنَّ هَذا لأَمْرٌ مَالَنَا فيهِ قَوْلٌ، فاذْهَبْ إِلى عَبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ، وَأَبي هُرَيْرَةَ»[1].

---

(١) الخبر سبق تخريجه.

المذهب الثامن: إن نوى الثلاث، وأنها تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره، وقع، وإلاّ فلا. ومثل هذه المسألة في المذاهب، ما إذا قال: أنتِ عليّ حرام، فإن فيها خمسة عشر مذهباً حكاها في «أعلام الموقعين»[(١)].

أحدها: [٢١٦ـب] أنه لغو باطل لا شيء عليه فيه، وهو أحد الروايتين عن ابن عباس، وبه قال مسروق[(٢)]، وأبو سلمة[(٣)]، وعطاء، والشعبي[(٤)]، وداود، وجميع أهل الظاهر، وأكثر أصحاب الحديث، وهو أحد أقوال المالكية، اختاره أصبغ[(٥)]. والله أعلم.

المذهب الثاني: أنها ثلاث تطليقات، وهو قول عليٍّ، وزيد [بن ثابت][(٦)]،

---

(١) «أعلام الموقعين» (٣/ ٦٤ـ٧١).

(٢) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم، روى عن الخلفاء الراشدين وغيرهم، من الثانية. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦٢هـ)، ويقال: سنة (٦٣هـ). «التقريب» (ص٥٢٨)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٣٩٦)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٣).

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، أحد الأئمة، ثقة مكثر، من الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩٤هـ) أو (١٠٤هـ). والله أعلم. «التقريب» (ص٦٤٥)، «الكاشف» (٣/ ٣٠٢)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٨٧).

(٤) هو عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، من الثالثة، قال مكحول: «ما رأيت أفقه منه». توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٤هـ). «التقريب» (ص٢٨٧)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٩٤)، «الشذرات» (٢/ ٢٤).

(٥) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد الأموي، مولاهم، الفقيه المصري، أبو عبد الله، ثقة، من العاشرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٢٥هـ). «الديباج المذهب» (١/ ٣٠١)، «التقريب» (ص١١٣)، «الشذرات» (٣/ ١١٤).

(٦) هو زيد بن ثابت الأنصاري، أبو سعيد وأبو خارجة، صحابي مشهور كتب الوحي، ومن الراسخين في العلم. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٤٥هـ)، =

وابن عمر، والحسن البصري، ومحمد بن عبد الرحمن [بن أبي ليلى].

المذهب الثالث: أنها بهذا القول حرام عليه، صح عن أبي هريرة، والحسن، وخلاس، وجابر بن زيد[1]، وقتادة[2]، وعليّ، فيكون عنه روايتان.

المذهب الرابع: الوقف فيها، صح عن عليّ، وهو قول الشعبي.

المذهب الخامس: أنه إن نوى به الطلاق، كان طلاقاً، وإلاّ، فهو يمين، وهو قول طاوس، والزهري[3]، والشافعي، ورواية عن الحسن.

المذهب السادس: أنه إن نوى الثلاث، فثلاث، وإن نوى واحدة، فواحدة بائنة، وإن نوى يميناً، فهو يمين، وإن لم ينو شيئاً، فلا شيء، قاله سفيان، وحكاه النخعي عن أصحابه.

المذهب السابع: مثل هذا، إلاَّ أَنه إن لم ينو شيئاً، فهو يمين يكفرها، وهو قول الأوزاعي.

= أو (٤٨هـ)، وقيل: بعد الـ(٥٠هـ). «أُسد الغابة» (٢/ ٣٤٦)، «العبر» (١/ ٥٢)، «التقريب» (ص٢٢٢).

(١) هو جابر بن زيد، أبو الشعثاء، انظر: (ص٣٥٥) من هذا البحث.

(٢) هو قتادة بن دعامة، السَّدوسيّ، أبو الخطاب، عالم أهل البصرة، ثقة ثبت، كان آية في الحفظ، إماماً في النسب والعربية واللغة وأيام العرب. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٧هـ). «الشذرات» (٢/ ٨٠) «التقريب» (ص٤٥٣)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٩).

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، أحد الفقهاء والمحدِّثين الحفاظ، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، متقن، وروى عنه جماعة من الأئمة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٢٤هـ)، «وفيات ابن خلكان» (٤/ ١٧٧)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٢٦)، «الشذرات» (٢/ ٩٩)، «التقريب» (ص٥٠٦).

المذهب الثامن: مثل هذا أيضاً، إلاّ أنه إن لم ينو شيئاً، فواحدة بائنة.

المذهب التاسع: أن فيها كفارة ظهار، صح عن ابن عباس، وأبي قلابة[1]، وسعيد بن جبير، ووهب بن المنبه[2]، وعثمان التيمي[3]، وهو إحدى الروايات عن أحمد.

المذهب العاشر: أنها تطليقة واحدة، وهو إحدى الروايتين عن عمر، وقول حماد بن أبي سليمان[4].

المذهب الحادي عشر: أنه ينوي ما أراده من ذلك في إرادة أصل الطلاق وعدده، وإن نوى تحريماً بغير طلاق، فيمين مكفرة، وهو قول الشافعي.

المذهب الثاني عشر: أن يُنوى أيضاً في أصل الطلاق وعدده، إلاّ أنه إن

---

(١) هو عبد الله بن زيد الجرمي، أبو قلابة البصري، الإمام، ثقة فاضل كثير الإرسال، كان رأساً في العلم والعمل، من الثالثة، توفي بالشام هارباً من القضاء سنة (١٠٤هـ)، وقيل: بعدها. «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٦٨)، «التقريب» (ص٣٠٤)، «الشذرات» (٢/ ٣٢).

(٢) هو وهب بن المنبه اليماني، صاحب الأخبار والقصص، وأحد الأعلام، ثقة. توفي بصنعاء سنة (١١٠هـ)، وقيل: (١١٤)، وقيل: (١١٦هـ) ـ رحمه الله ـ. «الوفيات» (٦/ ٣٥)، «الشذرات» (٢/ ٧٣) «التقريب» (ص٥٨٥).

(٣) لعله عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي، المدني، قاضيها، مقبول، من السادسة ـ أي: من المئة الثانية ـ ولا يعلم تاريخ وفاته على التحديد. «تاريخ البخاري الكبير» (٦/ ٢٣٨)، «الجرح والتعديل» (٦/ ١٥٩)، «التقريب» (ص٣٨٦).

(٤) هو حماد بن أبي سليمان الأشعري، مولاهم، أبو إسماعيل الكوفي، فقيه صدوق له أوهام، من الخامسة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٢٠هـ). «الجرح والتعديل» (٣/ ١٤٦)، «التقريب» (ص١٧٨)، «الشذرات» (٢/ ٨٩).

نوى واحدة، كانت بائنة، وإن لم ينو طلاقاً، فهو مُؤْلٍ، وإن نوى الكذب، فليس بشيء، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

المذهب الثالث عشر: أنه يمين يكفره ما يكفر اليمين على كل حال، صح عن أبي بكر، وعمر، وابن عباس، وعائشة، وزيد، وابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعكرمة، وعطاء، ومكحول[1]، وقتادة، والحسن، والشعبي، وسعيد بن المسيب[2]، وسليمان بن يسار[3]، وجابر بن زيد، وسعيد بن جبير، ونافع، والأوزاعي، وأبي ثور[4]، والله أعلم.

المذهب الرابع عشر: أنها يمين مكفرة[5]، فيها عتق رقبة، صح عن ابن عباس، وأبي بكر، وعمر، وابن مسعود، وجماعة من التابعين.

---

(١) هو أبو عبد الله مكحول بن شهراب بن شاذل، مولى بني هذيل، أبو عبد الله، فقيه الشام، ثقة، كثير الإرسال مشهور، من الخامسة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٣هـ). «الشذرات» (٢/ ٦٦)، «التقريب» (ص٥٤٥)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٠٧).

(٢) هو سعيد بن المسيب بن مخزوم القرشي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، واسع العلم. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩٤هـ). «الجرح والتعديل» (٤/ ٥٩١)، «التقريب» (ص٢٤١)، «الشذرات» (١/ ٣٧٠).

(٣) هو سليمان بن يسار الهلالي، المدني، أخو عطاء، مولى ميمونة، وقيل: أم مسلمة، ثقة فاضل، أحد الفقهاء السبعة، من كبار الثالثة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٠٧هـ). «الكاشف» (١/ ٣٢١)، «التقريب» (ص٢٥٥)، «الشذرات» (٢/ ٤٣).

(٤) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور، الفقيه، صاحب الشافعي، ثقة، من العاشرة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٤٠هـ). «الجرح والتعديل» (٢/ ٩٧)، «التقريب» (ص٨٩)، «الشذرات» (٣/ ١٨٠).

(٥) في «ط»: يمين مغلظة.

المذهب الخامس عشر: أنه طلاق، ثم إن كانت غير[1] مدخول بها، فهو ما نواه من الواحدة وما فوقها، وإن كانت مدخولاً بها، فثلاث، وإن نوى أقل منها. وهو إحدى الروايتين عن مالك.

وذكر بعد هذا تحديد كل مذهب من الأربعة، والله أعلم بالصواب[2].

ولو كان هذا الكتاب بصدده، ذكرناه، لكنه ليس بصدده، وذكرنا هذا لأجل الفائدة.

❑ ❑ ❑

---

(١) سقطت من «ط».

(٢) «أعلام الموقعين» (٣/ ٦٤-٧١)، ثم انظر في ذلك: «بدائع الصنائع» (٣/ ١٠٦، ١٠٨)، «مغني المحتاج» (٣/ ٢٨١) وما بعدها، «المغني» (٨/ ٣٠٣) وما بعدها، «حاشية الدسوقي» (٢/ ٣٧٩)، وما بعدها، «بداية المجتهد» (٢/ ٨٠-٨١)، «دلائل الأحكام» (٣/ ٦٥٣-٦٥٤)، «القوانين الفقهية» (ص٢٣١)، «نيل الأوطار» (٦/ ٢٦٣) وما بعدها، «مغني ذوي الأفهام» (ص٣٨٣).

الفصل التاسع

في ذكر الثلاث إذا أتت متفرقة

هذه المسألة لا خلاف فيها أنه يقع ثلاثاً، لا لجمال الدين، ولا للشيخ تقي الدين، ولا لابن القيم، ولا لأحد من الأئمة، ولا لأحد من المسلمين، بل الإجماع منعقد على أنه يقع، وتحرم عليه إلاَّ أن تنكح زوجاً غيره، بالكتاب من قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، على ما ذكرناه، والسنَّة أشياء كثيرة، والإجماع منعقد عليه، والله أعلم بالصواب.



الفصل العاشر

في أنه إذا ثبت الثلاث، لا تحل حتى تنكح زوجاً غيره

هذا أيضاً من المسائل التي لا خلاف فيها، على أنه إذا طلقها ثلاثاً واحدة بعد واحدة، أو حيث قلنا بوقوع الطلاق الثلاث، فإنها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا صحيح من الكتاب؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، والسنة، والإجماع، وهذه المسألة لا خلاف فيها بين المسلمين، ومن قال بخلاف هذا، فقد خرج ـ والعياذ بالله ـ عن ملّة الإسلام، ولزم استتابته، فإن تاب، وإلاَّ قتل؛ لأنه أحل ما حرم الله ورسوله، فإن فعل هذا بالمحلل الذي متى أحلها طلقها، لم يجز هذا بإجماع المسلمين كما سيأتي ذكره؛ لأن هذا النكاح لا يصح، ووجوده وعدمه على حد سواء.



الفصل الحادي عشر

ذكر المحلل وأحكامه
والله الموفق

قد صح عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «أَنَّهُ تَوَعَّدَ فَاعِلَهُ بالرَّجْمِ»[1].

وانظر إلى هذه المفسدة، وهي كشف الفروج، وقبح ما يرتكبه المحللون مما هو رمد، بل عَمًى في عين الدين، وشَجًى في حلوق المؤمنين، من قبائح تشمت أعداء الدين به، فإنها قد غيرت من الدين رسمه، وسمي هذا الفاعل بالتيس المستعار، والتيس الملعون، لما حلّ إزارها، وكشف النقاب، وخلا في ذلك المرتع، والزوج أو الولي يناديه: لم نقدم لك هذا الطعام لتشبع منه، فقد علمت أنت والزوجة ونحن والشهود والحاضرون والملائكة الكاتبون ورب العالمين أنك لست معدوداً من الأزواج، ولا للمرأة [أو أوليائها بك رضا ولا فرح ولا ابتهاج][2]، وإنما أنت بمنزلة التيس المستعار للضراب، الذي لولا هذه البلوى، لما رضينا وقوفك على الباب، فالناس يظهرون النكاح فرحاً وسروراً، ونحن نتواصى بكتمان هذا

---

(١) رواه عبد الرزاق «كتاب النكاح» باب المحلل (١٠٧٧٧) (٦/ ٢٦٥). رواه عبد الرزاق عن الثوري: ثقة حافظ فقيه، ومعمر: ثقة فاضل، عن الأعمش: ثقة حافظ، عن المسيب بن رافع ثقة، عن قبيصة بن جابر الأسدي: ثقة. انظر: «التقريب» (ص٢٤٢، ٢٥٤، ٤٥٣، ٥٣٢، ٥٤١).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من «أعلام الموقعين» (٣/ ٤١).

النكاح، ونجعله أمراً مستوراً بلا إعلان، بل التواصي بهس ومس والإخفاء والكتمان. فالمرأة تنكح لدينها وحسبها ومالها وجمالها، والتيس لا يسأل عن شيء من ذلك؛ فإنه دخل على زوالها وعدم الإمساك. فسل التيس المستعار: هل له في ذلك نصيب، أو هو من حكمة هذا العقد؟ وسله: هل يعد هذا نكاحاً في الشرع، أو العقل أو الفطرة؟ وكيف يلعن رسول الله ﷺ رجلاً من أمته نكح نكاحاً شرعياً صحيحاً، ولم يرتكب في عقده محرماً ولا قبيحاً؟ وكيف يشبهه بالتيس المستعار، وهو من جملة المحسنين الأبرار؟ وكيف تُعيَّرُ به المرأة طول عمرها بين أهلها والجيران، وتظل ناكسة [٢١٨ـ أ] رأسها إذا ذكر ذلك بين النسوان؟ وسل هذا التيس: هل حدث نفسه بنفقة أو كسوة أو وزن صداق؟ وهل طمعت المصابة منه بشيء من ذلك؟ أو طلب منها ولداً نجيباً، أو أمل أن تتخذه عشيراً[١] وحبيباً؟ وسل المرأة: هل تسأل عن حسبه أو ماله، أو حسن عشرته وسعة نفقته؟ وسل التيس: هل يسأل قط عما يسأل عنه من قصد حقيقة النكاح، والنقد الذي يتوصل به الخاطب إلى الملاح؟ وسله: هل هو أب يأخذ، أو أب يعطي؟ وسله عن وليمة عرسه: هل أَوْلَمَ ببعير أو بشاة، أو دعا أحداً من أصحابه فقضى حقه وأتاه؟ وسله: هل يهنأ ويسأل كما يسأل المزوجون، وهل قيل له: «بَارَكَ اللهُ لَكُمَا وَعَلَيْكُمَا، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا في خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ»[٢]، أم «لعن اللهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ»[٣] لعنة تامة وافية؟

---

(١) في «ط» «واتخذته عشيراً...».

(٢) هذا دعاء للمتزوجين ثابت في السنة، ورواه الترمذي «كتاب النكاح» باب ما جاء فيما يقال للمتزوج (١٠٩١) (٣/ ٣٩١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم «كتاب النكاح» (٢/ ١٨٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٤٣٠٨) (٢/ ١٦٦)، ورواه ابن ماجه «كتاب النكاح» =

فصل

ثم سل أدنى من له اطلاعٌ على أحوال الناس: كم من حرة مصونة أنشب فيها المحلل مخالب إرادته، فصارت له بعد الطلاق من الأخدان، وكان بعلُها منفرداً بوطئها، فإذا هو والمحلل فيها ببركة التحليل شريكان! فلعمر الله كم أخرج التحليل من مخدرة من سترها إلى البغاء، وألقاها بين براثن العشراء والحرفاء، ولولا التحليل لكان منال الثريا دون منالها، والتدرع بالأكفان دون التدرع بجمالها، وعناق القنا دون عناقها، والأخذ بذراع الأسد دون الأخذ بساقها[1]! وسل [أهل][2] الخبرة: كم عقد المحلل على أم وابنتها، وكم جمع ماءه في أرحام ما زاد على أربع، وفي رحم الأختين! وكل ذلك محرم باطل في المذهبين. وهذه مفاسد التحليل، لا ينبغي أن تفرد بالذكر، وهي كموجة واحدة من الأمواج، ومن يستطيع عد أمواج البحر؟ وكم من امرأة كانت قاصرة الطرف على بَعْلها، فلما ذاقت عسيلة المحلل خرجت على وجهها، فلم يجتمع شمل الإحصان والعفة بعد ذلك بشملها! و[ما][3] كان هذا سبيله، فكيف يحتمل أكمل الشرائع

= باب المحلل والمحلل له (١٩٣٦) (٢/ ٤٥٥)، ورواه الحاكم «كتاب الطلاق» (٢/ ١٩٩). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) قال الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي: «ولكن المسؤول الأول هو الزوج السابق والمرأة، فالزوج لجأ إلى الطلاق عدة مرات وهو يرغب بالمرأة، والمرأة تقاسي من هذا الزوج الشرير، وتريد الرجوع له، وتقبل طواعية واختياراً بزواج التيس المستعار».

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والتصويب من «أعلام الموقعين» (٢/ ٤٣).

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والتصويب من «أعلام الموقعين» (٣/ ٤٣). =

[وأحكمها] تحليله ؟ فصلاة الله وسلامه على من صرح بلعنته، وسماه: التيس المستعار، كما شهد به عليّ، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله[1] وعقبة بن عامر[2]، وعبد الله بن عباس، وأخبر عبد الله بن عمر: «أَنَّهُمْ كَانُوا يَعُدُّونَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ سِفاحاً»[3].

وفي «مسند» الإمام أحمد [٢١٨ـب]، و«سنن» النسائي، و«جامع» الترمذي: عن ابن مسعود قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ»[4]، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وعنه أيضاً قال: «لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، الأنصاري، ثم السَّلمي، صحابي بن صحابي، غزا (١٩) غزوة، وأحد المكثرين عن النبي ـ ﷺ ـ. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٧٨هـ)، وقيل (٧٣هـ)، وقيل: (٧٤هـ). «الإصابة» (١/ ٥٤٦)، «التقريب» (ص١٣٦)، «الشذرات» (١/ ٣١٩).

(٢) هو عقبة بن عامر الجهني، صحابي مشهور، وأحد المكثرين عن النبي ﷺ، ولي لمعاوية (٣) سنين، وكان فقيهاً، فاضلاً. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٥٨هـ). «الإصابة» (٤/ ٤٢٩)، «التقريب» (ص٣٩٥)، «الشذرات» (١/ ٢٦٦).

(٣) رواه عبد الرزاق «كتاب النكاح» باب التحليل (١٠٧٧٦) (٦/ ٢٦٥). ورواه الحاكم «كتاب الطلاق» (٢/ ١٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤٢٨٣، ٤٢٨٤) (٢/ ١٦١). ورواه الترمذي «كتاب النكاح» باب ما جاء في المحلل والمحلل له (١١٢٠) (٣/ ٤١٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وهو قول الفقهاء من التابعين، وبه يقول الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق. ورواه النسائي «كتاب الطلاق» باب إحلال المطلقة ثلاثاً وما فيه من التغليظ (٥٦٠٩) (٣/ ٣٥٤ـ٣٥٥). ورواه الحاكم «كتاب الطلاق» (٢/ ١٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ، والوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والمُحَلِّلَ وَ المُحَلَّلَ لَهُ، وآكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَهُ»[1]، رواه النسائي والإمام أحمد، وروى الترمذي عنه: «لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ»[2]، وصححه، ثم قال: والعمل عليه عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، منهم: عمر، وعثمان، وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين. ورواه الإمام أحمد من حديث أبي الواصل، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ: «لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ»[3].

وفي «المسند»، و«سنن» أبي داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث الشعبي، عن الحارث، عن عليّ بن أبي طالب، عن النبي ﷺ: «أَنَّهُ لَعَنَ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ»[4].

وفي مسند الإمام أحمد، وأبي بكر بن أبي شيبة من حديث عثمان بن الأخنس، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ»[5]. وعن أبي هريرة: «أَنَّ رَسُولَ اللهُ ﷺ لَعَنَ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ»[6]. قال الترمذي: سألت البخاري عنه فقال: حديث حسن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا إسناده جيد.

---

(١) الحديث أعلاه نفسه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٤٣٠٨) (٢/ ١٦٦)، ورواه أبو داود «كتاب النكاح» باب في التحليل (٢٠٧٦) (٢/ ٢٢٧)، ورواه الترمذي «كتاب النكاح» باب ما جاء في المحلل والمحلل له (١١١٩) (٣/ ٤١٨)، ورواه ابن ماجه «كتاب النكاح» باب المحلل والمحلل له (١٩٣٦) (٢/ ٤٥٥)، وسبق كلام الترمذي فيه.

(٥) الحديث سبق تخريجه.

(٦) الحديث سبق تخريجه.

وعن جابر بن عبد الله: «أنَّ النّبيَّ ﷺ لَعَنَ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ»[(١)].

وعن عقبة بن عامر قال: «قال رَسولُ الله ﷺ: ألا أُخْبِرُكُمْ بالتَّيْسِ المُسْتَعَارِ؟ قَالُوا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قَالَ: هو المُحَلِّلُ، لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ»، رواه الحاكم، وهو في سنن ابن ماجه[(٢)].

وعن نافع عن أبيه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى ابْن عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ طَلَّق امْرَأَتَهُ ثَلاثاً، فَتزَوَّجَها أَخٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ بَيْنَهُ لِيُحِلَّهَا لأَخِيهِ [هَلْ تَحِلُّ للأَوَّلِ]؟ قَالَ: لا، إلاّ نِكَاحَ رَغْبَةٍ، كُنَّا نَعُدُّ هذا سِفَاحاً عَلَى عَهْدِ النّبيِّ ﷺ»[(٣)]، [صححه الحاكم، وقال]: هذا على شرط الشيخين، [ولم يخرجاه، وقال بكر بن عبد الله المزني: «لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ»[(٤)]] وكان يسمى في الجاهلية: التيسَ المستعار.

وعن الحسن البصري قال: «كان المشركون يقولون: هذا التيس المستعار».

فصل

فسل هذا التيس: هل دخل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]؟ وهل دخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]؟ وهل دخل في قوله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فإنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»[(٥)]؟

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الخبر سبق تخريجه.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

(٥) رواه البخاري «كتاب النكاح» باب من لم يستطع الباءة فليصم (٥٠٦٦) =

وهل دخل في قوله ﷺ: «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فَإِنِّي مُكاثِرٌ بِكمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]؟ وهل دخل في قوله ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلينَ: النِّكَاحُ، والتَّعَطُّرُ، والخِتَانُ، وذكر الرابعة»[2]؟ وهل دخل في قوله ﷺ: «النِّكَاحُ سُنَّتِي، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[3]؟ وهل دخل في قول ابن عباس: «خَيْرُ هذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»[4]؟ وهل له نصيب من قوله ﷺ: «ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: النَّاكِحُ يُرِيدُ العَفَافَ، [وَالمُكَاتَبُ يُرِيدُ الأَدَاءَ]،

= (٦/ ٤٣٨). ورواه مسلم «كتاب النكاح»، باب استحباب النكاح.. (١٤٠٠) (٢/ ١٠١٨-١٠١٩). ورواه أبو داود «كتاب النكاح» باب التحريض على النكاح (٢٠٤٦) (٢/ ٢١٩). ورواه الترمذي «كتاب النكاح» باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه (١٠٨١) (٣/ ٣٩١). ورواه النسائي «كتاب النكاح» باب الحث على النكاح (٦/ ٥٨). ورواه ابن ماجه «كتاب النكاح» باب ما جاء في فضل النكاح (١٨٤٥) (١/ ٥٩٢). وغيرهم.

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٢٦١٣) (٤/ ٣١٧). ورواه ابن حبان «كتاب النكاح» باب ذكر العلة التي من أجلها نهى عن التبتل (٤٠٢٨) (٩/ ٣٣٨). ورواه ابن حبان أيضاً بإسناد قوي في الكتاب نفسه ـ باب ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد (٤٠٥٦، ٤٠٥٧) (٩/ ٣٦٣).

(٢) رواه الترمذي «كتاب النكاح» باب ما جاء في فضل التزوج والحث عليه (١٠٨٠) (٣/ ٣٨٢)، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه ابن ماجه «كتاب النكاح» باب ما جاء في فضل النكاح (١٨٤٦) (٢/ ٤٠٦). وقال الإمام البوصيري: إسناده ضعيف، لكن له شاهد في الصحيح. قلت: وشاهده في البخاري «كتاب النكاح» بابَ من لم يستطع الباءة فليصم (٥٠٦٦) (٦/ ٤٣٨). وعند مسلم «كتاب النكاح» باب استحباب النكاح.. (١٤٠١) (٢/ ١٠٢٠).

(٤) رواه البخاري «كتاب النكاح» باب كثرة النساء (٥٠٦٩) (٦/ ٤٣٩). ورواه الحاكم «كتاب النكاح» (٢/ ١٦٠).

وذكر الثالث»[1]؟ أو إنما دخل في لعن الله ورسوله؟ فهل يلعنُ الله ورسولُه من يفعل مستحباً أو جائزاً أو مكروهاً أو صغيرة، أم لعنتهُ مختصة بارتكاب الكبيرة ؟

وسله: هل كان في الصحابة محلِّل، أو أقر رجل منهم على التحليل؟ وسله: لأي شيء قال عمر: لا أُوتَى بِمُحَلِّلٍ أَوْ مُحَلَّلٍ لَهُ إلاَّ رَجَمْتُهُمَا»[2]؟ فإذا كان نكاح المتعة الذي يتم الشهرين، بل الثلاثة والسنة حراماً، فكيف المحلل الذي يقيم ساعة ولا غرض له في النكاح البتة؟! فكيف يحل في شرع تحليل هذا ؟ فهذا لا يباح في ملة من الملل قط، ولم يفعله أحد من الصحابة، ولا أفتى به. فألزم عمر بالثلاث إذا جمعوها؛ ليكفوا عنه، إذا علموا أن المرأة تحرم به، وأنه لا سبيل إلاّ إلى عودها بالتحليل. فإنه لما تغير الزمان، وبعد العهد بالسنة، وآثار القوم، وقام سوق التحليل، ونفق في الناس، فالواجب أن يرد الأمر إلى ما كان عليه في زمن النبي ﷺ وخليفته من الإفتاء بما يعطل سوق التحليل أو يقلله ويخفف شره. وإذا عرض على من وفقه الله، وبصَّره بالهدى، وفقهه في الدين مسألة كون الثلاث واحدة، ومسألة التحليل، ووازن بينهما، تبين له التفاوت، وعلم أيّ المسألتين أولى بالدين، وأصلح للمسلمين.

فهذه حجج المسألتين قد عرضت عليك، وقد أهديت [٢١٩ـ ب] ـ إن قبلتها ـ إليك. وما أظن عمى التقليد إلاّ يزيد الأمر على ما هو عليه،

---

(١) رواه النسائي «كتاب النكاح» باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف (٥٣٢٦) (٣/ ٢٦٥). ورواه ابن حبان «كتاب النكاح» باب معونة الله ـ جل وعلا ـ القاصد في نكاحه العفاف (٤٠٣٠) (٩/ ٣٣٩). ورواه الحاكم «كتاب النكاح» (٢/ ١٦٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) الخبر سبق تخريجه.

ولا يدع التوفيق يقودك اختياراً إليه، وإنما أشرنا إلى المسألتين إشارة تطلع العالم على ما وراءها. وبالله التوفيق.

فصل

فانظر إلى المسألتين، فهذه المسألة كانت على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وبعض خلافة عمر، حتى قيل: إنه إجماع، والنصوص مانعة من التحليل، مصرِّحةٌ بلعن فاعله، وفيه أحاديث كثيرة جداً، والسلف مجمعون عليها، والإجماع على أنه محرم، ثم صار على عهد عمر: الثلاث ثلاث، والتحليل ممنوع منه، وعمر من أشد الصحابة فيه، وكلهم على مثل قوله فيه، ثم صار في هذه الأزمنة التحليل كثيراً مشهوراً، والثلاث ثلاث.

وعلى هذا فيمتنع في هذه الأزمنة معاقبة الناس بمعاقبة عمر من وجهين:

أحدهما: أن أكثرهم لا يعلم أن جمع الثلاث حرام، لاسيما وكثير من الفقهاء لا يرى تحريمه، فكيف يعاقب من لم يرتكب محرماً عند نفسه؟

الثاني: أن عقوبتهم بذلك تفتح عليهم باب التلحيل الذي كان مسدوداً على عهد الصحابة، والعقوبة إذا تضمنت مفسدة أكثر من الفعل المعاقب عليه، كان تركها أحب إلى الله ورسوله. ولو فرضنا أن التحليل مما أباحته الشريعة ـ ومعاذ الله ـ لكان المنع منه إذا وصل إلى هذا الحد الذي قد تفاحش قبحه من باب سد الذرائع، وتعين على المفتين والقضاة المنع منه جملة، وإن فرض أن بعض أفراده[1] جائز؛ إذ لا يستريب أحد في أن الرجوع إلى ما كان عليه الصحابة في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وصدراً

---

(١) سقطت من «ط».

من خلافة عمر أولى من الرجوع إلى التحليل، والله الموفق. انتهى كلامه في «أعلام الموقعين»[1].

فصل

وهذا مذموم من وجوه:

أحدها: أن الله ورسوله والصحابة والتابعين لعنوه، ولعنهم له لا يكون إلاّ عن كبيرة جداً.

[٢٢٠ـ ب] **الثاني**: أن ما فعله زنا؛ لأن هذا ليس بنكاح، ولا يصح هذا النكاح عند أهل العلم، ولهذا قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ برجمه.

الثالث: أنه ارتكب كبيرة، وذلك يخشى عليه منها، فإن من ارتكب الكبائر يخشى عليه أن يموت على غير الملّة المحمدية.

الرابع: أن النبي والصحابة والتابعين سمّوه تيساً، والتيس لا يكون إلا من باب الذم والمهانة والاحتقار، وشبه بالتيس؛ لأن التيس يضرب الغنم بلا عقد ولا صداق ولا غيره، فشُبه به، وكل ما شابه الشيء أعطي حكمه، فهو يأخذ بلا مهر، ويجامع هذه وهذه بلا عقد؛ لأن العقد وجوده وعدمه عنده سواء، وكذا الحلال والحرام، والمرأة وبنتها، فشبه بالتيس.

الخامس: أنه سماه سِفاحاً، والسفاح هو مثل التيس الذي يجامع بلا عقد ولا غيره، كما قيل في التيس، وهو مذموم من جميع الوجوه.

فصل

والمحلل له أيضاً ملعون، ومذموم معه؛ لأنه أعانه على هذا، كما قالوا في آكل الربا وموكله، فإنه لولا هذا، ما حلل هذا، والمرأة أيضاً مذمومة

---

(١) انظر: «أعلام الموقعين» (٣/ ٤١) وما بعدها.

معهم؛ لأنها أمكنته من نفسها، ولهذا قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ برجمهم؛ لأنها هي أيضاً حكمها حكم الزانية سواء، فترجم هي وهو. والله الموفق.

فصل

قال الشيخ جمال الدين الإمام: «وهذا مسافِح ليس بزوج، ولا ناكح شرعاً، فإن الزوج الناكح لا يكون إلاّ على الوجه الذي شرعه الله وأحله، كما قال ـ سبحانه ـ في آية المحرمات في النكاح: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ الآية، إلى أن قال: ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ﴾ [النساء: ٢٣ـ٢٤]، فجعلَ ـ سبحانه ـ المبتغي بماله المحصن غير المسافح، فمن لم يكن مبتغياً بماله محصناً لنفسه، فليس بزوج، ولا ناكح شرعاً، فهو مسافح [٢٢٠ـ ب] وتيس اللعن في هذا الوقت».

قلت: وقد دل الحديث على أن هذا سِفاح، كما في الحديث المتقدم: «كُنَّا نَعُدُّهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ سِفَاحاً»(١)، فهو مسافح.

فإن قيل: صورة النكاح والطلاق قائمة فيه بخلاف المسافحة، قيل: قائمة على مخادعة الله ورسوله، وليس يعمل فيها إلاّ بمعنى المؤاجرة، فهي مؤاجرة، وليست مناكحة حقيقية، فهي مسافحة. والله أعلم بالصواب.

قال ابن مفلح في «الفروع»: «وإذا أفضى إيقاع الثلاث إلى التحليل، كان ترك إيقاعه خيراً من إيقاعه»(٢).

❑ ❑ ❑

---

(١) الخبر سبق تخريجه.

(٢) الفروع (٣/ ٣٧٣).

الفصل الثاني عشر

في أن الثلاث هل تحرم أو لا؟

هذه المسألة فيها روايات:

إحداهن: تحرم، جزم به في «العمدة»[1]، و«الإيضاح»[2]، وقدمه في «الفروع»، وقال: «اختاره الأكثر»[3]، واختارها أبو بكر[4]، وأبو حفص[5].

---

(١) قال في «العمدة» (٤٨٧ـ٤٨٨): «ولا يحل جمع الثلاث، ولا طلاق المدخول بها في حيضتها، أو في طهر أصابها فيه؛ لما روي عن عمر...». وقال في «الشرح» (٤٨٧ـ٤٨٨): «ولا يحل جمع الثلاث، وهو إحدى الروايتين، وهو طلاق بدعة، وهو محرم. روي ذلك عن عمر، وعلي، وجماعة من الصحابة، فروي عن عمر أنه كان إذا أتي برجل طلق ثلاثاً أوجعه ضرباً».

(٢) كتاب «الإيضاح» في الفقه، لعله مفقود، وهو من تأليف أبي الفرج عبد الواحد الشيرازي المعروف بالمقدسي. انظر ترجمته في أول هذا البحث. وانظر بالنسبة للكتاب: «معجم الكتب» (ص٦٠).

(٣) «الفروع» ٥/ ٢٧١.

(٤) أبو بكر. مرت ترجمته في أول هذا البحث.

(٥) لعله عمر بن إبراهيم بن عبد الله، أبو حفص العكبري، معرفته عالية في مذهب أحمد، له التصانيف السائرة: «المقنع»، و«شرح الخرقي»، و«الخلاف بين أحمد ومالك» وغير ذلك، وله اختيارات في المسائل المشكلات، وحدَّث. توفي - رحمه الله - سنة (٣٨٧هـ). «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٦٣ـ١٦٦)، «مناقب الإمام=

وروي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وهو قول مالك[1]، وأبي حنيفة[2]، كما روي عن عمر: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِرَجُلٍ طَلَّقَ ثَلاثاً أَوْجَعَهُ ضَرْباً»[3].

وعن مالك بن الحارث قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنَّ عَمِّي طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلاَثاً، فَقَالَ: إِنَّ عَمَّكَ عَصَى اللهَ، وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وَمَنْ جَمَعَ ثَلاثاً، لَمْ يَتَّقِ اللهَ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ مَخْرَجاً، وَلا مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً»[4].

= أحمد» لابن الجوزي (ص٥١٨)، «معجم المؤلفين» (٢/ ٥٥٠).

(١) قال في «حاشية الدسوقي» (٢/ ٣٦٢) ما نصه: («إذا طلق أكثر من واحدة في طهر لم يمس فيه، وأولى إذا كان في طهر مسها فيه، ثم إن ظاهره أن الزائد على الواحدة مكروه مطلقاً. وقال اللخمي: إيقاع اثنتين مكروه، وثلاثة ممنوع. ونحوه في «المقدمات» و«اللباب»، وعبر في «المدونة» بالكراهية، لكن قال الرجراجي: مراده التحريم اهـ من «التوضيح»).

(٢) قال في «بدائع الصنائع» (٣/ ٨٨): «... وإنما شَرَطْنَا أن يكون في طهر لا طلاق فيه؛ لأن الجمع بين الطلقات الثلاث أو الطلقتين في طهر واحد مكروه عندنا».

(٣) رواه عبد الرزاق «كتاب الطلاق» باب المطلق ثلاثاً (١١٣٤٥) (٦/ ٣٩٥-٣٩٦). رواه عبد الرزاق عن إسماعيل بن عبد الله «ابن بنت ابن سيرين»: صدوق من السابعة، عن عبد الله بن العيزار المازني البصري: ثقة. انظر في الأول: «الجرح والتعديل» (٢/ ١٨٠)، «التقريب» (ص١٠٨)، وفي الثاني: «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٣٠). والله أعلم.

(٤) الخبر سبق تخريجه.

وعن محمود بن لبيد[1]، قال: «أُخبرَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلاثَ تَطْلِيقَاتٍ جَمِيعاً، فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ [عَزَّ وَجلَّ] وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ حَتَّى قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلا أَقْتُلُهُ؟»[2].

وفي حديث ابن عمر قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ لَوْ طَلَّقْتُهَا ثَلاثاً؟ فَقَالَ: إِذاً عَصَيْتَ رَبَّكَ، وَبَانَت مِنْكَ امْرَأَتُكَ»[3].

وروى الدارقطني بإسناده عن عليٍّ قال: «سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ [٢٢١ـ أ] رَجُلاً طَلَّقَ امْرَأَتَهُ البَتَّةَ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: أَتَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللهِ هُزُواً ـ أَوْ دِينَ اللهِ هُزُواً وَلَعِباً؟ ـ مَنْ طَلَّقَ البَتَّةَ أَلْزَمْنَاهُ ثَلاثاً، لاَ تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ»[4]، ولأنه تحريم للبُضْع بقول الزوج، فحرم كالظاهر. وعنه[5]: في الطهر، لا الأطهار، قدمه في «الفروع» بعد الأول[6]. وعنه: لا يحرم.

---

(١) هو محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الشهلي، أبو نعيم المدني، صحابي صغير، وجلّ روايته عن الصحابة. توفي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سنة (٩٦هـ).
«أُسد الغابة» (٥/ ١١٢)، «التقريب» (ص٥٢٢)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٨٩).

(٢) الخبر سبق تخريجه.

(٣) رواه الدارقطني «كتاب الطلاق والخلع والإيلاء» (٨٤) (٤/ ٣١). قال العظيم أبادي: «الحديث في إسناده عطاء الخراساني، وهو مختلف فيه، وقد وثقه الترمذي، وقال النسائي: لا بأس به، وضعفه غير واحد، وأيضاً في إسناده شعيب بن زريق الشامي، وهو ضعيف».
قلت: والحديث له شاهد في «الصحيحين»، أول أبواب الطلاق.

(٤) رواه الدارقطني «كتاب الطلاق والخلع والإيلاء» (٥٥) (٤/ ٢٠)، وقال: «فيه إسماعيل بن أبي أمية، كوفي، ضعيف الحديث».

(٥) يعني الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

(٦) قال في «الفروع» (٥/ ٣٧١ـ٣٧٢): «وإن طلقها ثلاثاً ـ وقيل: أو اثنتين ـ بكلمة=

اختاره الخرقي، وقدمه في «الروضة»[1]، وغيرها. فعلى هذه الرواية يكره ذكره في «الفروع»[2].

وقدم اختيار الخرقي في «المغني»[3]. وهو مذهب الشافعي[4]، وأبي ثور، وداود. وروي ذلك عن الحسن بن علي، وعبد الرحمن بن عوف، والشعبي.

وعنه: يباح. ذكرها القاضي أبو يعلى في «شرح الخرقي»[5]، وذكر أنه اختيار الخرقي، وليس هو الصواب، وإنما الصواب على ما ذكره في «المغني» أنه ليس حراماً.

بقي هل هو مباح؟ أم مكروه؟ لم يذكره الخرقي، وقال: هو مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، ومالك. قال: وهو قول أصحابنا. والله أعلم[6].

= أو كلمات، في طهر فأكثر، وقع ويحرم، اختاره الأكثر. وعنه: في الطهر لا الأطهار. وعنه: لا يحرم، اختاره الخرقي، وقدمه في «الروضة» وغيرها، فعليها يكره».

(١) كتاب «الروضة» في الفقه، لعله مفقود. والله أعلم.

(٢) «الفروع» (٥/ ٣٧٢).

(٣) قال في «المغني» (٨/ ٢٤٠): «اختلفت الرواية عن أحمد في جمع الثلاث، فروي أنه غير محرم. اختاره الخرقي، وهو مذهب الشافعي، وأبي ثور، وداود...».

(٤) قال في «مغني المحتاج» (٣/ ٣١١): «ولا يحرم جمع الطلقات؛ لأن... قال الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: يعني ـ والله أعلم ـ ثلاثاً، ولم نعلم أن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وقد فعله جمع من الصحابة، وأفتى به آخرون اهـ. وكما لا يحرم جمعها، لا يكره».

(٥) «شرح الخرقي» لعله مفقود. انظر: «معجم الكتب» (ص٥٦).

(٦) العبارة مبهمة، وقد ذكرنا آراء المذاهب في ذلك. والله أعلم.

وقدم للإباحة في «إدراك الغاية»[1]. ونقل أبو طالب[2]: هو طلاق السنة. وقدم في «الانتصار»[3] رواية تحريمه حتى تفرغ العدة. وجزم به في «الروضة». والله أعلم بالصواب.

فصل

وإنما عملت هذا الكتاب لأنصف بين الفريقين، فإن الجد جمال الدين الإمام، والشيخ تقي الدين في جهة، وقد صنف جمال الدين فيه كتاباً في أنه واحدة. وابن رجب في جهة؛ فإنه صنف في الوقوع كتاباً، وابن القيم ذكر القولين، لكن ميله إلى عدم الوقوع.

فَلْيختَرِ العاقل ما يوجب الإنصاف، ويختار جواباً يقدم به على رب العباد، ولا يختار شيئاً حمية ورياء؛ فإن الدنيا مفروغ منها، وهي زائلة، فيتخذ لنفسه [٢٢١ـب] ما يصلح لنفسه، وليتخذ جواباً يقف به بين يدي الله ـ عز وجل ـ، حين يقف حاسراً عريان مكشوف الرأس حيران، فالدنيا جميعها ما تساوي فلساً. ولينصف حيث يجب[4] الإنصاف، ولا يقل في المسائل باجتهاد نفسه؛ فإن العلماء رعاة على دين الله، والراعي مسؤول

---

(١) «إدراك الغاية في اختصار الهداية» في الفقه، لعبد المؤمن بن شمائل القطيعي، الفقيه، الإمام الفرضي المتقن، صفي الدين أبو الفضائل. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٧٣٩هـ). ولعل الكتاب مفقود. «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٢٨ـ٤٣١)، «الشذرات» (٨/ ٢١٣)، «الدرر» (٢/ ٤١٨).

(٢) هو أحمد بن حميد، أبو طالب المشكاني، صاحب أبي عبد الله بن حنبل، روى عن أحمد مسائل تفرد بها، وكان أحمد يكرمه ويعظمه، حدث عنه خلق. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٢٤٤هـ). «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٢)، «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩)، «معجم الكتب» (ص١٦).

(٣) كتاب «الانتصار».

(٤) في «ط»: يحق.

عن رعيته، فإنه إذا أبصر يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، الأهوال والأمور، ودَّ لو أنه[1] اتبع الحق، وخلّى الفجور. وليس أقول هذا في هذه المسألة، بل في جميع المسائل، والحذر كل الحذر من أن يبيح ما حرم، أو يحرم ما حلل، أو يتكلم في صفات الله بغير علم، أو يقول ما يخرج به عن الإسلام. والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2].

أنجز هذا الكتاب يوم الخميس في شهر جمادى الأولى سنة ستين[3] وثمان مئة على يد جامعه العبد الفقير الضعيف الحقير المعترف بالذنب[4] والتقصير: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي الجمّاعيلي. عفا الله عنه، وختم له بخير، ولجميع المسلمين.

❏ ❏ ❏

---

(١) في «ط»: وديوانه.

(٢) اتجه كبار علماء العصر إلى اعتماد عدم الوقوع، والأخذ به في معظم البلاد العربية والإسلامية في قوانين الأحوال الشخصية كما أخبرني أستاذي الدكتور محمد الزحيلي ـ حفظه الله ونفعنا به ـ.

(٣) في «ط»: وسبعين. والصواب ما ذكرناه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٤) في «ط»: بالعجز.

خاتمة الدراسة والتحقيق

وبعد هذه الرحلة مع الإمام يوسف بن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ نخلص إلى النتائج التالية:

١ـ إن هجرة بني قدامة ومن ارتبط معهم من الأسر العلمية وعلماء الحنابلة قد تركت في حياة دمشق العلمية والحضارية والاجتماعية، وفي تاريخ القرون التي عاشوها آثارهم الواضحة، منها:

* تأسيسهم مدينة الصالحية.

* ظهور الأسر العلمية.

* ذيوع شهرة دمشق العلمية.

* اشتهار المذهب الحنبلي واستمراريته.

* نهضة المرأة العلمية.

* أثرهم في علم الحديث وغيره.

* إشاعة النماذج المثلى للعلم والتقوى بما عرف عنهم من السلوك الديني والزهد.

٢ـ ازدهرت الحركة العلمية على عصر سلاطين المماليك ازدهاراً واسعاً على عكس ما كان متوقعاً، ويعود الفضل في ذلك إلى علمائنا

المسلمين الذين تحملوا المسؤولية كاملة أمام الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأمام التاريخ الذي لا يرحم، على الرغم من المناخ السياسي الرديء، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية البالغة السوء في تلك الحقبة من الزمن.

٣ـ اتفق المؤرِّخون على اسم ابن عبد الهادي ونسبه ولقبه وكنيته، فهو أبو المحاسن، وأبو عمر، جمال الدين يوسف بن حسن بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة، العمري، العدوي، القرشي، المقدسي، الجماعيلي، ثم الصالحي الحنبلي.

وينتمي شيخنا ـ رحمه الله ـ إلى بيت عريق في العلم والصلاح والفضل والزهد والأدب والنسب، بيت حديث وجلالة، بيت الرواية والمشيخة، ذلك هو بيت «آل عبد الهادي»، وعبد الهادي هذا هو ابن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام الذي ينتهي نسبه إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

وأسرة عبد الهادي أسرة نبيلة مشهورة في فلسطين، لا تزال تحتفظ بكيانها إلى هذا العصر، وقد خرج من هذه الأسرة وفي جميع العصور رجال أفذاذ ونساء فضليات كان لهم القدح المعلّى في الدين والعلم والزهد، ما منهم إلا اشتغل وحصَّل وفرَّع وأصَّل، وحفظ وتلا، وترقّى وعلا، هذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

٤ـ نشأ شيخنا ـ رحمه الله ـ في الصالحية محاطاً بالعلماء الفضلاء، والعالمات الخيرات من كل جهة، وأحضر صغيراً على أبيه وجده وكبار مشايخ عصره جرياً على عادتهم.

٥ـ تفرغ ابن عبد الهادي لطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم صغيراً، ودرس الفقه وأصوله وعلوم الحديث والعربية، وبرع في علوم القرآن

والتفسير والوعظ والتصوف والتوحيد والجدل، والفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والرجال والتاريخ، والعربية والطب والصيدلة وغيرها، وأخذ هذه العلوم عن مشايخ دمشق الأجلاء، وصنف في كل ذلك صغيراً.

٦ـ مارس ابن عبد الهادي الاشتغال بالعلم في مجال الإقراء والتحديث والتدريس والفتوى والقضاء، وعكف على التأليف والتصنيف وجمع الكتب ونظم الشعر، وكان يحتل مكانة علمية واجتماعية مرموقة. وبالجملة فقد أفنى عمره بين علم وعبادة، وتصنيف وتدريس وإفادة. ارتحل إليه الطلبة من كافة المذاهب، وقد أفاد عدداً لا يحصى من التلاميذ، إضافة إلى أولاده وأزواجه وأقاربه.

٧ـ يعتبر ابن عبد الهادي من أكثر المتأخرين إنتاجاً، وأنه ما ترك فناً من فنون العلم إلاّ كتب فيه، حتى بلغت أسماء مصنفاته مجلداً، أبقت لنا الأيام مجموعة غير قليلة منها ـ برغم مضي خمسة قرون على وفاته ـ موزعة على مكتبات العالم.

٨ـ تمتع ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ بمواهب فطرية متميزة، جبله الله عليها، وأكرمه بها، فقد حفلت حياته بقدر من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، كما صرح بذلك الفضلاء، وكان جيد الحفظ، كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، خفيف الروح، حسن المفاكهة، ملتزماً بالحديث والسنة، والخلق والفضيلة والموضوعية، كما أنه اشتهر بالضبط.

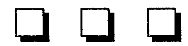
٩ـ كان ابن عبد الهادي بعيداً عن الدنيا وزخارفها، راغباً في الآخرة، كارهاً للمناصب، لم يسمع عنه أنه وقف بباب أمير أو حاكم، فقد كان صلباً في الحق، قوياً في الدين، لا يهاب ملكاً ولا ذا سلطان، حتى توفاه الله.

١٠- اتفق المؤرِّخون والمترجمون على تاريخ وفاة ابن عبد الهادي (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، وأثنى عليه معاصروه، وسائر العلماء والمترجمين، وغيرهم من الفضلاء.

١١- قام ابن عبد الهادي بتصنيف الكثير من الكتب الفقهية، وفي مختلف الحجوم؛ من الرسالة الصغيرة، وإلى المائة وعشرين مجلداً، وقد ذكرناها في إنتاجه، بقي منها عدد لا بأس به بين مخطوط ومطبوع، وقد قمنا بتقديم دراسة ما اطلعنا عليه من هذه الآثار الفقهية. والله الموفق.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين - آمين.

صفوت عادل عبد الهادي



فهارس الكتاب



١ ـ فهرس الآيات الكريمة

❑ ❑ ❑

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

❑ ❑ ❑



٣ ـ فهرس أعلام الرّجال المترجم لهم

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

❑ ❑ ❑



٤ _ فهرس أعلام النساء المترجم لهن

❑ ❑ ❑

٥ ـ فهرس المصادر والمراجع [١]

١ـ «الأئمة الاثنا عشر»، لمحمد بن طولون الحنفي، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد ـ منشورات الرضى ـ قم ـ ط «د. ت».

٢ـ «الإجماع»، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: محمد علي قطب ـ دار القلم ـ بيروت ـ ط١ (١٩٨٧م).

٣ـ «الإحكام في أصول الأحكام»، لسيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، طبعة: إبراهيم لعجوز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٤ـ «إرشاد الفحول»، محمد بن علي الشوكاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٥ـ «أُسد الغابة في معرفة الصحابة»، لابن الأثير ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط (١٩٩٥م).

٦ـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٧ـ «أصول التخريج ودراسة الأسانيد»، الدكتور محمد الطحان ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

---

(١) يشتمل هذا الفهرس على المصادر والمراجع المذكورة في حاشية هذه الرسالة فقط، ولا يحوي جميع ما رجعنا إليه، كما أنه لا يشتمل على كتب الإمام يوسف بن عبد الهادي.

٨ـ «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، لابن شداد عز الدين أبي عبد الله بن إبراهيم (٦٨٤هـ) تحقيق: سامي دهمان ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق ـ ط (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).

٩ـ «أعلام الموقعين»، لابن القيم الجوزية، طه عبد الرؤوف سعيد ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٠ـ «الأعلام»، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٥ (١٩٨٠م).

١١ـ «الإعلام بوفيات الأعلام»، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد الباقي ـ مؤسسة الكتب الثافية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

١٢ـ «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ»، لمحمد بن طولون الحنفي ـ تحقيق: محمود الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٣ـ «أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام»، لعمر رضا كحالة ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٤ (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٤ـ «إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى»، تحقيق: محمد أحمد دهمان ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

١٥ـ «أعيان العصر وأعوان النصر»، صلاح الدين الصفدي، يصدره فؤاد سزكين مع مازن عماري ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ـ جامعة فرانكفورت ـ ألمانيا الاتحادية ـ ط (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

١٦ـ «أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع»، خليل مردم بك ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٢ (١٩٧٧م).

١٧ـ «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، لابن القيم الجوزية ـ المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ ط «د. ت».

١٨ـ «إنباء الغمر»، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية ـ ط «د. ت».

١٩ـ «إنباء الغمر مع المستدركات»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد أحمد دهمان ـ مكتب الدراسات الإسلامية ـ دمشق ـ ط (١٣٩٩هـ).

٢٠ـ «الأنساب»، للإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: محمد عوامة ـ مطبعة محمد هاشم الكتبي ـ دمشق ـ ط «د. ت».

٢١ـ «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، لمجير الدين عبد الرحمن الحنبلي ـ دار الجليل ـ بيروت ـ مكتبة المحتسب ـ عمان ـ ط (١٩٧٣م).

٢٢ـ «إيضاح المكنون»، لإسماعيل باشا البغدادي ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٢٣ـ «بدائع الزهور»، لمحمد بن إياس الحنفي، تحقيق: محمد مصطفى ـ القاهرة ـ ط (١٩٦٣م).

٢٤ـ «بدائع الصنائع»، للإمام أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٢٥ـ «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، للإمام محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ـ دار القلم ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢٦ـ «البداية والنهاية»، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير ـ إعداد: عماد عامر ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٢٧ـ «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، محمد بن علي الشوكاني ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ط١ (١٣٤٨هـ).

٢٨ـ «بلادنا فلسطين»، مصطفى مراد الدباغ ـ دار الطليعة ـ ط (١٩٧٤م).

٢٩ـ «بلوغ المرام»، لابن حجر العسقلاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٣٠ـ «تاج العروس»، للإمام السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي ـ التراث العربي ـ الكويت ـ ط (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

٣١ـ «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول»، للسيد أبي الطيب الحسني البخاري القنوجي ـ تصحيح وتعليق: عبد الحكيم شرف الدين ـ دار اقرأ ـ ط٢ (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م).

٣٢ـ «تاريخ الأدب العربي»، للمستشرق «بروكلمان»، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، والسيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط (١٩٨٣م).

٣٣ـ «تاريخ الإسلام»، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار معروف والشيخ شعيب الأرناؤوط، والدكتور صالح مهدي عباس ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٣٤ـ «تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم»، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين، تحقيق: عبد المعطي أمين قلمجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٩٨٦م).

٣٥ـ «تاريخ بغداد»، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ دار السعادة ـ القاهرة ـ ط (١٩٣٤م).

٣٦ـ «تاريخ التشريع الإسلامي»، لمحمد الخضري بك ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٧ (١٩٦٠م).

٣٧ـ «تاريخ الخلفاء»، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار السعادة ـ القاهرة ـ ط (١٩٥٢م).

٣٨ـ «تاريخ ابن سباط» (صدق الأخبار) لحمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط (بعد ٩٢٦هـ)، تحقيق الدكتور: عمر عبد السلام تدمري ـ جروس برس ـ طرابلس ـ لبنان ـ ط (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٣٩ـ «تاريخ ابن قاضي شهبة»، لتقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، تحقيق: عدنان درويش ـ المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق ـ ط (١٩٧٧م).

٤٠ـ «التاريخ الكبير»، للإمام أبي عبد الله إسماعيل البخاري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٩٨٦م).

٤١ـ «التبيين في أنساب القرشيين»، للإمام موفق الدين بن قدامة، تحقيق: محمد الدليمي ـ عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٤٢ـ «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» (رحلة ابن بطوطة) تحقيق: على المنتصر الكتاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٤٣ـ «تخريج الفروع على الأصول»، للإمام شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: الدكتور محمد أديب صالح ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٤٤ـ «تذكرة الحفاظ»، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي ـ دار التراث العربي ـ بيروت ـ ط «د.ت».

٤٥ـ «تراجم الأعيان من أبناء الزمان»، للحسن البوريني، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي ـ دمشق ـ ط (١٩٥٩م).

٤٦ـ «الترغيب والترهيب»، لعبد العظيم المنذري، تحقيق: مصطفى محمد عمارة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٩٨٦م).

٤٧ـ «التفريع»، لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب، تحقيق: الدكتور حسين سالم الدهماني ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

٤٨ـ «تفسير القرآن العظيم»، للحافظ إسماعيل بن كثير، قدم له الدكتور يوسف المرعشلي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٤٩ـ «تقريب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني، دراسة محمد عوامة ـ دار الرشيد ـ حلب ـ ط٣ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٥٠ـ «التمتع بالأقران»، لمحمد بن طولون الحنفي، تحقيق: خليل الشيباني الموصلي ـ مطبعة الفردوس ـ دمشق ـ ط (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م).

٥١ـ «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول»، للإمام جمال الدين أبي محمد بن الحسن الإسنوي، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

٥٢ـ «تنبيه الطالب وإرشاد الدارس»، لعبد الباسط العلموي، تحقيق: صلاح الدين المنجد ـ مديرية الآثار القديمة العامة بدمشق ـ مطبعة الترقي ـ ط (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م).

٥٣ـ «تهذيب الأسماء واللغات»، للإمام محيي الدين النووي ـ تصوير دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٥٤ـ «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط١ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٥٥ـ «تهذيب سير أعلام النبلاء»، للحافظ الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسة الرسالة ـ ط٢ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٥٦ـ «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، لجمال الدين يوسف المِزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٥٧ـ «الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام»، لمحمد بن طولون الحنفي، تحقيق: صلاح الدين المنجد ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي ـ دمشق ـ ط (١٩٥٦م).

٥٨ـ «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، مجد الدين المبارك بن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر: مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ـ دمشق ـ ط (١٩٦٩م).

٥٩ـ «الجرح والتعديل»، للإمام ابن أبي حاتم الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٩٥٢م).

٦٠ـ «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير»، للإمام شمس الدين محمد عرفة الدسوقي ـ دار الفكر ـ ط «د. ت».

٦١ـ «حسن المحاضرة»، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ط (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

٦٢ـ «الحضارة العربية الإسلامية»، تأليف الدكتور شوقي أبو خليل ـ منشورات كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ـ ليبيا ـ ط٢ (١٤٠٢هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٣ـ «ابن حنبل»، تأليف الإمام محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ ط (١٩٤٧م).

٦٤ـ «خطط الشام»، لمحمد كرد علي ـ بيروت ـ ط٢ (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

٦٥ـ خطط المقريزي «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار» لأحمد بن علي المقريزي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط (١٩٧٩م).

٦٦ـ «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، لمحمد أمين بن فضل الله المحبي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٦٧ـ «الدارس في تاريخ المدارس»، لعبد القادر النعيمي، أعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٦٨ـ «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سعيد جاد الحق ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ط«د. ت».

٦٩ـ «دلائل الأحكام من أحاديث الرسول عليه السلام»، للإمام بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن شداد، صنع فهارسه وعلق عليه: الدكتور محمد شيخاني والدكتور زياد الأيوبي ـ دار قتيبة ـ دمشق ط١ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٧٠ـ «الدليل الشافي على المنهل الصافي»، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، تحقيق: فهيم شلتوت ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط (١٩٨٠م).

٧١ـ «الديباج المذهب»، لابن فرحون المالكي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي ـ دار التراث العربي ـ مصر ـ ط (١٩٧٢م).

٧٢ـ «الدول الإسلامية»، لأرنولد توينبي، ترجمة: محمد فرزت، مراجعة محمد أحمد دهمان ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ دمشق ـ ط (١٩٣٨م).

٧٣ـ «الدولة العباسية»، لمحمد الخضري بك ـ دار القلم ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٧٤ـ «الذيل التام على دول الإسلام»، للذهبي، تأليف الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسن إسماعيل مروة ـ مكتبة العروبة ـ الكويت ـ دار ابن العماد ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٧٥ـ «ذيل تذكرة الحفاظ»، للذهبي ـ ذيل ابن فهد، تقي الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمي ـ تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٧٦ـ «ذيل تذكرة الحفّاظ»، للذهبي ـ ذيل الحافظ الحسيني ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ ط «د. ت».

٧٧ـ «ذيل الدرر الكامنة»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ـ القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ـ ط (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٧٨ـ «الذيل على رفع الأصر بغية العلماء والرواة»، للإمام عبد الرحمن السخاوي تحقيق: جودة هلال والأستاذ محمد محمود صبح ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ط «د. ت».

٧٩ـ «الذيل على الروضتين»، لأبي شامة المقدسي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٨٠ـ «الذيل على طبقات الحنابلة»، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي ـ ط «د. ت». ونسخة بتحقيق هنري لاوست وسامي دهمان ـ المعهد الفرنسي ـ دمشق ـ ط (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م).

٨١ـ «الذيل على العبر في خبر من غبر»، لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (٨٢٦هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٨٢ـ «ذيل وفيات الأعيان»، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ـ دار التراث ـ القاهرة ـ المكتبة العتيقة ـ الزيتونة ـ تونس ـ ط (١٣٩١هـ ـ ١٩٧٠م).

٨٣ـ «الرد الوافر»، للإمام ابن ناصر الدمشقي، الحافظ محمد بن أبي بكر ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١ (١٣٩٣هـ).

٨٤ـ «الرسالة المستطرفة»، للسيد محمد بن جعفر الكتاني، وضع فهارسه: محمد المنتصر بن محمد الكتاني ـ دار البشائر الإسلامية ـ ط٤ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٨٥ـ «الروضتين»، لأبي شامة المقدسي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط (١٢٨٧هـ).

٨٦ـ «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة»، للشيخ محمد بن عبد الله النجدي ـ مكتبة الإمام أحمد ـ ط (١٤١٩هـ ـ ١٩٥٦م).

٨٧ـ «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، للسيد محمد خليل المرادي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ط «د. ت».

٨٨ـ «السلوك لمعرفة دول الملوك»، للمقريزي ـ القاهرة ط (١٩٣٤م).

٨٩ـ «سنن البيهقي»، للإمام أحمد بن حسين البيهقي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط «د. ت».

٩٠ـ «سنن الترمذي»، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان ـ دار الفكر ـ ط٣ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٩١ـ «سنن الدارقطني»، للإمام علي بن عمر الدارقطني ـ عني به السيد عبد الله هاشم المدني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

٩٢ـ «سنن الدارمي»، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٩٣ـ «سنن أبي داود»، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط١ (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م).

٩٤ـ «سنن ابن ماجه»، للحافظ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط «د. ت».

٩٥ـ «سنن النسائي الصغرى»، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط١ (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م).

٩٦ـ «سنن النسائي الكبرى»، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٩٧ـ «سير أعلام النبلاء»، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٩٨ـ «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، للشيخ محمد بن محمد بن مخلوف ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ (١٣٤٩هـ).

٩٩ـ «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، لابن العماد الحنبلي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٠٠ـ «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، لأبي العباس أحمد القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١٠١ـ «صحيح البخاري»، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٠٢ـ «صحيح الحاكم»، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٠٣ـ «صحيح ابن حبان»، ترتيب الإمام علاء الدين بن بلبان المسمىٰ بـ«الإحسان»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٣ (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٠٤ـ «صحيح مسلم»، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الكتب العلمية ـ ط (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

١٠٥ـ «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ـ مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٠٦ـ «طبقات الحفاظ»، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

١٠٧ـ «طبقات الحنابلة»، للقاضي أبي يعلى الفرا، تحقيق: محمد حامد الفقي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ط «د. ت».

١٠٨ـ «طبقات ابن سعد» ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط (١٩٦٠م).

١٠٩ـ «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي الحنفي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ دار الرفاعي ـ الرياض ـ ط١ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١١٠ـ «طبقات الشافعية»، لأبي بكر بن أحمد، تقي الدين بن قاضي شهبة ـ تصحيح الدكتور عبد العليم خان ـ نشر مؤسسة دار الندوة الجديدة ـ بيروت ـ ط (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١١١ـ «طبقات الشافعية الكبرى»، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ دار هجر ـ القاهرة ـ ط٢ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

١١٢ـ «طبقات المفسرين»، للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق: محمد علي عمر ـ نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).

١١٣ـ «العبر في أخبار من غبر»، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد ـ الكويت ـ ط٢ (١٩٨٤م).

١١٤ـ «العدة شرح العمدة في فقه الإمام أحمد»، لبهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

١١٥ـ «العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار»، لمحمد بن محمود الحلبي الملقب بابن آجا، حققه: محمد أحمد دهمان ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١١٦ـ «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي»، لمحمود رزق سليم ـ نشر مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ط٢ (١٩٦٢م).

١١٧ـ «عقود المقريزي»، أحمد بن علي، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط (١٩٩٢م).

١١٨ـ «عيون الروضتين»، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: أحمد البيسومي ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ط (١٩٩١م).

١١٩ـ «غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام»، للشيخ عبد المحسن بن ناصر آل عبيكان ـ مكتبة العبيكان ـ ط١ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

١٢٠ـ «غربال الزمان في وفيات الأعيان»، للعلاّمة يحيى بن أبي بكر العامري (٨٩٣هـ)، تحقيق: محمد ناجي العمر ـ دار الخير ـ دمشق ـ ط (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٢١ـ «الفروع»، للإمام شمس الدين محمد بن مفلح، راجعه: عبد الستار أحمد فراج ـ عالم الكتب ـ ط (١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٢٢ـ «الفروق»، للإمام أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي ـ تصوير.

١٢٣ـ «الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون»، عنيت بنشره مكتبة القدسي والبدير ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ـ ط (١٣٤٨هـ).

١٢٤ـ «فهرس الفهارس والأثبات»، لعبد الحي الكتاني ـ عني به إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٢٥ـ «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: التاريخ وملحقاته»: خالد الرّيان ـ دمشق ـ ط (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م).

١٢٦ـ «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: التاريخ وملحقاته»: يوسف العش ـ مطبعة دمشق ـ ط (١٣٦٦هـ ـ ١٩٩٤م).

١٢٧ـ «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: الطب والصيدلة»: صلاح الخيمي ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ط (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

١٢٨ـ «فواتح الرحموت»، للإمام عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري ـ مطبوع مع «المستصفى» للإمام الغزالي ـ دار الفكر ـ ط «د. ت».

١٢٩ـ «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» لمحمد بن طولون الصالحي، تحقيق: محمد أحمد دهمان ـ دمشق ـ ط٢ (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

١٣٠ـ «القوانين الفقهية»، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

١٣١ـ «الكاشف»، للإمام محمد بن أحمد الذهبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٣٢ـ «الكامل في التاريخ»، لابن الأثير ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٣٣ـ «ابن كثير الدمشقي»، للأستاذ الدكتور محمد الزحيلي ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

١٣٤ـ «كرامات الأولياء»، للشيخ يوسف النبهاني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض ـ المكتبة الشعبية ـ بيروت ـ ط٤ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٣٥ـ «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، للإمام ملاّ كاتب جلبي، الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله ـ دار الفكر ـ ط «د. ت».

١٣٦ـ «الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة»، لنجم الدين محمد الغزي، تحقيق: جبرائيل جبور ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٢ (١٩٧٩م).

١٣٧ـ «اللباب في تهذيب الأنساب»، للإمام عز الدين بن الأثير الجزري ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ط «د. ت».

١٣٨ـ «لب اللباب في تحرير الأنساب»، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد وأشرف عبد العزيز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

١٣٩ـ «لسان العرب»، لمحمد بن مكرم بن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٤٠ـ «لسان الميزان»، لابن حجر العسقلاني ـ تصوير ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٤١ـ «اللمعات البرقية في النكت التاريخية»، لمحمد بن طولون، تحقيق: محمد خير رمضان ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١٤٢ـ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الكتاب ـ بيروت ـ ط (١٩٩٢م).

١٤٣ـ «المحرر في الحديث»، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: الدكتور يوسف المرعشلي، ومحمد سليم سمارة، وجمال الذهبي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٤٤ـ «المحرر في الفقه»، للإمام مجد الدين بن تيمية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٤٥ـ «مختار الصحاح» ـ لمحمد الرازي ـ مكتبة النوري ـ دمشق ط «د. ت».

١٤٦ـ «مختصر طبقات الحنابلة»، للشيخ محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن الشطي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١٤٧ـ «المختصر في أخبار البشر»، لعماد الدين إسماعيل أبي الفداء ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٤٨ـ «المدخل إلى مذهب أحمد»، لعبد القادر بدران ـ علق عليه: الدكتور عبد الله بن عبد الحسن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٤٩ـ «المدخل الفقهي العام»، للعلاّمة مصطفى الزرقا ـ دار الفكر ـ ط٩ (١٩٦٧م).

١٥٠ـ «مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية»، لعبد القادر الريحاوي ـ دمشق ـ ط (١٩٦٩م).

١٥١ـ «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»، لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٥م).

١٥٢ـ «مرجع العلوم الإسلامية»، للأستاذ الدكتور محمد الزحيلي ـ دار المعرفة ـ ط «د.ت».

١٥٣ـ «المروج السندسية تلخيص تاريخ الصالحية»، لمحمد بن عيسى بن كنان، «تحقيق: محمد أحمد دهمان ـ مديرية الآثار القديمة ـ دمشق ـ ط (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م).

١٥٤ـ «المسند»، للإمام أحمد بن حنبل ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط «د.ت».

١٥٥ـ «المشتبه في الرجال»، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار إحياء التراث العربي ـ القاهرة ـ ط «د.ت».

١٥٦ـ «مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك»، لسعيد عاشور ـ دار النهضة العربية ـ ط «د.ت».

١٥٧ـ «مصنف ابن أبي شيبة»، تحقيق عامر العمر ـ بومباي ـ الدار السلفية ـ ط١ (١٩٨٣م).

١٥٨ـ «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي»، زمباور، ترجمة الدكتور محمد حسن زكي ـ طبع جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة ـ ط (١٩٥٢م).

١٥٩ـ «معجم البلدان»، لياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

١٦٠ـ «معجم بلدان فلسطين»، محمد حسن شراب ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١٦١ـ «معجم شيوخ الذهبي»، للإمام الذهبي، تحقيق: الدكتورة روحية عبد الرحمن السيوفي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

١٦٢ـ «المعجم الكبير»، للإمام سليمان بن أحمد الطبري، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ العراق ـ ط «د.ت».

١٦٣ـ «معجم المؤرِّخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة»، للدكتور صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ ط١ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

١٦٤ـ «معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربية»، لعمر رضا كحالة ـ أخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـ ط١ (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٦٥ـ «المغني»، للإمام موفق الدين بن قدامة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط «د.ت».

١٦٦ـ «مغني المحتاج»، للإمام محمد الخطيب الشربيني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط «د.ت».

١٦٧ـ «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب»، لجمال الدين بن سالم بن واصل، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال ـ مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم ـ وزارة المعارف المصرية ـ ط (١٩٥٣م).

١٦٨ـ «المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني»، للإمام موفق الدين بن قدامة ـ طبع في قطر ـ ط٣ (١٣٩٣هـ).

١٧٠ـ «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج، تحقيق: لجنة التراث العربي ـ دار الآفاق الجديدة ـ «د.م» ـ ط٣ (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٧١ـ «من ذيول العبر ـ ذيل الذهبي والحسيني»، تحقيق: محمد رشاد عبد المطلب ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ط «د.ت».

١٧٢ـ «منهاج القاصدين»، للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، علق عليه: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ـ دار الهجرة ودار البيان ـ بيروت ـ دمشق ـ ط (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

١٧٣ـ «المنهج الأحمد»، للعليمي (٩٢٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط (١٩٨٤م).

١٧٤ـ «الموسوعة الفلسطينية»، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية ـ دمشق ـ ط١ (١٩٨٤م).

١٧٥ـ «الموطأ»، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ـ دار القلم ـ ط «د. ت».

١٧٦ـ «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٧٧ـ «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، لجمال الدين بن أبي المحاسن بن تغري بردي، نسخة مصورة عن دار الكتب ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ مصر ـ ط «د. ت».

١٧٨ـ «نظم العقيان في أعيان الأعيان»، لجلال الدين السيوطي، حرره: فيليب حتي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ط (١٩٢٧م).

١٧٩ـ «النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل»، لمحمد بن كمال الدين الغزي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٨٠ـ «نقد الطالب لزغل المناصب»، لمحمد بن طولون الحنفي، تحقيق: محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٨١ـ «النوادر السلطانية»، للقاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد (٦٣٢هـ) ـ مطبعة صبيح بجوار الأزهر ـ القاهرة ـ ط (١٣٤٦هـ).

١٨٢ـ «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، لأبي العباس سيدي أحمد بن محمد التنبكتي ـ مطبعة المعاهد ـ القاهر ـ ط (١٩٣٢م).

١٨٣ـ «نيل الأوطار»، للإمام الشوكاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط «د. ت».

١٨٤ـ «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون»، لإسماعيل باشا البغدادي ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٨٥ـ «الوافي بالوفيات»، لخليل بن أيبك الصفدي ـ اعتناء: س. ديدرينغ ـ نشر دار فرانز شتاير ـ فيسبادن ـ ط (١٩٨٠م).

١٨٦ـ «وبل الغمام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام»، لمحمد بن طولون الحنفي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني ـ دار الطلائع ـ القاهرة ـ ط «د. ت».

١٨٧ـ «الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي»، دراسة الدكتور محمد ماهر حمادة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

١٨٨ـ «وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان»، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس ـ دار صادر ـ ط «د. ت».

١٨٩ـ «وفيات السلامي»، لتقي الدين محمد بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٩٠ـ «ولاة دمشق في عهد المماليك»، لمحمد أحمد دهمان ـ دار الفكر ـ ط٢ (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

المجلات والمخطوطات

١ـ مجلة المجمع العلمي العربي «مجلة مجمع اللغة العربية» دمشق ـ مجلد ١٩/ ٢٦٧ لسنة (١٩٤٤م) كانون الثاني شباط ـ المحرم وصفر (١٣٦٣هـ).

٢ـ «مجلة المشرق» لسنة (١٩٣٧م) مجلد (٣٥/ ٣٧٠ـ٣٧٦، ٣٨٤ـ٣٩٠) حبيب الزيات في الخزانة الشرقية.

٣ـ «مجلة المشرق» لسنة (١٩٣٨) مجلد (٣٧/ ١٨ـ٢٨) حبيب الزيات في الخزانة الشرقية.

٥ـ «مجلة المشرق» لسنة(١٩٤٣م) مجلد (٤١/ ٤٠٩ـ٤١٨، ٤٢٣ـ٤٢٥) صلاح الدين المنجد.

٦ـ «مجلة معهد المخطوطات العربية» مجلد (٢٦) الجزء (٢) ـ رمضان (١٤٠٢هـ) ـ صفر (١٤٠٣هـ) / يوليو ـ ديسمبر (١٩٨٢م) ـ الكويت.

٧ـ مخطوطة «الثالثة من الحكايات المقتبسة في كرامات مشايخ الأرض المقدسة»، للحافظ ضياء الدين المقدسي بخط يوسف بن عبد الهادي ووقفه، ورقمها (١٠٣٩) ظاهرية.

٨ـ مخطوطة «الجزء العاشر من أسنى المقاصد وأعذب الموارد من مشيخة الإمام العالم العامل الزاهد فخر الدين أبي الحسين علي بن أحمد بن عبد الواحد» تخريج علي بن بلبان المقدسي، ورقمها (١٠٣٩) ظاهرية.

٩ـ مخطوطة «متعة الأذهان من التمتع بالأقران» لأحمد الملا محمد الشهير بابن الملا، أطلعني عليها الدكتور نزار أباظة ـ حفظه الله ـ مشكوراً.

١٠ـ هذا بالإضافة إلى مخطوطات صاحب رسالتنا الإمام الحافظ يوسف بن عبد الهادي المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية العامرة، والتي تبلغ نيفاً وخمسين مخطوطة.

❑ ❑ ❑

٦ـ فهرس الموضوعات

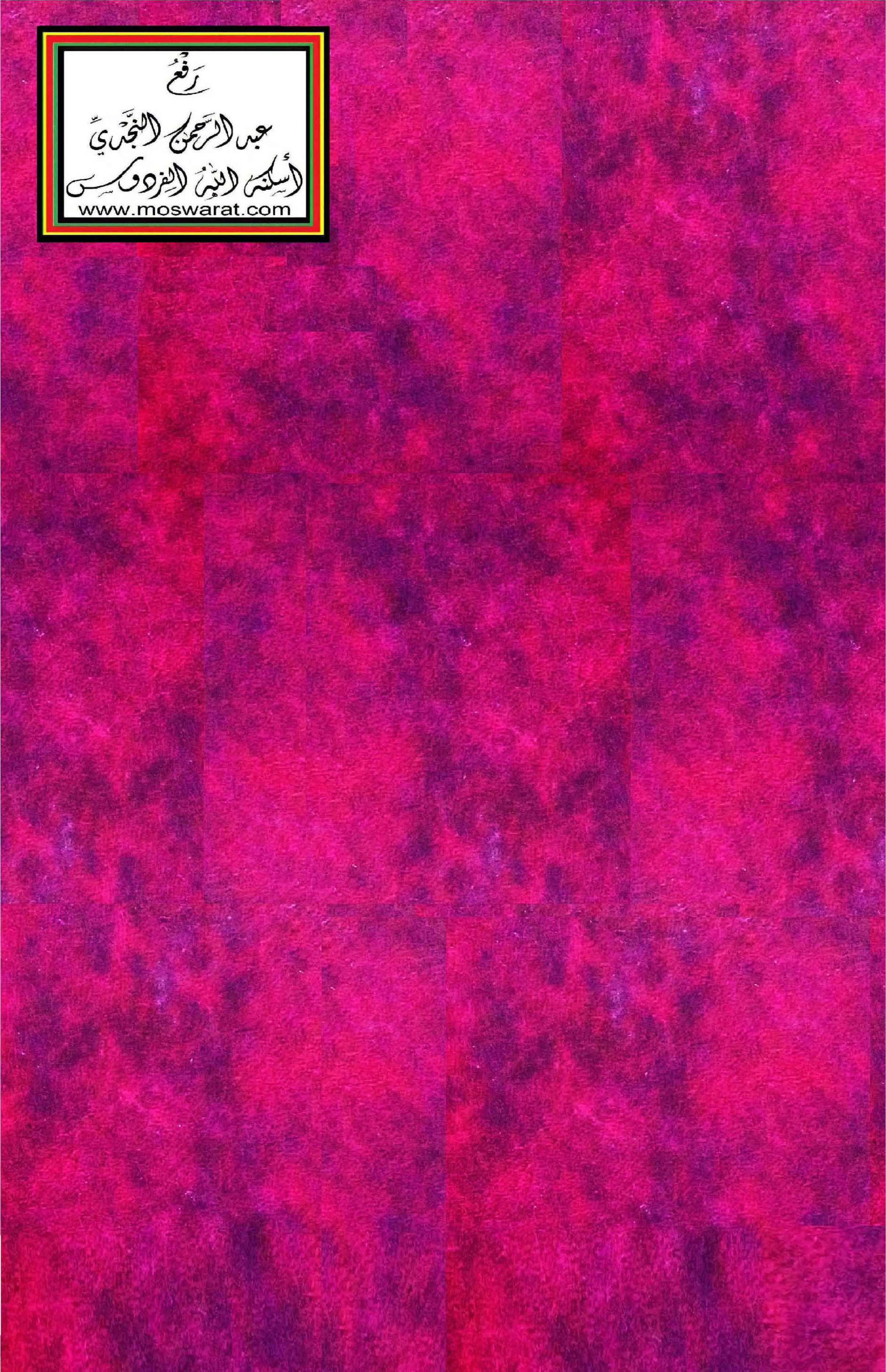
الباب الأول
عصر ابن عبد الهادي

الباب الثاني
حياة الإمام ابن عبد الهادي

الباب الثالث
آثار ابن عبد الهادي الفقهية

الفهارس العامة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com